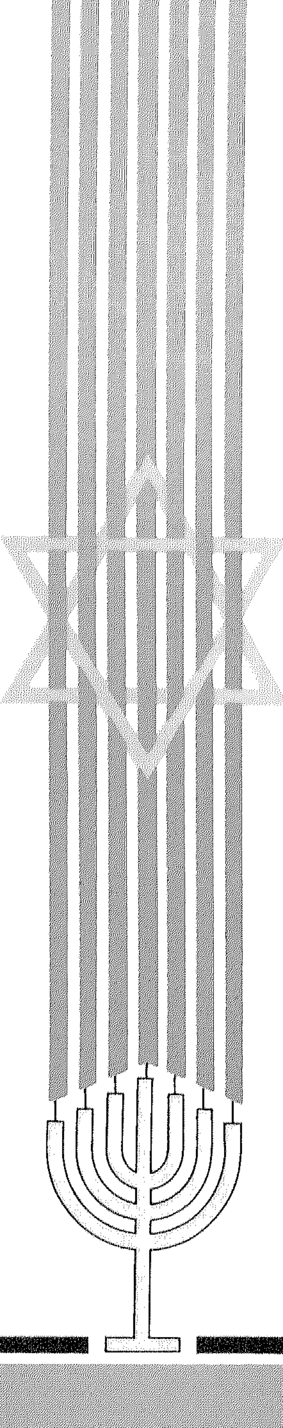
أباطيل التوراة والعهد القديم
(١)

المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم



تأليف
د. محمد علي البار

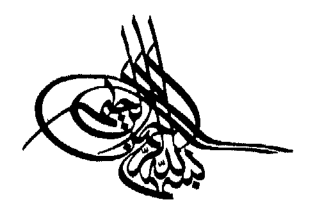
دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت



المدخل

لدراسة التوراة والعهد القديم



أباطيل التوراة والعهد القديم
(١)

المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم

تأليف
د. محمد علي البار

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[1].

والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد بن عبد الله، منير الظلام، ومزيل الأوهام، وآله وصحبه الكرام. والذي خاطبه ربه بقوله:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١.

﴿ ... التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

وبعد: فإن الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام مكتوبة، وقد ذكرها المولى سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بلفظها ١٨ مرة، وذكرها باسم الكتاب والهدى والنور مرات عديدة، ولكن بني إسرائيل أضاعوها وحرّفوها، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٤١ ـ ٤٤.

(٢) سورة الجاثية: الآيتان ١٦، ١٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.

وقد أخبرنا المولى سبحانه وتعالى أنهم قد حرَّفوا التوراة، قال تعالى:

﴿۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ﴾[3].

والآيات القرآنية الكريمة الفاضحة لهؤلاء اليهود الذين حرفوا كتاب الله كثيرة جداً، وقد أوردنا شيئاً منها في فصل التوراة في القرآن الكريم، وأوضحنا معنى التحريف وأنواعه، وقد وصلنا إلى أنّ التوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى مكتوبة في الألواح على موسى عليه السلام في جبل الطور قد بُدِّلت وحُرِّفت وضاعت، ولم يبق منها شيء سوى آيات قليلة تلمع بين الركام كما تلمع الجواهر والألماس وسط مزبلة.

وإذا كان المسلمون يقولون بأنّ التوراة قد أُنزلت على موسى عليه السلام كاملة من السماء، ثم حُرِّفت بعد ذلك وطُمِست وضاعت منها أشياء كثيرة بسبب الحروب، والنفي والتشريد، وعبادة الأوثان التي أقبل عليها يهود (في فترة القضاة ارتدوا سبع مرات وفي عهد الملكية ارتدوا عشرات المرات)، فإن علماء اليهود والنصارى

(١) سورة البقرة: الآية ٧٥.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٣.

المُحْدَثين يقولـون إن التوراة لم تنـزل على موسى أصـلاً، وإن هذا الكتـاب إنما كتب بواسطة عشرات ومئات الكتاب على مدى ألف عام أو تزيد، وأنه حوى أساطير البابليين والآشوريين والكنعانيين والمصريين القدماء.

وقد يبدو هذا القول مبالَغاً فيه لمن لم يطلـع على كتابات القوم في هذا الصدد، ولكن الواقع أننا قد اقتصرنا في ذلك على جزء بسيط ممـا كتبه علماء اللاهوت من اليهـود والنصـارى، وقد وضعنـا فصلين كـاملين: الأول بعنـوان التـوراة والعهـد القـديم عنـد العلمـانيين من اليهود والنصـارى؛ والثاني التـوراة والعهد القـديم عند رجـال الكنيسة. وعند الاطلاع عليهما سيتبين للقارىء الكـريم أن الفئتين متفقتان على إنكـار أنّ التوراة أُنزلت على موسى عليه السلام وأنهما متفقتان في أنّ التوراة إنما كُتبت بعد زمن موسى عليـه السلام بفتـرة لا تقـل عن خمسمـائـة عـام، وأنّ تلك الفتـرة التي استمـرت فيهـا الإضافة والتحوير لفترة لا تقلّ عن ألف عام.

تقول الرهبانية اليسوعية في المـدخل لـدراسة الكتـاب المقدس «كتب الشـريعة الخمسة» التوراة[1]، ما يلي: «أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلِّفين ومحرِّرين ظلّ عـدد كبير منهم مجهـولاً، لكنهم على أي حال لم يكـونوا منفـردين، لأن الشعب كان يساندهم، ذلك الشعب الذي كانوا يقـاسمونه الحياة والهمـوم والآمال حتى في الأيـام التي كانوا يقاومونه فيها. معظم عملهم مستوحى من تقـاليد الجمـاعة، وقبـل أن تتخذ كتبهم صيغتهـا النهائيـة انتشرت زمنـاً طويـلاً بين الشعب وهي تحمل آثـار ردود فعـل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية، لا بل أحدثُ الأسفار ما هي أحياناً إلّا تفسيـر وتحديث لكتب قديمة».

وهذا الكلام واضـح في القول بأنّ أسفار الكتاب المقدس وبالذات أسفار العهـد القديم ليست من عند الله مباشرة، ولا أوحى الله بهـا لأحد من أنبيـائه، بـل هي عمل

(١) الكتاب المقدس: كتب «الشريعة الخمسة». مدخل إلى الكتاب المقدس من الترجمة الفرنسيـة المسكونية، إصدار الرهبانية اليسوعية، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م.

محرِّرين ومؤلِّفين استلهموا أعمالهم من تقاليد الشعب والأمة وأحلامه، وكانت تلك الصياغات ديناميكية (أي أنها قابلة للتغيير والإضافة) وليست استاتيكية جامدة ثابتة.

وتقول الدراسة القيمة للرهبانية اليسوعية: «**لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله، لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة**».

وتقول هذه الدراسة القيمة للرهبانية اليسوعية والمقدمة من الترجمة المسكونية الفرنسية ــ وهي هيئة عليا من الاكليروس المسيحي الكاثوليكي المعروف بشدة تمسُّكه، بل والذي يُعتبر متعصباً بالمقارنة مع بقية الكنائس والفئات الأخرى ــ: «**والكتاب المقدس موسوم بالعمق بثقافة إسرائيل، وهو يعبِّر عن نظرته للعالم لا بفلسفة منظمة بل بعادات ومؤسسات وبردود فعل عفوية عند الأفراد والشعب كله**».

وتتحدث الرهبانية اليسوعية عن مختلف أسفار العهد القديم وعددها وتقسيماتها، وما هو معترف به لدى اليهود ولدى مختلف الكنائس وما هو مرفوض منها، والنزاع المستمر بين مختلف الكنائس والبيع في تحديد ما هو مقبول وما هو مرفوض.

ثم تقول: «**وكل هذه الكتب عُدِّلت وبُدِّلت مراراً، وأُضيف إليها وأُسقط منها، ولم تتخذ شكلها النهائي إلاّ في القرن الأول بعد الميلاد. بل إنّ النص المسوري، وهو الصيغة الرسمية للعهد القديم لم تقرر نهائياً إلاّ في القرن العاشر بعد الميلاد على يد عائلة بن أشير التي ظهرت في طبرية في سوريا. وأقدم مخطوط مسوري كامل للعهد القديم هو مخطوط حلب الذي يرجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد (أي بعد أكثر من ٢٣٠٠ عام على عهد موسى عليه السلام)**».

وتتحدث الرهبانية اليسوعية في دراستها القيّمة عن الكتب المعترف بها، وأنها قابلة للزيادة حسب الحاجة وحسب آراء كبار الأحبار والكهنة، «**ولكن إلى متى بقيت هذه اللائحة مفتوحة؟ وما هي المبادىء التي كانت تنظِّمُ استعمالها، وهل ضُمَّ هذا «المؤلف» أو ذاك إلى تلك اللائحة؟ وهل كان الاستعمال واحداً في جميع الأماكن؟ وجميع الأوساط؟ تتضمن هذه الأسئلة كثيراً من النقاط الغامضة!!**».

وتتحدث هذه الدراسة القيّمة المقدمة من الترجمة المسكونية الفرنسية والرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس عن ترجمة العهد القديم في عهد بطليموس الثاني (٢٨٥ — ٢٤٦ قبل الميلاد) في الإسكندرية، والمشهورة باسم الترجمة السبعينية، حيث ذُكِرَ أن ٧٢ من أحبار اليهود قاموا بترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية، ثم ضاعت الأصول العبرية ولم يبق إلّا الترجمة اليونانية التي أصبحت هي المعتمدة. . . والتي لم تُترجم إلى العبرية مرة أخرى إلّا في القرن السادس عشر بعد الميلاد.

تتحدث هذه الدراسة القيّمة عن الترجمة اليونانية، فتقول: «**وبالرغم من كون هذه الأسطورة المروية خالية من القيمة التاريخية، يمكننا أن نأخذ بالتاريخ الذي تشير إليه، لأنها من جهة أخرى تدل على أن اليهود الناطقين باليونانية كانوا ينسبون إلى ترجمة شريعتهم هذه ما ينسبون إلى نصها العبري من قيمة تنظيمية، وكانوا لا يترددون في أن ينسبوا إلى المترجمين إلهاماً حقيقياً.**

وهكذا تعترف دراسة الرهبانية اليسوعية بأن ما اشتهر باسم الترجمة السبعينية، والتي هي أصل المدوَّنات الرسمية للكتاب المقدس، أمر أسطوري، وأنّ المترجمين ادَّعوا لأنفسهم حق الإضافة والحذف والزيادة والنقصان لأنهم بدورهم مُلْهَمين، ويبدو واضحاً تأثير الثقافة اليونانية في إطار ترجمتهم تلك والتي لم تكتمل حسب الأسطورة في ٧٢ يوماً، بل في عدة قرون.

وتقول هذه الدراسة القيمة: «غير أنّ الجماعة اليهودية في الإسكندرية، لم تكتفِ بأن تنقل إلى اليونانية الأسفار القانونية الأولى، وأهم المؤلفات الصادرة تحت أسماء مستعارة، فهناك كتب أصلية صدرت في الإسكندرية ولا سيما «حكمة سليمان» و«سفر المكابيين الثاني» وعلى الأرجح جزء من «سفر باروخ».

وتتحدث هذه الدراسة عن النصوص المعترف بها (القانونية) فتذكر أهمها وهو النص المسوري، فتقول عنه: «**تطلق عبارة النص المسوري على صيغة النص الرسمية التي قررت نهائياً الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح (أي بعد عصر موسى بـ ٢٣٠٠ عام) حين ازدهر في طبرية أشهر المسوريين، وكانوا ينتمون إلى عائلة بن أشير. وأقدم مخطوط مسوري بين أيدينا نُسِخَ فيما بين ٨٢٠ — ٨٥٠ بعد**

المسيح، وهو لا يحتوي إلّا على التوراة، وأقدم مخطوط كامل، وهو مخطوط حلب قد نُسخ في السنوات الأولى من القرن العاشر بعد المسيح، أما نُسخ الكتاب المقدس العبري الحالية فهي منقولة عن النشرة التي صدرت في البندقية في السنة ١٥٢٤ (بعد المسيح) عن يد يعقوب بن حاييم».

وتتحدث الدراسة بعد ذلك عن اكتشاف مخطوطات مغارة قمران والبحر الميت التي أحدثت وستُحدث انقلاباً هائلاً في دراسات الكتاب المقدس وبالذات العهد القديم.

وقد تحدثنا بشيء من التفصيل عن مخطوطات مغارة قمران عند تعرضنا لجماعة الآسيين في فصل الفرق اليهودية. وذلك للأهمية البالغة لهذه المخطوطات التي تعتبر أقدم مخطوطات لأسفار التوراة والعهد القديم، وقد تم العثور على ٦٠٠ (ستمائة) مخطوط (من عام ١٩٤٧م حتى عام ١٩٥٦م) في مغارة قمران بالقرب من قرية «عين فشخة» وما حولها في منطقة أريحا على البحر الميت. وترجع هذه المخطوطات إلى القرن الأول قبل الميلاد، وقد وجدت في حالة جيدة. وكُتبت باللغة الآرامية السائدة في المنطقة. وكما تقول دراسة الرهبانية اليسوعية «**فإن نصوص هذه المخطوطات غالباً ما تختلف عن النص المسوري الأول**» (وهو أقدم وأوثق النصوص لدى اليهود والنصارى).

وللأسف لم تنشر هذه المخطوطات رغم مضي أكثر من ثلاثين عاماً على اكتشافها، وقد استولت إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا على نصيب الأسد من هذه المخطوطات، وحصلت فرنسا على شيء منها، وبقي شيء يسير مع المملكة الأردنية الهاشمية.. وهي موجودة في المتحف الأردني في عمان. وقد أتيح لي زيارة المتحف ورؤية هذه المخطوطات التي لا تُقدَّر بثمن. وهي في حالة جيدة جداً ومحفوظة في جرار خاصة من الفخار ومن النحاس.

وتذكر الدراسة القيّمة للرهبانية اليسوعية على الكتاب المقدس مختلف النصوص الموجودة للعهد القديم (التوراة)، فتقول: «**وهناك أيضاً النص المسوري، كما أنّ هناك النص الذي استخدم أساساً للترجمة السبعينية اليونانية. وهكذا يتضح أن هناك**

أربعة نصوص للتوراة يختلف بعضها عن الآخر اختلافاً كبيراً أو طفيفاً، وهي: (١) النص المسوري؛ (٢) نصوص مغارة قمران؛ (٣) النص السامري؛ (٤) النص الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية».

وتذكر هذه الدراسة القيّمة أن النص المسوري عانى من التشويه، ولهذا فإن كثيراً من علماء اللاهوت قاموا بمحاولة تنقيح هذا النص في الفترة ما بين عام ١٨٥٠ و ١٩٥٠بعد ميلاد المسيح . . (أي بعد عصر موسى بـ ٣٢٠٠ عام على الأقل) . . وتتحدث هذه الدراسة عن تشويه النصوص وأنه قد يكون بسبب الناسخ نتيجة الأخطاء، وقد يكون ذلك متعمداً، «وقد يدخل الناسخ في النص الذي ينقله تعليقاً هامشياً.

والجدير بالذكر أنّ بعض النسّاخ أقدموا على إدخال تصحيحات لاهوتية، وعلى تحسين بعض التعابير التي كانت تبدو لهم معرَّضة لتفسير عقائدي خطير». وهذا يوضح إلى أي مدى كان من حق النسّاخ أن يضيفوا أو يحذفوا من نصوص التوراة ما يتراءى لهم أنه المصلحة وأنه الأوفق. . هذا إذا تركنا جانباً الأخطاء في الكتابة، ونسيان أسطر، وتبديل كلمة مكان كلمة دون قصد أو تعمُّد، والتي أشارت الدراسة القيّمة إلى كثرة حدوثه.

ويُقسَّم العهد القديم عدة تقسيمات تختلف حسب الكنائس المختلفة. فاليهود يعترفون بـ ٢٣ سفراً، وبعض فرق اليهود مثل السامريين والصدوقيين لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة، والنصارى البروتستانت يعترفون بـ ٣٩ سفراً. أما الكاثوليك فيعترفون بـ ٤٦ سفراً. ويتفق الجميع على الاعتراف بالأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام (رغم أن سفر التثنية يذكر وفاة موسى وأين دفن. . . إلخ). ويُطلق على هذه الأسفار الخمسة اسم التوراة، والناموس، والشريعة.

وكلمة التوراة تعني الشريعة المكتوبة. . وقد يُطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل. وقد وضعنا فصلاً بعنوان أسفار العهد القديم وتقسيماته، ثم وضعنا فصلاً مستقلاً لأسفار التوراة الخمسة، وأتبعناه بفصل عن الأسفار التاريخية، ثم فصل عن الأسفار النبوية، ثم آخر عن أسفار الشعر

والحكمة وتحدثنا عن كل مجموعة من هذه الأسفار بما يعطي القارىء فكرة جيدة عن محتوياتها ومضمونها ومصادر كتاباتها وتاريخ تدوينها.

وكان اليهود والنصارى إلى القرن الثامن عشر الميلادي يعتقدون أن الأسفار الخمسة قد كتبها موسى بنفسه، (أوعلى الأقل كانت هذه عقيدة عامة الناس)، ثم ظهرت الأبحاث الكثيرة التي تؤكد أن موسى لم يكتب هذه الأسفار وأنها كُتبت بعد وفاته بفترة تصل إلى ألف عام.

وكان جان أستروك (١٧٥٣م) أول من قدَّم ما أسماه البرهان الحاسم الذي يؤكد براءة موسى من كتابة الأسفار الخمسة، فذكر أنَّ من يطالع سفر التكوين سيجد نصَّين جنباً إلى جنب، أحدهما يُسمِّي الإِلَه باسم «يهوا» (يهوه)، والثاني باسم «ألوهيم». والعلماء يعتقدون أن القصص الخاص بـ «يهوا» قد كُتب في مملكة الجنوب يهوذا، بينما كُتبَ القصص المتعلِّق بـ «ألوهيم» في مملكة الشمال إسرائيل، وكلاهما ظهر بعد وفاة سليمان عندما انقسمت المملكة التي أسَّسها داوود إلى مملكتين متحاربتين: إحداهما في الشمال وعاصمتها السامرة (شكيم)، والتي تبعها عشرة من أسباط إسرائيل وتسمى «مملكة إسرائيل»؛ والأخرى في الجنوب وعاصمتها أورشليم وتدعى «يهوذا»، وهي مكونة من سبطي يهوذا وبنيامين.

وتنبه العالم اينهورن (١٧٨٠م ـ ١٧٨٣م) إلى أن الأسفار الأربعة الأخرى من التوراة تحتوي أيضاً على نصين مختلفين، ثم ظهر ولهاوزن قرب نهاية القرن الثامن عشر بنظريته، وهي أن أسفار موسى الخمسة كتبت بعد الأسفار الأخرى (على عكس ما هو معروف حتى ذلك الوقت).

ودرس الباحث إيلجن (١٧٩٨م) النص الألهيمي فوجده أيضاً ينقسم إلى قسمين مختلفين، كتب كل واحد منهما في فترة ومرحلة مختلفة عن الأخرى.

وبحلول عام ١٨٥٤م كان علماء الكتاب المقدس والعهد القديم بصورة خاصة يرجعون الأسفار الخمسة المعروفة باسم التوراة (الناموس، الشريعة، أسفار موسى الخمسة) إلى أربعة مصادر رئيسية، هي:

(أ) النص اليهوي:

ويتحدث هذا النص عن بدء الخليقة وأصل العالم، وينتهي بموت يعقوب ويظهر الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) بصورة بشرية، فهو يمشي في الجنة، ويعارك يعقوب طول الليل. ويتميز النص اليهوي كما تقول دراسة الرهبانية اليسوعية بأنه تصويري وغني بالاستعارات ومليء بالأساطير. وقد كتب هذا النص في القرن التاسع قبل الميلاد في مملكة يهوذا.

(ب) النص الألهيمي:

ويسمى أحياناً النص السامري لأنه كتب في مملكة الشمال «إسرائيل» وعاصمتها السامرة. وموضوعه الأحداث الخاصة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف. والنص الألهيمي أشد إبرازاً للبُعد القائم بين الله والإنسان، ومن ينظر إليه مباشرة يموت، وقد كتب هذا النص في القرن الثامن قبل الميلاد (في حدود ٧٧٠ق.م).

وقد أدمج النصان في حدود سنة ٦٥٠ق.م.

(ج) سفر التثنية (تثنية الاشتراع):

وهو سفر يكرر فيه الشرائع والقوانين. وقد كتب في مملكة يهوذا في حدود سنة ٦٢٠ق.م.

(د) النص الكهنوتي:

وهو يتألف من فصول كتبها الكهنة في القرن السادس والخامس قبل الميلاد، ويرجع بصورة عامة إلى زمن عزرا (عزير).. ويتميز النص الكهنوتي ــ كما تقول الرهبانية اليسوعية ــ بالتكرار الممل والتصلب والجمود، والميل إلى كل ما يتعلق بالطقوس والذبائح وأنواع القربان وثياب الكهنة وخيمة الاجتماع (قبة الزمان)... إلخ.

ويقول الأب ديغو[1]: «لقد تكونت أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة لأمم

---

(١) كما ينقله عنه موريس بوكاي في كتابه: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث: ص ٧ ــ ٣٩.

مختلفة، جمعها محررون، وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيَّروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة».

وتقول دائرة المعارف البريطانية[1]: «إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة وبأيدي كتاب مختلفين ذوي ثقافات مختلفة متباينة. ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار».

ويقول رجاء جارودي[٣]: «ليس هناك عالم من علماء التوراة وتفسيرها لا يقر أن أقدم نصوص التوراة قد أُلِّف وكُتِبَ على الأكثر في عهد سليمان. وهذه النصوص ليست إلَّا تجميعاً لروايات شفهية. وإذا التزمنا بمعايير الموضوعية التاريخية كان علينا الإقرار بأن هذه الروايات التي تتحدث عن ملاحم مرَّت عليها قرون، ليست أكثر تاريخية، بالمعنى الدقيق للكلمة، من الإلياذة أو الرامايانا[٢]».

هذه النصوص التي نقلناها توضح أن الخلاف القديم بين علماء المسلمين من جهة وعلماء اليهود والنصارى من جهة أخرى حول تحريف التوراة أصبح لا معنى له. ذلك لأن علماء اليهود والنصارى يذهبون إلى أبعد مما يقوله المسلمون. فالمسلمون مقرُّون بأن التوراة كتاب أنزله الله على موسى كاملاً مكتوباً في الألواح. واليهود والنصارى في الأزمنة الغابرة كانوا يقولون أن الله لم ينزل على موسى سوى لوحين فقط، ثم كسرهما موسى، ولكن موسى كتب هذه التوراة (الأسفار الخمسة) ما عدا قصة موته التي أضيفت بعد وفاته. ومنذ بداية القرن الثامن عشر كثرت الأبحاث والكتابات التي تؤكد أن موسى لم يكتب هذه الأسفار المنسوبة إلى موسى، وأنها كتبت بعد عصره بمئات السنين (من القرن التاسع قبل الميلاد إلى القرن الأول بعد الميلاد).

وأن أساطير الأمم الأخرى وعقائدها قد دخلت في هذه الأسفار، بل يزعم بعضهم أن قصة الخلق وقصة الطوفان أُخذت من الأساطير البابلية، و«حكم سليمان»

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ٢/٨٧٩، الطبعة ١٥، ١٩٨٢م.

(٢) إسرائيل والصهيونية السياسية: ص ٩٤ ــ ٩٧.

و «الأمثال» أخذت من حكم أمنموبي المصري. . ومزامير داوود أخذت من أناشيد أخناتون. . . إلخ.

ويتفق الجميع على أن الكتابة استمرت قروناً طويلة، وأن عملية التنقيح والإضافة والحذف استمرت أكثر من ألف عام. . وهو أمر يجعل النقاش حول تحريف التوراة قد عفا عليه الزمن، وأصبح يؤكده علماء اليهود والنصارى أكثر مما يؤكده علماء الإسلام.

إذن ماذا بقي من نقط الاختلاف؟ يزعم رجال اللاهوت (علماء الدين من اليهود والنصارى) أن مئات الكتاب الذين اشتركوا في صياغة الكتاب المقدس على مدى ألف عام أو تزيد كانوا مُلْهَمين من الله. وحتى أولئك الذين قاموا بالترجمة من العبرية إلى اليونانية كانوا أيضاً مُلْهَمين وكان لهم حق الإضافة والحذف.

وتقول الكنيسة[1]: «أن الله قد سمح للإنسان، في هذه الحالة كاتب السفر بأن يضع كل إحساساته وخبراته وحساسياته وميوله في النصوص، ما دام ذلك لا يغير ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية، وبالتالي تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيوليجية. . . إلخ. فالمقصود بالكتاب هو أن يُعلِّم الدين والأخلاق، ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة، بل إن كل متمسك بحرفية الكتاب (المقدس) كمصدر آخر غير الأخلاق والدين، يُنظَرُ إليه نظرة غير مطمئنة، لأن ذلك يعكس عدم فهم للمعنى الأساسي والغرض الرئيسي للكتاب (المقدس). كما أنه يعكس سلوكاً متعصباً إلى حدٍ ما، وهو ما يضاد الاعتدال الذي تأمرنا الأخلاق والدين باتباعه.

فالكتاب (المقدس) في المسيحية إذن هو عمل مشترك بين الله والإنسان. وضع فيه كلاهما ما يريد، بحيث جاء الناتج على ما عليه، يعكس كمال الله في صحة تعاليم الأخلاق وعلاقات البشر بعضهم ببعض، وعدم كمال الإنسان بكتابته لمعلومات علمية غير دقيقة وأحياناً مضحكة!!».

---

(١) نقلاً عن رسالة خاصة بعثها لي الصديق الدكتور صبري جوهرة وهو قبطي مصري، لخَّص فيها رأي الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذوكسية.

إذن نحن متفقون على أن هذه التوراة الموجودة بين أيدينا لم يكتبها موسى عليه السلام، ولم تنزل من السماء مكتوبة، إنما كتبها الأحبار والكهنة والكتّاب على مدى ألف عام، وأضافوا إليها وحذفوا منها ونقحوا فيها وبدّلوا وعدّلوا ما شاءت لهم الأهواء، وأخذوا من أساطير الأمم الأخرى وخرافاتها ما شاءت لهم ميولهم ومشاربهم وأهواؤهم. . .

ثم نختلف بعد ذلك في أن هؤلاء الكتّاب الذين يبلغون المئات وربما الآلاف، الذين صاغوا أسفار التوراة والعهد القديم في كونهم مُلهَمين من الله، وما معنى هذا الإلهام الذي يسمح بوجود أخطاء كثيرة في المعلومات التي يقدمها الكتاب، وأنها تناقض التاريخ وكافة العلوم الأخرى. وأن ذلك كله إنما يعكس ثقافة الكاتب وعصره وبيئته. . . ولا بد أن تظهر معلومات العصر وثقافته في الأثر الذي تركه لنا الكاتب، ومن المستحيل أن نتصور كاتباً يؤلف قبل ألفين أو ثلاثة آلاف عام دون أن يقع في كثير من الأخطاء العلمية والتاريخية، ودون أن تدخل في كتابته عناصر الأسطورة.

إذن ماذا بقي لهؤلاء القوم؟ إنهم يزعمون أن الغرض من الكتاب المقدس هو أن يعلِّم الدين والأخلاق والسمو الروحي. فإذا حقق ذلك فقد حقق الغرض الذي من أجله ألهَم اللّهُ أولئك الكتّاب العديدين في العصور المختلفة ليكتبوا هذه الأسفار.

ولننظر في هذه الدعوى أيضاً هل تصح؟ وهل يمكن أن يكون كتاب التوراة والعهد القديم كتاباً يدعو إلى السمو الروحي والأخلاقي والديني.

إن هذا الكتاب (العهد القديم بما فيه أسفار التوراة الخمسة) كتاب على العكس من كل ذلك. يقول أرنست بيغن[1]: «إن العهد القديم هو أشد الكتب بعداً عن الأخلاق». وقال عن اليهود: «ماذا تتوقع من شعب تربى منذ المهد على أقوال التوراة». والعهد القديم كتاب لا يدعو إلى السمو الأخلاقي والروحي والديني بل يدعو إلى صلة خاصة بين الله وابنه البكر إسرائيل. . وهو كتاب يدعو إلى القسوة والقتل وسفك الدماء في كل سفر من أسفاره وبخاصة سفر يشوع الذي يمكن أن يطلق عليه سفر المجازر!!

---

(١) أرنست بيغن هو وزير خارجية بريطانيا في أول حكومة عمالية تتولى الحكم والتي رأسها المستر أتلي. والتي تولت الحكم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

والذي يدعو يشوع لإقامة المذابح لسكان فلسطين والأردن، وأن لا يترك طفلاً ولا شيخاً ولا امرأةً بل ولا حماراً أو جملاً أو إتاناً (أنثى الحمار) بل عليه أن يبيد الكل ويقتل الكل.. وقد تحدثنا عن هذه المجازر والدعوة إلى القتل وسفك الدماء دون جريرة في فصلين الأول: نماذج من تعاليم التوراة: «إقامة المذابح» وهو في الجزء الأول من كتابنا هذا، والثاني فصل يشوع عليه السلام وهو في الجزء الثاني من كتابنا «الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم».

وسنضرب ها هنا بعض الأمثلة لهذه القسوة الرهيبة التي زعموا فيها أن موسى ويوشع بن نون وداوود عليهم السلام نفّذوها في خصومهم، ولا شك أن الأنبياء الكرام هؤلاء أبرياء مما زعموه. جاء في سفر التثنية (٢٠ : ١٦ ــ ١٨): **«وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلٓهك نصيباً فلا تستبقِ فيها نسمة، بل تحرِّمها تحريماً (أي تبيد كل حي فيها بما في ذلك الأطفال والنساء والشيوخ والبهائم). الحيثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليبوسيين كما أمرك إلٓهك».**

وجاء في سفر العدد (٣١ : ٧ ــ ١٩): **«فتجندوا على مديان كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم، وأحرقوا مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة والنهب من السلب والبهائم، وأتوا إلى موسى.. فسخط موسى على وكلاء الجيش ورؤساء الألوف ورؤساء المئات، وقال لهم موسى: هل أبقيتم كل أُنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة»!!**

وحاشا لموسى عليه السلام أن يأمر بقتل الأطفال والنساء. والأمر الغريب حقاً أن أهل مدين قد أكرموا موسى عليه السلام عندما هرب أول مرة من مصر وزوَّجه كاهنها يثرون ابنته صفّورة، ثم عندما خرج موسى مع بني إسرائيل من مصر قدَّموا له المعونة والمشورة، وفجأة يقرر كاتب السفر أن يقوم موسى بحرب إبادة كاملة لهؤلاء الذين أحسنوا إليه حسب زعمهم.

وفي سفر يشوع (٦ : ٢١): **«وحرَّموا (أي أبادوا) كل ما في المدينة من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف».** وفي فتح أريحا

لم ينجُ أحد على الإطلاق إلَّا الزانية راحاب لأنها خبَّأت الجاسوسيين.

وقال لهم الرب: «ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار»، والمقصود بالمدينة ها هنا مدينة «عاي». . وتتكرر نفس المذابح الرهيبة المزعومة بالنسبة لحبرون (مدينة الخليل) ولخيش وعجلون ومقيدة. . .إلخ، كلها ضربها يشوع (يوشع بن نون) حسب زعمهم بحدّ السيف وحرَّم كل نفس حية فيها وقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة وجميع البهائم. . .

ويعتقد كثير من الباحثين أن معظم تلك المجازر، إن لم نقل كلها، أسطورية؛ لأن أريحا وما حولها من المدن قد دُمِّرت تدميراً كاملاً في العصر البرونزي المتوسط (١٥٥٠ق.م) ولم يكن لها وجود في عصر يشوع (القرن الثاني عشر قبل الميلاد)، إذ دمرت تماماً قبل وجود موسى ويشوع بثلاثة قرون تقريباً.

وجاء في سفر صموئيل الأول (١: ١٥): «وقال صموئيل (النبي) لشاول (وهو طالوت الذي جاء ذكره في القرآن الكريم): إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل، والآن فاسمع صوت كلام الرب، هكذا يقول رب الجنود: إني افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. **فالآن اذهب واضرب عماليق**. وحرّموا (أي أبيدوا كل نفس حية) **كلَّ ما لَهُ، ولا تعفُ عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأةً، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً جملاً وحماراً**».

يا للهول!! ما هذه الوحشية التي تتصاغر أمامها وحشية بيجن في دير ياسين وقبية، وتتصاغر أمامها مجازر شارون والمتعاونين معه من الصليبيين الحاقدين في صبرا وشاتيلا.

وجاء في سفر التثنية (١١: ٢٣ ــ ٢٦): **«يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر منكم وأعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البرية ولبنان، من النهر، نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخومكم، لا يقف إنسان في وجهكم، الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلَّمكم الرب»**.

وجاء في سفر التكوين (٣٤: ١١ ــ ١٣): **«احترز من أن تقطع عهداً مع**

سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها لئلاَّ يصيروا فخّاً في وسطك. . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض».

وفي سفر العدد (٣٣: ٥٠ ــ ٥٥): وكلَّم الرب موسى في عربات مواب على أردن أريحا قائلاً: كلِّم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان (فلسطين)، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. . . تملكون الأرض وتسكنون فيها. قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقتسموها. . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها».

ويزعم سفر صموئيل الأول أن داوود عليه السلام قدَّم مهراً لميكال بنت شاول (طالوت) مذاكير مائتي فلسطيني قام بقتلهم غيلة!! ويا له من مهر غريب لا يمكن أن يخطر على بال أحد سوى محرر هذا السفر. . وماذا تفعل ميكال بنت شاول الملك (طالوت) بمائتي عضو تناسلي قُدِّمت لها مهراً من قبل داوود كما يزعمون!!!

ويزعم سفر صموئيل أن معارك حقيرة ومؤامرات قامت بين النبي (يسمُّونه الملك) داوود عليه السلام، وبين صهره الملك شاول (طالوت)، وفرَّ داوود إلى الفلسطينيين فلقي من ملكهم كل حفاوة وإكرام، ولكنهم يزعمون أن داوود كان يعيث في الأرض فساداً، فيقتل الحرث والنسل، ويسفك الدماء البريئة من الفلسطينيين، ثم يذهب ويخدع ملك جت الفلسطيني ويقول له إنما قتل مجموعة من اليهود وبالذات من سبط يهوذا. . «وضرب داوود الأرض ولم يستبقِ رجلاً ولا امرأة، وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً» (صموئيل الأول: الإصحاح ٢٧).

وعندما تولَّى داوود الملك قام بمجموعة من الجرائم التي تتصاغر أمامها جرائم بيجن وشارون وهولاكو وجنكيز خان وهتلر (حسب زعمهم وداوود عليه السلام منها براء). ومن تلك الجرائم المزعومة أن داوود أغار على العمونيين (منطقة عمّان في الأردن اليوم) وبعد أن قتل الملك وجنوده والأسرى أخرج الشعب الذي فيها، بما فيهم النساء والأطفال والرضع والشيوخ، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأحرقهم في أتون الآجر. وهكذا صنع (حسب زعمهم) بجميع مدن

بني عمون، ثم رجع داوود وجميع الشعب إلى أورشليم (صموئيل الثاني ١٢ : ٢٦ ـ ٣١).

هذا قليل من كثير، وقد أوردنا أمثلة كثيرة في صلب الكتاب فلا حاجة للإطالة ها هنا. وغرضنا من هذه الأمثلة توضيح نقطتين: الأولى أن التوراة والعهد القديم ليس فيهما من الأخلاق والسموّ الروحي إلاَّ النزر اليسير، وأن هذا النزر مغطى بركام كثيف من الأباطيل التي وضعها أحبار يهود والتي اتهموا فيها الأنبياء بكل الجرائم الأخلاقية من الزنا، وشرب الخمر، وفعل الفاحشة مع البنات، وقتل الأبرياء، والكذب والخداع والسرقة، وعبادة الأوثان، والوحشية المتناهية، مع الجبن والخسّةِ والنذالة والذلّة والمسكنة عند الضعف والتجبُّر والتسلُّط وسفك الدماء بدون رحمة عند القدرة. وهي هي صفات يهود، عليهم لعائن الله، ألصقوها كذباً وبهتاناً بأنبياء الله .

والثانية: أن هذا التبرير التوراتي للقتل وسفك الدماء وطرد الأهالي، هو الذي يشكّل سياسة إسرائيل اليوم ومن لفّ لفّها من الأمريكان ودول الغرب.

يقول روجيه جارودي في كتابه القيِّم «إسرائيل الصهيونية السياسية»:

«هذا التبرير التوراتي للقتل والإبادة، وهذا الإضفاء للشرعية على العدوانات المتتالية وضمِّ أرض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية التي يقدمونها على أنها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً. ويجعل كثيراً من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية وبصحة أقوال «مدارس الأحد» البروتستانتية. وهم يسيرون من غير وعي منهم على سنن الأسطورة الصهيونية (الموجودة في التوراة المحرَّفة) والتي أثبت علم التفسير (والآثار المتعلِّقة بالمنطقة) منذ قرن، وبخاصة في السنين الأخيرة، عدم صحتها وفنّدها تفنيداً.

«ودلت الأسطورة (التوراتية) هنا على قوّتها في تعبئة الصهيونيين (أي اليهود)، فنرى الحاخام (ألِعازار والدمان) يكتب في جريدة «نكوده» في مقال عنوانه: قوة الإنجاز، فيأتي بالسند الديني لسياسة شارون وبيچن مبدياً ما يؤيد أشد المشروعات الإمبريالية جنونا، ومفسِّراً ذلك باستشهادات من التوراة، وموضحاً أن إسرائيل قد

أثبتت باحتلالها لبنان أنها قادرة على إحلال عهد جديد في الشرق الأوسط، بل تجاوز ذلك إلى القول بأن هذا بداية خلاص العالم» (مشيراً إلى قرب ظهور المسيح الدجال، وهو المسيح المنتظر في العقائد اليهودية، لأنهم يعتقدون أن عيسى بن مريم أفّاق كذّاب أشر وابن زنا)[1].

وقد صرَّح أحد الحاخامات في جيش إسرائيل أثناء غزو لبنان (صحيفة هاآرتس في ١٩٨٢/٧/٥م) بما يلي: «علينا ألاّ ننسى أجزاء التوراة التي تبرِّر هذه الحرب، فنحن نؤدي واجبنا الديني هنا. (في أرض لبنان)، فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً هو أن نغزو أرض العدو».

ويقول روجيه جارودي[2] معلقاً على نصوص التوراة المحرفة التي تطالب بتوسيع أرض إسرائيل، وطرد جميع السكان الأصليين، وإبادة كل من يقاوم، بناء على العهود والمواثيق التي قطعها الرب مراراً وتكراراً مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى ويوشع وجميع أسباط إسرائيل، عهوداً موثقة بدم الغرلة.

يقول جارودي: «لهذا يظهر الحاخامات في إسرائيل حماساً جنونياً لتوسيع حدود إسرائيل باستمرار، ويبررون كل المغامرات العسكرية الدموية ومجازر صبرا وشاتيلا».

ولم يقتصر الحاخامات أثناء غزو لبنان على تشجيع الغزو ومباركته، بل اعتبروا أن تدمير مدينتي صور وصيدا ودك بيروت بالقنابل ومجازر صبرا وشاتيلا هي عمل ديني يباركه رب إسرائيل، حيث أمر الرب يشوع قائلاً: «اقتل أبيمالك.. اقتل الكل! الرجال والنساء والأطفال والرضع والأبقار والخراف والجمال والحمير». وقال له الرب: «حرِّم (أي اقتل) كل الحيثيين والعموريين والفرزيين كما أمرك الرب».

والمشكلة أن سياسة إسرائيل منذ التخطيط لقيامها في مؤتمر بال عام ١٨٩٨م إلى إعلان قيامها عام ١٩٤٨م وما صاحب ذلك من مذابح مروعة مثل دير ياسين وقبية، ثم ما تلاها من مذابح ومجازر مروراً بمذابح صبرا وشاتيلا، والسياسة

---

(١) و(٢) إسرائيل الصهيونية السياسية: ص ٩٠، دار الشروق.

الإجرامية في ضرب الانتفاضة وتفريغ الأرض من سكانها وهدم البيوت والمحاصرة الاقتصادية وقتل النساء والأطفال بكافة الوسائل (غازات سامة، رصاص، ضرب مبرح. . . إلخ) كلها تقوم على نصوص التوراة، وتعتمد اعتماداً كاملاً في تبريرها على هذه النصوص التوراتية الواضحة التي تدعو إلى الإبادة والطرد للفلسطينيين.

ولقد قرر بن جوريون تدريس النصوص التوراتية التي تؤكد حق إسرائيل في أرض فلسطين والأردن ولبنان وأجزاء من سوريا حتى حماة، وأحياناً تمتد الحدود «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل». . وتستخدم هذه التلفيقات التاريخية في المدارس الإسرائيلية لتنمية التعصب. ولقد قام العالم السيكولجي تاماران من جامعة تل أبيب بوضع استبيان لألف طالب من المرحلة الابتدائية، وسأل الطلبة عمّا إذا كانوا يوافقون على أن يقوم الجيش الإسرائيلي بما قام به يوشع بن نون من حرب إبادة ضد أريحا وما حولها. وتراوحت الإجابات بنعم بين ٦٦ و ٩٥ بالمئة حسب المدرسة والمستعمرة (الكيبوتز) والمدينة.

ولقد تعمق لدى اليهود وخاصة في العصور الحديثة أحقيتهم في استلاب أرض الغير وإبادتهم دون رحمة أو شفقة، لأن تلك هي تعاليم الرب إله إسرائيل الواضحة في التوراة، وقد صرحت جولدا مايير (في ٥ أكتوبر ١٩٧١م) لصحيفة «لوموند» الفرنسية قائلة: «وجد هذا البلد، إسرائيل تنفيذاً لوعد الرب ذاته. ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود».

ويقول موشي ديّان في «الجيروزالم بوست» (١٠ أغسطس ١٩٦٧م): «إذا كنا نملك الكتاب المقدس (التوراة)، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فينبغي أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة، وبلاد القُضاة (سفر القضاة)، وأرض أورشليم، وحبرون، وأريحا، وأماكن أخرى كثيرة».

ويقول مناحيم بيجن لصحيفة «دافار» (في ١٤ ديسمبر ١٩٧٨م): «لقد وعدنا الله هذه الأرض ولنا كل الحق فيها». وقد صرحت جولدا مايير للصنداي تايمز اللندنية في (١٥ يونيه ١٩٦٩م) بما يلي: «لا وجود للفلسطينيين. . ليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم، لا إنهم لم يوجدوا أصلاً. والتوراة شاهد على ذلك فالوعد

بهذه الأرض من الرب قد تمَّ منذ عهد إبراهيم (وأكده الرب بعهود موثقة ودماء الغرلة مرات عديدة).

وعندما وجَّه أينشتاين (وهو يهودي) إلى وايزمان (أحد كبار قادة الصهيونية العالمية) سؤالاً قائلاً له: «وما هو مصير العرب إذا ما أعطيت فلسطين لليهود؟»، أجاب وايزمان: «من هم أولئك العرب. إنهم لا شيء».

وكتب جوزيف فايتز مدير إدارة الاستيطان غداة حرب يونيه ١٩٦٧م:

«من الواضح أنه لا مكان في هذه البلاد لشعبين، والحل الوحيد هو إسرائيل اليهودية التي تضم على الأقل إسرائيل الغربية (الضفة الغربية) بلا عرب، ولا مخرج إلَّا بنقل العرب إلى مكان آخر في البلدان المجاورة».

وكتب بنزيون دينور أول وزير للتعليم في إسرائيل فقال: «ليس في بلادنا مكان إلَّا لليهود، وسنقول للعرب ارحلوا، فإن لم يرضوا بذلك وعمدوا إلى المقاومة فسنرحلهم بالقوة».

وقد صرح بيجن وشارون وبيريز وإسحاق شامير وغيرهم من زعماء إسرائيل مراراً وتكراراً أن الضفة الغربية هي يهودا والسامرة، ولا يمكن مطلقاً التنازل عن أرض هي يهودية بمقتضى أوامر الرب، والرب نفسه قد أمر بكل وضوح في التوراة بطرد سكان هذه الأرض من وجه إسرائيل وإلَّا وجب قتل كل نفس حيَّة من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني.

وهذا يفسر لنا سياسة إسرائيل والنجاح المضطرد والمتنامي للأحزاب الدينية وحزب ليكود كما أوضحته الانتخابات الأخيرة (نوفمبر ١٩٨٨م).. وقد صدق أرنست بيڤن (أول وزير خارجية في حكومة عمالية في بريطانيا) حين قال: «إن العهد القديم هو أشد الكتب بعداً عن الأخلاق». وحين قال عن اليهود: «ماذا تتوقع من شعب تربى منذ المهد على أقوال التوراة».

[نقلاً عن مذكرات كريستوفر فرماهيد وهو وزير خارجية بريطاني أيضاً، ونشرتها الشرق الأوسط في ١٩٨٧/٣/٩].

إن دراسة التوّراة وأسفار العهد القديم لا توضح لنا سياسة إسرائيل فحسب، ولكنها توضح لنا أيضاً بعض الدوافع التي تشكل تعاطف الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية مع إسرائيل، رغم وضوح سياستها الإجرامية والتعسفية، ورغم أن هذه السياسة تصادم المصالح الغربية الكثيرة في البلاد العربية.

ونتيجة مطالعة التوراة على أنها كتاب مقدس، وأنه تمت كتابتها بإلهام من الرب، فإننا نستطيع أن نفهم موقف ريجان أو غيره من رؤساء الولايات المتحدة ورؤساء الدول الغربية المتعاطفين مع اليهود، رغم شتم اليهود للمسيح عليه السلام واتهامه بأنه كذاب وأفّاق وساحر وابن زنا.

ومِنَ المؤسف حقاً أن نجد بعض كبار رجال الكنيسة في الغرب يمالئون إسرائيل بقوة، حيث نجد الكاتب الكاثوليكي جاك ماريتان يقول: «فلسطين هي الأرض الوحيدة التي ثبت ثبوتاً مطلقاً وثبوتاً إلّهياً أن لشعب معيَّن هم اليهود، حق لا ينازع فيها».

وتقول رسالة اللجنة الأسقفية الفرنسية في (١٦ إبريل ١٩٧٥م) تحت عنوان إرشاد يتعلق بموقف المسيحيين من اليهودية: «لا يمكننا أن ننسى بصفتنا مسيحيين أن الرب قد وهب في الماضي شعب إسرائيل، أرضاً ليتلاقى عليها».

الأسباب التي دفعتنا لكتابة هذا الكتاب:

لا شك أن القارىء الفطن قد أدرك بعض الأسباب الهامة التي دفعتنا لدراسة التوراة والعهد القديم ونشر تلك الدراسة للرأي العام العربي والإسلامي.

وأهم هذه الأسباب هي:

١ ـ أننا لا نستطيع أن نفهم عقلية العدو الإسرائيلي وأنصاره دون أن نفهم المنطلق الإيدولوجي لسياسته التي يواجهنا بها. وأن أي محاولة لوضع سياستنا في مواجهته سيكون مصيرها الفشل حتماً إذا لم تضع في اعتبارها فهم المدلولات الإيدلوجية التي تتحكم في السياسة الإسرائيلية، منذ اللحظات الأولى التي كانت فيها جنيناً في مؤتمر بال (١٨٩٨م) إلى أن قامت هذه الدولة عام ١٩٤٨م، ثم سياستها منذ

ذلك التاريخ إلى اليوم. . وستبقى سياسة إسرائيل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأسفار التوراة والعهد القديم، ومن المستحيل فهم هذه السياسة دون قراءة واعية لهذه الأسفار.

ولا يقتصر هذا الفهم على سياسة إسرائيل بل يمتد أثره أيضاً لينال الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة والمتعاطفة جداً مع إسرائيل، إذ أن من أهم أسباب هذا التعاطف التركيز على مقاطع خاصة من التوراة والعهد القديم وإبرازها للرأي العام باستمرار في أفلام تليفزيونية وسينمائية ناجحة، بالإضافة إلى تكرارها في المواعظ الدينية والكنسيَّة وفي كافة أجهزة الإعلام.

٢ ـ تعميق فهمنا لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن التوراة وتحريفها وعن اليهود وأخلاقهم، وأن هؤلاء الأقوام قد أضاعوا كتبهم الحقَّة واستبدلوها بهذا الغثاء والركام. وهم في تيهم يعمهون، ويحتاجون في نفس الوقت لمن يرشدهم وينير لهم السبيل. ولا شك أن من هؤلاء الأقوام من يبحث عن الحق، ولكنه واقع في دياجير الظلام من كل جهة، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وواجبنا كمسلمين يحتم علينا أن ندعوهم لترك ما هم فيه من ضلالات وظلمات ليروا ما في القرآن من نور وخير وسلام للبشرية كافة.

كما أن هذه الدراسة تعمق فينا الإحساس بنعمة الإسلام، وكفى بها من نعمة، فإن نعمة الصحة لا يعرفها إلَّا المريض، ونعمة الإيمان لا يعرفها إلَّا من رأى ضلالات الكفر والزيغ والبهتان، وكيف يلبّس الحق بالباطل والباطل بالحق بحيث يصعب تمييز أحدهما عن الآخر.

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٧١.

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾[٢].

وقال تعالى :

﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٨ ﴾[٣].

٣ ــ وجدنا كثيراً ممن كتب عن اليهود والتوراة والعهد القديم من اعتبر أن ما ورد من اتهامات باطلة للأنبياء وكأنها حق وصدق، فذهب من أجل ذلك يسبُّ الأنبياء عليهم السلام ويتهمهم بما هم منه براء من الوحشية وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض والزنا والكذب، والدياثة والخداع والسرقة والجبن وعبادة الأصنام. (اتهموا هارون عليه السلام بأنه هو الذي صنع لهم العجل واتهموا سليمان بأنه عبد الأوثان). .

وللأسف الشديد لم تقتصر هذه الاتهامات الباطلة على الكتّاب من اليهود والنصارى، ولكنها شملت عدداً كبيراً من الكتاب العرب المسلمين.

ومنهم من ذهب إلى أن قصة آدم وحواء وخلق العالم إنما هي مأخوذة من الأساطير البابلية، وأن قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب أسطورة لا وجود لها، وأن موسى ليس إلَّا ضابطاً فرعونياً قام بانقلاب ضد فرعون رمسيس الثاني وخليفته لأن موسى كان على دين أخناتون (عابد الشمس)، وأنه خرج من مصر ومعه مجموعة من الساميين المضطهدين المعروفين باسم «العابيرو»، والذين كانوا ينتمون إلى قبائل كثيرة

---

(٢) سورة المائدة: آية ١٥.

(٣) سورة آل عمران: آية ٧٨.

مختلفة، وأن هذا الجمع المختلف تجمع في الصحراء (قادش وسينا)، ثم زحف على الأردن، وفي خلال عدة قرون تكوَّن من هذه القبائل المتناثرة شعب يسمى شعب إسرائيل، وقد عبد هذا الشعب إلّهاً خاصاً له هو يهوه مثلما كانت تفعل جميع الشعوب، ثم تحول هذا الإلّه الخاص فيما بعد إلى رب العالمين، وأن شعب إسرائيل هذا إنما أخذ عقيدة التوحيد من أخناتون المصري (عابد الشمس).

والغثاء في هذا الباب كثير جداً، وقد ذكرنا كثيراً من تفاصيله في أثناء الكتاب ورددنا عليها.

وإننا نستغرب أشد الاستغراب هذا الموقف البذيء من كتّاب يدّعون أنهم مسلمون، فيهاجمون ويشتمون يوشع بن نون وموسى ويعقوب وداوود وسليمان عليهم السلام، وكل ذلك بناء على ما وجدوه مسطوراً في التوراة المحرفة، ثم ذهب بعضهم إلى إنكار وجود إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجعل ذلك من الأساطير.

ولا شك أن من قال ذلك فإنه يكون قد خرج من ربقة الإسلام.. وهذا الكتاب يقوم بالرد على هذه التخرصات والأكاذيب.

وقد قسمنا الكتاب إلى جزئين منفصلين:

الجزء الأول وأسميناه: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم:

ووجدنا أنه لا بدَّ لفهم التوراة والعهد القديم أن يلم القارىء بنظرة موجزة عن تاريخ اليهود ابتداء من إبراهيم عليه السلام، وانتهاء بالعهد الروماني وظهور المسيح، وهي فترة تتسع لقرابة ألفي عام، ومسرحها ينتقل من أور الكلدانيين في العراق إلى حاران (في تركيا حالياً) إلى فلسطين ومصر.. ثم من مصر مرة أخرى إلى سيناء والأردن وفلسطين.. ومن ثمَّ إلى آشور وبابل وفارس، ثم عودة مرة أخرى إلى فلسطين.

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن التوراة في القرآن الكريم، ثم تحدثنا عن التوراة عند علماء اليهود والنصارى من العلمانيين ورجال الكنيسة في فصلين، ثم تحدثنا عن أسفار العهد القديم وتقسيماته المختلفة لدى مختلف الفرق النصرانية واليهودية، وأطلنا

الحديث عن التوراة (أسفار موسى الخمسة، أسفار الشريعة) لأهميتها البالغة. ثم تحدثنا عن الأسفار التاريخية والأسفار النبوية وأسفار الشعر والحكمة، وتحدثنا بعد ذلك عن الفرق اليهودية الضالة المضلة، والفرق التي اتبعت الهدى والتي أبيدت مثل الأسيين والأبيونيين (الفقراء إلى الله). ثم تحدثنا عن الأعياد الدينية لدى اليهود وأهميتها وبالذات عيدالفطير وما ارتبط به من تقديم قرابين الدماء البشرية، ثم تحدثنا عن نماذج من تعاليم التوراة وهي إقامة المذابح والمجازر، وفي الفصل الأخير تحدثنا عن الزنا والفواحش في التوراة والعهد القديم.

وقد خصصنا **الجزء الثاني من الكتاب لصفات الله سبحانه وتعالى في التوراة وأسفار العهد القديم**، فهو ليس رب العالمين بل رب شعب إسرائيل، وتصفه التوراة بأنه رب حقود كثير الندم، يحب المحارق واللحم المشوي جداً لدرجة أنه مستعد أن يعطي نصف مملكته لمن يقدم له اللحم المشوي!! ثم تحدثنا عن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة وأسفار العهد القديم من عهد إبراهيم عليه السلام إلى الأنبياء المتأخرين، وأوضحنا زيف ما ذكرته هذه الأسفار والاتهامات الباطلة التي ألصقتها بأنبياء الله. وكان ميزاننا دائماً هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما أقره القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ أقررناه وأثبتناه، وما أنكره القرآن وعقائد الإسلام أنكرناه. فمن المستحيل لدينا أن يأمر هارون بني إسرائيل بعبادة العجل وأن يقوم بنفسه بصناعة هذا العجل، ومن المستحيل لدينا أن يأمر موسى عليه السلام بقتل النساء والأطفال الذين لا ذنب لهم، ومن المستحيل لدينا أن يزني لوط عليه السلام بابنتيه بعد أن شرب الخمر ومن المستحيل لدينا أن يزني داوود عليه السلام بحليلة جاره... وهكذا.

وبعد فإن هذا هو جهد المقل، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل وينفع به. وأتقدم بشكري الجزيل للأخ الكريم الأستاذ محمد علي دولة ناشر هذا الكتاب على ما أرفدني به من المراجع القيِّمة الكثيرة كما أشكره على اهتمامه بنشره.

د. محمد علي البار



نظرة موجزة في تاريـخ اليهود

ليس غرضنا ها هنا أن نعـطي تاريخـاً لليهود، ولكن غـرضنا هـا هنا أن نفهم من تاريـخ اليهود ما يساعدنا على فهم ما يسمى التوراة (الأسفار الخمسة، أسفار الشريعة، الناموس، أسفار موسى الخمسة)، والعهد القديم (الأسفار التاريخية، والأسفار النبوية، وأسفار الشعر والحكمة).

وسنقتصر في هذه اللمحـة على نشأة هـذا الشعب، وبالتـالي سنتعرّض لتعـريف العبـري واليهودي والإسـرائيلي، وهي كلمات متـداخلة ولكنهـا ليست متـطابقـة. . ثم نستعرض هذا التاريـخ بصورة موجزة من إبراهيم عليه السلام إلى العهد الروماني الذي تنتهي عنده أسفار العهد القديم. ولهذا فنحن لن نتعرض لتاريخهم في الجزيرة العربية (اليمنُ والحجاز) قبل الإسلام، ولا بعده بـطبيعة الحـال، لأن ذلك خـارج عن غرضنـا وقد اهتمت به كتب كثيرة.

العبري = العبراني:

سُمِّي إبراهيم عليه السلام العبراني. جـاء في سفر التكـوين (١٤: ١٤): «فأتى من نجا وأخبر أبرام (إبراهيم) العبراني. وكان ساكناً عند بلوطات ممرا الآموري، أخي أشكول وأخي عابر، وكانوا أصحاب عهد مع أبرام (إبراهيم)».

وقد سمَّى الكنعانيون إبراهيم باسم العبراني لأنه عبر النهر (هل هـو نهر الفـرات أو الأردن؟ ليس هناك ما يحدد ذلك).

ويُقال إنَّ إبراهيم عليه السلام لُقِّب بالعبراني لأن أحد أجداده يسمى عابر(عِبِر)،

فهو إبراهيم بن تارح، بن ناحور، بن سروج، بن رعو، بن عابر حسب ما يذكره سفر التكوين. ويرى الدكتور إسرائيل ولنغسون[1] أن كلمة عبراني أو عبري تأتي من الفعل الثلاثي عَبَرَ، بمعنى قطع مرحلة من الطريق، أو عَبَرَ السبيل بمعنى شقها. وهذه المعاني موجودة في الفعل الثلاثي «عبر» باللغة العربية والعبرية، وهي تدل على الانتقال والتحوُّل.

وهذه هي أهم صفات البدو، إذ أنهم ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ. . وكان هناك أقوام ينتقلون من بادية الشام وبادية العراق، وقد يصلون في تجوالهم إلى فلسطين فيستقرون فيها، أو تبعد بهم النجعة فيذهبون إلى مصر ويقيمون فيها.

وقد ذهب إبراهيم عليه السلام إلى مصر عندما حدث جوع في الأرض، ولكنه لم يستقر بها. . ثم حدث جوع آخر فذهب أبناء يعقوب عليه السلام يطلبون الميرة من مصر، وكان يوسف أخوهم قد بيع إلى عزيز مصر وهو صغير، ثم سُجن بتهمة باطلة من امرأة العزيز، وعرف الملك قدره وصدقه بعد أن فسَّر له حلمه، فجاء أخوة يوسف إلى مصر مع أبيهم وجميع من كان مع يعقوب عليه السلام (وكانوا سبعين شخصاً) واستقروا في مصر بناء على دعوة يوسف لهم.

وكان المصريون يطلقون على يوسف نفسه اسم الفتى العبراني.

قالت امرأة العزيز بعد أن هرب منها يوسف: «انظروا قد جاء إلينا **برجل عبراني** ليُداعبنا، دخل إليَّ ليضطجع معي فصرختُ بصوت عظيم» (التكوين ٣٩: ١٤).

ثم قالت لزوجها: «دخل إليَّ **العبدُ العبراني** الذي جئت به ليداعبني» (التكوين ٣٩: ١٧).

وذكر رئيس السقاة لفرعون أن يوسف عبَّر له الحُلُم، فقال: «وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه (أي حلمنا)، فعبَّر لنا حُلْمَنا، عبَّر لكل واحد بحسب حلمه، وكما عبَّر لنا هكذا حدث» (التكوين ٤١: ١٢، ١٣).

---

(١) كما ينقله عنه د. أحمد شلبي: اليهودية، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة، القاهرة: ص ٤٨.

وعُرِف بنو يعقوب في مصر باسم العبرانيين. جاء في سفر التكوين: «أن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع **العبرانيين**، لأنه رجس عند المصريين» (التكوين ٤٣ : ٣٢).

وجاء في قصة موسى في سفر الخروج (١ : ١٥ ــ ١٩): «وكلّم ملك مصر قابلتي العبرانيات. . . وقال: حينما تُولِّدان **العبرانيات** وتنظرانهن على الكراسي، إن كان ابناً فاقتلاه، وإن كان بنتاً فَتَحْيا. ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلّمهما الملك، بل استحيتا الأولاد، فدعا ملكُ مصر القابلتين وقال لهما: لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الأولاد؟ فقالت القابلتان لفرعون: إن النساء **العبرانيات** لسن كالمصريات، فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة».

ثم جاء أيضاً في سفر الخروج (٢ : ١٢، ١٣) قصة موسى عليه السلام لما وكزَ المصري فقضى عليه: «وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته، فرأى رجلاً مصرياً يضرب **رجلاً عبرانياً من إخوته**، فقتل المصري وطمره في الرمل، ثم خرج في اليوم الثاني فإذا **رجلان عبرانيان يتخاصمان**».

وقال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون: «**الربُّ إلَه العبرانيين** التقانا» (الخروج ٣ : ١٨)، ويتكرر لفظ العبرانيين في أسفار التوراة (أسفار موسى الخمسة، أسفار الشريعة، الناموس). وفي بقية أسفار العهد القديم، فقد جاء في سفر صموئيل الأول (٢٩ : ٣): «فقال رؤساء الفلسطينين **ما هؤلاء العبرانيون**؟! فقال أخيش لرؤساء الفلسطينيين: أليس هذا داوود ملك إسرائيل».

وفي سفر صموئيل الأول أيضاً (٤ : ٦): «فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف، فقالوا: ما هو صوت هذا الهتاف العظيم **في محلة العبرانيين**».

وفيه أيضاً (١٣ : ١٩): «ولم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا: **لئلا يعمل العبرانيون** سيفاً أو رمحاً، بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكّينه ومنجله وفأسه ومِعْوله».

وهذا يدل على أن هؤلاء العبرانيين كانوا متخلفين جداً، حيث لم يكن فيهم

صانع واحد يستطيع أن يصنع سيفاً أو رمحاً. بل لم يكن فيهم من يستطيع أن يحدّ سكينه ومنجله وفأسه، فيضطر لذلك للنزول إلى محلّه الفلسطينيين، إذا صدق ما تزعمه أسفار التوراة والعهد القديم.

وفي سفر أرميا (٣٤: ١٤): «في نهاية سبع سنين **تطلقون كل واحد أخاه العبراني** الذي بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك».

وهذا يدل على أن لفظ العبراني كان يطلق على إبراهيم عليه السلام ثم على يعقوب وبنيه، واستمر ذلك لفترة طويلة من الزمان (من زمن إبراهيم عليه السلام في حدود سنة ألفين قبل الميلاد إلى زمن أرميا في حدود سنة سبعمائة قبل الميلاد). وكانت الشعوب الأخرى تطلق عليهم هذا اللفظ كما كانوا هم أنفسهم يطلقونه على أنفسهم.

ويذكر بعض الباحثين أن بني إسرائيل بعد أن استقروا في فلسطين استنكفوا أن يُسمّوا بهذا الاسم لأنه يدل على البداوة وحياة الانتقال من مرعى إلى آخر، ولكن يبدو أن هذا الأمر ليس صحيحاً، حيث نجد أرميا نفسه، وهو ممن عاش في زمن الملكية الأخير، يذكّر بني قومه بما جاء في أسفار التوراة (سفر التثنية ١٥: ١٢) ويتحدث عن الإسرائيلي بلفظ العبراني.

رأي الباحثين الغربيين في كلمة «العبرانيين»:

يرى كثير من الباحثسن الغربيين وتابعهم في ذلك كثير من العرب المحدثين أن لفظ العبرانيين كان يُطلق على مجموعة من القبائل السامية التي هاجرت من بلاد العرب وبادية الشام وبادية العراق واستقرت في فلسطين أو في مصر، وهم بطبيعة حياتهم مجموعة من البدو والرحَّل الذين كانوا يعبرون النهر من أجل الحصول على الماء والكلأ، أو يُغيرون على أطراف المدن لينهبوها ويستلبوا خيراتها، وهم في ذلك أقرب إلى كلمة الإعراب التي استخدمها القرآن الكريم في وصف البدو من العرب، حيث نبزهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿الأعراب أشدُّ كفراً ونفاقاً﴾. ونبزهم الرسول ﷺ في كثير من أحاديثه، واعتبر من يعود من الأعراب بعد الهجرة إلى باديته كمن ارتد عن دين الإسلام.

ووصفهم ابن خلدون في مقدمته بأقذع الأوصاف ـ ولكنه سماهم العرب ـ وأنهم يغيرون على الحواضر فيدمرونها، ويشيعون فيها الفساد، ويهلكون الحرث والنسل.

ويرى الباحثون الغربيون أن الهكسوس الذين حكموا مصر (١٧٣٠ ـ ١٥٨٠ قبل الميلاد) كانوا من هؤلاء الأعراب الجفاة الذين اضطرهم الجوع للهجوم على مصر واحتلالها، وكانوا فرساناً، شجعاناً.. وهم يسمون أيضاً العبرانيين.

ولكن هذا القول في رأينا لا يثبت، حيث نجد أن زوجة عزيز مصر تتحدث عن يوسف بأنه الفتى العبراني، وكذلك رئيس السقاة، وهؤلاء جميعاً إنما كانوا في دولة الهكسوس، ولو كان الهكسوس يلقبون بالعبرانيين لما قالوا عن يوسف «الفتى العبراني» تمييزاً له عن أنفسهم.

ويذكر روجيه جارودي[1] أن العبرانيين كانوا مزيجاً مختلطاً من عناصر بدوية مختلفة: «ولم يشكل العبريون ـ خلافاً للصورة التوراتية التقليدية ـ عنصراً قائماً بذاته قبل مجيء البدو والرحَّل إلى أرض كنعان، وإنما تكونوا من مجموعات ترجع إلى عناصر مختلفة، وكانوا جزءاً من الهجرات البدوية الكبرى، الآموريين أو الآراميين كما يقول الأب ديغو.. ومن بين هؤلاء البدو الرحَّل، استقر البعض في أرض كنعان، وواصل البعض الآخر سيرهم إلى مصر.

«وأخذ هؤلاء البدو الرحَّل لغتهم من الكنعانيين وتعلَّموا منهم الكتابة، واستمدُّوا منهم عقائدهم إلى حوالي عام ١٤٠٠ قبل الميلاد، ثم تبعوا على وجه الاحتمال الغزاة الهكسوس إلى مصر بحثاً عن مراعي».

«فلما طُرد الهكسوس من مصر، اعتُبر من جاءوا معهم وفي حمايتهم، وتمتَّعوا بالمزايا في ظلهم، اعتبروا خونة، وفُرضت عليهم شروط قاسية.. ولم يشكل هؤلاء عنصراً قائماً بذاته، وإنما كانوا طائفة من المعارضين للفرعون عرفت باسم «عابروا»، (ومن ذلك اشتق اسم العبريين كما يرى الأب ديغو)، ثم هربوا من مصر لسوء ما لقوا

---

(١) روجيه جارودي: إسرائيل الصهيونية السياسية، دار الشروق، ١٩٨٣م: ص ٣٥ وما بعدها.

من معاملة الفراعنة، ولا بدَّ أن «خروج» هؤلاء الرعايا الأجانب الساخطين كان أمراً شائعاً وكثير الحدوث، فلم يجيء لهم ذكر في الكتابات المصرية لأنه حدث عادي»، (لعل الكتابات المصرية لم تكتشف بعد أو لعلها فقدت).

على أية حال، ليس هذا الرأي خاصاً بروجيه جارودي، ولكنه رأي عام لدى الباحثين الغربيين سواء كانوا يهوداً أو نصارى، وسواء كانوا من رجال اللاهوت (الكنيسة أو الدين) أو من العلمانيين.

ويذكر الأب ديغو[1] بعض الوثائق الهيروغليفية التي تشير إلى أنه قد وُجد في مصر فئة من العمال تسمى أبيرو (Apiru) أو هابيرو (Habiru)، وأنهم كانوا يُستخدمون في أعمال البناء وسُيّاساً للخيل والدواب، ويُستخدمون كعمال زراعيين في مواسم الحصاد وقطف العنب، وهؤلاء كانوا دائماً من الأجانب وليس لهم عمل واحد ولا وضع واحد، وكان المصريون ينظرون إليهم باحتقار، وأن الأكل معهم رجس. واشترك هؤلاء العمال في بناء عاصمة الشمال، وفي نقل الأوتاد وبناء الأهرامات. وكان رمسيس الثاني بصورة خاصة يضطهد هؤلاء «العبيرو» الذين لم يكونوا ينتمون إلى عنصر واحد، بل كانوا عناصر متعددة جمعتها البداوة والنزوح إلى مصر.. وبعضهم جِيء به إلى مصر بعد انهزامهم في المعارك فكانوا أسرى حرب وعبيد.

وتذكر الدراسة القيمة «المدخل على كتب الشريعة الخمسة (التوراة)»، والتي قام بها كبار علماء اللاهوت الفرنسيين، والتي نقلتها الرهبانية اليسوعية في الترجمة العربية للكتاب المقدَّس ما يلي[2]:

«يجب البحث عن أجداد بني إسرائيل بين شبه البدو الساميين من رعاة الغنم الذين نراهم ينتقلون طوال الألف الثاني قبل المسيح على حدود شبه صحراء الهلال

---

(١) كما ينقله عنه موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف: ص ٢٥٧ وما بعدها.

(٢) الكتاب المقدس، أسفار الشريعة الخمسة، الرهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٠م.. دراسة المدخل من الترجمة المسكونية الفرنسية: ص ٤٠ ــ ٤١.

الخصيب. . من شبه البدو أولئك نعرف مجموعتين معرفة خاصة، هما: الأموريون الذين استقروا فيما بعد بين النهرين (دجلة والفرات) وسورية وفلسطين حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح، والآراميون الذين استقروا في سورية حوالي القرن الثالث عشر قبل المسيح، وتشير وثائق مصر وما بين النهرين إلى مجموعات أخرى كثيرة كانت تتسلل دون انقطاع إلى ما بين النهرين وفلسطين».

«وفي هذه الحقبة المعروفة قليلاً تبرز التوراة بعض الشخصيات العظيمة منها: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وأجداد أسباط بني إسرائيل. ويتعذر علينا أن نقدّر كما يجب تلك المعلومات التي يوفرها لنا التقليد (أي التوراة) عن هؤلاء الآباء، فإن قارنّا بينها وبين معطيات التاريخ وعلم الآثار أمكننا أن نفترض أن الآباء استقروا في فلسطين خلال القرن ١٩ و١٨ قبل المسيح (١٨ و١٦ بحسب تقديرات أخرى).

«أقام بعضٌ من خلفهم في مصر برفقة مجموعات سامية أخرى، ويستحيل علينا أن نحدد تاريخ هذا التوطن، إذ لا شك أنه جرى ببطء طوال أربعة قرون أو خمسة، لكن هناك أمرين ساعدا على هذا التوطن، هما: سيادة الهكسوس الذين قدموا من فلسطين وحكموا مصر من العام ١٧٠٠ إلى ١٥٥٠ قبل الميلاد تقريباً، ثم ضعف السلطة في مصر، وقد تميز به عهد الفرعون أخناتون (١٣٦٤ ــ ١٣٤٧ق.م).

«جاءت نشأة الشعب (الإسرائيلي) تطوراً معقداً بدأ على الأرجح حوالي سنة ١٢٥٠ق.م، على عهد الفرعون رعمسيس الثاني، فقد استطاعت بعض المجموعات السامية المقيمة في مصر والخاضعة لتسخيرات شاقة أن تهرب بقيادة موسى، فجمعها موسى حول جبل سينا، ثم حول واحات قادش، ولقّنها عبادة الرب الذي حرّرها ونظّمها تنظيماً بدائياً.

«ازداد اتحاد (القبائل) متانة يوماً بعد يوم في القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد، فقد كان عليها أن تواجه عدة مخاطر: البدو الغزاة، وممالك عبر الأردن، والمدن الكنعانية. وكان أكبر المخاطر يصدر عن الفلسطينيين [يكتبون عادة الفلستينيين وهم من جزيرة كريت (أقريطش)، وقد نزلوا بين يافا وغزة واختلطوا بالكنعانيين وعُرفت الأرض باسمهم فلسطين] الذين نزلوا على الشاطىء الفلسطيني في

مطلـع القرن الثاني عشر، والذين كانـوا في الواقـع أخـطر منافسي إسـرائيل لـلاستيلاء على أرض فلسطين.

«وقد اقتصرت الأسباط مدة طـويلة على تحالفـات دفاعيـة محدودة ومؤقتـة بقيادة رؤساء أطلق عليهم اسم القضاة، لكنها أمام اشتداد خطر الهجوم الفلسطيني عزمت على تثبيت تماسكها، فأقامت على رأسها ملكاً على مثـال الشعوب المجـاورة (هو شـاول)، وبعد فشل مملكة شاول اعترفت جميـع الأسباط بداوود اليهودي (نسبة إلى يهوذا) ملكاً قبيل السنة ١٠٠٠ق.م، فدحر الفلسطينيين على الشاطىء، وأقـدم على سلسلة حروب هجومية ضد الآراميين، وفرض سيادته على الدول المجاورة حتى شمال سورية، وأخذ في الوقت نفسه ينظم دولته، فأقام عاصمته في أورشليم، ونقل إليها تابوت العهد».

وواضـح مما سبق أن كلمة عبري أو عبراني كانت تُطلق على مجموعة من البـدو أو شبه البدو الذين استقروا في مصر وفي فلسطين. وأنهم لم يكـونـوا عنصـراً واحداً، بل عناصر متعددة.

وهذا المعنى مخالف تماماً لما ورد في أسفار التوراة والعهد القـديم، حيث كان يطلق لفظ عبري للتـدليل على إبـراهيم ونسله من إسحاق.. ومن ثمَّ فهـو مطابق للفظ الإسرائيلي، إلاَّ أنَّ بني إسرائيـل لما رأوا أن هـذا اللفظ يستخدم للتحقيـر للدلالة على البداوة فإنهم اختاروا لفظ إسرائيل لما فيه من المعاني الخاصة.

إسـرائيـل:

إسـرائيل هـو اسم يعقـوب عليـه السـلام. وقـد أورد سفـر التكـوين من التـوراة المحـرَّفة قصـة لا يقبلها عقـل، وهي في منتهى الإسفاف، ومؤداهـا أن يعقـوب الـذي تصفه التوراة بأنه ضعيف الجسد ومخادع رأى الله على هيئـة رجل، فصـارع الله طوال الليل حتى طلـع الفجر، فقـال له الـرب: أطلقني لأن الفجر قـد طلـع، ولكن يعقوب أبـى أن يطلقه حتى يأخذ العهد من الله له ولبنيـه أبد الـدهر.. عهـداً بأن يـأخذ أرض فلسطين ملكاً أبدياً له ولنسله. فأعطاه الله هذا العهد وباركه وقال له: «لا يدعى اسمك بعـد اليـوم يعقـوب بـل إسـرائيـل، لأنـك جـاهــدت (أي قـاتلت وعــاركت) مـع الله وقدرت!!».

وإليك نص ما جاء في التوراة (سفر التكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣٠): «فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه، فانخلع حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك. فقال: يعقوب. فقال: لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوبُ وقال: أخبرني باسمك؟ فقال (الرب): لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجّيت نفسي».

وجاء أيضاً: «وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدَّان آرام، وباركه. وقال له الله: اسمك يعقوب، لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل. فدعا اسمه إسرائيل. وقال له الله: أنا الله القدير. أثمِر وأكثر، أمةٌ وجماعة أمم تكون منك، وملوكٌ سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض، ثم صعد الله عنه في المكان الذي تكلَّم فيه معه، فنصب يعقوب عموداً... ودعا يعقوب اسم المكان الذي تكلَّم الله معه بيت إيل» (التكوين ٣٥: ٩ ـ ١٥).

وكلمة إسرائيل مكونة من كلمتين هي: إسرا، وإيل.. ولا خلاف حول معنى كلمة إيل، فالجميع مقرون بأنها تعني الله. ولكن الخلاف يأتي في معنى كلمة (إسرا)؛ فمنهم من قال أن معناها عبد أي بمعنى عبد الله، وهذ القول لبعض المفسرين من المسلمين. وبعضهم من أرجعها إلى نفس معنى الكلمة باللغة العربية حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿نحن شَدَدْنا أَسْرَهم، وإذا شئنا بدَّلنا أمثالهم تبديلاً﴾، وبمعنى كلمة أزر حيث يبدل السين زاء، وهو أمر شائع في اللغة العربية. وقد جاء في القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام عندما طلب من ربه أن يجعل معه أخاه هارون نبياً قائلاً: ﴿أشْدُدْ به أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

واللغة العربية والآرامية القديمة تتشابهان، فمصدرهما واحد، وكثير من الكلمات فيهما لها نفس المعاني. واللغة العبرية مأخوذة من اللغة الآرامية ومن لهجات الكنعانيين.

وهكذا، يعني لفظ إسرائيل: «القوي بالله» أو «القادر بالله». ولكن اليهود

والباحثين الغربيين يرون أن المعنى هو «الذي جاهد مع الله وقدر»، وذلك مبنيّ على ما أوردناه من نصوص سفر التكوين من مصارعة يعقوب لله وأخذه للعهد والبركة بقوة جسمه الخارقة!!

وهو أمر مناقض لما جاء في التوراة ذاتها من صفات يعقوب بالمقارنة مع أخيه عيسو، فقد كان عيسو قوياً صاحب صيد، وكان يعقوب حسب زعم سفر التكوين: الإصحاح ٢٥ ضعيف البنية. «وأما رفقة، أمهما، فكانت تحبّ يعقوب الذي لم يكن يعرف أن يصطاد والذي سكن الخيام»، وتصفه بأنه كان يكثر الجلوس مع أمه رفقة، بينما يذهب أخوه عيسو للصيد وللحقل. وكان يعقوب يصنع الطعام مثل النساء، وجاء ذات يوم عيسو متعباً جداً فطلب من أخيه يعقوب أن يعطيه من إدامِهِ الأحمر (أدوم) الذي قام بطبخه، فرفض يعقوب أن يعطيه ذلك إلَّا بأن يتنازل عيسو عن بكوريته.

وفي موضع آخر تصف التوراة يعقوب بالمكر والخداع عندما أراد أن يأخذ البركة من أبيه إسحاق بدلاً من عيسو. وأن يديه ناعمتان فاضطر إلى لبس جلد معزى حسب مشورة أمه حتى لا يشك فيه إسحاق عندما يجسّهُ، وكان إسحاق قد عَمِيَ في شيخوخته. (التكوين: الإصحاح ٢٧).

على أية حال يرى اليهود أن خير مسمياتهم هو اسم إسرائيل أو بني إسرائيل، لما في ذلك من الدلالة على أن أباهم يعقوب قد جاهد مع الله وقدر وأخذ منه البركة عنوة، كما أخذ منه العهد الأبدي له ولنسله بجعلهم ملوكاً وسادة على جميع البشر، وأعطاهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، هي أرض فلسطين.

لهذا يُصرُّ اليهود على هذه التسمية المرتبطة بالاصطفاء والاختيار، والقرب من الله والمكانة الرفيعة لديه، لأن أباهم ـ حسب زعمهم ـ جاهد مع الله وقدر!!

اليهود:

ولد ليعقوب أبناء كثيرون يسمون الأسباط، وقد يُطلق اسم الأسباط على نسلهم وهو أكثر شيوعاً. وكان أحد هؤلاء الأسباط يسمى «يهوذا»، وهو الذي وصفه يعقوب حسب رواية سفر التكوين: الإصحاح ٤٩، بقوله: «يهوذا إياك يحمد إخوتك. يدك

على قفـا أعدائـك. يسجد لـك بنـو أبيـك. يهـوذا جـرو أسـد. من فـريسـة صعـدت يا بنيّ. . . جثا وربض كأسدٍ وكلَبوة، من ينهضه، لا يزول قضيب من يهـوذا ومشتـرع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب (المقصـود بذلـك المسيـح الذي سيأتي في آخر الزمـان. . والذي سيحكم بـه اليهود العـالم. . وهو في أحـاديث المصـطفى ﷺ المسيـح الدجّـال اليهودي الأعـور الكذّاب)، رابـطاً بالكـرمة جحشـه، وبالجفنة ابن أتانه. غسل بالخمر لباسه وبـدم العنب ثوبـه. مسوّد العينين من الخمـر، ومبيّض الأسنان من اللبن».

ويهـوذا هذا هـو الذي زنى بكنتـه (امرأة ابنـه) ثامار حسب زعمهم، وأنجب من هـذا الزنـا فارص وزارح، ومن فـارص ظهر داوود حسب زعمهم، ومن داوود سيـظهـر المسيـح في آخر الزمان.

وقد أورد سفر التكوين: الإصحاح ٣٨، قصة زنا يهوذا بكنتِه (زوجة ابنه) ثامار: «فأخبرت ثامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنه ليجزَّ غنمـه، فخلعت عنها ثيـاب تـرملها وتغـطت ببرقـع وتلففت وجلست في مـدخل عينـايم التي على طـريق تمنـه. . فنظرهايهوذا وحسبها زانية. لأنها كانت قد غطّت وجهها، فمال إليها على الـطريق وقال هـاتي أدخل عليـك لأنه لم يعلم أنهـا كنّته. فقـالت: ماذا تعـطيني لكي تدخـل عليّ؟ فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها.

«ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك وها هي حبلى أيضـاً من الزنـا، **فقال يهـوذا: أخرجـوها فتحـرق**. أما هي فلمـا أخرجت أرسلت إلى حميهـا قائلة: من الـرجلُ الـذي له أنـا حبلى؟ وقـالت: حقق لمن الخـاتم والعصـابـة والعصـا هذه؟ فتحققهـا يهوذا **وقـال: هي أبـرُّ مني. . .**» (التكـوين ٣٨: ١٢ ـ ٣٦)، وولدت له زارح وفـارص. ومن فـارص ظهـر داوود ومن داوود سيــظهـر حسب زعمهم المسيـح في آخر الزمان.

هذا هو يهوذا الذي يُجمـع المؤرخون الغربيون (اليهود النصـارى) على أن كلمة اليهود إنما جاءت نسبة إليه.

وعندما تكوَّنت مملكة داوود اشتركت فيها الأسباط الاثني عشر، وكان سبط يهوذا هو أظهر الأسباط لأن داوود عليه السلام منهم، ثم تولى سليمان، وقد زعموا كذباً أنه استبدّ ببني إسرائيل وجعلهم سُخرة لبناء الهيكل والقصور، وأنه عبد الأوثان. . . إلخ، فلما مات سليمان وتولّى رحبعام ابنه طلب منه بنو إسرائيل أن يخفف عنهم ما كان من ظلم أبيه ونيره (حسب زعمهم وبهتانهم)، فرفض، فأدّى ذلك إلى أن يقوم شخص يدعى يربعام بالثورة عليه، وانضم له عشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل، وكوَّنوا دولة في الشمال تدعى إسرائيل، وكانت عاصمتها شكيم (السامرة)[1]. وبقي مع رحبعام سبطي يهوذا وبنيامين وسميت دولته دولة يهوذا.

وعندما تحطمت دولة الشمال على يد الآشوريين سنة ٧٢٢ قبل الميلاد بقيت دولة يهوذا، وانضم لها الفارون من الآشوريين، وبقيت هذه الدويلة حتى عهد نبوخذ نصر (بختنصر) الذي حطَّمها سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وسبى نبوخذ نصر معظم سكان يهوذا إلى مملكته بابل، وعُرف هؤلاء باسم اليهود. واشتهر هذا الاسم اشتهاراً كبيراً، وأصبح علماً على هؤلاء القوم، ثم علماً على الديانة الي جاء بها موسى عليه السلام، وأصبح يطلق على كل من دخل في هذا الدين اسم يهودي ولو لم يكن من نسل يعقوب (إسرائيل).

هذا ما يقوله اليهود والنصارى عن اسم اليهود ومصدره، أما علماء التفسير من المسلمين فإنهم يوردون معنى آخر لاسم اليهود ويرجعونه إلى ما جاء في القرآن الكريم:

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام:

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴾[2].

قال أهل التفسير: «هدنا» أي تبنا ورجعنا وأنبنا إليك. وقال ابن جرير بسنده يرفعه

(١) بنى الرومان بالقرب من أطلالها فيما بعد مدينة منيابلس، وهي مدينة نابلس الحالية الموجودة في الضفة الغربية المحتلة.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

إلى علي كرّم الله وجهه، قال: إنما سميت اليهود لأنهم قالوا. إنا هدنا إليك» وقد نفى المولى سبحانه وتعالى أن يكون إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط هُوداً أو نصارى، قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴾[2].

وذلك لأن اليهودية لم تظهر إلاّ على يد موسى عليه السلام، وهؤلاء كانوا قبل موسى فلا شك أنهم لم يكونوا يهوداً.

وقد أصبح لفظ اليهود لفظ مذمّة لدى جميع الأمم منذ عهد النفي إلى بابل، حيث ظهرت في هؤلاء القوم جميع صفاتهم الذميمة، من الذلة والحقارة والمكر والخداع، وامتصاص دماء الشعوب بالربا والغش في التجارة، والوصول إلى مآربهم بواسطة النساء والخمر. .

ويرجع بعض الباحثين من المسلمين اسم اليهود إلى أنهم كانوا يتهودون عند قراءة التوراة، أي يتحركون ويتمايلون.

وقال بعضهم، ومنهم البيروني (أبو الريحان): «وإنما سُمُّوا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته».

أهم مصادر تاريخ هذه الحقبة:

بعد أن استعرضنا معاني كلمة العبراني، والإسرائيلي، واليهودي، ومدلولاتها الكثيرة نستطيع أن نتحدث بإيجاز شديد عن تاريخ اليهود منذ عهد إبراهيم عليه

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

السلام إلى ما قبل ظهور المسيح، وهي الفترة الزمنية التي تمتد لمدة ألفي عام تقريباً، وتجعل مسرح حركتها في نصف دائرة تبدأ من أور الكلدانيين (العراق) وتصل إلى حاران (لواء الإسكندرون في تركيا اليوم)، ثم إلى كنعان (فلسطين)، ومنه تتجه جنوباً إلى مصر، ثم عودة مرة أخرى إلى أرض مَدْين (غور الأردن)[1] وأدوم ومؤآب وعمون (في الأردن حالياً)، ثم كنعان مرة أخرى (فلسطين)، ومنها تتجه إلى سوريا (الكبرى) شاملة بذلك لبنان، وإلى العراق مرة أخرى في العهد البابلي، ثم العودة من بابل إلى أورشليم (القدس).

وأهم مصادر هذه الحقبة الطويلة من الزمن، هي:

١ ـ ما ورد في التوراة والعهد القديم. وهذا المصدر غير موثوق به من الناحية التاريخية نتيجة الإضافات والأساطير والمبالغات الكثيرة التي أضفاها كتّاب هذه الأسفار على حكاياتهم، كما يقرُّ بذلك علماء اللاهوت من يهود ونصارى، فضلاً عن علماء التاريخ والآثار.

٢ ـ ما وجده علماء التاريخ من مدونات لمؤرخين قدماء حُفظت كتبهم، مثل المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابه «تواريخ اليهود» وكتابه «حرب اليهود».

٣ ـ ما وجده علماء الآثار من مدونات تاريخية على اللوحات التي اكتشفت في العصور الحديثة في مصر وفلسطين والأردن وسوريا والعراق، وما اتضح من الحفريات.

٤ ـ ما ذكره الإخباريون ونقله المؤرخون المسلمون والمفسرون، وأغلب هذه المادة لا يمكن الاعتماد عليها لعدم وجود نصوص توثقها، ولامتلائها بالأساطير والخرافات والأقاويل، ولمناقضتها بعض وقائع التاريخ المسجلة.

---

(١) يوجد قبر النبي شعيب عليه السلام في منطقة غور الأردن وهو معروف يُزار وفي نفس المنطقة قبر النبي يوشع بن نون عليه السلام.

٥ ــ ما ورد في القرآن الكريم عن بني إسرائيل وعن أنبيائهم، وما ورد عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما ورد في السنة المطهرة من أحاديث مروية من الصحاح والسنن وكتب الحديث الأخرى. .

وبالنسبة لنا فإن ما ورد في القرآن وما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الجدل ولا المناقشة، ونرفض كل قول يصادم ما في صريح القرآن وصحيح السنَّة ولو قال علماء التاريخ والآثار ما يعاكسه ويضاده، وذلك على أية حال قليل للباحث المدقق.



إبراهيم (عليه السلام)

لقد استعرضنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب قصة إبراهيم عليه السلام كما وردت في التوراة، وقارنّاها بما ورد في القرآن وبما يقوله علماء التاريخ والآثار، ولا نريد ها هنا أن نعيد ذلك، ولكن ما يهمنا هو أن نثبت الحقائق التالية التي أثبتها القرآن الكريم والسنّة المطهرة عن إبراهيم عليه السلام وما ذكره المؤرخون مما لا يتناقض مع القرآن الكريم:

١ ــ إن إبراهيم عليه السلام هو الجد الأعلى للعدنانيين (الإسماعيليين)، وهو أيضاً الجد الأعلى لبني إسرائيل، وإن إبراهيم عليه السلام كان له ولدان، هما: إسماعيل، ومنه خرجت القبائل العربية والشمالية وخاصة قريش التي ظهر منها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والثاني هو إسحاق عليه السلام، وله ولدان: الأول يسمى عيسو (العيص) وهو جد الأدوميين، والثاني هو يعقوب (إسرائيل) وهو جد بني إسرائيل.

٢ ــ إن إبراهيم عليه السلام عاش في وطنه (أور الكلدانيين) حيث كانوا يعبدون الأوثان، وإنه اختلف مع أبيه آزر (تارح كما تسميه التوراة والمصادر الأخرى). بعد أن دعا أباه وقومه إلى عبادة الله، ثم حطم أصنامهم إلّا كبيراً لهم، فجمعوا له وألقَوه في النار، فأخرجه الله منها سالماً. ودعا الملك إلى عبادة الله فأخذ الملك (النمروذ) يدّعي الألوهية، فحاجّه إبراهيم بأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر. ودعا كذلك عُبَّاد الشمس والقمر والنجوم إلى عبادة الله، ولكنهم جميعاً تمالأوا عليهم، فجاءه الأمر من المولى

سبحانه وتعالى بأن يهجرهم ويترك وطنه ويهاجر. فخرج ولم يكن معه سوى زوجته وابن أخيه لوط وبعض خدمه وغلمانه، واستقر بعد رحلة طويلة في أرض فلسطين حيث أكرمه أهلها أيما إكرام.

٣ ــ إن إبراهيم ذهب إلى مصر، وإن ملكها هناك أكرمه وأهدى له هاجر فأعطاها إبراهيم لزوجته سارة، ولما كانت سارة عقيماً طلبت من إبراهيم أن يدخل على هاجر بعد أن أعطته إياها، وولدت له هاجر إسماعيل عليه السلام، ثم منَّ الله على سارة فولدت له إسحاق.

٤ ــ كل ما ورد في التوراة من أساطير واتهام لأبي الأنبياء عليه السلام من أنه تزوج أخته سارة، ومن أنه عرضها على ملك مصر ثم على ملك فلسطين أبي مالك ليحصل على الأموال، مرفوض لا نقبله البتة، وما ذكرته التوراة المحرفة مما هو مخالف لما في القرآن الكريم أو مما يقدح في عصمة الأنبياء ومكانتهم مرفوض البتة.

٥ ــ لم يذكر القرآن الكريم الزمن الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام، واختلف المؤرخون المحدَثون، فمنهم من جعله في حدود سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ومنهم من جعله في حدود القرن التاسع عشر، وبعضهم من جعله في القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

٦ ــ زعم بعض المؤرخين المحدَثين أن قصة إبراهيم عليه السلام ونزوحه من أرض آبائه إلى أرض فلسطين ثم إلى مصر لم ترد في أي مصدر تاريخي آخر، وهذا يعني بزعمهم أن مؤلف أسفار التوراة هو الذي اخترع قصة إبراهيم وبنيه الذين لا وجود لهم أصلاً.

وهذا موقف مرفوض من عدة نواح، والقرآن الكريم والسنَّة المطهرة تدحضه.

وإذا لم نعثر في كتب التاريخ القديمة أو الآثار على ما يدل على وجود إبراهيم فليس ذلك حجة في النفي، فكم من الآثار التي لم نعثر عليها إلا في الأعوام الأخيرة وكانت غائبة عنا طوال هذه القرون، ومن يستطيع أن ينكر أن هناك آثاراً

كثيرة لم تكتشف بعدُ، ولوحات ومخطوطات قديمة ضاعت واندثرت مع مرور الزمن؟! وحتى لو فرضنا جدلاً أننا أحصينا كل الآثار واللوحات القديمة ولم نفقد منها شيئاً على الإطلاق، وهو أمر لا يقول به إنسان عاقل، فإنه ليس حتماً أن تذكر هذه اللوحات القديمة أو الآثار قصة إبراهيم عليه السلام، لأن هذه اللوحات إنما كانت تسجل الأحداث الكبرى وانتصارات الملوك في حروبها، وهجرة رجل واحد لم تكن تثير انتباه المؤرخين المعاصرين لإبراهيم عليه السلام أو الذين جاءوا بعده مباشرة.

٧ ـ انتقل إبراهيم عليه السلام من أرض كنعان (فلسطين) بابنه إسماعيل إلى وادٍ غير ذي زرع عند موقع البيت فيما عرف فيما بعد باسم مكة (المكرمة)، وكان ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى لا بسبب غَيْرة سارة كما تزعمه أسفار التوراة. وبعد ذلك قام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء البيت (الكعبة المشرفة) بأمر من الله، وجعل الله قصة إسماعيل وهاجر وإبراهيم وتضحيته بإسماعيل شعائر يتعبد بها الناس في الحج الذي فرضه الله منذ عهد إبراهيم.

٨ ـ عاد إبراهيم إلى فلسطين، ثم ماتت زوجته فدفنها في مغارة المكفيلة في حقل عثرون الحثي الذي اشتراه منه، ثم مات إبراهيم ودفن في ذلك المكان بجانب زوجته، ودفن من بعده في نفس المكان إسحاق ويعقوب، وعرفت تلك المدينة باسم حبرون وهي مدينة الخليل.



إسماعيل وإسحاق (عليهما السلام)

إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم عليه السلام ولكن التوراة، رغم أنها تجعل العهد دائماً للابن البكر، إلا أنها في هذا الموضع تنكر أهمية البكورية التي تتمسك بها، وتجعل العهد لإسحاق فقط «لأنه بإسحاق فقط يُدعى لك نسل».

جاء في سفر التكوين (٢١ : ٩ ـ ١٢) : «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق، فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل»، وهو موقف عنصري حاقد حاشا لسارة أن تفعله، وتعالى الله أن يأمر بالظلم!!

وفي موضع آخر (التكوين ١٦ : ١ ـ ١٦) تزعم التوراة المحرفة أن إبراهيم عليه السلام قال لسارة: «هو ذا جاريتك (أي هاجر) افعلي بها ما يحسن في عينيك، فأذلتها ساراي، فهربت هاجر من وجهها».

وتكرر التوراة العهد الذي قطعه الله على نفسه بإعطاء إبراهيم أرض كنعان (فلسطين)، وأن يجعل نسله مثل عدد الرمال أو مثل عدد النجوم أو كتراب الأرض.

«وقال الرب لأبرام (إبراهيم) بعد اعتزال لوط عنه: «ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد (والمقصود بنسله إسحاق، والمقصود من نسل إسحاق

يعقـوب ونسله)، وأجعل نسلك كتـراب الأرض، حتى إذا استطاع أحـد أن يعد تـراب الأرض فنسلك أيضاً يُعدّ». (التكوين ١٣ : ١٤ ـــ ١٦).

«لنسلك (أي من إسحاق فقط) أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات».

«وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك (من إسحاق فقط لأنه بإسحاق يُـدعى لك نسل) من بعدك، في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلـهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لـك ولنسلك من بعدك أرض غـربتك، كـل أرض كنعان ملكـاً أبـديـاً وأكون إلٰههم». (التكوين ١٧).

«وقال الله لإبراهيم: وأمـا أنت فتحفظ عهدي الـذي تحفظونـه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يُختن منكم كل ذكر من أجيالكم، يختن ختـاناً وليـد بيتك والمبتـاع بفضتك فيكون عهدي في لحم غرلتكم عهداً أبدياً. وأما الذكـر الأغلف الذي لا يختن في لحم غـرلتـه فتقـطـع تلك النفس في شعبهـا (حكم بـالإعـدام!!) إنــه قـد نكث عهدي!!». (التكوين ١٧ : ٩ ـــ ١٤).

«وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة تلد لك ابنـاً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً. لنسله من بعده. عهدي أقيمـه مـع إسحاق الذي تلده لك سارة في هـذا الوقت في السـنـة الآتيـة. فلمـا فرغ من الكـلام معه صعد الله عن إبراهيم» (التكوين ١٧ : ١٨ ـــ ٢٢).

وهكذا تصور التوراة المحرفة الرب سبحانه وتعـالى في صورة بشـرية متجسـدة، يُرى ويخاطب مخاطبة مباشرة، وأحياناً يتصارع معهم (كما تصـارع حسب زعمهم مـع يعقوب)، ويتمشى في الطرقات، إلـخ . . . وهو (تعالى الله عن ذلك علواً كبيـراً) يحب اللحم المشوي جداً جـداً، وليس له من سعـادة إلاّ من شم رائحة الشـواء، فإذا تم لـه ذلك، فإنـه مستعد أن يعـطي نصف مملكته لمن يُقـدِّمُ له المحـارق والذبـائـح واللحم المشوي الكثير!!

وتزعم التوراة أن إبراهيم عليه السلام حصل على العهـد بهذه الـوسيلة، وأن الله

انحاز لسارة وجعل العهد والبركة كلها لابنها إسحاق!! وأن إسحاق أيضاً جدَّد العهد مع الله بتقديم كميات كبيرة من اللحم المشوي والمحارق والذبائح.

وقد ناقشنا هذا الهراء كله في الجزء الثاني من هذا الكتاب في فصول إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام.

وهذا الغثاء والهراء هو الذي دفع بالعلماء من الغربيين إلى اعتبار قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب... إلخ من الأساطير التي وضعها مؤلفو التوراة في عهود متأخرة جداً عن عهد إبراهيم عليه السلام.

وقد تزوج إسحاق عليه السلام كما تذكر التوراة من رفقة بنت بتوئيل بن ناحور (أخي إبراهيم عليه السلام)، وكانت رفقة أيضاً عاقراً (مثل سارة)، فدعا إسحاق ربه، واستجاب الله لدعائه فحملت رفقة. «وتزاحم الولدن في بطنها، فقالت: إن كان هكذا فلماذا أنا؟ (أي لماذا أعيش إذن) فذهبت تسأل الرب، فقال لها الرب: في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان: شعب يقوى على شعب. وكبير يستذل لصغير». (التكوين ٢٥: ٢٠ ـ ٢٣).

وهكذا تصور التوراة أن رفقة ذهبت مباشرة لسؤال الله عما في بطنها، فأجابها مباشرة وأخبرها أن في بطنها توأم، وأن الكبير منهما سيكون عبداً للصغير. والكبير هو عيسو الذي خرج أولاً من بطنها وهو أحمر وكله فروة شعر، والصغير هو يعقوب لأنه خرج قابضاً بعقب عيسو فدعي يعقوب، ويعقوب كما قد مرَّ معنا هو إسرائيل، ولهذا ينبغي أن يستعبد له الجميع بما في ذلك أخاه عيسو، ويكون نسل عيسو عبيداً لنسل إسرائيل.

وتذكر التوراة أن جوعاً آخر قد حدث غير الجوع الذي حدث في أيام إبراهيم، وذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك جرار (في فلسطين)، وعرض عليه زوجته رفقة الجميلة في مقابل أن يأخذ من الملك أموالاً وأغناماً، وقال للملك أن رفقة أخته تماماً كما زعموا أن إبراهيم قال من قبل لملك مصر وملك الفلسطينيين أن سارة أخته. وهو موقف قذر حاشا لأنبياء الله بل ولا من هم دونهم أن يصلوا إليه.

وهـو موقف الـدياثـة المعهود من اليهـود، وحتى يبـرروا لأنفسهم هـذه المـواقف المخزية اتهموا أطهر خلق الله وهم الأنبيـاء بالدياثة، كمـا اتهموا الأنبيـاء بكل الجـرائم الأخلاقية مثـل الغش، والخداع، والمكـر، والكذب، والسكـر، والعربـدة، والاعتداء على المحارم، والزنـا، والقتل، وسفـك الدمـاء دون جريـرة، وقتل الأبـرياء والأطفـال والنساء والشيوخ والرضـع.

وتكرر التوراة في كل سفر العهد الذي قطعه الله أولاً لإبراهيم، ثم لإسحاق، ثم ليعقـوب ثم لأبنائـه، ثم لأحفاد أحفـاد أحفاده. ويـذكر سفـر التكوين الإصحـاح ٢٦، العهـد مرة أخـرى مـع إسحاق، ثم قصـة عرض إسحـاق لزوجتـه رفقة لأبيمـالك ملك الفلسطينيين.

«وتغرّبْ في هذه الأرض فأكون معك وأباركك (المفروض أنه ولد فيها ونشأ فيها ولا يعتبـر لذلـك غريبـاً عنهـا)، لأني لـك ولنسلك أعـطي جميـع هـذه البـلاد، وأوفي بـالقسم الذي أقسمتُ لإبـراهيم أبيك، وأكثّـر نسلك كنجـوم السمـاء. وأعـطي نسلك جميـع هذه البلاد».

وتنتهي حياة إسحاق (عليه السلام) بعـد أن كبر وعمي فيخدعه ابنه يعقوب حسب زعم مؤلف سفر التكوين، ويأخذ البركة بدلاً من الابن الأكبر عيسو.

وقد مات إسحاق كما تقـول التوراة «شبعـان أيامـاً» ودفنه ابنـه يعقوب في مغـارة المكفيلة بجـانب أبيـه وأمـه في مـدينـة حبـرون (الخليـل)، وكـان عمـره عنـد وفـاتـه ١٨٠ عاماً.



يعقوب (عليه السلام)

لقد ألصقت التوراة (المحرفة) بيعقوب كثيراً من الصفات الدنيئة الحقيرة. . ومنذ لحظة مولده يزعم كاتب سفر التكوين أن يعقوب نزل من بطن أمه وهو ممسك بعقب أخيه ولذلك سموه يعقوب.

ثم تصف يعقوب بأنه كان ناعم اليدين، ملتصق بأمه رفقة، متفرغ لأعمال النساء ويجيد الطبخ مثلهن، بينما أخوه عيسو قوي الشكيمة، خشن اليدين، مفتول الذراعين، يخرج للصيد أو للحقل كل يوم. وعاد ذات مساء وهو مجهد متعب فطلب من الإدام الأحمر الذي صنعه أخوه يعقوب، ورفض يعقوب أن يعطيه قليلاً من هذا الحساء، إلاّ بعد أن يتنازل له عيسو عن بكوريته، فتنازل له عنها في مقابل الحساء!!

ثم يقوم يعقوب، حسب زعم مؤلف سفر التكوين بخداع أبيه وسرقة البركة من أخيه عيسو، حتى إن إسحاق لم يبقِ أي بركة أخرى لعيسو!!

وتزعم التوراة بعد ذلك أن يعقوب فرّ من وجه أخيه عيسو إلى خاله لابان الأرامي، وهناك قام بسرقة أموال خاله. بحيلة ساذجة غير معقولة بل وخرافية، وهو أن يعرض على الأغنام والشياه وهي حامل عيداناً مخططة، فتلد الأغنام والشياه أغناماً مخططة!! ثم فرّ يعقوب حسب زعمهم من خاله بعد أن أخذ زوجتيه ليئة وراحيل ابنتي خاله لابان. «وسرقت راحيل أصنام أبيها، وخدع يعقوب قلب لابان الأرامي».

وتزعم التوراة أن يعقوب كان يُقسمُ بالآلهة المتعددة عندما لحق به لابان وسأله لماذا تسرق آلهتي أيضاً، فقال يعقوب: «إله إبراهيم، وآلهة ناحور، وآلهة أبيهما يقضون بيننا». التكوين ٣١: ٥٢، وحاشا ليعقوب عليه السلام أن يقسم بالأوثان.

وأينما يتحرك يعقوب يجد البركات من أبيه ومن الرب، فإسحاق يباركه ويقول له: «ليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل. كن سيداً لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين». (التكوين ٢٧ : ٢٨ ـ ٢٩).

«والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً، ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم. (التكوين ٢٨ : ١ ـ ٥).

وفي الطريق إلى أرض الآراميين رأى يعقوب حسب زعمهم الرب واقفاً، فقال له الرب: «أنا الرب إله إبراهيم وإسحاق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.. وأنا معك أحفظك حيثما ذهبت وأردك إلى هذه الأرض». (التكوين ٢٨ : ١٠ ـ ١٥).

ويتكرر هذا العهد بين الله ويعقوب مراراً، وأن الرب أقسم ليعقوب بالأيمان المغلظة بأن يعطيه الأرض التي وعدها لأبيه إسحاق وجدّه إبراهيم.. أرض تفيض لبناً وعسلاً.. كما وعده أن يكثّر نسله حتى يكون أكثر من نجوم السماء، ومن رمل البحر، ومن تراب الأرض، وذلك في مقابل محرقة ولحم مشوي كثير قدّمه يعقوب للرب.

وعندما وصل يعقوب إلى أرض أخيه عيسو بعد عودته من عند خاله لابان أمر عبيده وزوجاته وجميع من معه أن يسجدوا لعيسو سبع مرات، ثم سجد هو لعيسو سبع مرات حسب زعمهم، وقدَّم لأخيه هدايا كثيرة جداً من الأغنام والأموال المسروقة من خاله لابان. واعتذر الشهم الكريم عيسو عن أخذ هذه الهدايا، ولكن يعقوب قال بمكر كما تزعم التوراة: «خذ هذه الهدايا من عبدك، لأجد نعمة في عيني سيدي... لأني رأيتُ وجهك كما رأيت الله، فرضيت عليّ. خذ بركتي التي آتي بها إليك...». (التكوين ٣٣ : ١ ـ ١٢).

ثم تزعم التوراة بعد ذلك أن يعقوب صارع الله نفسه طوال الليل فلم يقدر أن ينتصر عليه، فلما طلع النهار قال الرب ليعقوب، : «أطلقني»، فقال يعقوب:

لا أطلقك حتى تباركني. فباركه الرب «وسأله ما اسمك، فقال: يعقوب. فقال الـرب: لا يُـدعى اسمك فيمـا بعد يعقـوب بل إسـرائيل، لأنـك جاهـدت مـع الله وقـدرت». (التكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣٢).

وهكذا تتناقض التـوراة المحرفـة، فتارة تصف يعقـوب بالضعف الجسماني، مـع المكر والحيلة والدهاء، والكذب والغش والخداع، والمداهنة والرياء والملق، إلى حد العبـادة والسجود لأخيـه سبـع مرات، ولـدرجة أن يقـول له إذا رأيتـك فقد رأيت وجـه الله!! ثم في لحظة تزعم أنه قوي جبار لدرجة أن الله نفسه لم يستطِـع أن يتغلب عليه، وأنه أخذ البركة عنوة من الله!!! (أعوذ بالله من هذا الكلام).

الأسباط (بنو إسرائيل)

وقـد ولد ليعقـوب اثنا عشـر ابناً من زوجتيه ليئة وراحيـل وجارتيهمـا زلفة وبلهـة كالتالي:

أعقب من ليئة ستة هم: راؤبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يسّاكر، زبولون.

وأعقب من زلفة جارية ليئة اثنين هما: جاد، وأشير.

وأعقب من زوجته راحيل اثنين هما: يوسف وبنيامين.

وأعقب من بلهة جارية راحيل اثنين هما: دان ونفتالي.

وكل واحد من هؤلاء أعقب سبطاً من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر.

وقـد ذكرت التـوراة المحـرفـة فضـائـح تـزكم الأنـوف عن هؤلاء الاثني عشـر، فراؤبين زنى ببلهة سـرية أبيـه وأم إخوته في حياة أبيه يعقـوب، وسمـع بذلـك يعقوب وبلـغ الخبر.

ويهوذا الذي مدحه يعقوب مدحاً كثيراً تصفـه التوراة بـأنه قـد زنى بكنته (زوجـة ابنـه) ثمـارا، وأنجب منهـا فـارص وزارح. وفـارص هـو الجـد الأعلى حسب زعمهم لداوود. وداوود هو الجد الأعلى للمسيح الذي سيـظهر في آخـر الزمـان، وسيملك به بنو إسرائيل العالم ويحكمونه من عاصمتهم أورشليم (المسيح الدجّال).

ويوسف تزعم التوراة أنه رفض أن يعطي المصريين القمح إلاّ بعد أن أخذ حقولهم ومواشيهم، ثم اضطرهم لبيع أنفسهم لفرعون.

وينتهي سفر التكوين؛ بوصية يعقوب لأبنائه (الإصحاح ٤٩). فوصف أبناءه وضفاً قبيحاً، ما عدا يهوذا (الذي زنى فيما بعد بكنته)، ويوسف عليه السلام. وقال عن شمعون ولاوي: أخوان، آلات ظلم سيوفهما، في مجلسهما لا تدخل نفسي.. لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً (بريئاً) وفي رضاهما عقرا ثوراً.. دان، يكون دان حية على الطريق أفعواناً على السبيل، راؤبين، أنت بكري قوتي وأول قدرتي... لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنّسته (عندما زنى ببلهة)، على فراشي صعد، بنيامين، ذئب يفترس في الصباح، يأكل غنيمه، وعند المساء يقسّمُ نهباً... إلخ، ودينة ابنة يعقوب زنت مع شكيم بن حمور برضاها، ثم جاء الشاب يريد الزواج، وتظاهر يعقوب وبنوه بالقبول، ولكنهم اشترطوا أن يختتن شكيم وأبوه وقبيلته كلها.. وعندما كانوا متوجعين من الختان، أقبل أبناء يعقوب، فقتلوا كل من في القرية من الرجال، وأخذوا كل ما فيها من أموال، وأخذوا النساء سبايا. (التكوين الإصحاح ٣٤).

النزوح إلى مصر

تأتي قصة يوسف عليه السلام المعروفة في التوراة (سفر التكوين) وفي القرآن الكريم، ويضعُه إخوتُه في الجبِّ فتأتي سيارة فتأخذه، وتبيعه لعزيز مصر (رئيس الشرط)، وهناك يُبتلى بجماله، وبحبِّ امرأة العزيز له حتى يقول: «ربِّ السجنُ أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه»، فيدخل السجن.. وفي السجن ساقي الملك وخبازه.. ويفسر لهما يوسف عليه السلام حلمهما، وينجو الساقي، ولكنه لا يذكر يوسف إلا بعدما رأى الملك حلماً انزعج له، لم يستطِع أحدٌ أن يفسّره له.. واستطاع يوسف عليه السلام، بما آتاه الله من تعبير الرؤيا أن يعبر هذا الحلم، وأن ينقذ مصر وشعب مصر والشعوب المجاورة من القحط الشديد الذي أصابها.

وفي فترة القحط، أقبل إخوته فعرفهم وهم له منكرون.. ثم انتهت القصة بمجيء يعقوب وبنيه. وجميع من معه وكانوا سبعين شخصاً، فدخلوا مصر آمنين مكرمين، وذلك في عهد الهكسوس في القرن السابع عشر قبل الميلاد.

وكان الهكسوس قد دخلوا مصر في حدود سنة (١٧٣٠) قبل الميلاد وهم من العرب البدو، ولم يُطرد الهكسوس إلا عام (١٥٨٠) قبل الميلاد على يد الملك أحمس.

فلما طُرد الهكسوس ساءت حال بني إسرائيل، وبدأوا يلاقون عنتاً شديداً من المصريين، نتيجة ارتباطهم بالحاكم الغريب. وازداد هذا العنت والظلم في عهد رمسيس الثاني الذي تتفق معظم المصادر على أنه فرعون الاضطهاد، والذي أمر بقتل الأطفال الذكور واستحياء الإناث، واستعباد بني إسرائيل وجعلهم يعملون في أعمال السخرة الشديدة، حتى مات منهم الآلاف. وقد عاش رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وحكم مصر من سنة (١٣٠٤) إلى (١٢٣٧) قبل الميلاد.



موسى وهارون (عليهما السلام)

ولـد موسى عليـه السلام في زمن الاضـطهاد في أيـام رمسيس الثاني (١٣٠٤ ــ ١٢٣٧ق.م)، وقيل في أيام سيتي الأول الـذي حكم مصر في الفتـرة ١٣١٨ ــ ١٣٠٤ قبل الميلاد، كما تذكره دائرة المعارف البريطانية. وتذكر التوراة أن عمـرام (عمـران)، والد موسى تزوج عمته يوكابيد، فولدت له هارون وهو يكبر موسى بثـلاث سنوات، ثم مـوسى عليهمـا السـلام (الخـروج ٦ : ٢٠)، وينتسب عمـــران وزوجتـه إلى بيت لاوي ابن يعقوب.

وتـأتي قصة ولادتـه في القرآن الكـريم والتوراة متشـابهة مـع وجـود اختـلافـات محـدودة. حيث تضعه أمـه في النهر بعـد أن خافت عليـه، وذلـك بـأمـر الله سبحـانـه وتعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ

نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

وينمـو موسى في بيت فـرعون قـوياً في جسمـه، قوياً في شخصيتـه، نبيـلاً في أخـلاقه. . ورأى ذات يـوم رجلان يختصمـان ويقتتلان أحـدهما من شيعتـه والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الذي من شيعته على عدوه، فـوكزه مـوسى فقضى عليه. ويتكـرر الموقف في اليوم التالي، فلما أراد موسى أن يبطش بالعدو خـاف الإسرائيلي وظن أن موسى يريد قتله، فقال:

﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

وأدرك المصري أن موسى هو الذي قتل بالأمس رجـلاً مصريـاً. . وتجمـع الملأ يأتمرون بموسى ليقتلوه. فجاءه رجل يسعى من أقصى المدينـة يخبره بـذلك وينصحـه بالخروج من مصر، ﴿فخرج منها خائفاً يترقب، قال ربِّ نجني من القوم الظالمين﴾.

وتوجه إلى مدين، وهناك تزوج بابنة يثرون (كـاهن مدين)، وكـان مهر الفتـاة أن يخدم موسى عليه السلام حميَّهُ ثمان حجـج، فـإن أتم عشراً فمن كـرمه. فلمـا قضى موسى الأجل سار بأهله إلى مصر، وفي الطريق في سينـاء في جبل الـطور آنس موسى ناراً، وكلَّمهُ ربه وأرسله إلى فرعون الجبار كي يطلق بني إسرائيل، وأعطاه آيتي العصـا واليد. . وطـلب موسى من ربه أن يرسل معه أخاه هارون ليشد عضده، ويكون ردءاً له ولساناً وعوناً، فأجاب الله طلبه بكرمه ومنّه.

واستكبر فرعون هو وجنوده في الأرض وزاد بغيه، ورفض الآيات المتتاليات التي جاء بها موسى، وخرج موسى وقومه من مصر فارين بدينهم فأتبعهم فرعون عَدْواً وبَغْيـاً وفرعون هذا غير فرعون الاضطهاد ويسمونه فرعون الخروج، وهو مـرنبتاح أو منفتـاح.

---

(١) سورة القصص: آيات ٧ ــ ١٣.

(٢) سورة القصص: آية ١٩.

وقد جاء في لوح عثر عليه في طيبة أن منفتاح هذا، أباد بني إسرائيل واستأصلهم. وهو مخالف لما جاء في القرآن حيث ذكر أن الله أغرقه في اليم، ونجّا موسى ومن معه. ولكن قوم موسى ما كادوا يخرجون من مصر حتى رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم، فطلبوا من موسى: أن يجعل لهم إلّهاً كما لهؤلاء الأقوام، فأنكر عليهم موسى ذلك ووبّخهم.

ولما ذهب موسى للقاء ربه عبد بنو إسرائيل العجل، وتزعم التوراة المحرفة: أن هارون هو الذي صنع لهم العجل وأمرهم بعبادته، وحاشا لهارون أن يفعل ذلك. وقد أوردت التوراة أشياء كثيرة لا يقبلها العقل، ومن ذلك أن موسى قام يجادل الرب، وأن الرب غضب عليه، وقرر لذلك أن يقتل ابن موسى البكر فنزل بنفسه، ووجد الرب ـ حسب زعمهم ـ الطفل في الطريق، وطلب أن يقتله «فأخذت صفورة (امرأة موسى وأم الغلام) صوّانة، وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه (أي رجلي الرب) وقالت: إنك عريس دم لي. فانفك الرب عنه (أي عن الغلام). حينئذ قالت: عريس دم من أجل الختان» (الخروج ٤: ٢٤ ـ ٢٦).

والتوراة مليئة بمثل هذا الغثاء والخرافات والأرقام المهولة عن بني إسرائيل. حيث تزعم: أنهم كانوا عند خروجهم أكثر من ستمائة ألف يصلحون لحمل السلاح، ما عدا النساء والأطفال والشيوخ.

والفترة بين دخول يعقوب وبنيه مصر، وخروجهم منها، تذكرها التوراة بأنها (٤٠٠) سنة، وفي موضع آخر (٤٣٠) سنة. وقد كان عدد بيت يعقوب بمن معهم عند الدخول، (سبعين) شخصاً، فكيف أصبحوا في هذه الفترة المحدودة ملايين عدة، مع ما حدث لهم من موت أثناء أعمال السخرة، ثم تذبيح الأبناء من قبل فرعون مصر.

بسبب هذه الخرافات والأساطير الكثيرة. اعتقد كثير من الباحثين الغربيين من اليهود والنصارى، أن كل ما ورد عن موسى هو أيضاً من الأساطير التي نسجتها خيالات الأحبار الذين كتبوا أسفار التوراة في عصور متأخرة.

وتذكر دائرة المعارف البريطانية[1]: (أن كثيراً من الباحثين المشهورين ومنهم

---

(١) ١٢/٤٨٧، الطبعة ١٥، عام ١٩٨٢م.

مارتن نورث يرون أن شخصية موسى المذكورة في التوراة، هي من صنع مؤلفي التوراة الذين كتبوها بعد مضي مئات السنين من وفاة موسى المزعوم، وتقول دائرة المعارف البريطانية: (ربما كان موسى شخصاً حقيقياً، ولكنه شخصية بسيطة من موآب (في الأردن)، وليس من بني إسرائيل، وكل الأحداث التي تلصق به هي من صنع الأساطير التي تجمعت في الحُقب التي تكوّن فيها شعب يدعى إسرائيل.

وقد زعم فرويد عالم النفس اليهودي المشهور بأن موسى لم يكن من بني إسرائيل، وإنما كان من الفراعنة واستدل على ذلك: بأن اسم موسى غير معروف لدى العبرانيين والساميين ويزعم أن كلمة «مُس» المصرية تعني كلمة الابن، فهناك «تحوتمس» (أي ابن الإلّه تحوت)، و«رعمس» ابن الإلّه رع. وموسى رجل مصري نشأ في قصر فرعون وحاشيته، وقام بحملة ناجحة في الحبشة بأمر من فرعون وتزوج أميرة حبشية، ثم عاد إلى مصر وقام بانقلاب عسكري فاشل ضد فرعون، وسبب انقلابه أن موسى كان يدعو إلى عقيدة أخناتون، الذي كان يدعو إلى عبادة الإلّه الواحد المتمثل في الشمس).

وقد اصطدم موسى برمسيس الثاني فرعون مصر، لاختلاف العقيدة بينهما، حيث كان موسى يدعو إلى عبادة الإلّه الواحد المتمثل في الشمس!! بينما يدعو فرعون إلى آلهة كثيرة لم ينسّ معها نفسه.

وقد انضم إلى موسى بقايا الهكسوس والعابيرو (العبرانيين)، وهم مجموعة من البدو الساميين الذين قطنوا مصر، أو جيء بهم كأسرى وعبيد الذين كانوا مضطهدين، وكان مع موسى سبعين من المصريين جعلهم شيوخاً ورؤساء، لهذا الفريق المتنافر عند هروبه من مصر..

وقد استند فرويد إلى ما قاله المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي مات سنة مائة بعد الميلاد، والتي ذكر فيها أن موسى كان قائداً بالجيش المصري خلال الحملة على الحبشة، وأنه تزوج من أميرة حبشية في هذه الأثناء[1].

---

(١) نقلاً عن د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان، اليهودية، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م، مكتبة النهضة، القاهرة: ص ٦٦.

ويذكر جارودي في كتابه «إسرائيل الصهيونية السياسية»: أنه لا يوجد سند تاريخي لوجود شخصية موسى، كما لا يوجد أي سند تاريخي لوجود إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط: ويعتبر جارودي: أن ما ورد عن هؤلاء الأنبياء هو من القصص الخلّاق والحاسم في بناء الإنسان والحياة.

ونحن بطبيعة الحال نرفض كل هذه التخرصات التي ليس لها من الحقيقة نصيب، وإن كنا نجد بعض العذر للمؤلفين الغربيين نتيجة الأساطير والخزعبلات التي أضافها الذين كتبوا أسفار التوراة في عصور متأخرة جداً عن عصر موسى عليه السلام، ولكنا لا نجد أي عذر لكاتب مسلم يقبل هذا الكلام.. كما أننا لا يمكن أن نقبل من شخص يدَّعي الإسلام أن يقول أن أمنوفيس الرابع[1] (أخناتون) هو أول موحِّد عرفته البشرية(١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ قبل الميلاد)، وهو قول للأسف قال به بعض الغربيين وتبعه دون تمحيص كثير من الكتاب المسلمين وخاصة من مصر العزيزة.. وأخناتون عابد للشمس ولم يكن عابداً لله تعالى. وعلى أية حال فإن آدم لا شك هو أول الموحِّدين من البشر، وكان بنوه من الموحدين، واستمروا على ذلك دهراً، ثم اجتالتهم الشياطين، فبعث الله لهم إدريس (أخنوخ)، وعادوا إلى التوحيد، ثم نكصوا على أعقابهم وعبدوا الأوثان، فبعث الله نوحاً عليه السلام وهكذا...

والأدهى من ذلك: أن نجد بعض الكتاب من المسلمين يشتم الأنبياء شتماً صريحاً اعتماداً على ما جاء في التوراة، فهو يتهم موسى عليه السلام بالقسوة، لأن التوراة المحرفة تزعم أن موسى أمر بذبح كل أنثى وكل طفل، وحاشا لموسى أن يفعل ذلك. وتزعم التوراة أن يوشع بن نون كان سفاحاً دموياً، أباد مدناً بأكملها مع نسائها وأطفالها وشيوخها وبهائمها، لم يترك نسمة حية، حرَّمها تحريماً... إلخ، فيأتي بعض الكتاب من المسلمين، ويشتم النبي يوشع بن نون عليه السلام. ويصفه بأقذع الأوصاف.

---

(١) أخناتون هو أمنوفيس الرابع امتاز بالشاعرية والرقة وعبادة الإلّه الواحد المتمثل في الشمس، وله أناشيد كثيرة تأثر بها مؤلف المزامير، وقد تزوج أخناتون أخته الجميلة نفرتيتي، وكان حكمه ضعيفاً، واختلف في مدة حكمه على قولين (١٣٦٤ ــ ١٣٤٧ق.م) أو(١٣٧٥ ــ ١٣٥٨) قبل الميلاد.

وتزعم التوراة: أن يعقوب كان كاذباً ومخادعاً ولصاً وقاتلاً ومجرماً، فيأتي هؤلاء الكتاب من المسلمين فيقذفون يعقوب عليه السلام بما هو منه براء، وهكذا في جميع الأنبياء والمرسلين. . .

وتجد من الكتاب العرب المسلمين، من يدافع دفاعاً مستميتاً عن فرعون وقومه، ويدَّعي أن بني إسرائيل هم المجرمون، وأن ما فعله بهم فرعون هو عين الحق والصواب والعدل، بل إنهم يستحقون أكثر من ذلك لولا رأفة فرعون ورحمته ورقته!!.

ولا شك أن من يفعل ذلك سيحشر يوم القيامة مع فرعون وقومه، فأوردهم النار وبئس الوِرد المورود.

زمن الخروج:

يصعب تحديد زمن الخروج من مصر، ولكن المصادر التاريخية تشير إلى أنه قد حدث في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتحدده بعض المصادر بعام (١٢١٣) وبعضها بعام (١٢٣٧) وقد أتاهَ اللَّهُ بني إسرائيل في البرية أربعين عاماً بسبب فسقهم وعصيانهم وتمردهم على موسى عليه السلام، ونكوصهم عن قتال أعدائهم، ودخول القرية المقدسة التي كتب الله لهم. . . وقالوا لموسى: (إن فيها قوماً جبارين، فاذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون). وقد وصف الله تعالى هذا الموقف المخزي لبني إسرائيل في سورة المائدة فقال عزَّ من قائل:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ

﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[1].

وقد يعترض معترض بأنه لم يكن في بني إسرائيل أنبياء سوى موسى وهارون، ولم يكن فيهم ملوكاً قبل زمن موسى، بل كانوا أذلاء مهانين في أرض مصر.. والاعتراض مردود فقد كان يعقوب ويوسف عليهما السلام نبيين بلا خلاف، وكان أبناؤه من الأنبياء على قول.. وتولى يوسف حكم مصر، وكان مركز بني إسرائيل في زمن الهكسوس مرموقاً كأنهم ملوك.. ثم إن القرآن الكريم يتحدث عما سيحدث لهم فقد ظهر فيهم أنبياء عديدون، كما ظهر منهم ملوك كثيرون، أولهم شاول (طالوت) ثم داوود ثم سليمان عليهما السلام، وقد بلغت المملكة أوج مجدها في أيام سليمان.

وأما الرجلان اللذان كانا يخافان الله، واللذان حثّا بني إسرائيل على الجهاد والقتال، فهما (يوشع بن نون) عليه السلام وهو تلميذ موسى وخليفته من بعده و(كالب بن يفنه).. وكلاهما عاش حتى قاد عمليات الفتح في أرض كنعان.

ويتحدث المؤرخون من الغربيين من يهود ونصارى، عن فترة الخروج هذه بأنها هي التي تكوَّن فيها شعب إسرائيل. وأن هذا الشعب تكوَّن من عناصر كثيرة جداً من القبائل الساميَّة المختلفة التي لم يكن يجمعها سوى الهروب من بطش فرعون في مصر، ثم انضمت إليهم قبائل أخرى من مديان وأدوم والآراميين في أثناء فترة ما يسمى بالتيه.. وفي هذه الفترة الزمنية التي تحددها المصادر الدينية بأربعين سنة، تكوَّن شعب من مختلف القبائل السامية، مع بعض العناصر المصرية، الهاربة من فرعون، والتي كانت تدين بعقيدة أخناتون.. وكان على رأس هذه المجموعة موسى، الذي يزعم بعضهم، أنه قائد فرعوني ومعه سبعون رجلاً من المصريين الذين تبعوه على ملة أخناتون فجعلهم رؤساء لهذا الشعب.

---

(١) سورة المائدة: الآيات (٢٠ ــ ٢٦).

«وبدأ التفاعل والاحتكاك والاتصال الوثيق يؤدي إلى تكوين شعب جديد، ظهر على مسرح الأحداث في حدود سنة (١٢٠٠) قبل الميلاد.. وبدأت بعض قبائله تكوِّن أحلافاً فيما بينها، وتغزو المناطق المجاورة من أرض الأردن وفلسطين. كما أن هذه القبائل بدأت رويداً رويداً تصوغ لها ديناً متأثراً بديانات الشرق القديم، وخاصة الديانات المصرية والبابلية والآشورية والكنعانية.. وجعلت هذه المجموعة لها إلّهاً خاصاً. هو (يهوه). ثم تطورت هذه الديانة مع مرور الأيام.. وصاغت لها كتباً وأسفاراً مختلفة بعد أن مرت بفترة طويلة من تناقلها شفوياً والإضافة إليها والتحوير فيها..».

«وقد صاغت هذه المجموعة لغتها التي عرفت باسم اللغة العبرية من اللهجات المختلفة، وتعلمت الكتابة من الكنعانيين».

ويقول شارحوا الكتاب المقدس (الترجمة الفرنسية المسكونية) والتي نشرتها الرهبانية اليسوعية (بيروت): «أسفار الكتاب المقدس هو عمل مؤلفين ومحررين، ظل عدد كبير منهم مجهولاً لكنهم على كل حال لم يكونوا منفردين لأن الشعب كان يساندهم.. معظم عملهم (مستوحى) من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب **وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات. وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية**».

ويذكر شارحوا الكتاب المقدس من كبار علماء اللاهوت المسيحيين أن الحضارات الموجودة في شعوب الشرق القديم قد أثرت تأثيراً عميقاً في أولئك الذين قاموا بكتابة أسفار التوراة والعهد القديم. وعندما يتحدثون عن أهم مراحل تكوّن هذا الشعب المعروف باسم بني إسرائيل أو العبرانيين أو اليهود يقولون: «يتعذر علينا حصر أصل إسرائيل (أي بني إسرائيل). وهذا شأن معظم الشعوب، فقد سبقت دخول إسرائيل في التاريخ حوالي سنة (١٢٠٠) قبل المسيح (سنة الخروج من مصر تقريباً) حقبة تكوين طويلة (ثمانية قرون أو تسعة) تكاد تخفى كلها على المؤرخين».

وهكذا أصبح علماء الدين من اليهود والنصارى يشككون في قصة إبراهيم

وإسحاق ويعقوب.. ويذكرون أن شعب إسرائيل لم يتكـون من أبناء يعقـوب وأحفاده، فهذه أسطورة لا أصل لها من الواقـع. بل تكوَّن هذا الشعب من اختـلاط قبائـل ساميـة عـديدة مهـاجرة من مصـر بسبب الاضطهـاد، ثم انضمت إليها قبـائل أخـرى في فتـرة مـا يعرف في الكتب المقدسة باسم مرحلة التيه.

وينكر هؤلاء العلماء، أن التوراة أنزلت على مـوسى من السماء. بـل ينكرون أن موسى كتبها. ويقـولون: (أن هـذه الأسفار قـد صيغت على مدى ألف عـام، وأن هذه الصياغات المختلفـة التي شارك فيهـا مؤلفون عـديدون، بـل الشعب بأكمله. لم تؤلف في وقت واحد ولا على يد رجل واحد، وإنما كتبت وصُنِّفت وجمعت على مدى عشرة قرون.. ولهذا فإن فيها ثقافة وأساطير هذه القرون الطويلة، وآثار الشعوب الكثيرة التي أسهمت في صياغة هذا الكتاب المقدس المعروف باسم التوراة.

وفي فصـول قادمـة سنتحدث عن الكتـاب المقدس وبـالذات عن العهـد القديم بتقسيماته المختلفة: التوراة وأسفار التاريـخ وأسفـار الأنبياء وأسفـار الشعر والحكمـة، والأسفار المشكوك فيها (أبو كرينيا). أمـا الآن فسنواصـل السرد التـاريخي بإيجـاز لهذا الشعب المتمرد العنيد الصلب الرقبة كما وصفه الإنجيل.



يشوع (عليه السلام)

(١٢٦٧ ـ ١١٥٧ قبل الميلاد)

يشوع بن نون هو تلميذ موسى وخليفته من بعده. وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل بل هو أول نبي بعد وفاة موسى عليه السلام. وقد قام يشوع بأمرٍ من موسى بافتتاح بعض الأراضي الكنعانية. وقد قام يشوع بهذا العمل خلال القرن الثاني عشر، بعد أن مات موسى وهارون مغضوباً عليهما من الرب، حسبما تزعم التوراة. ومات موسى كمداً حسب زعمهم وهو يرى أرض كنعان دون أن يدخلها في جبل فغور وأما هارون فقد مات في جبل هور. وكلاهما لا يعرف له قبر.

ويبدأ سفر يشوع (١ : ١ ـ ٧) هكذا:

«كلَّم الرب يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات. قم اعبر هذا الأردن (أي نهر الأردن) أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم. **كل موضع قدم تدوسه أقدامكم، لكم أعطيته. من البرية ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أراضي الحيثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم لا يقف إنسان في وجهك»**.

ويعتبر سفر يشوع سفر المجازر، وتبدأ المذابح بمذبحة أريحا، وقد أرسل يشوع حسب زعمهم جاسوسين قبل الهجوم عليها. وكادا أن يقعا في الأسر لولا أن راحاب الزانية خبأتهما. . ولما هجم يشوع على أريحا **قال الرب حسب زعمهم: «فتكون المدينة وكل ما فيها محرَّماً للرب** (أي يباد إبادة). **راحاب الزانية فقط تحيا وكل من معها في البيت لأنها قد خبأت الجاسوسين. . وحرّموا** (أي أبادوا) **كل ما في**

المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. . وحلف يشوع في ذلك الوقت ملعون قدام الرب الذي يقوم ويبني هذه المدينة». (سفر يشوع الإصحاح الأول)

ويستمر السفر على هذا المنوال، مذابح ومجازر لا تنتهي. . والواقع أن يشوع عليه السلام بريء من هذه المجازر، لسببين:

الأول: أن الأنبياء لا يمكن أن يقوموا بهذه الأعمال الإجرامية الحقيرة.

والثاني: أن الحفريات أثبتت أن أريحا قد دمرت تماماً حوالي سنة (١٥٠٠) قبل الميلاد أي قبل دخول يشوع المزعوم إلى أريحا بثلاثمائة عام على الأقل. . وأن المدن الأخرى التي زعموا أن يشوع دمرها. كانت قد دمرت تماماً قبل عهد يشوع بثلاثمائة عام على الأقل. وذلك في أواخر العصر البرونزي المتوسط (١٥٥٠ قبل الميلاد).

والشيء ذاته يقال عن مذابح عاي ولخيش وعجلون وحبرون وجبعون ومقيدة. . وأباد يشوع ــ حسب زعمهم ــ كل سكان هذه المدن، لم يبقِ بها شارداً بل قتل كل نفس. . الطفل الرضيع مع الشيخ الفاني مع المرأة حتى البهائم لم تسلم ــ حسب زعمهم ــ من سيف يشوع. . وفي حاصور، كان يشوع رحيماً جداً حيث اكتفى بقتل كل نفس فيها، ولكنه لم يقتل البهائم التي أخذها غنيمة!! وبطبيعة الحال، قتل الأطفال والنساء والشيوخ، ثم أحرق حاصور بالنار ــ كما فعل بالمدن السابقة ــ أريحا وعاء ولخيش وعجلون. . . إلخ.

«وجاء يشوع وقرض العناقيين من الجبل من حبرون ودبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل. حرَّمهم (أي أبادهم) يشوع مع مدنهم فلم يتبق عناقيون في أرض إسرائيل لكن بقوا في غزة وأشدود. فأخذ يشوع كل الأرض حسب ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم. واستراحت الأرض من الخراب!!» (يشوع الإصحاح ١١).

وفي إسرائيل يدرّس سفر يشوع في المدارس الابتدائية. وقد قام أستاذ في جامعة تل أبيب بسؤال الطلبة عن موقفهم إذا قام الجيش الإسرائيلي بإبادة قرية أو مدينة

عربية كما فعل يشوع، فكان رأي الأغلبية الساحقة (أكثر من تسعين بالمئة) أنهم يوافقون على ذلك.

وقال يشوع لبني إسرائيل قبل موته: «قد بقيت أرض كثيرةٌ للامتلاك. هذه هي الأرض الباقية. كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشجور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً.. من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق تخم الأموريين وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة... إلخ». (يشوع ١٣ : ١ ــ ٦) (ومات يشوع بعد أن بلغ ١١٠ سنوات وذلك عام ١١٥٧ قبل الميلاد).

وقد اخترع أحبار يهود، هذه التلفيقات والاتهامات للأنبياء حتى يبيحوا لأنفسهم ارتكاب الجرائم والموبقات كلها. فإذا كان الأنبياء وهم صفوة خلق الله لصوصاً وكذبةً ومخادعين وجبناء وزناة وديوثين.. ويتذللون عند الضعف ويتجبرون ويطغون عند القوة ويقتلون النساء والأطفال والشيوخ والرضع بل ويبيدون البهائم باسم الرب، فإن ارتكاب هذه الموبقات يصبح حلالاً لهم بموجب العهود والمواثيق التي ربطها الله معهم وجعلهم فيها شعبه المختار.

ولا تزال هذه التبريرات التوراتية ــ للمذابح، والقتل، وسفك الدماء ــ يستخدمها زعماء يهود في إسرائيل (ولا فرق كما يقول بيجن بين الصهيوني واليهودي فكل يهودي صهيوني وكل صهيوني يهودي، وإن كان هناك عدد ضئيل جداً من اليهود لا يقرون بالفكر الصهيوني وهم من الندرة اليوم بحيث يعتبرون كأنهم غير موجودين).

يقول روجيه جارودي في كتابه «إسرائيل الصهيونية السياسية»:

«لهذا يظهر الحاخامات في إسرائيل حماساً جنونياً لتوسيع حدود إسرائيل ويبررون كل المغامرات العسكرية الدموية ومجازر صبرا وشاتيلا.. ولم يقتصر الحاخامات أثناء غزو لبنان على تشجيع الغزو ومباركته والسير في داخل الدبابات وهم يتلون التوراة المحرفة. وإنما قالوا: إن لبنان، هي أرض (عاشو) التي أعطاها الرب لإسرائيل. واعتبروا أن تدمير مدينتي صور وصيدا ودك بيروت بالقنابل ومجازر صبرا وشاتيلا هي عمل ديني يباركه الرب إله إسرائيل، حيث أمر الرب يشوع بن نون بإبادة

جميع الكنعانيين والشعوب الساكنة في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان. وأمره بأن لا يترك طفلاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأةً، وأن يبيد الكل، بل أمره بإبادة جميع البهائم الموجودة: «**أقتل أبيمالك (ملك الفلسطينيين). . أقتل الكل الرجال والنساء والأطفال والرضع والأبقار والخراف والجمال والحمير**». . .

«هذا التبرير التوراتي، للقتل والإبادة، وهذا الإضفاء للشرعية على العدوانات المتتالية، وضم أرض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية التي يقدمونها على أنها الوريث الشرعي، والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية، يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً. ويجعل كثيراً من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية وبصحة أقوال «مدارس الأحد» البروتستانتية، وهم يسيرون من غير وعي منهم على سنن الأسطورة الصهيونية (الموجودة في التوراة المحرفة) التي أثبت علم التفسير (والآثار المتعلقة بهذه المنطقة) منذ قرن، وبخاصة في السنين الأخيرة، عدم صحتها وفندها تفنيداً.

«ودلت الأسطورة هنا على قوتها في تعبئة الصهيونيين (أي اليهود) فنرى الحاخام «العازار والدمان» يكتب في جريدة «نكودة» في مقال عنوانه «قوة الإنجاز» فيأتي بالسند الديني لسياسة شارون وبيجن مبدياً ما يؤيد أشد المشروعات الإمبريالية جنوناً. ومفسراً لذلك باستشهادات من التوراة. وموضحاً أن إسرائيل أثبتت باحتلالها لبنان أنها قادرة على إحلال «عهد جديد» في الشرق الأوسط. بل تجاوز ذلك إلى القول: بأن هذا (الاحتلال) هو بدء خلاص العالم (أي بداية المسيح المنتظر حسب تعاليم العهد القديم والتلمود، حيث يعتقدون بمجيء مسيح في آخر الزمان، غير عيسى بن مريم الذي يصفونه بابن الزنا والكذاب، وأنه سيكون من نسل داوود وأن اليهود سيحكمون به العالم من عاصمتهم أورشليم).

ويستمر ـ روجيه جارودي ـ في تحليله القيم في كتابه الرائع «إسرائيل الصهيونية السياسية»[1] «وفي سبيل الدعوة لهذه الحدود المطاطة» يستشهدون بالتوراة

---

(١) لا يمنعنا ذلك من بعض الملاحظات عليه حيث ذكر أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط ليس لهم أي وجود تاريخي حقيقي. وإنما اعتبر ما ذكر عنهم من القصص الخلاق.

في اللحظة المناسبة، لتبرير ما يقومون به من عدوان، أو ما يضمونه من أراضي.

«فمذابح لبنان (صبرا وشاتيلا)، هي نتيجةٌ طبيعيةٌ منطقيةٌ وحتميةٌ، لإيديولوجيتهم وللأساطير التي يؤمنون بها (الموجودة فيما يسمى التوراة والعهد القديم).

«نعم لقد حدثت ــ من غير أدنى شك ــ التباسات خطيرة عندما دعا بيجن وأنصاره إلى الحرب المقدسة، بتأييد الحاخامات المتعصبين في الأحزاب السياسية واستشهدوا استشهاداً مغرضاً بالتوراة مستخدمين عبارات «الشعب المختار» و«أرض الميعاد» ليخدعوا اليهود والمسيحيين، وليبرروا انتهاكهم الدامي لحقوق الإنسان باسم حق إلّهي مزعوم».

وقام الحاخامات مؤخراً بتأييد ضرب الانتفاضة بقوة وطرد الفلسطينيين من الضفة الغربية واستشهدوا بأقوال كثيرة من التوراة والعهد القديم، واعتبروا أن ذلك عمل ديني يباركه الرب إلّه إسرائيل!!



عصـر القضـاة

(١١٥٧ ـ ١٠٢٠ قبل الميلاد)

توفي يوشـع بن نون عليه السلام في حدود ١١٥٧ قبـل الميلاد. وبـوفاة يـوشـع انقطعت القيادة الجماعية لبني إسرائيل وتفرقت الأسباط إلى مجموعات ترتبط بأحـلاف دفاعية واهية.

ويتحدث سفر القضاة، عن هذه الفتـرة، التي أعقبت وفاة يـوشـع بن نون، وهي فترة قلقة مضـطربة. . ضعفت فيهـا الأسباط، وغـزتهم القوات الكنعـانية والفلستينيـة. (الفلستينيون قوم أتوا من كريت ومـا حولهـا، واستقروا في سـواحل فلسـطين في حدود سنـة ١٢٠٠ قبل الميـلاد، وازدادت قوتهم، وامتـزجوا بـأهل البـلاد الكنعانيين امتـزاجاً تـامـاً. . ومن اسمهم أطلق على أرض كنعـان، اسم فلسـطين وعلى سكـانهـا اسم الفلسطينيين).

وفي هذه الفترة ارتدَّ بنو إسـرائيل عن عبـادة الله سبـع مرات عى الأقـل، وعبدوا فيها الأوثان مثل البعل (البعليم) وعشتاروت وملكوم والتراقيم وشيدوا لها المعابد وقدمـوا لها القرابين والنذور، لدرجة أنهم قدموا أبناءهم وبناتهم لهذه المعابد قرباناً لها.

وتقـول دائرة المعـارف البريـطانية[١]: «تـأثر اليهـود في هذه الفتـرة بـالكنعـانيين وأخذوا لغتهم وتعلموا منهم الكتابة كما تأثروا أيضاً بعقـائدهم الـوثنية، وعبـدوا آلهتهم العديدة».

---

(١) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢: ص ٨٧٩، الطبعة ١٥، ١٩٨٢م.

ولم يكن لإسرائيل في هـذه الفترة دولـة واحدة، بـل كانت لهـا دويلات صغيـرة مكوَّنة من تحالفات بين بعض الأسباط يرأسهـا قاضي أو كـاهن، وهو في نفس الـوقت القائد العسكري والحاكم العام.

وهناك خلاف في المدة التي حكم فيها القضاة، فقد جاء في هذا السفر أن ملك أرام غـزاهم واستعبـدهم ثمـاني سنين، ثم تخلَّصـوا من حكمـه، وبقـوا تحت حكم قضاتهم مدة أربعين سنـة، ثم استعبدهم ملك عجلون ١٨ سنـة، ثم خلصوا منـه وبقوا تحت حكم قضاتهم ٨٠ سنة، ثم استعبدهم ملك حاصور مدة ١٨ سنة، ثم أهل مدين والشرق ٧ سنوات. ثم جاء القاضي جـدعون وخلصهم من حكم المـديانيين وحكمهم مـدة أربعين سنة، ثم حكم أبيمـالك ثـلاث سنـوات، ثم قضى لهم (تـولـع) القـاضي ٢٣ سنة، و(يائين) القاضي ٢٢ سنة. ثم استعبـدهم العمونيـون ١٨ سنة، ثم أنقـذهم (يفتاح) وقضى لهم ٧ سنوات، ثم القـاضي (ابصان) ٧ سنـوات،(دايلون)١٠ سنوات، و(عبدون) ٨ سنوات. ثم استعبـدهم الفلسطينيـون ٤٠ سنـة. ومجمـوع هـذه السنـوات ٣٤٨.

والمعروف أن فترة حكم القضاة، لم تزد عن ١٤٠ عاماً، بل ربما أقل من ذلك. ولعل من أسباب هذا الاختلاف أن شخصاً ما كان يحكم في منطقة، وكان هناك قاضي آخر لسبط آخر من أسباط إسرائيل.

وعدد القضاة الكبار ستة، وهم:

١ ــ عتنيئيل بن قناز، هزم ملك سوريا (القضاة ٣: ٧ ــ ١١).

٢ ــ اهود بن جيرا، هزم المؤابيين (القضاة ٣: ١٢ ــ ٣٠).

٣ ــ باراق بن أبينوعم، واشتـركت معه (دبـورة) القاضيـة والنبية ــ حسب زعمهم ــ. وانتصر على (سيسرا الكنعاني) وفيه قصيدة دبورة (أنشـودة الحرب والنصـر) التي تترنم بها إسرائيل (القضاة ٤، ٥).

٤ ــ جدعون بن يواش، هزم المديانيين والعمـالقة (القضـاة ٦، ٧،٨)، وفيه امتحـان جدعون لله بحكاية الصوفة والطل حتى يتأكد أن الله سيشترك بنفسـه في المعركـة مـع إسرائيل!!

٥ ــ يفتاح الجلعادي، الذي حارب بني عمون (القضاة ١١ : ١ ــ ١٢) وانتصر عليهم ثم نفذ النذر الرهيب الذي نذره وهو حرق ابنته حيَّة!!

٦ ــ شمسون بن منوح الداني، الذي هزم الفلسطينيين ومارس الزنا بكثافة (القضاة ١٣ ــ ١٦).

والقضاة الصغار ستة أيضاً، وهم: شمجر بن عناه، وتولع بن فواه، ويائير الجلعادي، وابصان من بيت لحم، وايلون الزبولوني، وعبدون بن هليل الفرعتوني.

ويوضح سفر القضاة الانحطاط الأخلاقي الذي أصاب بني إسرائيل.. وعبادتهم للأوثان سبع مرات، في خلال فترة وجيزة من الزمان، لا تتجاوز (١٤٠) عاماً، بل أقل كما يقول المؤرخون. وتتكرر في هذا السفر عبارة: «**وفعل بنو إسرائيل الشرَّ في عيني الرب. وعبدوا البعلين (جمع بعل، وهو أحد آلهة الكنعانيين وبالذات في منطقة بعلبك في لبنان)، وتركوا الرب إلّه آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر. وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب. وعبدوا البعل وعشتاروت (نجمة الزهرة = ڤينوس) فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم**» (سفر القضاة ٢ : ١١ ــ ١٥).

ومع هذا فإن الرب، لمّا سمع أنينهم خلَّصهم وأقام لهم قضاة منهم. ولكنهم عادوا لعبادة الأوثان: «**وأقام الرب قُضاة فخلَّصوهم من ناهبيهم. ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعاً**». (القضاة ٢ : ١٦).

وللمرة الثانية، رحمهم الرب، بعد أن سمع أنينهم. وتزعم التوراة أنه ندم من أجل أنينهم. ولكنهم عادوا للمرة الثالثة لعبادة الأوثان «**وحينما أقام الرب لهم قضاة وخلَّصهم من أعدائهم كل أيام القاضي. لأن الرب ندم من أجل أنينهم.. وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها. لم يكفّوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية فحمى غضب الربُّ على إسرائيل**». (القضاة ٢ : ١٨ ــ ٢١).

ويتكرر ذلك الموقف مرات ومرات لدرجة أن يصاب الإنسان بالملل والرب

ـ حسب زعمهم ـ يندم في كل مرة على الشر الذي جلبه عليهم، لأنه سمع أنينهم «فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلّهم وعَبَدوا البعلين والسواري فحمي غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان ملك أرام النهرين. فعبد بنو إسرائيل كوشان ثماني سنين وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، فأقام الرب مخلصاً لبني إسرائيل».

«وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، بعد وفاة كل قاضي من قضاتهم. وبما أن لهم اثني عشر قاضياً على الأقل، فقد ارتدوا اثني عشر مرة أو أكثر.

«وكان بعد موت جدعون أن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم، وجعلوا لهم بعل بريث إلّهاً. ولم يذكر بنو إسرائيل الرب إلّهكم... إلخ». (القضاة ٨: ٣٣).

فسلَّط الله عليهم أعداءهم.. ولكن الرب ـ حسب زعم سفر القضاة ـ ندم للمرة الألف على الشر الذي أنزله بابنه البكر إسرائيل فخلَّصهم.. وهكذا يستمر السفر في نفس القصة.. بل قل هكذا تستمر جميع أسفار العهد القديم، يخلصهم الرب فيكفرون به ويعبدون الأوثان ويفجرون... إلخ، فيوقع بهم الرب في أيدي أعدائهم فيبكون ويصرخون للرب فيندم الرب على الشر الذي فعله بابنه البكر إسرائيل فينصرهم بل يشترك معهم في المعارك بنفسه. فإذا انتصروا عادوا إلى عبادة الأوثان. حلقة مفرغة ليس لها نهاية.



النبـي صموئيل (عليه السلام) وبداية عصر الملكية

(تعيين شاول ملكاً ١٠٢٠ ـ ١٠١٠ قبل الميلاد)

لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنّة المطهّرة، ذكر صموئيل صريحاً. ولكنه ورد في القرآن في سورة البقرة (الآية ٢٤٦ وما بعدها) مبهماً، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾.

وقال أهل التفسير إن النبي هو شمويل (صموئيل)، أي «سمع الله دعائي».. وقد ظهر صموئيل في آخر عصر القضاة. وكان الفساد قد استشرى في بني إسرائيل وعاد بنو إسرائيل لعبادة الأوثان.. وقام رجل منهم يسمى (ميخا) فصنع تمثالاً من الفضة، وجعل له كاهناً من اللاويين (لأن الكهانة لا تكون إلاّ في سبط لاوي بن يعقوب حسبما ذكرته أسفار موسى الخمسة)، وقام بنو إسرائيل بعبادة هذا الإلّه بالإضافة إلى الآلهة العديدة.. كما انتشر فيهم الزنا واللواط وخاصة في سبط بنيامين[1].

---

(١) انظر فصل: الزنا والفواحش في التوراة والعهد القديم لتفصيل قصة انتشار اللواط والزنا في هذا السبط خاصة وأنهم كانوا لا يتركون أحداً يمر بقريتهم إلاّ فعلوا فيه الفاحشة تماماً كما كان يفعل قوم لوط من قبل.

وكانت الفوضى ضاربة أطنابها «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل، كل واحد عمل ما حَسُنَ في عينيه»، كما يقول سفر القضاة.

وقد تولى (صموئيل) الكهانة والقضاء بعد الكاهن (عالي)، وبعد أن ظهر فساد بنو عالي فساداً كبيراً لدرجة أنهم كانوا يزنون داخل خيمة الاجتماع نفسها.. وكان صموئيل على درجة كبيرة من الصلاح والتقوى، ويكاد يكون الوحيد من بين الأنبياء الذين لم تلوِّث سيرتهم أسفار العهد القديم.. ولم تتهمه بارتكاب فاحشة أو ممالأة الحكام أو الغش أو الخداع.. وإن كانت قد اتهمته بأنه أَمَر شاول بأن يشن حرب إبادة كاملة على العماليق فيقتل النساء والأطفال.

وقد دعا صموئيل بني إسرائيل لقتال الفلسطينيين ولقائهم، فخرجوا واشتبكت الحرب وانكسر بنو إسرائيل، فأخذوا تابوت الرب في وسطهم لعلَّهم يُنصرون به كما كانوا ينصرون، فانهزموا أيضاً واستولى الفلسطينيون على تابوت الرب الجالس على الكروبيم!!

وضرب الربُّ الجالس في وسط التابوت ـ حسب زعمهم ـ الفلسطينيين بالبواسير والفئران. فقرر الفلسطينيون إعادة التابوت بعد أن بقي معهم سبعة أشهر وأرجعوه مع قربان الإثم وهو خمسة بواسير من الذهب وخمسة فئران من الذهب!! وأصعدوا التابوت على عجلة تجرها بقرتين وأرسلوه إلى بني إسرائيل في قرية (بيت شمس). وفرح أهل القرية بعودة تابوت الرب. ونظروا الله وجهاً لوجه ـ حسب زعمهم ـ فمات في ذلك اليوم خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً (صموئيل الأول: الإصحاح السادس).

واجتمع بنو إسرائيل في ذلك اليوم وناحوا وراء الرب! وكلمهم صموئيل قائلاً: «انزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم وأعدُّوا قلوبكم للرب واعبدوه. وحده، فينقذكم من يد الفلسطينيين» (صموئيل الأول ٧: ٣ ـ ٤) وقدم صموئيل اللحم المشوي للرب محرقة فسرَّ الربُّ جداً ـ حسب زعمهم ـ لأنه يحب اللحم المشوي جداً جداً. وعلى الفور قام الرب بضرب الفلسطينيين وانتصر بنو إسرائيل على الفلسطينيين.. والمدن التي أخذوها من إسرائيل عادت إليهم من عقرون إلى جت..

وذلك كله بعد أن تنسَّم الرب ــ حسب زعمهم ــ رائحة الخروف المشوي الذي قدمه صموئيل.

تعيين شاول ملكاً:

ولما شاخ (صموئيل) عيّن ولديه قضاة في مكانه.. ولكنهما كانا مثل أبناء عالي الكاهن السابق وأستاذ صموئيل، فاسدين، ومالا وراء المكسب وعوّجا القضاء وأخذا رشوة (صموئيل الأول ٨: ١ ــ ٦).

وناح صموئيل ــ حسب زعمهم ــ كالنساء وطلب بنو إسرائيل أن يكون لهم ملك فغضب صموئيل لذلك وكلمه الرب قائلاً: «إنهم لم يرفضوك بل إياي رفضوا، حتى لا أملك عليهم، ولكن الرب سيجعل لهم ملكاً يستبد بهم» (صموئيل الأول ٨: ١٠ ــ ١٩).

وأخيراً اختار لهم صموئيلُ شاولَ ملكاً ومسحه بالزيت المقدس.. وإذا بشاول يتنبأ مع المتنبئين حتى قيل: «أشاول أيضاً بين الأنبياء؟» وفرح الشعب بتعيين شاول ملكاً (صموئيل الأول ١٠: ١٧ ــ ٢٦). وتم ذلك التعيين في حدود سنة (١٠٢٠) قبل الميلاد.

وقام شاول بجمع الأسباط والخروج لحرب الفلسطينيين. فاختبأ بنو إسرائيل كعادتهم في المغارات والصخور والصروح والآبار وفرَّ بعضهم إلى الأردن وارتعد شاول وكل الشعب وراءه خوفاً وفرقاً من الفلسطينيين (صموئيل الأول ١٣: ٥ ــ ١٠).

وفرَّ شاول وجيشه من وجه الفلسطينيين... وأسرع يقدم اللحم المشوي والمحارق للرب حتى يرضى فيقوم الرب بالنيابة عنهم بقتال الفلسطينيين.. وكان صموئيل قد واعد شاول بأن يأتي ويقدم هو المحرقات. فلما علم أن شاول أسرع بتقديمها (الواقع أن صموئيل ــ حسب زعمهم ــ تأخر عن المجيء في الموعد) غضب جداً، وقال لشاول: «وأما الآن فمملكتك لا تدوم. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه وأمره أن يترأس على شعبه» وذلك لأن الرب، حسب زعمهم لا يُحبّ أن يأكل اللحم المشوي إلاَّ على يد صموئيل النبي.. ومن عادته أن لا يأكل اللحم المشوي إلاَّ مع الأنبياء أو الكهنة!!

وخرج الفلسطينيون وضربوا بني إسرائيل. . ولم يوجد في ذلك الزمان «صانع في كل أرض إسرائيل. . وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بين جميع الشعب ما عدا شاول وابنه يوناثان» (صموئيل الأول ١٣ : ١٦ ــ ٢٣). وهو أمر متناقض مع ما سبق من وفرة السلاح مع بني إسرائيل. ثم إذا صح ذلك فهو يدل على مستوى منخفض جداً لهذا الشعب الذي اختاره الله. ومع هذا لا يوجد فيه صانع لسيف أو رمح.

ثم انتصر شاول على بني موآب وبني عمون وأدوم والفلسطينيين (من أين جاء السلاح لبني إسرائيل؟). ثم عاد صموئيل وناقض كلامه السابق وأعلن أن الرب قد أرسله ليمسح شاول ملكاً مرة أخرى، وقال له: «**اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ما لهُ ولا تعفُ عنهم بل أقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، حملاً وحماراً**». (صموئيل الأول ١٥ : ١ ــ ٤).

وبعد فترة وجيزة جداً إذ بالرب يقول لصموئيل: «**ندمتُ على أني قد جعلت شاول ملكاً**» (صموئيل الأول ١٥ : ١٠).

وغضب الربُّ فجأة على شاول وأعلن أنه سيمزق مملكته دون سبب ظاهر.

وأصيب شاول بروح رديء من قبل الرب. وقام داوود بضرب العود ليسرّي عنه، فسُرَّ بذلك شاول. . .

بداية ظهور داوود:

واجتمع الفلسطينيون بجيوشهم وعلى رأسهم جليات (جالوت)، وطلب جالوت المبارزة، ففرق شاول وجميع من معه «لما سمع شاول وجميع إسرائيل كلام الفلسطيني هذا ارتاعوا وخافوا جداً (صموئيل الأول الإصحاح ١٧).

«وكان الفلسطيني يتقدم ويقف صباحاً ومساءً أربعين يوماً متحدياً طالباً المبارزة وجميع رجال إسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً» (صموئيل الأول ١٧ : ١٦ ــ ٢٤) وطلب داوود من الملك شاول أن يسمح له بمبارزة جليات (جالوت)، وأخيراً وافق شاول ولبس الشاب داوود عدة القتال ولكنه لم يستطع أن

يمشي بها لثقلها فخلفها عنه ولبس ثياب الرعي التي كان يلبسها وأخذ مقلاعه وخرج للقاء جليات.. ودهش جليات لهذا الغلام يخرج لمبارزته وليس معه سيف ولا رمح وسخر منه وطلب منه أن يعود إلى أهله ولكن داوود أخذ حجراً ووضعه في مقلاعه ورمى جليات فخر جليات صريعاً وتقدم داوود وأخذ سيف جليات واحتزَّ رأسه.. وامتلأ الفلسطينيون بالرعب وهُزموا شر هزيمة.

وهناك تناقضات كثيرة في سفر صموئيل حول هذه الحادثة ذكرنا بعضاً منها في فصل النبي صموئيل (عليه السلام) في الجزء الثاني من هذا الكتاب فلا داعي لإعادتها هنا.

وحقد شاول على داوود بزعمهم وبدأت المعارك والمؤامرات بين داوود وشاول حسب زعم مؤلف سفر صموئيل الأول والثاني...

...ويقال في السفر المذكور: إن شاول أصيب بروح شريرة فأخذ يستعين بالجن والسحرة لتخليصه من ورطاته. ثم ذهب شاول إلى قبر صموئيل وأصعده من قبره ليخبره عن حاله، فظهرت روح صموئيل وعنفت شاول جداً وأخبرته أن الرب قد تخلى عنه وأخذ جانب داوود.. وحارب شاول الفلسطينيين فانهزم.

وفي نهاية المعركة قرر أن ينتحر بدلاً من أن يقتله الفلسطينيون وفي موضع آخر من الكتاب المذكور يقال إن شاول قُتل ولم ينتحر. وقد تمَّ ذلك سنة (١٠١٠) قبل الميلاد.

وهكذا انتهت حياة أول ملك في تاريخ بني إسرائيل، نهاية محزنة حقاً.

* * *

داوود (عليه السلام)

(١٠١٠ ـ ٩٦١ قبل الميلاد)

عندما غضب صموئيل على شاول لأنه قدَّم المحارق واللحم المشوي للرب بدون حضوره الشخصي أعلن له أنه قد عيّن باسم الرب رجلاً آخر سيكون ملكاً على إسرائيل. وأنذره بنهاية مملكته. «وأما الآن فمملكتك لا تقوم، قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه» وأعلن الربُّ لصموئيل أنه ندم جداً على تعيين شاول ملكاً (صموئيل الأول ١٥ : ١٠ و٣٥).

وقام صموئيل بمسح داوود ملكاً. ومع هذا بقي الفتى داوود فترة طويلة قبل أن يصبح ملكاً بالفعل.. واستطاع داوود أول الأمر أن يتقرب إلى شاول بعد أن ضرب له بالعود وعزف له بالألحان فأذهب حزنه.. وعيّن شاولُ داوودَ في حرسه الخاص!! ثم يتناقض السفر فيزعم أن داوود كان راعياً صغيراً عندما قتل جليات، بعد أن ذكر: أن داوود كان ضمن حرس شاول كما يزعم أن شاول لم يكن يعرف داوود... إلخ. وقد ذكرنا ذلك في فصل النبي صموئيل وفصل النبي داوود عليه السلام في الجزء الثاني من الكتاب...

على أية حال، هرب داوود من شاول والتجأ إلى الفلسطينيين، فأكرمه الملك أخيش رغم أن داوود ــ حسب زعمهم ـ قتل مائتي فلسطيني غيلة، وجبَّ مذاكيرهم، وقدَّم هذه المذاكير مهراً لميكال بنت شاول مسيح الرب!!.

وتزعم أسفار العهد القديم (صموئيل الأول) أن داوود غدر بهؤلاء الفلسطينيين الكرام وأن داوود خدع الملك أخيش وكذب عليه وسفك الدماء «**وضرب داوود**

الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً» (صموئيل الأول ٢٧).

ومع هذا فقد ذهب داوود وزعم لملك جت (الملك أخيش)، أنه أغار على أرض سبط يهوذا. وقتل من بني سرائيل مقتلة عظيمة، فَسُرَّ الملكُ بذلك وانطلت عليه أكاذيب داوود وخداعه ـ حسب زعمهم ـ.

ويذكر السفر المذكور (صموئيل الأول) أن داوود استمر في خداعه، وكرر تلك القصة المفضوحة الساذجة مرات عديدة. وكان يقتل فيها من الفلسطينيين نساءً ورجالاً وأطفالاً وشيوخاً، ثم يذهب لملك الفلسطينيين ويكذب عليه قائلاً أنه قام بالإغارة على أسباط بني إسرائيل. . .

وعزم الملك أخيش أن يغير على بني إسرائيل بنفسه. . وتقدم رجال الملك أخيش وطلبوا منه أن لا يأتي معهم داوود لأنهم لا يأمنونه فطلب الملك من داوود أن يرجع وينصرف بسلام فقال داوود للملك: «فماذا عملتُ وماذا وجدتَ في عبدك من يوم صرت أمامك إلى اليوم حتى لا آتي وأحارب أعداء سيدي الملك (يا للنفاق) فأجاب أخيش وقال لداوود: علمتُ أنك صالح في عينيّ كملاك الله إلاّ أن رؤساء الفلسطينيين قالوا لا يصعد معنا إلى الحرب» (صموئيل الأول ٢٩ : ٦ ـ ٩).

وقام داوود بالهجوم على عماليق وقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ سوى أربعمائة شاب فروا من وجهه. .

وسمع داوود خبر انتحار (وفي موضع آخر قتل) شاول فتظاهر بالحزن، وأمسك داوود ثيابه ومزقها. وكذا فعل جميع الرجال الذين معه. وندبوا وبكوا وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوناثان ابنه (صموئيل الثاني : الإصحاح الأول).

وصعد داوود إلى منطقة يهوذا حيث مُسِحَ ملكاً على بيت يهوذا فقط ولم يعيّن ملكاً على كل أسباط بني إسرائيل. وقام رئيس الجيش بتعيين ايشبوشت بن شاول ملكاً على إسرائيل. وكان مقر داوود في حبرون ومقر ايشبوشت في إسرائيل، وقامت الحرب بين بيت شاول وبيت داوود. . .

واستطاع داوود ــ حسب زعمهم ــ بمكره وذكائه أن يستقطب أعداداً من الأنصار كل يوم، بينما كان الآخرون يتخلون عن إيشبوشت. واستمال داوود ابنير قائد جيش أيشبوشت وضمه إلى رجاله. ولكن قائد جيش داوود اغتاله انتقاماً لأخيه الذي قتله ابنير.

وقام بعض الرعاة باغتيال إيشبوشت عندما كان نائماً. . وتظاهر داوود، حسب زعمهم، بالحزن على فقدان ألدِّ أعدائه، وناح ومزَّق ثيابه وحثا على رأسه التراب. واستطاع داود بهذه الحيل حسب زعمهم، أن يستولي على قلوب بني إسرائيل، فنصبوه ملكاً عليهم، ثم قام بحرب إبادة للفلسطينيين، وقتل النساء والأطفال والشيوخ كالعادة.

وقام داوود ــ حسب زعمهم ــ بالرقص والغناء أمام التابوت الذي جلس فيه الرب. **«وكان داوود يرقص بكل قوته أمام الرب وأشرفت ميكال بنت شاول (زوجة داوود) من الكوة ورأت الملك داوود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته في قلبها، وقالت له: ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء»** (صموئيل الثاني الإصحاح السادس).

وقد وسع داوود رقعة مملكته لتشمل فلسطين والأردن وأجزاء من لبنان واستولى على أهم مدن فلسطين وهي (أورسالم) (أي مدينة سالم أو السلام) وسماها داوود أورشليم. وقد كان اسمها أيضاً مدينة يبوس نسبة إلى اليبوسيين ثم سماها الرومان إيليا. وسماها المسلمون بيت المقدس أو القدس.

ولم يترك مؤلف سفر صموئيل الأول والثاني جريمة من الجرائم إلاَّ وألصقها بداوود عليه السلام. ومن أفظع تلك الجرائم ما زعمه المؤلف من أن داوود رأى امرأة جاره عارية تستحم فوقع في غرامها. وكان جاره، أوريا الحثي قائداً في جيش داوود، قد ذهب للجهاد في سبيل الله، فاستغل داوود الفرصة ــ حسب زعمهم ــ وأمر بإحضار بتشبع زوجة أوريا وتأكد أنها ليست في الحيض، ثم دخل عليها وزنى بها!! وحملت المرأة. فلما علم داوود بذلك أرسل، حسب زعمهم، في طلب أوريا من جبهة القتال وتظاهر بأنه يريده من أجل معرفة سير المعارك. . وبعد أن انتهى من الكلام معه قال له: اذهب إلى بيتك، ولكن الرجل كان مثالياً، فقال لنفسه: كيف أذهب إلى أهلي

وبيتي وأتنعَّم بذلك كله، وجنودي في المعارك يصطلون، فنام مع الجند. . ولما علم داوود بذلك طلب منه مرة أخرى أن يذهب إلى منزله، ولكن الرجل رفض لأنه لا يريد أن يتنعم وجنده في العراء. . فلما يئس داوود كتب جواباً للقائد الأعلى للجيش وأمره بأن يجعل أوريا في وجه الأعداء، ثم يتخلوا عنه ليُقتل. وأرسل الجواب مع أوريا نفسه لأنه واثق من أن أوريا لن يفتح هذا الجواب، ويخون كما خان داوود ــ حسب زعمهم ــ وبالفعل تمَّ قتل أوريا بهذه الطريقة الوضيعة. وقام داوود بالزواج من بتشبع أرملة أوريا البطل. . وأنجبت له هذه المرأة (حسب زعم مؤلف السفر) سليمان عليه السلام» (سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١).

ولما استتب الأمر لداوود من كل الجهات قرر أن يبني بيتاً للرب «وقال الرب: **أنت تبني لي بيتاً لسكناي لأني لم أسكن في بيت منذ أن أصعدت بني سرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنتُ أسير في خيمة. . في كل ما سرت مع جميع بني إسرائيل هل تكلمت بكلمة واحدة إلى قضاة إسرائيل قائلاً: لماذا لم تبنوا لي بيتاً من الأرز»، وأعلن الرب أنه مسرور جداً من داوود لأنه يريد أن يبني له بيتاً يريحه من التجوال والمعيشة في الخيمة ينتقل مثلما ينتقل البدو الرعاة مع بني إسرائيل أينما انتقلوا ويحلّ معهم حيثما حلوا. . ولذا فقد أعلن الرب الإله بأنه سيثبت مملكة داوود إلى الأبد «هو يبني لي بيتاً وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. . ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد».**

وانتهت المقايضة ــ حسب زعمهم ــ بأن يبني داوود للرب بيتاً فاخراً ليسكن فيه الرب بعد طول تجوال وبالمقابل يجعل الرب مملكة داوود دائمة أبد الدهر، ويحكم بنو إسرائيل جميع شعوب الأرض بواسطة أبناء داوود إلى أبد الآبدين!!

وعندما قام داوود ــ حسب زعمهم ــ بالزنا بامرأة أوريا الحثي غضب عليه الرب وحدثت المشاكل في بيت داود نفسه فقام أمنون بن داوود بالزنا بأخته ثمارا (شقيقة أبشالوم) ولم يكتف بذلك، بل طردها بعد أن زنى بها. فغضبت وأخبرت شقيقها أبشالوم الذي قام بالانتقام من أمنون.

ثم ثار أبشالوم على أبيه، وزنى بعشر من سراري أبيه، وقامت الحرب بين داوود وابنه أبشالوم، وبعد مناورات قذرة استطاع داوود ـ حسب زعمهم ـ أن يقتل ابنه أبشالوم. وحزن داوود لموت ابنه أبشالوم حزناً شديداً ومزّق ثيابه وحثا التراب على رأسه (كالمعتاد). . . إلخ.

وقام داوود بعد ذلك بالهجوم على العمونيين (في منطقة عمّان بالأردن اليوم). وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، وكان وزنُه وزنة ذهب (أي قنطار) مع الأحجار الكريمة وأخرج غنيمة المدينة وأخذها. . ثم ويا للهول!! أخرج الشعب الذي فيها (بما فيهم النساء والأطفال والشيوخ والرضع)، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأحرقهم في أتون الآجر. وهكذا صنع (حسب زعمهم) بجميع مدن بني عمّون، ثم رجع داوود وجميع الشعب إلى أورشليم» (صموئيل الثاني ١٢: ٢٦ ـ ٣١).

إنها جرائم تتصاغر دونها جرائم جنكيز خان وهولاكو وهتلر وشارون وبيجن وشامير!! وحاشا لداوود عليه السلام أن يفعل شيئاً من ذلك.

ولم يمت داوود حتى أوصى بقتل مجموعة من الذين كان قد أقسم ألا يقتلهم (حسب زعمهم) ومنهم يوآب قائد جيش داوود والذي حقق له معظم انتصاراته، فقد أوصى داوود سليمان قائلاً له: «لا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية بل اقتله». وشمعي البنياميني الذي عفوتُ عنه. الآن لا تبرره وأحدِرْ شيبته بالدم إلى الهاوية» (سفر الملوك الأول الإصحاح الأول).

يا للهول!! لماذا كل هذا الحقد على جماعة أحسنوا طول عمرهم إلى داوود، وكان داوود نفسه قد عفا عن هفوة بدرت منهم، وأقسم لهم بأنه لن يمسهم بسوء فبرّ قسمه، وجعل ابنه سليمان يقوم بالمهمة بدلاً عنه!!

ما أفظع هؤلاء الذين قاموا بكتابة هذه الأسفار وأوقحهم وأجرأهم على الله وأنبيائه الأطهار.



النبي سليمان (عليه السلام)

(٩٦١ ـ ٩٢٢ قبل الميلاد)

تذكر دائرة المعارف البريطانية[1] أن فترة حكم سليمان (عليه السلام) امتدت حوالي أربعين عاماً وهي نفس الفترة تقريباً التي حكمها أبوه داوود (عليه السلام) بعد أن وحّد المملكة وقضى على بيت شاول، وهناك خلاف في تحديد السنوات في المصادر المختلفة حيث تجعل بعضها وفاة سليمان سنة (٩١٠) وبعضها سنة (٩٠٠) قبل الميلاد.

ولا شك أن تحديد أزمنة الأنبياء الأقدمين فيه خلاف كبير، ولكنها بصورة عامة تتفق في القرن الذي عاشوا فيه.

ومهما كان من أمر، فإن عصر سليمان عليه السلام كان أزهى العصور بالنسبة لبني إسرائيل وأنَّ مملكته نعمت بسلام ورخاء لم يسبق له نظير ولا أتى بعده مثيل.

ومع هذا فقد عبثت أسفار العهد القديم بسيرة سليمان عليه السلام، كما عبثت من قبل بسيرة أبيه، وبسيرة جميع الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

ويبدأ سفر الملوك الأول (الثالث عند الكاثوليك) بقصة شيخوخة داوود وكيف أتوا له بالفتاة الصغيرة والجميلة (أبيشج الشونميه) لتحضنه وتدفّيه «فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها» (الملوك الأول ١ : ٤).

وقام أدونيا بن داوود بتنصيب نفسه ملكاً بالاتفاق مع قائد الجيش يوآب

(١) ج ٢ : ص ٨٧٩ وما بعدها الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢.

فأخبروها الخبر. . وأسرع الثلاثة بالحركة لتنصيب سليمان ملكاً. وتم الأمر بالفعل دون إراقة دماء، واستسلم أدونيا لأخيه سليمان. ولكن سليمان قام بتصفيات جسدية ــ حسب زعمهم ــ فقتل أخاه (أدونيا) وقائد الجيش (يوآب) والكاهن (أبياثار) والقوم الذين أوصى داوود بقتلهم.

ويذكر سفر الملوك الأول: أن سليمان أصهر لعدد كبير من الأمراء والحكام المجاورين، ومنهم ملك مصر (شيشنق) وتزوج ــ حسب زعمهم ــ بسبعمائة فتاة وتسرى بثلاثمائة. . . وقام سليمان ببناء الهيكل، مسكن الرب، ليستريح فيه من التجوال ــ حسب زعمهم ــ. . ذلك المسكن الذي وعد داوود بإقامته للرب، ولكنه لم يقمه. . وأتى سليمان عليه السلام بالصناع والمهرة من كل المناطق المجاورة والأرز من لبنان. واستغرق بناء الهيكل سبع سنوات وقد تم ذلك سنة (٤٨٠) بعد الخروج من مصر[1] . وتوجه سليمان بالخطاب إلى الرب ــ حسب زعمهم ــ قائلاً: «إني قد بنيت لك بيت سُكنى، مكاناً لسكناك إلى الأبد» (الملوك الأول ٨: ١٣).

ثم قام سليمان ببناء قصر فخم استغرق بناؤه (١٣) عاماً. وفرض سليمان، حسب زعمهم، أعمال السخرة على بني إسرائيل فضلاً عن غيرهم من الأمم. . ويزعم السفر أن سليمان عبد الأوثان مع زوجاته.

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه. . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. . . فذهب سليمان وراء عشتروت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب. . حينئذ بنى سليمان مرتفعة (معبداً) لكموش رجس الموآبيين. . ولمولك رجس بني عمّون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كُنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الربُّ على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إلـه

(١) هكذا ذكرها سفر الملوك الأول. وبما أن الخروج من مصر قد حدث في حدود سنة ١٢٣٧ قبل الميلاد فإن ذلك يعني أن الهيكل قد تم بناؤه سنة ٧٥٧ قبل الميلاد، أي بعد وفاة سليمان بأكثر من ١٥٠ عاماً. وهذا الاضطراب كثير في أسفار العهد القديم.

إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب» (الملوك الأول ١١ : ١ ـ ١٢).

موت سليمان وانقسام المملكة:

«ولما مات سليمان وملَكَ ابنه رحبعام قام كل جماعة بني إسرائيل وقالوا له: إن أباك قسَّى نيرنا (أي اضطهدنا) وأما أنت، فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية، ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا نخدمك.. فأجاب الملك رحبعام الشعبَ بقساوة قائلاً: أبي ثقَّل نيركم وأنا أزيد على نيركم، أبي أدَّبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب» (الملوك الأول ١٢ : ٤ ـ ١٤).

وثار يربعام بن ناباط (من نسل افرايم بن يوسف عليه السلام) وكان عبداً لسليمان وتبعه عشرة أسباط من بني إسرائيل، وبنى لهم معبداً مماثلاً للهيكل في أورشليم وإن كان أقل روعة في البناء. وانقسمت بذلك مملكة داوود إلى مملكتين صغيرتين متحاربتين هما:

١ ـ **مملكة إسرائيل في الشمال** وعاصمتها السامرة أورشليم (نابلس حالياً)، ومعبدها على جبل جرزيم (افرايم) وقد بقيت هذه المملكة إلى أن حطمها الآشوريون سنة (٧٢٢) قبل الميلاد، وتتكون من عشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل.

٢ ـ **مملكة يهوذا** وهي مكونة من سبطي يهوذا وبنيامين وعاصمتها أورشليم وحكامها من نسل سليمان بن داود ومعبدها الهيكل الذي بناه سليمان (عليه السلام).. واستمرت إلى أن حطمها نبوخذ نصر (بختنصر) عام (٥٨٧) قبل الميلاد.

ويعتبر ويلز (Wells)[١] مملكة داوود في أقصى اتساعها كانت محدودة بفلسطين ما عدا منطقة غزة وعسقلان والساحل الجنوبي من فلسطين وشملت جزءاً من الضفة الشرقية لنهر الأردن (جزء من الأردن الحالية) وجزءاً من جنوب لبنان، ثم انكمشت هذه المملكة حسب قوله في أيام سليمان وخاصة في أواخر أيامه، وأصبح نهر الأردن هو الحد الفاصل بين مملكته ومملكة العمونيين والمؤابيين (أي أقل من حدود إسرائيل

(١) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية The Outline of History، ص ٢٨٦ وما بعدها كما ينقله عنه د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان، اليهودية: ص ٨٢ ـ ٨٤.

بن صرويه والكاهن أبياثار. وأسرع ناثان النبي وصادوق الكاهن إلى بتشبع أم سليمان الحالية لأن الحدود الحالية تشمل قطاع غزة بفرض سيطرتها عليها بينما كان الفلسطينيون في عهد سليمان لا يزالون مسيطرين على الساحل الجنوبي وقطاع غزة من فلسطين). ويزعم ويلز «أن سليمان لم يكن وهو في أوج مجده، إلّا ملكاً صغيراً تابعاً يحكم منطقة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق (أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين) على أورشليم ذاتها، ونهب معظم ما فيها من كنوز. ويقف كثير من النقاد، موقف المستريب، إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والأيام. وهم يقولون: إن الكبرياء القومي هو الذي دعاهم للإضافة والمبالغات.. التي وضعها الكتاب المتأخرون... والحق أنه إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو نبوخذ نصر.. فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهيّنات.. وكانت مملكة سليمان رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيا وترجع أهميتها في معظم أمرها إلى ضعف مصر الموقوت».

وهذا الكلام غير صحيح بالنسبة لنا نحن المسلمين لأن القرآن الكريم قرّر أن مُلك سليمان كان من القوة والعظمة ما جعله مضرب المثل. وبحيث تخضع له شعوب المنطقة بأسرها إلى اليمن (ملكة سبأ).

وامتاز حكم سليمان ــ بلا ريب، على نقيض ما تزعمه أسفار العهد القديم ــ، بالعدل وبدخول شعوب كثيرة في حكمه، وبدون تمييز خاص لليهود، وبإسلام مجموعات شتى وخدمتها في بلاط سليمان عليه السلام. كما امتاز حكمه بالتنظيم الإداري الدقيق.

والغريب حقاً أن المؤرخين الغربيين مثل ويلز ول ديورانت (قصة الحضارة) وغوستاف لوبون (اليهود في الحضارات الأولى) اعتبروا مملكة سليمان وهيكله لا قيمة لهما. وأن هذه الدولة لم تقم أصلاً إلّا نتيجة ضعف مؤقت للدولتين القويتين الآشورية في المشرق والمصرية في الجنوب الغربي.. ويتحدث هؤلاء عن هيكل سليمان فيقول ويلز: إننا لو استخرجنا أطوال معبد سليمان، لوجدنا أن في الإمكان وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي في المدن الكبيرة!!

ويتحدث غوستاف لوبون[1] فيقول: «إن هيكل سليمان المشهور والذي نُشر حوله الكثير من الأبحاث المملة لا يزيد عن بناء متواضع، أقيم على الطراز الآشوري المصري من قبل بنائين أجانب. . ولم تكن قصور سليمان سوى نسخ رديئة للقصور المصرية أو الآشورية».

ويختم ويلز[2] كلامه عن سليمان قائلاً: «وواضح مما تقصّه التوراة أن سليمان بدَّد ما يملك في المظاهر، وأنه أجهض شعبه بالعمل والضرائب».

ويدعي[3] (Weech) أن بذخ سليمان، وقسوته وكثرة زوجاته، والخلاف بين أولاده أدى إلى انقسام المملكة وزوالها.

وواضح جداً أن أسفار العهد القديم لوثت سيرة سليمان عليه السلام، واتهمته كذباً وبهتاناً بعبادة الأوثان، بالاستبداد والطغيان والترف والإسراف. . .

أما الكتّاب الغربيون فقد زادوا على ذلك اتهامات أخرى وتنبهوا إلى مبالغات أسفار العهد القديم فبالغوا هم في الإقلال من قيمة هذه المملكة وأنها كانت دويلة صغيرة ذات تأثير محدود جداً، على مجريات الأمور في المنطقة وأنها سرعان ما أصبحت تدور في فلك الدولتين الأعظم آشور ومصر. . .

وأن هيكلها وقصورها ليست إلَّا نسخاً رديئة من هياكل ومعابد وقصور مصر وآشور. . .

ويفرح الكتاب العرب للأسف الشديد بهذه الأقوال فيرددونها ويتهمون داوود وسليمان عليهما السلام بما هما منه براء. . . ويتعرضون بذلك لمقت الله وغضبه حيث يشتمون أنبياءه عليهم السلام.

* * *

---

(١) كتاب اليهود والحضارات الأولى: ص ٤٥، ٤٦ كما ينقله عنه د. أحمد شلبي في كتابه اليهود: ص ٨٥.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية: ص ٣٨٨ كما ينقله عنه د. أحمد شلبي المصدر السابق.

(٣) حضارات الشرق الأدنى: ص ٨٥ كما ينقله المصدر: ص ٨٦.

الدولة بعد عهد سليمان (عليه السلام)

تذكر كتب التاريخ وأسفار العهد القديم، أن دولة سليمان ضعفت وتقلصت في شيخوخته، وثار عليه عبده (يربعام بن نابـاط)، ولكن سليمان تمكّن من القضاء على هذه الثورة ففرَّ (يربعام) إلى (شيشنق) ملك مصر. فلمّا مات سليمان أرسل ملك مصر (يربعام) إلى فلسطين مع دعم مادي. . واستطاع (يربعام) أن يغري عشرة من أسباط بني إسرائيل بالانضمام إليه. وأقام دولة سماها دولة إسرائيل. وكانت عاصمتها السامرة (شكيم أو نابلس) وبنى اليهود معبداً لينافس الهيكل على جبل أفرايم (يسمى أيضاً جبل جرزيم)، وقام (رحبعام بن سليمان) بتكوين مملكة الجنوب يهوذا، المكونة من سبطي يهوذا وبنيامين. وتزعم أسفار العهد القديم أن (رحبعام) كان فظّاً غليظاً، وأنه تهدد شُيوخ بني إسرائيل عندما اشتكوا له من نير أبيه وظلمه (حسب زعمهم) وأدى استبداده ونيره إلى انضمام الأسباط العشرة (ليربعام بن نابـاط) وكانت عاصمة مملكة الجنوب (أورشليم) ومعبدها هو (هيكل سليمان).

ونتيجة التعاون بين يربعام، وشيشنق ملك مصر، قام هذا الأخير بالهجوم على مملكة يهوذا، وصعد إلى أورشليم، وأخذ خزائن الهيكل. . وهكذا فرض فرعون مصر شيشنق سيطرته الكاملة على مملكتي الشمال (إسرائيل) والجنوب (يهوذا).

وكانت دويلة إسرائيل أوسع رقعة من دويلة يهوذا، ولكن دويلة إسرائيل كانت أكثر اضطراباً بسبب كثرة الانقلابات الدموية بينما كانت يهوذا أكثر استقراراً وهدوءاً. . وقد ظل ملوك يهوذا من نسل سليمان بن داود عليهما السلام حتى انتهت هذه المملكة على يد (نبوخذ نصَّر) سنة (٥٨٧) قبل الميلاد.

بينما تقلب على عرش مملكة إسرائيل عدد من الأسر الحاكمة نتيجة انقلابات عسكرية دموية.. وحكم (١٩) ملكاً في كل دولة من هاتين الدولتين، رغم أن مملكة إسرائيل انتهت من الوجود سنة (٧٢٢) قبل الميلاد. بينما استمرت مملكة يهوذا إلى الغزو البابلي عام (٥٨٧) ق.م. وعُمّرت مملكة إسرائيل زهاء مائتي سنة. بينما استمرت مملكة يهوذا لمدة ٣٥٠ عاماً تقريباً.

الحروب بين المملكتين

يصف شاهين مكاريوس في كتابه تاريخ الإسرائيليين[1] هذه الحروب بقوله:

«وحدث بين المملكتين حروب ومنازعات كثيرة أثارها ما بين سلوكها من التنافس وعدم انتظام الملك في كليهما على اطراد، لكن أولئك الملوك كانوا في بعض الأحايين يتعاهدون ويسيرون معاً بجيوشهم إلى الحرب، على أن روح المنافسة لم يزل دأبها بينهم لأن ملوك إسرائيل كانوا يخشون أن ترتد رعاياهم عنهم إلى ملوك يهوذا، بذهابهم للعبادة في هيكل أورشليم، فاتخذ بعضهم جميع الوسائل لحملهم على طرح تلك العادة فكانوا تارة ينصبون لهم الأوثان ليعبدوها، وطوراً يمنعونهم عن تأدية فريضة العبادة جبراً، وهكذا تناثرت عرى الاتحاد والوئام بين الأسباط وازداد الشقاق، فكانت النتيجة ضعف المملكتين. وتغلّب الأعداء والغزاة عليهما الواحدة بعد الأخرى».

وانتشرت المفاسد وعبادة الأوثان في الدولتين. إلاّ أن المفاسد، كانت أشد ظهوراً في دولة إسرائيل في الشمال. وتعددت فيها الانقلابات العسكرية مما أدّى إلى إبادة أسر ملكية بكاملها. كما أن العاصمة السامرة أورشليم (وفي موقعها بنيت نابلس) تغيّرت عدة مرات، فكانت شكيم أولاً هي العاصمة، ثم انتقلت إلى ترصه، ثم شامر القريبة من شكيم والتي تقوم مكانتها اليوم قرية تسمى (سبسطية)، والتي جددها الرومان وأخذت اسمها منهم.

(١) شاهين مكاريوس تاريخ الإسرائيليين: ص ٣٠ كما ينقله عنه د. محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة: ص ٤٣.

وكـانت دولة يهـوذا أقل شـراً من دولة إسـرائيـل. حيث أتيـح لهـا بعض الملوك المصلحين.. وقد تاب الملك (حزقيا) على يد النبـي (أشعيا) وحطم المعابد الوثنيـة، وكان (أشعيا) المستشـار الخاص للملك (حزقيا).. كما ظهـر الملك يوشيـا (جوشيـا) الـذي تاب على يـد الكاهن حلقيـا (والد النبـي أرميـا).. وقام بـإلغاء عبـادة الأوثان، وتنفيذ أحكام الشريعة.

وتمتعت مملكة يهوذا بقدر أقل من الانقلابات العسكرية واستمـر فيها الملوك من نسل سليمان عليه السلام إلى أن حطمها (نبوخذ نصَّر) عام (٥٨٦) ق.م.

ويصف ويلز[1] ما حدث بعد وفاة سليمـان عليه السـلام ووفاة حليفـه ملك صور (جيـرام)، فيقول: «لم يتمتـع الشعب العبـراني بخفض العيش إلّا أمداً وجيـزاً، فمات جيرام (ملك صور) وانقطـع عون صور الذي كانت تقوى به أورشليم، ثم قويت شـوكة مصر ثانيـة، وأصبـح تاريـخ ملوك إسـرائيل وملوك يهـوذا تاريـخ ولايتين صغيـرتين بين شقـي الرحى، تعركهما على التوالي سوريا ثم بابل من الشمـال ومصر من الجنـوب، وهي قصة نكبات، وقصة تحررات لا تعود عليهـم إلّا بإرجاء نزول النكبة القاضيـة، هي **قصة ملوك همـج يحكمون شعبـاً من الهمـج حتى إذا وافت سنة (٧٢١) ق.م، محت يد الأسر الآشوري في عهد الملك سرجون الثاني، ملك آشور، مملكـة إسرائيـل من الـوجـود، وزال شعبهـا من التاريـخ زوالاً تـامـاً، وظلت مملكـة يهـوذا تكـافـح حتى أسقطها البابليون سنة (٥٨٦) ق.م.».**

ويقول ويش Weech[2] واصفاً هاتين الدولتين وحال اليهود فيهما: «**إن اليهود لم يكن لهم منفذ على البحر فالموانىء الشمـالية كـانت تحت سلطان الفينيقيين، وموانىء الجنوب كانت تابعة للفلسـطينيين، ومن ناحيـة الزمن لم تكن لهم قـوة إلّا خلال نصف قرن فقط. وحتى في تلك الأثناء كانوا محاطين بممالك أكثر قوة وأرقى مدنية**».

ويقـول ويلز[3]: «**لقد كـانت حياة العبرانيين بفلسطين وبخـاصة خـلال القـرون**

(١) History of the World, p:93 كما ينقله عنه د. أحمد شلبي في كتابه: اليهود: ص ٨٩.

(٢) حضارة الشرق الأدنى: ص ٨٢ كما ينقله المصدر السابق.

(٣) The Outline of History، ص ٢٨٨ نقلاً عن المصدر السابق.

الثلاثة الأخيرة أشبه بحياة رجل أصرَّ على الوقوف وسط ميدان صاخب فكان مصيره أن دهمته السيارات».

ولا شك أن الفترة الزمنية التي عاشها العبرانيون (بنو إسرائيل) في فلسطين منذ أن دخل يشوع أرض فلسطين إلى نهاية دولة يهوذا على يد (نبوخذ نصَّر) لم تزد عن خمسة قرون، وكانت من بدايتها إلى نهايتها مجرد حدث صغير على هامش أحداث تاريخ مصر وسوريا وآشور وفينيقيا.

وقد تميز عهد الملكية بالحروب المستمرة بين المملكتين إسرائيل ويهوذا أو بينهما وبين جيرانهما. . وقد خضعت هاتان المملكتان لتأثير حكم مصر القوي. وكانت في معظم الوقت تابعة من توابعها. . كما خضعتا أيضاً لحكم الآشوريين ودفعتا لها الجزية، وعندما حاولت مملكة إسرائيل الخروج عن طوقها، دمرها الآشوريون تدميراً كاملاً. . ثم ظهر البابليون بدل الآشوريين، وخضعت لهم الدولة الباقية، وهي يهوذا.

فلمّا تمرَّدت أورشليم، دمَّرها (نبوخذ نصَّر) تدميراً كاملاً ونهائياً سنة (٥٨٦) ق.م.

وكان ملوك إسرائيل ويهوذا، قد ارتدّوا عن دينهم، وعن عبادة الله، وعبدوا الأوثان والأرجاس. ويفرد سفر الملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الأول والثاني وأسفار الأنبياء. قصص هؤلاء الملوك واتِّباعَهم للأديان الوثنية الموجودة في المنطقة. وتأثروا جداً بثقافة الكنعانيين ولغتهم، وتعلموا منهم الكتابة، كما عبدوا آلهة الكنعانيين وخاصة البعليم (جمع بعل). . وأخذوا عن الآشوريين والصيدونيين والمصريين كثيراً من العبادات والطقوس والعادات. لدرجة أن سفر الأمثال المنسوب لداوود، يقول عنه الباحثون الغربيون: إنه منقول من أمثال امنموني المصري والمزمور (١٠٤) المنسوب لداوود مأخوذ: من نشيد أخناتون الكبير وقصص الخلق ونوح والطوفان مأخوذة: من قصة الإلـه مردوخ وقصة جلجامش والطوفان البابلية. . . إلخ.

أنبياء بني إسرائيل في المملكتين إسرائيل ويهوذا :

ظهر العديد من الأنبياء في كلٍّ من مملكة إسرائيل ومملكة الجنوب يهوذا. وحاولوا أن يردوا قومهم إلى عبادة الله وحده. . ولكن هؤلاء الأنبياء لقوا عنتاً شديداً وتكذيباً وتقتيلاً. وقد قتلت (إيزابيل) وحدها زوجة (آخاب) بن عمرى ملك إسرائيل مئات الأنبياء. . وكان في عهدها النبي إليا (الياس) الذي ندد بعبادة البعل. قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٢٥) ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (١٢٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾[1].

ويعتبر إليا من أعظم أنبياء بني إسرائيل وعاش في القرن التاسع قبل الميلاد وقد ذكرنا قصته في الجزء الثاني من هذا الكتاب في فصل «الأنبياء المتأخرون».

وظهر في مملكة الشمال (إسرائيل) النبيّان (عاموس وهوشع) في القرن الثامن قبل الميلاد وكلاهما شدَّد حملته على عبادة الأوثان والظلم الاجتماعي. وتنبأ بسقوط السامرة وشهد هوشع هذا السقوط سنة (٧٢٢) ق.م.

ومَلَكَ (أخزيا بن آخاب) بعد وفاة أبيه وسار على نهجه في عبادة الأوثان وخاصة البعليم وتولى بعد أخزيا (يهورام) الذي سار أيضاً في طريق الشر وعبادة الأوثان.

وظهر النبي اليشع (اليسع) تلميذ إيليا بعده ودعا قومه إلى عبادة الله، ولكن قومه لم يسمعوا له. وقد جاء ذكر اليسع في القرآن الكريم ضمن الأنبياء الكرام. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إسماعيلَ واليسعَ وذا الكفلِ. كُلٌّ مِنَ الأَخيارِ﴾ (ص/٤٨). وقال تعالى: ﴿وإسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطاً. وكلاًّ فضلنا على العالمين﴾. (الأنعام/٨٦). . وتنسب إلى اليشع وأستاذه إيليا معجزات كثيرة. ومنها إحياء الموتى.

---

(١) سورة الصافات: الآيات (١٢٣ ـ ١٣٢).

وعاش في زمن إيليا واليشع أنبياء كثيرون جداً، وقد قتلت (إيزابل) زوجة آخاب مئات منهم وفرّ من وجهها بمعونة أحد رجال آخاب مائة نبي. . ومن هؤلاء الأنبياء (ميخا بن يمله) الذي تنبأ لآخاب بأنه سيهزم في معركة راموت جلعاد.

وظهر في مملكة الجنوب يهوذا عدد من الأنبياء، نذكر منهم (أشعيا) وهو من أنبياء بني إسرائيل المشهورين. وقد عاصر أشعيا عدداً من ملوك يهوذا هم عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا. . وتاب حزقيا الملك على يد أشعيا، وأصبح أشعيا مستشاره. فلما مات حزقيا وتولى بعده الطاغية منسّي عابد الأوثان، نشر جسد أشعيا بالمنشار. وعاصر ميخا المورشتي، وهو أيضاً من أنبياء مملكة يهوذا، النبي أشعيا. وقد كتب سفراً من أسفار العهد القديم (سفر ميخا)،أو على الأقل ينسب إليه. وتضمّن السفر نبوءات عن خراب السامرة (عاصمة مملكة الشمال) وأورشليم (عاصمة مملكة الجنوب) وسبي اليهود كما تنبأ بخراب مدن الوثنيين وتنبأ بمجيء المسيح المنتظر. . ووبّخ ميخا بني إسرائيل على فجورهم وعلى عبادتهم الأوثان وعلى الظلم الاجتماعي والفساد الخلقي. وتحدث بمرارة عن «الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم. رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلّمون بالأجرة وأنبياؤها يعرفون (من العرافة) بالفضة. لذلك بسببكم تُفَلحُ صهيون كحقل وتصير أورشليم خراباً وجبل البيت شوامخ وعر».

ثم ظهر النبي (أرميا بن حلقيا) الكاهن الذي أظهر نسخة من كتاب الشريعة (التوراة)، وبالذات سفر (تثنية الاشتراع). وقد قام حلقيا بإقناع الملك جوشيا (٦٢٠ قبل الميلاد) بأن يتوب ويقلع عن عبادة الأوثان وأن ينفذ الشريعة.

وعاصر النبي أرميا الملك جوشيا (يوشيا)، وهو الذي تاب وقام بالإصلاح الديني، ثم يهوياقيم وصدقيا وقد ارتدا إلى عبادة الأوثان. . وتميز أرميا بنبؤاته التي ذكر فيها خراب أورشليم على يد البابليين. . وعندما دخل نبوخذ نصّر أورشليم كان أرميا في السجن بسبب نبؤاته، فأخرجه من السجن وخيّره بين الذهاب معه والبقاء في أورشليم بعد خرابها ففضل البقاء فيها.

وكتب أرميا سفره المشهور، بالإضافة إلى المراثي التي رثى فيها أورشليم بشعر رقيق. كما تنبأ أرميا بعودة بني إسرائيل من السبي من بابل على يد قورش،

وظهر (دانيال) أيضاً وكان معاصراً لأرميا. ولكن كان ضمن من سباهم نبوخذ نصَّر ولقي لـديه حظوة بعد أن فسَّر لـه حلماً غـامضاً. ويـذكر سفـر دانيال قصتـه مـع ملوك بابـل نبوخذ نصَّر وبيلشاصر ثم قصته مـع الملك الفارسي دارا.

وظهر (حزقيـال) أيضاً وهـو من أنبياء المنفى في بـابل وقـد تنبأ بسقـوط أورشليم وخرابها قبل حدوث ذلك بسبـع سنوات.

سقوط مملكتي إسرائيل (٧٢٢ ق.م) ويهوذا (٥٨٦ ق.م)

عنـدما ظهـر الفساد في مملكـة إسـرائيـل ومملكـة يهـوذا وعبـدوا الأوثـان وقتلوا الأنبياء. سلَّط الله عليهم أعداءهم فأذلوهم. وذلك منذ أن تكونت هاتان الدولتان.

١ ـ ففي عهـد رحبعام بن سليمـان (أول ملك على يهوذا)، ويـربعام بن نـابـاط (أول ملك على إسـرائيل) غـزا فرعـون مصـر شيشنق فلسـطين وصعـد إلى أورشليم، ونهب ما في الهيكل من ثروات وبسط سيطرته على دولة يهوذا ودولة إسرائيل.

٢ ـ في سنـة (٧٤٠) ق.م غزا ملك آشـور (تجلت فـلاسـر) دولة إسـرائيل فـدفـع له ملكها (ماحيم بن جاد) الجزية، وكان مقدارها ألف وزنة (أي قنطار) من الفضة.

٣ ـ في سنـة (٧٢٧) ق.م هجم (شلمناصـر) الثالث الآشـوري على مملكة إسـرائيل لأنها توقفت عن دفـع الجزية فخضـع ملكها (هوشـع بن أيله) وقـدَّم هدايـا ثمينة لملك آشور. ولكن لم يكد (شلمناصر) الثالث يعود إلى عاصمته نينوى حتى عاد الإسرائيليون إلى عصيانهم وتمردهم، فـزحف عليهم مرة ثـانية، وضـرب حصاراً شديداً حول السامرة عاصمتهم. ولكنه مات قبل أن يفتحها فَفُـكَّ الحصار ونجت السامرة مؤقتاً.

٤ ـ في سنة (٧٢١) ق.م قام خليفته (سرجون الثاني) بغزو دولة إسـرائيل وحـاصرهـا حصاراً شديداً، ثم دمرهـا تدميـراً كامـلاً، وأجلى سكانهـا وأتى بسكان آخـرين. وأقام على البلاد حاكماً آشورياً. . وانتهت بذلك دولة إسرائيل إلى الأبد.

٥ ـ وطَّد (اسرحدون بن سرجون الثاني) الآشوري سيطرتـه على سوريـا الكبرى بعـد وفاة أبيه، واضطرت مملكة يهوذا أن تسارع بـاسترضـائه ودفـع الجـزية والهـدايا.

وقـدم الملك منسّي (الطاغيـة الصغير والـذي نشر بـالمنشار النبـي أشعيـا) فروض الطاعة للملك الآشـوري. ثم حاول التمـرد والعصيان، فـانقض عليه اسرحـدون وهزمه وساقه مكبلاً في الأغلال إلى نينوي. وهناك تعهد بالولاء والخضوع فأعاده الملك الآشوري إلى عرشه في حدود سنة (٦٧٧) ق.م.

٦ ــ في عهد الملك (يوشيا) الذي قـام بإصـلاح ديني عام (٦٢٠) ق.م. وتـرك عبادة الأوثان ورجـع إلى عبادة الله على يد الكاهن (حلقيا)، قـام فرعـون مصر (نخـو) بـالهجوم على فلسـطين فتصدى لـه (يوشيـا) فقتله (نخو) في المعـركة، وواصـل (نخو) زحفه إلى الفرات في حربه ضد الدولة الآشورية.

ووقعت دويلتي إسرائيل ويهوذا منذ البداية بين فكّي كمّاشة: الدولة الآشورية من الشمال الشرقي والدولة المصرية من الجنوب الغربـي. وكانت الحروب مستمـرة بين هـاتين الدولتين القـويتين.. وكـانت الـدويـلات الصغيـرة مثـل دولـة يهـوذا وإسرائيل تقع تحت سيطرة ونفوذ هذه الدولة أو تلك طوال فترة وجودهمـا إلى أن مسحتا من الوجود.

٧ ــ عنـدما انتهت الـدولة الآشـورية وقـامت محلهـا الـدولـة البـابليـة، خضعت تلك المنـاطق كلها لحكم (نبـوخذ نصّـر) البـابلي. وقـد أغـار على أورشليم أول مـرة سنة (٦٠٦) ق.م فنهبها وقبض على ملكهـا يهواقيم (يهواكين) ونفاه مـع جمـاعة كبيرة من نسائه وأسرته إلى بابل، وأقام مكانه (صـدقيا بن يـواقيم) ملكاً.. ولكن صـدقيا رفض دفـع الجـزية فهجم عليـه نبوخـذ نصّر سنـة (٥٩٩) ق.م وهزمـه، وأجلى من اليهود عشرة آلاف شخص وأرسلهم إلى بابل، وحمل معه مـا بقي من كنوز هيكل سليمان. وأعلن صدقيا الخضوع ودفـع الجـزية.. ولـمّـا رأى صدقيـا انشغـال نبـوخـذ نصّـر بحـروبـه الكثيـرة خـدعتـه نفسـه فـأعلن العصيـان سنـة (٥٩٣) ق.م. فعاد نبوخذ نصر وسرعان مـا أعلن صدقيـا خضوعـه وتذلله للملك البابلي القوي. وقدّم المزيد من الهدايـا وسجد أمـام الملك مرات عـديدة فعفى عنه الملك الشهم للمرة الثانية.. وأحسَّ صـدقيا بـأن الملك البابلي انشغـل عنه في حروبه الكثيرة، فسوّلت له نفسه للمرة الثالثـة أن يبادر بعصيـان نبوخـذ نصّر.

وضاق نبوخذ نصَّر بهذا الملك الجبان الرعديد الناقض لعهوده. وبهذه المدينة العامية المتمردة، فهجم عليها سنة (٥٨٦) ق.م (يعضهم يذكر أنها سنة ٥٨٧)، فقتل الملك الجبان الخائن الناكث للعهود صدقيا، وقتل معه أسرته وأبناءه، ودمَّر مدينة أورشليم وأسوارها وهيكلها وأحرقها بالناس ونهب خزائنها. وقتل ثلث سكانها وسبى الثلث الآخر إلى بابل وأبقى الزمنى والشيوخ.

من المنفى إلى العودة إلى أورشليم (٥٨٦ ـ ٥٣٨ قبل الميلاد):

لم يبقَ في فلسطين من اليهود إلَّا عدد قليل بعد النفي إلى بابل.. وفي بابل تأثر اليهود بعادات البابليين وطقوسهم ودياناتهم وآدابهم، وتعلموا منهم السحر الذي اشتهر به أهل بابل، ثم اشتهر به اليهود فيما بعد وطقوس الكبالا..

واشترك كثير من اليهود في أعمال الدولة هناك.. وقد جاء في سفر دانيال: أن نبوخذ نصَّر اختار من بين اليهود ثلاثة ليخدموا في بلاطه وهم حنانيا وميشائيل وعزريا.

واستطاع دانيال أن يكون له حظوة كبيرة عند الملك نبوخذ نصَّر وخاصة بعد أن فسَّر له حلماً لم يستطع أحد من الكهنة الموجودين تفسيره.

وقد استطاع دانيال أيضاً أن يحظى بمكان مرموقة لدى (بيلشاصر) خليفة نبوخذ نصَّر، ولا يبدو أن اليهود كانوا يعاملون معاملة سيئة في تلك الفترة، رغم أنها قد عرفت باسم فترة السبي وفترة النفي.. وعند بزوغ نجم فارس حوّل اليهود ولاءهم وخدماتهم للفرس، وخانوا أسيادهم من البابليين.

وقد صيغت معظم الأسفار (التوراة والعهد القديم) في هذه الفترة.. وظهر عدد من الأنبياء منهم دانيال نفسه وعزير (عزرا) صاحب سفر عزرا ونحميا صاحب سفر نحميا.. وقد تزعَّما (عزير ونحميا) حركة العودة من المنفى فيما بعد، كما ظهر أيضاً ناحوم وزكريا بن عدو. وكان حزقيال من الذين تنبأوا بسقوط أورشليم، ثم شهد هذا السقوط. وعاش فترة النفي في بابل، وعاش على نهر خابور مع المسبيِّين.

وقد ظهرت في هذه الفترة دعوة الأنبياء من بني إسرائيل إلى اعتزال الأمم

الأخرى وعـدم التزاوج معها لأن ذلك قد أدَّى في الماضي إلى عبادة آلهـة هذه الأمم. ولذلك ظهـرت موجـة من الانغـلاق على النفس في فتـرة السبـي، وكونت لـدى اليهود عقـدة الذلـة مـع الشعور ــ في الـوقت نفسه ــ بـأنهم شعب اللّـه المختـار. وقد ظلت هاتان الصفتان متلازمتين مـع اليهود خلال تاريخهم الطويل إلى يومنا هذا.

في هـذه الفتـرة أيضـاً استـطاعت (استيـر) الجميلة، أن تسلب لب ملك فـارس (أحشـويروش)، واستـطاعت أن تقتل وزيـر الملك (هامـان)، وجميـع أسرتـه وأنصاره بمكيدة دبّرتها. واتهمته بأنه يدبر انقلاباً وخيانة ضـد الملك. . وأصبـح اليهود يحتفلون بذلك اليوم، ويجعلونه من أهم أعيادهم وهو عيـد الغوريم أو البـوريم، وفيه يسكـرون ويرتكبون جميـع الموبقات. وسمـاه المؤرخون المسلمـون «عيد المسـاخر»، لمـا رأوه من المساخر التي يرتكبها اليهود في هذا العيد.

العودة من المنفى (٥٣٨ قبل الميلاد):

ولمَّا مات أحشويروش، تـولى ابنه (قـورش) العرش، وكـان قورش ربيبـاً لأستير ومتعـاطفاً ــ بشكـل قوي جـداً ــ مـع اليهود. واستـطاع قورش أن يقضي على الـدولة البـابلية ولعب اليهـود دوراً ــ كالمعتـاد ــ في خيانـة هذه الـدولة، وتقـديم الخـدمـات للغازي الجديـد، وأمر قـورش بأن يسمـح لجميـع اليهـود في مملكته، أن يعـودوا إلى فلسطين، وحثَّ رعاياه على التبرُّع لبناء هيكل الرب. .

وبالفعل عـاد الفوج الأول من اليهـود المسبيين في بابـل إلى فلسطين، وبـاشروا بناء أورشليم وبناء الهيكل. وتقدم سكان السامرة وكانـوا خليطاً من الأمم التي أسكنهـا الآشوريون، وفيهم من بقايا إسـرائيل وطلبـوا أن يشتركـوا مـع اليهود في بنـاء الهيكل، ولكن اليهود رفضوا ذلـك. ولم يستطِـع السـامريـون أن يفعلوا شيئاً لأن الملك قـورش كان متعاطفاً جداً مـع اليهود.

وإليـك نص ما جـاء في سفر عـزرا (١ : ١ ــ ٤) عن أمر قـورش ببناء الهيكـل: «وفي السنـة الأولى لقورش ملك فـارس. . نبّه الـرب روح قورش ملك فـارس فـأطلق نداءً في كل مملكتـه، وبالكتـابـة أيضاً قـائلاً: هكـذا قال قـورش ملك فارس: جميـع ممالك الأرض دفعها لي الرب إلـه السماء. وهو أوصـاني أن أبني له بيتـاً في أورشليم

التي في يهـوذا، من منكم من كل شعبـه ليكن إلهه معه ويصعـد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إلـه إسرائيل. هـو الإلـه الذي فـي أورشليم. وكـل من بقيَ في أحد الأماكن حيث هو متغرِّب، فلينجده أهل مكـانه بفضـة وذهب وبأمتعـة وببهائم مـع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم».

وهكذا يبدو (قورش) يهودياً أكثر من اليهود (إن صـح نسبة هذا الخطاب إليه). . واجتمـع زعمـاء اليهود: يشـوع بن يو صـاداق وأخـوته الكهنة وزر بـابـل، وأخـرجـوا المذابـح والمحارق بصورة مكثفة جداً حتى يتنسم الرب رائحة الشواء الذي يحبه جداً، وبالتالي ينجـح غرضهم في إعادة بناء الهيكل (سفر عزرا الإصحاح الأول).

وعنـدما عـاد اليهود إلى أورشليم أو بـالأحرى بعضهم لأن أغلبيـة اليهـود فضلت البقاء في بابل، لم يـكن لهم دولة ولا كيان، وإنما عادوا كرعايا، يتظاهرون بالإخلاص للفرس، ويقدمون لهم كافة الخدمات.

ومـات قورش وجـاء بعده أحشـويروش الثـاني، وكتب له أهـل السامـرة يشكون اليهـود، وينهبونـه إلى خطرهم ومكـرهم وتمردهم وعنـادهم، فأمـر الملك بإيقـاف بناء الهيكل وبناء أورشليم.

ولما مات هذا الملك وتولى بعـده دارا (داريوس)، سمـح لليهـود بإعـادة البناء. وأعطاهم فوق ذلك ذهباً وفضة وخرافاً وثيرانـاً، وقال: «والله الـذي أسكن اسمه هنـاك يهلك كـل ملك وشعب يمد يـده لتغيير أو لهـدم بيت الله هذا الـذي في أورشليم. أنـا داريـوس قد أمـرتُ فليفعل عـاجلاً (سفـر عزرا ٦ : ١٢). ولا نعـرف مدى صحـة هذا الكلام. وهل قاله فعلاً داريوس أم أن كاتب السفر أضافه ونسبه إليه. ولكن المؤكـد أن داريوس كان متعاطفاً مـع اليهود.

ومات (داريوس). وتولى بعده (أرتحششتا) وكانت لعزير (عزرا) حظوة كبيرة عند هذا الملك، وأرسل هـذا الملك أيضاً هـدايا كثيـرة لبيت الله مـع فوج آخـر من اليهود المقيمين في بابل تحت قيادة عزرا هذه المرة. . ثم فوج ثالث تحت قيادة نحميا الـذي كان أيضاً يحظى برعاية الملك.

* * *

اليهود في العهد اليوناني

(٣٣٠ ـ ١٦٦ قبل الميلاد)

رغم أن الفرس كانوا متعاطفين جداً مع اليهود، وهم الذين سعوا في إعادتهم إلى أورشليم وساعدوهم في بناء الهيكل. . وكان لليهود حظوة كبيرة عند ملوك فارس منذ أيام (أحشويروش) ثم (قورش) ثم (دارا) (داريوس). إلّا أن اليهود سرعان ما خانوا أسيادهم القدامى وعضوا اليد التي أسدت إليهم الجميل. . وتحولوا إلى جانب القوة الشابة الجديدة التي ظهرت على يد الإسكندر المقدوني (اليوناني)، وقدم اليهود كعادتهم للسيد الجديد الخدمات وخانوا سادتهم القدامى عندما بزغ في الأفق نجم الإسكندر وبدأ يعلو نجمه على دارا الثالث الفارسي، واستطاع الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ قبل الميلاد أن يقضي على الحكم الفارسي في بلاد الشام بأكملها ومن بينها فلسطين.

وقد عامل الإسكندر المقدوني اليهود معاملة حسنة، لأنهم قدموا له بعض الخدمات، واشتغلوا كعادتهم جواسيس ضد أسيادهم القدامى. . ونقلوا كثيراً من أسرار الدولة الفارسية التي كانت تثق فيهم، وتوليهم كثيراً من مناصبها.

وعندما مات الإسكندر المقدوني سنة (٣٢٣) ق.م خلّف إمبراطورية واسعة الأرجاء وأقتسمها قوّاده. . وظهر البطالسة في مصر من عاصمتهم الإسكندرية (التي بناها الإسكندر). وتولى بطليموس الأول حكم مصر وفلسطين، وامتد حكمه من سنة (٣٢٣) ق. م إلى سنة (٢٨٥) ق.م.

وفي عهده، بدأ اليهود أول تمردهم على اليونان، فقام بطليموس الأول بحملة ضد أورشليم وساق من سكانها مئة ألف أسارى إلى مصر.

وتولى بعده خليفته بطليموس الثاني الذي حكم مصر وفلسطين (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م) وعرف اليهود كيف يتقربون إليه، ويقدمون له بعض الخدمات، فسمح لمن أراد منهم العودة إلى فلسطين بالعودة إليها. ويقال: إن (١٢٠) ألفاً من اليهود المقيمين في مصر، عادوا إلى أورشليم وفلسطين في عهده.

وكان بطليموس الثاني رجلاً مثقفاً وهو الذي أسَّس مكتبة الإسكندرية الشهيرة.. وفي عهده أيضاً تمت ترجمة التوراة إلى اللغة اللاتينية بواسطة (٧٢) حبراً من أحبار اليهود.. لأنهم طلبوا إليه أن يتحاكموا إلى شريعتهم بدلاً من القانون اليوناني، فطلب منهم أن يطَّلع على هذه الشريعة الخاصة بهم فقاموا بترجمة كتب الشريعة الخمسة إلى اليونانية.. ثم ضاع النصُّ العبري وبقي النصُّ اليوناني، وهو الذي أصبح معتمداً ـ فيما بعد ـ مع بعض التعديلات والإضافات.

ويشكك كثير من الباحثين، ومنهم الرهبانية اليسوعية في مقدمتها على الكتاب المقدس في فحوى هذه القصة.. وتجعلها من الموضوعات والأساطير.. لأن الترجمة اليونانية تمَّت على مراحل متعددة ولم تتم دفعة واحدة في عهد بطليموس الثاني على يد (٧٢) حبراً وفي (٧٢) يوماً كما يزعمون.

ثم تولى بطليموس الثالث، وحكم مصر وفلسطين، (٢٤٧ ـ ٢٢٢ قبل الميلاد). وحاول اليهود في زمنه أن يتملصوا من دفع الجزية. وماطلوا في دفعها لعدة سنوات فأرسل عاملاً جديداً وهددهم بالطرد إن لم يفعلوا. فذهب وفد من اليهود وبكوا وناحوا وادعوا الفقر، ورقَّ لهم قلب بطليموس فعفا عن جزية السنوات الماضية. وتعهدوا بدفع جزية تلك السنة وما بعدها (ومقدارها ٢٠ وزنة أي قنطاراً من الفضة).

ثم تولى بطليموس الرابع حكم مصر وفلسطين (٢٢٢ ـ ٢٠٢ قبل الميلاد).. وفي تلك الفترة كان السلوقيون الموجودون في سوريا، وهم أيضاً من خلفاء الإسكندر، يريدون توسعة حكمهم إلى فلسطين. فجرت عدة حروب بينهم وبين بطليموس الرابع هذا واستطاع انطوخيوس الثالث السلوقي الانتصار على بطليموس

الرابع في فلسطين. وكان انطوخيوس هذا مستاءً من موقف اليهود منه، لأنهم ناصروا بطليموس الرابع فأذل اليهود.

ومنذ عام (٢٠٠ قبل الميلاد) إلى ثورة المكابيين كان السلوقيون يعاملون اليهود باحتقار وبقسوة في بعض الأحيان، وقد حاولوا مراراً أن يغيّروا دين اليهود إلى وثنيتهم..

وبالفعل تحوَّل عدد من اليهود إلى الوثنيات اليونانية ، على الأقل ظاهرياً ، وقد أدَّت معاملة السلوقيين القاسية إلى انفجار ثورة المكابيين حوالي سنة (١٦٦ قبل الميلاد).



دولــة المكــابـيين

أدّت المعـاملة القاسيـة، ومحاولـة إدخال العبـادات والطقـوس الوثنيـة إلى حيـاة اليهـود بالقـوة، إلى ثورة اليهـود ضـد السلوقيين (حكـام سـوريـا وفلسـطين من خلفـاء الإسكندر المقدوني). وكان قادة هذه الثورة من كهنـة اليهود الـذين عرفـوا في التاريـخ باسم المكابيين.

ولفظ مكـابـي (مقابي) يعني المعيَّن من قبـل الرب يهـوه. وهـو لقب يهـوذا بن الكـاهن ميتـاس. وقـد أصبح اللقب فيمـا بعـد علمـاً على هـذه الثـورة بكـل من اشترك فيها.

وقـد بدأت هـذه الثورة في حـدود سنة (١٦٦) قبل الميـلاد، عنـدمـا قـام الملك السلوقي (انطوخيوس) بتدمير الهيكل (أو ما بقي منـه)، ونشر عبـادة الأوثان اليـونانيـة، ونبـذ أحكام التـوراة (الشريعـة)، والتقيد بـالأنظمـة والقوانين اليـونانيـة لكافـة الشعوب الواقعة تحت السيطرة اليونانية.

وقد ثار الكاهن ميتاس (متاتيا) على هـذا الـوضـع، ومعـه أبناؤه الخمسـة، وهم يوحنا وسمعان ويهوذا واليعازار ويوناثان. وبدأت ثورتـه عندمـا كان في مـدينة مـودين. ووصلتـه رسل الملك، لينفـذ أوامره في نبـذ أحكام الشـريعة والالتـزام بقـوانين الملك فغضب متاتيا، وقتل أحد الرسل، ثم فرَّ إلى الجبال قائلاً: «ليلحقني كل من يغار على الشريعة». فتَبِعه كثيرون..

وبطبيعة الحال جهزت الدولة حملة ضد هؤلاء المتمردين والإرهابيين كما كـانت

تسمِّيهم، وكما تسمي كل حكومة الثائرين ضدها. وقتل الكاهن متاتيا في المعركة، وتولى القيادة بعده ابنه يهوذا الملقب بالمقابي (المكابي)، وهو اللقب الذي اشتهرت به هذه الأسرة بل والثائرين معهم جميعاً. واستطاع يهوذا أن يستولي على أورشليم ذاتها سنة (١٦٥) ق. م. ولكن السلوقيين عادوا وهزموا يهوذا وقتلوه سنة (١٦١) ق. م، واستعادوا سيطرتهم على مدينة السلام (أورشليم = أورسالم)، التي لم تشهد سلاماً منذ أن تكون خلال تاريخها الطويل، إلاّ في فترات محدودة كان أطولها أثناء الحكم الإسلامي.

وتولى القيادة بعد يهوذا، أخوه «يوناثان» وكان أول من حمل لقب ملك ورئيس الأحبار في آن واحد.

واستطاع يوناثان أن يستفيد من خصومات جيرانه الملوك. وقام ببعض التحالفات مما حقق له حكماً ذاتياً لمنطقة أورشليم وما حولها. ولكن يوناثان وقع في قبضة أحد هؤلاء الملوك من جيرانه ومات قتلاً في المنفى، فخلفه أخوه سمعان الذي مات على يد أحد المغامرين.

وتولى بعد سمعان ابنه يوحنا حرقان، المشهور باسم هركانوس في حدود سنة (١٣٤) قبل الميلاد. وقد دُوِّنَ تاريخ المكابيين في سفر المكابيين الأول، الذي ينتهي بموت سمعان واعتلاء هركانوس (هرقانوس) العرش.. ويبدو أن المؤلف قد عايش تلك الفترة وكان معاصراً لحكم هرقانوس.

ويتحدث سفر المكابيين الثاني عن أهمية الاحتفال بعيد الحانوكا، وهو التذكار السنوي لإعادة العبادة في الهيكل على يد يهوذا المكابي بعد أن أبطلها أنطوخيوس السلوقي.

وهذان السفران (المكابيون الأول والثاني) يعتبران من الأسفار المنحولة أو المشكوك فيها (أبوكريفا) والتي لا تقبلها الكنائس النصرانية، ما عدا الكنيسة الكاثوليكية. والتي لا يقبلها اليهود أيضاً كأسفار مقدسة.

وقد كتب سفر المكابيين الثاني باللغة اليونانية، ويعترف كاتب السفر أنه اختصره

من سفـر آخر أكبـر مكوَّن من خمسـة أجزاء، كتبـه ياسـون (جازون) القيـرواني الـذي لا يبدو أن أحداً يعرف عنه شيئاً.

وفي سنة (١٠٤) ق.م تولى القائد المكابـي (ارستبولس) الملك، ولكن منـافسه الخطير، أخاه (انتغنس) لم يترك له الفرصة ليهنأ بالملك. . واحتدم القتـال بين الأخوين وقُتلا كلاهما في المعركة.

ولم يعد للمكابيين بعدها أي سيطرة حقيقية على أورشليم، واضـطروا إلى دفـع الجزية للسلوقيين، والعمل تحت إمرتهم كحكام محليين صغار.

وكان النزاع بين هؤلاء الحكام الصغار مستمـراً، وقامت معـركة على الحكم بين اثنين من هؤلاء القادة المتنافسين على الحكم وهما هركـانوس وأخـاه ارستبـولس. مما أدَّى إلى دخول القوة الجديدة التي ظهرت على مسرح الأحداث، وهي القوة الرومانيـة الفتية، إلى فلسطين. وقد ذهب هركانوس وأخاه ارستوبولس إلى دمشق لتقديم الهـدايا إلى القائد الروماني بومبيوس، على أساس أن يقوم القائد الروماني بنصرة أحدهما على الآخـر. فما كـان من بومبيـوس (بومبـي) إلاّ أن أمـرهمـا بـالخضـوع لأوامـره. وأحسَّ ارستوبولس بميل القائد الروماني إلى أخيه فسارع بالـذهاب إلى أورشليم وتحصَّن بهـا مما أدَّى إلى دخول القائد بومبيوس مدينة أورشليم عنوة. وقد تم ذلـك سنة (٦٣) ق.م. واستسلم ارستوبولس وأخذ أسيراً إلى دمشق ثم إلى روما.



اليهود تحت الحكم الروماني

(٦٣ قبل الميلاد ــ ٦١٤ بعد الميلاد)

بعد أن سقطت أورشليم على يد القائد الروماني بومبيوس (بومبي)، لم يعمد الرومان إلى حكمها مباشرة بواسطة حاكم روماني، ولكنهم فضلوا أن يجعلوها مثل كثير من ولاياتهم حيث يجعلون الحكم في يد حاكم محلي . .

وقد جعل بومبيوس «هركانوس» حاكماً على أورشليم، وخاصة أنه كان قد جاءه بنفسه يقدم الهدايا والولاء إلى دمشق ليستعين بع على أخيه.(أرستوبولس) كما قد مرَّ معنا.

وفي سنة (٥٧) ق.م ثار إسكندر بن أرستوبولس على عمه هركانس انتقاماً لهزيمة أبيه. . وانتصر بالفعل على عمه ودخل أورشليم، ففرَّ هركانس إلى حُماتِه في دمشق. وأرسل الرومان حملة تأديبية لهذا الثائر. واستطاع القائد الروماني (غابينوس) أن يخضع إسكندر بسهولة. . وطلب إسكندر الأمان فأجاب القائد الروماني إلى طلبه وأخذه معه وأعاد هركانس حاكماً على أورشليم.

استطاع «ارستوبولس» والد إسكندر وأخُ هركانس أن يفرَّ من روما وأن يصل إلى أورشليم سراً وأن يجمع أنصاره، ثم ثار على أخيه هركانس، ولكن القوات الرومانية أخضعته بسرعة وأرسلته مرة أخرى أسيراً إلى روما.

وفي عام (٤٩) قبل الميلاد حاول أرستوبولس للمرة الثالثة أن يستولي على أورشليم فهزمه القائد الروماني، وأرسله إلى حاكم سوريا الذي أمر بإعدامه.

وفي عام (٣٧) ق. م ثار الابن الثاني لأرستوبولس وهو أنتغنس (أنتوجينيس) واستولى على أورشليم فأرسل الرومان حملة لتأديبه، فدخلوا أورشليم، وقتلوا كثيراً من

سكان هذه المدينة العاصية المتمردة، وأخذوا أنتغنس أسيراً وأرسلوه إلى القيصر، فأمر القيصر بقتله حتى لا يكرر تاريخ أبيه الطويل.

وقام اليهود بعدة ثورات ضد الرومان قادها في معظم الأحيان ما يسمون بالمتعصبين (القنائيين، السفاحين، الهيروديين)[1]. وكان هؤلاء يقومون باغتيالات خصومهم، من الرومان، ومن اليهود المتعاونين معهم. كما كانوا يقومون باغتيال أي يهودي لا ينفذ أحكام الشريعة، حتى أن الفريسيين وهم من أشد فئات اليهود تعصباً أعلنوا أن القنائيين سفّاحون وقطّاع طرق ومتمردون وخارجون على القانون، فقد جاء في التلمود (وهو الذي كتبه الفريسيون) إطلاق اسم «سيقارين» وتعني الإرهابي أو السفّاح واسم «بريوناي» أي الخارج على القانون، على هذه المجموعة من اليهود.

وقام تيطس القائد الروماني بضرب هؤلاء اليهود ضربات موجعة.. وغيَّر الرومان سياستهم تجاه أورشليم وما حولها، وجعلوا لها حاكماً رومانياً مباشراً، بدلاً من الحكام المحليين (من اليهود أنفسهم) لما رأوه من كثرة الشغب والفتن وسوء الإدارة المحلية، وكثرة المنازعات بين اليهود أنفسهم..

وقام تيطس بعد أن ضاق ذرعاً بثورات أورشليم المتكررة بدكّ أورشليم وتدميرها تدميراً كاملاً وسواها بالتراب، وذلك سنة (٧٠) بعد الميلاد، ففرَّ من بقي من اليهود حياً إلى الأقطار المجاورة مثل مصر وقبرص وليبيا والجزيرة العربية، (سكنوا في خيبر وتيماء والمدينة ووادي القرى.. واليمن. ويبدو أن هناك هجرات سابقة لليهود إلى اليمن، وذلك منذ أن أسلمت ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام).

بهذا الموجز عن تاريخ اليهود من عهد إبراهيم عليه السلام إلى بداية العهد الروماني وخراب أورشليم على يد طيطس (تيطس) سنة (٧٠) بعد الميلاد نكون قد أعطينا القارى فكرة عن العصور التي تحدثت عنها أسفار العهد القديم (وهي تتوقف قبيل عهد المسيح) فيستطيع أن يتابع، إن شاء الله، تاريخ هذا الشعب المتمرد الصلب الرقبة كما أوردته هذه الأسفار دون عنت. كما يستطيع أن يفهم عقيدة هذا الشعب ودوافعه وسياسته الحاضرة التي يواجه بها العرب في فلسطين وما حولها.

* * *

---

(١) انظر فصل الفرق اليهودية: القناؤون (المتعصبون) من كتابنا هذا صفحة ٢٧٣.



التوراة في القرآن الكريم

تعريف التوراة والعهد القديم :

يطلق لفظ (التوراة) على الشريعة المكتوبة، كما يطلق لفظ (التلمود) على الشريعة الشفهية. وأما لفظ (العهد القديم) فيطلق على مجموعة الأسفار التي كتبت قبل عهد المسيح عليه السلام والتي تضم الأسفار التي جاء بها موسى وأنبياء بني إسرائيل وسميت كذلك (أي العهد القديم) للتمييز بينها وبين العهد الجديد، الذي يزعمون أن الرب قطعه مع بني إسرائيل على يد المسيح عيسى بن مريم. فقد جاء في إنجيل متى ٢٦ : ٢٨ «لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» وجاء في سفر أرميا ٣١: ٣١، ٣٢ «ها أيام تأتي يقول الرب: واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم».

ويطلق لفظ (الناموس) على أسفار العهد القديم وأحياناً يقتصر اللفظ على أسفار الشريعة الخمسة التي يقولون: إن موسى كتبها، وقد ورد في إنجيل يوحنا (١٠ : ٣٤) «أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم» وورد عن المسيح أنه قال: إني لم آت لأبدِّل الناموس. وقد جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس (١٤ : ٢١): «مكتوب في الناموس».. وكلمة (ناموس) «نوموس»، والمقصود بها: القانون أو الشريعة وهي تقابل كلمة توراة العبرية.

ويطلق اسم (التوراة) أساساً على الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية (تثنية ألاشتراع) وتبدأ بخلق العالم،

ثم خلق الإنسان (آدم) وقصته وقصة قابيل وهابيل، ثم قصة نوح والطوفان، ثم قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأبنائه ثم قصة موسى وفرعون والخروج وتنتهي بوفاة موسى في البرية والتيه.

وقد يطلق لفظ (التوراة) على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل. وقبل أن نسترسل في شرح هذه المعاني، نحب أن نوضح معنى التوراة كما جاء بها القرآن الكريم، وموقف القرآن الكريم من هذه الأسفار، التي يحملها بنو إسرائيل الذين وصفهم الله تعالى بأقبح وصف. قال تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥ ﴾[1].

التوراة في القرآن الكريم:

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى لفظ التوراة في القرآن الكريم (١٨) مرة. وذكرها باسم النور والكتاب والهدى مرات عديدة. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى التوراة على موسى كاملة مكتوبة ولكن بني إسرائيل ـ عليهم لعائن الله ـ حرَّفوها وبدَّلوها، مع ضياع أجزاء كثيرة منها أثناء الحروب والسبي.

قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٤٤ ﴾[2].

---

(١) سورة الجمعة: آية ٥.

(٢) سورة المائدة: آية ٤٤.

وقال تعالى:

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

وقال عزَّ من قائل:

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾[4].

وقد أنزل الله (التوراة) على موسى عليه السلام بعد أن صام ثلاثين يوماً، فلما أكملها قيل: إنه استخدم السواك، فقالت الملائكة: كنا نشمُّ من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك، وقيل أوحى الله إليه: «أما علمت أنَّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟»، فأوحى الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة (حيث

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.
(٢) سورة الجاثية: الآيتان (١٦ ــ ١٧).
(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٢.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.

كان الشهر الذي صامه هو شهر ذي القعدة) فأنزل الله سبحانه وتعالى بعدها التوراة عليه في الألواح[1][2].

قال تعالى:

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) ﴾[3].

وما كاد موسى يذهب للقاء ربه حتى عبد بنو إسرائيل العجل. قال تعالى:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) ﴾[4].

---

(١) انظر تفسير الزمخشري (جار الله محمود ابن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة: ٢/١١١.

(٢) ابن كثير الدمشقي (أبو الفداء إسماعيل بن كثير): تفسير القرآن العظيم. طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ٢/٢٤٣.

(٣) سورة الأعراف: الآيات (١٤٢ ـ ١٤٥).

(٤) سورة الأعراف: الآيات (١٤٨ ـ ١٥٠).

وقــد قصَّ الله سبحـانــه وتعـالى علينـا تلك القصـة في ســورة طـه، الآيـات (٨٣ ـ ٩٩)، وفيها أن موسى عليه السلام ألقى الألواح غضباً مما فعل بنو إسرائيـل من عبادتهم العجل.

وهـذا كله يخالف مخـالفة تـامة، مـا يعتقده علمـاء اللاهـوت، وعلمـاء الآثـار، والمهتمين بما يسمى الكتاب المقدّس، ومقارنة الأديان، حيث يرون: أن التوراة كتبت في عصور متأخرة بعد وفاة موسى عليه السلام، بأكثر من خمسمـائة عـام، وأن كتابتهـا استمرت لفترة قد تصل إلى ألف عام وسنستعرض آراءهم فيما بعد، ولكننـا هنا أحببنـا أن نوضـح: أن القرآن الكريم قد ذكر بأن التوراة هي كتاب الله المنـزَّل على موسى. . وأن موسى ليس له دخل في تأليفه كما يزعم كثير من الأحبـار والرهبـان. . وقد كـانـت وظيفـة موسى عليـه السلام هي وظيفـة الرسـل أجمعين. وهي إبلاغ رسـالـة ربهم إلى أقوامهم. . «ما على الرسول إلاّ البلاغ».

وكان علماء اليهـود والنصارى يـذكرون: أن مـوسى عليه السـلام هو الـذي كتب الأسفار الخمسة وأن الذي نزل من السماء مكتوبـاً هو لـوحين فقط وأن موسى كسـرهما عندما رأى بني إسرائيل يعبدون العجل الذي صنعه لهم، حسب زعمهم، هارون (وهو كذب وافتراء على هارون عليه السلام، وإنما الذي صنعه لهم هـو السامـري كما جـاء في القرآن الكريم). .

وقد استمرّ هؤلاء اليهود والنصارى، في اعتقـادهم ذلك، حتى ظهـرت الأبحاث الكثيــرة في القـرن الثــامن عشـر، وازدادت زيــادة كبيـرة في القــرن التـاسـع عشــر والعشـرين. . وكلها تؤكـد أن هذه الأسفـار المسماة أسفـار موسى الخمسـة لم يكتبهـا موسى وإنما كتبها عشرات ومئات الأحبار بعد وفاة مـوسى عليه السـلام بقرون متطاولة، وأنها جمعت بشكلها الحالي بعد ذلك بكثير، وأن عهد كتابتها يعود إلى القرن الخامس والرابـع قبل الميلاد، أي بعد وفاة موسى عليه السلام بقرابة ألف عام.

وهذا من ناحية يؤيد ما جاء في القـرآن الكريم، من أن أحبـار اليهود قـد حرّفـوا التـوراة الأصلية تحـريفاً كبيـراً، وأن هذا التحـريف استمـر لقـرون متطاولة لـدرجـة أن المحققين من علمـاء اليهود والنصـارى، أصبحوا، يـزعمون أن أسفـار التوراة (أسفـار

الشريعة الخمسة) لا علاقة لها بموسى وإنما كتبت من قبل أشخاص عديدين في عصور مختلفة وبأيدي كتاب متباينين، وأن هذه الأسفار جمعت بعد وفاة موسى عليه السلام بألف عام . .

وقد تمادى بعضهم فزعم أن قصة الطوفان ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنيه وموسى وهارون كلها من الأساطير التي لم تحدث على أرض الواقع، وأنها شبيهة بالإلياذة والأوديسا، وهي تمثل تراثاً شعبياً هائلاً ــ وترجع قيمتها إلى أنها تمثل هذا التراث الشعبي لمجموعات كبيرة من البشر انصهر بعضها في شعب ظهر متأثراً بميراث الأمم السابقة واستعار كثيراً من أساطيرها . .

وهذا كله مرفوض تماماً بالنسبة لنا، فنحن المسلمون نؤمن إيماناً جازماً وقطعياً بأن التوراة هي كلام الله الذي أنزله الله على موسى عليه السلام كاملاً مكتوباً في الألواح، وأن هذا الكتاب النوراني قد حرَّفه بنو إسرائيل وغيَّروا فيه وبدَّلوا وزادوا ونقصوا منه، حتى لم يبقَ من التوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى عليه السلام إلاَّ شذرات نلمحها هنا وهناك.

ولا يعتبر المسلم مسلماً إلاَّ إذا آمن بكتب الله المنزلة وبأنبياء الله جميعاً. قال تعالى:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآيات (١ ــ ٤).

تحريف التوراة:

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن أحبار اليهود قد قاموا بتحريف التوراة، وأنهم أضافوا إليها، وأنقصوا منها الشيء الكثير. وقد فضحهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في مواضع عدة. قال تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (٢).

وقال عز من قائل:

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (٣).

وقال تعالى:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (٤).

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٥.

(٢) سورة البقرة: الآيتان (٧٨ ــ ٧٩).

(٣) سورة النساء: الآية ٤٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٣.

تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾[1].

والمسلمون متفقون على وقوع التحريف في التوراة ولكنهم يختلفون في معنى هذا التحريف وعداه على **ثلاثة أقوال**[4]:

● **القول الأول**: هو أن التحريف والتبديل قد وقع في التأويل لا في النص المنزل. فمعنى تحريف الكلام عند من يقولون بهذا الرأي هو أنهم «يتأوّلونه على غير تأويله». . وهذا الفريق يضم بعض كبار العلماء من أمثال أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، والفخر الرازي، وابن كثير. ولا شك أن أحبار اليهود، أولوا كثيراً من آيات التوراة تأويلاً فاسداً وباطلاً. ولكنهم كذلك لم يقتصروا على تحريف التأويل بل قاموا فعلاً بإضافة أشياء كثيرة لم ينزلها الله تعالى، ومن المستحيل أن يكون قد أنزلها، مثل زعمهم، أن الله قام بمصارعة يعقوب طوال الليل، ومع هذا لم يستطع أن يتغلب على يعقوب. . ومثل زعمهم أن الله منع آدم من الأكل من شجرة المعرفة حتى يبقى جاهلاً، فلا يستطيع أن ينافس الرب في ملكوته. . ومثل زعمهم أن الله تعب بعد خلق السموات والأرض فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت. . ومثل زعمهم أن لوطاً زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر. . ومثل زعمهم أن إبراهيم عليه السلام تزوج أخته سارة. . ومثل زعمهم أن نوحاً شرب الخمر حتى تعرّى ومثل زعمهم أن يعقوب خدع أباه إسحاق وأخذ العهد منه بالخداع والمكر حيث تظاهر بأنه عيسو (الأخ الأكبر ليعقوب). . ومثل زعمهم أن يعقوب سرق خاله لابان. . ومثل زعمهم أن داوود زنا بحليلة جاره وأن هارون هو الذي صنع لبني إسرائيل العجل وهو الذي أمرهم بعبادته. . ولا نستطيع ها هنا أن نستعرض هذه الإضافات فكتابنا كله دليل على ذلك.

● **القول الثاني**: وهو أن التوراة قد غُيِّرت وبُدِّلت ولكن التغيير والتحريف أصاب

---

(١) سورة المائدة: الآيتان (٤١ ــ ٤٢).

(٢) د. محمد شبلي شتيوي: التوراة دراسة وتحليل. مكتب الفلاح، الكويت، ١٩٨٤م (بتصرف).

جملاً قليلة وألفاظاً يسيرة. أما أكثر التوراة فهو باقٍ على ما أنزله الله على موسى الكليم عليه السلام. وهذا الرأي أيضاً غير سليم. فالتبديل والتحريف لم يشمل آيات قليلة محدودة في التوراة بل شملها كلها كما سنرى وسنوضحه في هذا الكتاب.. وهو تحريف شمل التوراة بأكملها

● **القول الثالث**:وهذا القول ـ في رأينا ـ هو الصواب، والدليل عليه موجود، يستطيع أن يطلع عليه كل إنسان.. وهذه هي أسفار التوراة بين أيدينا، وفيها الدليل القطعي: على أن التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام كلها أو أكثرها قد بُدِّل وغُيِّر. والتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، لا تطابق بينها وبين التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم في شيء.. والشذرات القليلة المنبثّة هنا وهناك من التوراة الحقيقية والتي تضيء بنورها بين هذا الركام من المزابل هي مثل اللؤلؤة أو الجوهرة أو الألماسة في مزبلة.

وهذا القول ـ في رأينا ـ هو الصواب والحق.. وقد ذهب إليه مجموعة من علماء الإسلام الذين اطلعوا على التوراة ودرسوها دراسة فاحصة ومن هؤلاء الإمام ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ الذي وضع كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل وذكر فيه تحريف اليهود والنصارى لكتابهم المقدس. ومنهم الإمام الغزالي الذي رد عليهم في كتابه «الرد الجميل» وعبد الملك الجويني إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨هـ والإمام ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح» والإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «هداية الحيارى».. والإمام القرطبي صاحب التفسير المشهور في كتابه «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام»، والإمام علي بن محمد بن عبد الرحمن الباجي الشافعي المتوفى سنة ٧١٤هـ . وله كتابان في الرد على عقائد اليهود والنصارى: الأول أسماه «الرد على اليهود والنصارى» والثاني نقد للتوراة اليونانية وتعليق على كل إصحاح تقريباً، في جميع الأسفار الخمسة، وقد أسماه «على التوراة» وقد قام بتحقيقه الدكتور أحمد حجازي السقا ونشرته مطبعة الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٨٠م، وهو من أمتع ما قرأت في هذا الباب. ورحمة الله الهندي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ في كتابه «إظهار الحق» وفي مناظراته مع كبار القساوسة.

التحريف:

ويفصل بعض العلماء في أنواع التحريف الذي قام به أحبار بني إسرائيل في التوراة ويستدلون على ذلك بما ورد في القرآن الكريم من آيات، وينتهون إلى أن عناصر التحريف هي كالتالي:

تحريف بالتبديل.

تحريف بالزيادة.

تحريف بالنقصان.

تحريف بتغيير المعنى دون تغيير اللفظ.

ويأخذ ذلك أشكالاً كثيرة كالآتي:

(أ) **إلباس الحق بالباطل والباطل بالحق:** حتى ينطلي ذلك الباطل ويروج على عامة الناس. قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[١].

قال ابن عباس: لا تخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب. وذكر الزمخشري في الكشاف[٢] بأنهم كانوا يكتبون في التوراة ما ليس فيها. ومثاله اتهام هارون عليه السلام بأنه الذي صنع لهم العجل وأمرهم بعبادته.

(ب) **كتمان الحق:** وكتمان الحق مرتبط أيضاً بإلباس الحق بالباطل، كما في الآية المذكورة أعلاه وفي قوله تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾[٣].

ومن أهم أمثلة كتمانهم الحق إنكارهم لصفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.. وقد روت صفية بنت حيي بن أخطب

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧١.

(٢) الكشاف: ١/٨٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٢.

زعيم اليهود، وزوج النبي ﷺ بعد أن أسلمت أن عمها سأل أباها عن النبي ﷺ عندما قدم المدينة قائلاً: أهو هو النبي الذي كنا ننتظر» فقال حيي بن أخطب: والله إنه لهو هو النبي.. ولكنّا والله لا نؤمن به».

وقد كتموا أيضاً حكم رجم الزاني والزانية ولكن الله فضحهم على يد حبرهم السابق الصحابي الجليل عبد الله بن سلام وأظهر حكم التوراة وهو الرجم.

(ج) **إخفاء الحق**: وهو شبيه إلى حدٍ ما بالكتمان. والعلماء يفرقون بينهما على اعتبار أن الكتمان للأمر العظيم مثل نبوة محمد ﷺ، والإخفاء هو للأمر الذي فيه خزي لهم. وقد قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾(١).

(د) **تحريف الكلام عن موضعه**: بوضع كلمة مكان كلمة أو جملة مكان جملة: وهذا هو تحريف التبديل. وقد يكون بإسقاط كلمة، وهو تحريف بالنقص، أو بزيادة كلمة أو جملة وهو تحريف بالزيادة. وقد يكون بصرف المعنى إلى معنى آخر غير مقصود وهو تحريف المعنى. قال تعالى:

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ ﴾(٢).

وقال تعالى:

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٥.
(٢) سورة المائدة: الآية ١٣.
(٣) سورة النساء: الآية ٤٦.
(٤) سورة المائدة: الآية ٤١.

(هـ) ليّ اللسان: وهو أن يقولوا كلمة ظاهرها حسن، وباطنها سيّىء، ومثاله قولهم للنبي ﷺ «واسمع غير مسمع» وقولهم «راعنا». وظاهر الكلام حسن وباطنه قبيح حيث يتهمونه ﷺ بالرعونة وإنك تسمع قوماً لا يسمعونك لتفاهة كلامك.. وكانوا يسلمون عليه فيقولون، لعنات الله عليهم، «السام عليكم» حتى أن عائشة غضبت ولعنتهم، وكان الرسول يرد عليهم بقوله: «وعليكم».

وقال المفسر المشهور ابن عطية الأندلسي (محمد بن يوسف بن حيان) في البحر المحيط: معقباً على ذلك «وهذا موجود حتى الآن في اليهود. وقد شاهدناهم يربّون أولادهم الصغار على ذلك، ويحفّظونهم ما يخاطبون به المسلمين، مما ظاهره التوقير ويريدون به التحقير»(1).

وهناك نوع آخر من ليّ اللسان أثناء قراءتهم للتوراة، فيضعون كلاماً من عندهم، بدلاً من آيات الله، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾(2).

هذه باختصار أنواع التحريفات التي قام بها أحبار يهود في كتاب الله المنزل على موسى عليه السلام. ومع مضي الأيام وضياع التوراة الأصلية بسبب الحروب والسبي والشتات في الأرض.. وبسبب ترك بني إسرائيل مرات عديدة دينهم، وارتدادهم عنه حتى عبدوا الأصنام وخاصة البعليم وعشتروت وملكوم وغيرها من الأوثان، وذبحوا لها، وعبدوها وأقاموا لها المعابد الضخمة.. وأسفار العهد القديم مليئة بذكر ذلك كله. وفي عهد القضاة (١٤٠ سنة) ارتدوا سبع مرات وعبدوا الأوثان، بل وذبحوا أبناءهم وبناتهم قرباناً لها. ثم ازدادت الردة في عهد الملكية.. حتى أنهم زعموا كذباً وبهتاناً أن سليمان عليه السلام عبد الأوثان وبنى لها المعابد.. والواقع أن الملوك

(1) ابن عطية (محمد بن يوسف بن حيان): البحر المحيط: ٣/٣٦٤.

(2) سورة آل عمران: الآية ٧٨.

الذين جاءوا بعد سليمان عليه السلام هم الذين فعلوا ذلك.

لهذا كله ضاعت التوراة الأصلية وبقي منها آيات يذكّرهم بها أنبياؤهم الذين أرسلهم الله إليهم تباعاً ليردّوهم عن غيهم وكفرهم وضلالهم.. ولكنهم كثيراً ما كانوا يقتلون الأنبياء بعد تكذيبهم والهزء بهم، قال تعالى: ﴿ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾.

وبقيت شذرات من التوراة الأصلية يتوارثونها، ثم قام أحبارهم بجمع تلك الأخبار والآيات وإضافة ما زيّنه لهم الشيطان. فصاغوها في كتب، وقدموها للناس على أساس أنها التوراة التي أنزلها الله. ثم جاءت الأبحاث الحديثة خلال القرون الثلاثة الماضية لتؤكد أن التوراة الحالية قد كتبت على مدى ألف عام وبواسطة عشرات ومئات الكتاب في أزمنة مختلفة متباينة وأن ذلك كله قد جمعه بعض الأحبار ونسّقه في كتاب أسماه التوراة.. وأن ذلك ظهر بعد العودة من النفي في بابل، أي في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد. أي بعد وفاة موسى عليه السلام بما يقارب ألف عام.

وفيما يلي سندرس آراء أهل الكتاب، في كتابهم المقدس، لنرى أن الإسلام قد أنصف التوراة.. وذكر أنها كتاب الله ولكنه كتاب قد حُرِّف وغُيِّر. أما علماؤهم اليوم فينكرون تماماً أن التوراة كتاب الله أنزله على موسى، ويقولون: إن هذا الكتاب قد كتبه أشخاص عديدون على مدى ألف عام وإنه قد جمع ورُتِّب في عصور متأخرة جداً.. وإنه يحوي أساطير الشعوب الأخرى مثل البابليين والآشوريين والمصريين وغيرهم.. كما يحوي تراث هذا الشعب اليهودي الذي تكون من عدة قبائل مهاجرة تجمعت على مدى عدة قرون.. وهو تراث مهم جداً ولكنه لا يزيد في أهميته كثيراً عن الإلياذة أو الأوديسة والرامايانا.





التوراة والعهد القديم
كما يراها علماء اليهود والنصارى

ينقسم علماء اليهود والنصارى إلى طائفتين عند دراستهم لما يسمى الكتاب المقدس :

أما : الطائفة الأولى، فهي المجموعة التي قامت بدراسة الكتاب المقدس دراسة موضوعية ، على اعتبار أنه تراث ضخم جمع فيه تاريخ وحياة الشعب الإسرائيلي ، كما جمع بين دفتيه آثار الأمم الأخرى وأساطيرها . . وينتهي هؤلاء إلى أن كتاب العهد القديم ، وضمنه أسفار موسى الخمسة ، ليس إلّا مجموعة من الأسفار، كتبت على يد مؤلفين مجهولين في الغالب، على مدى أكثر من عشرة قرون . . وجمع بذلك أشعار وفلكلور مجموعة من الشعوب، بما في ذلك الآثار الفلكلورية للشعوب القاطنة في منطقة الشرق الأدنى، وبالذات الحضارات البابلية والآشورية والمصرية والفينيقية مع تأثيرات اليونان والفرس . . ويعتقد كثير من هؤلاء الباحثين، أنه لا توجد حقيقة تاريخية لقصة نوح والطوفان، وقصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنيه . . وأن هذه القصص لا تزيد في قيمتها التاريخية عما ورد في الإلياذة والأوديسة من أساطير . . وأن هناك شكوكاً كثيرة حول شخصية موسى . . وأن ما ورد في أسفار العهد القديم حول هذه الشخصية أمر لا يستند إلى الواقع التاريخي ، وعلم الآثار، وأن ما ورد بعد ذلك من قصص وغيرها، لا ينبغي أن تؤخذ على أساس أنها تاريخ ، ففيها تزوير رهيب للتاريخ ، وأكاذيب لا حصر لها . .

وهؤلاء لا يؤمنون بأن أسفار العهد القديم كتب أنزلها الله تعالى ، بل هي عندهم كتب تمثل أساطير شعبية ، جمعها أناس على مدى ألف عام ، واختلفت بذلك ثقافتهم وأسلوبهم وتعبيراتهم .

وقيمة هذه الكتب ترجع إلى قيمتها الأدبية، وفي أنها تمثل تراث البشرية الأدبي وبعضها يرقى إلى مستوى أدبي عالٍ جداً، مثل سفر أرميا وسفر المزامير وسفر أيوب وسفر الأمثال وسفر الجامعة.

وأما الطائفة الثانية، فتمثل أحبار اليهود والنصارى وعلماء اللاهوت. وقد كان هؤلاء يعتقدون إلى القرن الثامن عشر، وربما التاسع عشر الميلادي: أن هذه الكتب كتبها الأنبياء بإلهام من الله. وأن الأسفار الخمسة (التوراة): كتبها موسى عليه السلام بوحي من الله. وأن سفر يشوع كتبه يشوع بن نون تلميذ موسى وحواريه ووارث علمه. وقد كتبه بوحي من الله وإلهام. وكذلك فعل صموئيل وأشعيا وأرميا وحجي وملاخي وزكريا... إلخ.

وهذه الكتب قد كتبها الأنبياء باللغة العبرية، وبعضها بالآرامية، ثم ترجمت في عهد بطليموس الثاني (٢٨٥ ـ ٢٤٦ قبل الميلاد) إلى اليونانية. وقام بهذه الترجمة يهود الإسكندرية. واشتهرت هذه الترجمة باسم الترجمة السبعينية لأن الذين قاموا بالترجمة (٧٢) حبراً من أحبار اليهود في القرن الثالث قبل الميلاد.

وتعتبر هذه الترجمة معتمدة لدى الأغلبية الكبرى، من فرق اليهود والنصارى، واستمر الحال على ذلك حتى بداية القرن الثامن عشر، عندما ظهر مجموعة من العلماء والبحّاثة يشككون في مدى مصداقية هذا الكلام.. وأثبتوا بالعديد من الدراسات، أن الأسفار الخمسة، لم يكتبها موسى، وإنما كتبت بعد وفاة موسى بعدة قرون. وظهرت هذه الأسفار بعد تجميع كتابات كثيرة مختلفة، وظهرت في نص موحد، في القرن الخامس والقرن الرابع قبل الميلاد، أي بعد وفاة موسى بقرابة ألف عام.. وأثبت هؤلاء الباحثون أيضاً أن الأسفار المنسوبة للأنبياء، لم يكتبها هؤلاء الأنبياء، بل اشترك في كتابتها عدد كبير من المؤلفين والأحبار الذين لم تعرف أسماؤهم..

وهكذا فعلوا بأسفار الأدب، والشعر والحكمة، وهي سفر أيوب وسفر أرميا وسفر نشيد الإنشاد والمزامير وسفر الأمثال وسفر الجامعة.. وأرجعوا أصول هذه الكتب والأشعار والأناشيد إلى كتب سابقة لدى قدماء المصريين، وإلى تراث الأمم الأخرى، مثل البابليين والآشوريين والفينيقيين.. وإلى الفرس واليونان.

ونتيجة هذه الأبحاث الكثيرة، اضطر علماء اللاهوت والقسس والرهبان والأحبار، لتغيير موقفهم. وإلى القول: بأن هذه الكتب الكثيرة والأسفار المتعددة المنسوبة إلى موسى

والأنبياء، لم يكتبها موسى أو الأنبياء المذكورين حرفياً. . ولكن روح الله كانت تظلل أولئك الكتاب المجهولين، الذين قاموا بصياغة هذه الكتب على مدى ألف عام. . ولهذا لا ينبغي أن نفهم من كلمة (وحي) المفهوم الحرفي لهذه الكلمة، وإنما تؤخذ بالمعنى الإجمالي، وهو إلهام الله لهؤلاء البشر، الذين قاموا بصياغة هذه الكتب في أزمنة مختلفة، وعصور متباينة أشد التباين. . ولهذا فإن وقوع الأخطاء التاريخية في هذه الكتب، لا يعني عندهم: أنها ليست وحياً من الله، لأنهم يفهمون كلمة (الوحي) أو (الإلهام) بمعنى (فضفاض)، بحيث يسمح بوقوع أخطاء وتناقضات. ولهذا فهم يقررون: أن هذه الكتب ينبغي أن تفهم على المعنى الإجمالي، لا على المعنى التفصيلي، ولا بد من تأويل هذه النصوص تأويلاً كبيراً (قد يكون معتسفاً جداً)، حتى تنسجم مع الفكر الحديث. لهذا فإن الذي يحاول أن يفهم هذه النصوص بحرفيّتها، ويبحث بالتالي عن مصداقيتها، إنما يقوم في النهاية، بعمل يؤدي إلى رفضها وعدم الإيمان بها، ولذا: فإن الواجب هو قراءة هذه النصوص، على أساس فهم الروح المهيمنة عليها، والموجهة لها، وهي (الروح الإلهامية) التي جعلها الله في قلوب الذين قاموا بكتابة وصياغة أسفار العهد القديم على مدى الأجيال المتطاولة.

باختصار لا يوجد اليوم من يؤمن، بأن هذه النصوص هي وحي حرفي من الله سبحانه وتعالى. . ولهذا فإن الجدل المحتدم القديم بين علماء المسلمين وعلماء اليهود والنصارى حول تحريف الكتاب المقدس، لم يعدله الأهمية السابقة التي كانت. . إذ أن علماء اليهود والنصارى أنفسهم يذهبون إلى أكثر مما يذهب إليه علماء الإسلام. فعلماء الإسلام يقولون: بأن هذه النصوص في الأصل موحىً بها من الله سبحانه وتعالى حرفياً.

ولكن هذه النصوص، بُدِّلت وحُرِّفت، على مدى القرون المتطاولة، ومع هذا بقيت من التوراة الأصلية، نصوص منبثّة هنا وهناك، تضيء بين ركام الظلام المحيط بها. . (وبعض علماء المسلمين يرى أن التحريف كان في المعنى فقط).

وأما علماء اليهود والنصارى، فينكرون أن الله قد أوحى بهذه الأسفار حرفياً. ويزعمون: أن الأسفار الخمسة (التوراة) لم تتنزل على موسى أصلاً، وأن هذه الأسفار قد كتبها عدد غفير من الكتاب المجهولين على مدى قرون متطاولة، وأنها تضم بين دفتيها، شيئاً من تعاليم موسى والأنبياء التي تناقلها الأبناء عن الآباء، وأضيفت إلى مجموع التراث الضخم، الذي تجمّع عبر الأجيال والقرون، وأصبح معروفاً لدينا باسم العهد القديم.

آراء بعض علماء اليهود والنصارى في العهد القديم والتوراة :

يذكر الباحث العلاَّمة ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة)[1] رأيه في العهد القديم فيقول: «ليس العهد القديم شريعة فحسب، بل هو فوق ذلك، تاريخ وشعر وفلسفة من الطراز الأول. وإذا ما أنقصنا من قيمة الكتاب ما فيه من أساطير بدائية، ومن أغلاط تاريخية، وأقررنا أن ما فيه من أسفار تاريخية، لا تبلغ من الدقة أو من القدم ما كان أجدادنا السابقون يفترضونه فيها». ثم ذهب يشرح ذلك، ويقول: إن قصة آدم والشجرة، مأخوذة من ألواح بابل، حيث كان البابليون يعتقدون بأن الإنسان تمرَّد على قسمة الموت، وطمع في خلود دائم. فبحث عن ثمرة البقاء في السماء.. وهناك خَدَعَهُ إلَـهٌ ماكر عن بغيته، فناوله بدلاً منها ثمرة تشبهها في ظاهرها، ولكنها في الواقع ثمرة الفناء.. وعقيدة المشيح (المسيّا) أو المسيح المنتظر موجودة أيضاً في الديانة الفارسية.. ويبدو ـ حسب رأيه ـ أن اليهود استعاروها منهم في زمن النفي إلى بابل..

واستعاروا من البابليين أيضاً قصة نوح والطوفان التي وردت عند البابليين باسم مغامرات جلجامش والطوفان الذي حصل في عهده. وأما قصة خلق العالم كما وردت في سفر التكوين فهي ـ مستعارة أيضاً ـ من البابليين حيث وردت عندهم قصة الإلَـه مردوك وكيفية خلقهِ للعالم.. وأما قصة برج بابل التي وردت في سفر التكوين فهي مستعارة من قصة الأبراج الشامخة المذكورة في الأساطير البابلية..

وينتهي ول ديورانت إلى القول: بأن نصوص العهد القديم وأسفار موسى الخمسة ترجع في كثير من أصولها إلى تراث الأمم السابقة مثل البابليين والفينيقيين والآشوريين والفراعنة.. كما أنه يلحظ تأثيرات اليونان وخاصة في كتاب سفر الجامعة، وتأثيرات الفرس وغيرهم من الأمم.

ويذكر ول ديورانت: أن شريعة موسى لم يبقَ منها سوى الوصايا العشر. وما عدا ذلك فقد اندثر وضاع ولم نجد له أي أثر[2].

ويعتبر ول ديورانت: أن سبب تأليف التوراة وكتابتها، هو ردة بني إسرائيل عن

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة: ٢/٣٨٥. (٢) قصة الحضارة، لول ديورانت: ٢/٢٧١.

عبادة الإلّـه «يهوه» إلى عبادة الآلهة الأجنبية. وأن الكهنة أخـذوا يتساءلـون ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تـدهور العقيـدة اليهـويـة؟ لهذا قـرروا أن يبلغوا النـاس رسالة الله في صورة كتاب يصور السنن الإلّهية، والتي تبعث النشـاط والقوة في عقيـدة الأمة وأخلاقها[1].

ويتحدث عن توراة حلقيا الكاهن، التي اكتشفت أثناء إعادة بناء الهيكل في زمن الملك يوشياهو (جوشيا) سنة (٦٢٢) قبل الميلاد، فيقول: «وليس ثمة ما يضطرنـا إلى أن نفترض، أن هذا السجل الذي ادّعاه حلقيا قد وضـع في تلك الساعة. فكل مـا فيه أن يقنن ويسجـل أوامر ومـطالب ونصـائـح نـطق بهـا، خـلال عـدة قـرون، أنبيـاء بني إسرائيل وكهنة المعبد».

وأغلب النقاد يرون: أن حلقيا قد كتب هذه النصوص الكهنوتية (سفر التثنية) من مجموعة روايات يتناقلها الناس والكهنة.

وعندما ظهـر عزرا كـانت أسفار التـوراة قد ضـاعت فكتبها من جـديد. ويـرجـع الباحثون النص الكهنـوتي إلى زمن عزرا، وأن الـذي قام بكتـابة هـذا النص هو عـزرا والكهنة. وعزرا هو عزير الذي جـاء ذكره في القـرآن الكريم والـذي رفعه اليهـود إلى مقـام الألوهيـة﴿وقالت اليهود عـزيـر ابن الله وقـالت النصـارى المسيـح ابن الله. ذلـك قـولهم بأفـواههم. يضاهئون قول الـذين كفـروا من قبـل قـاتلهم الله أنّـى يؤفكـون﴾ [التوبة: ٣].

ويذكر الباحثون أن سفر أخبار الأيام الأول والثاني صنّفهمـا عزيـر بمعونـة حجي وزكريا ويقول ول ديورانت«والرأي الغالب أن هذه الفصول تكوّن الجزء الأكبـر من سفر الشريعة الـذي أذاعه عـزرا. ويبدو أن هـذه الأجزاء الأربعـة (أو النصوص الأربعـة الي سبق ذكـرها) قـد اتخذت صـورتها الحـاضرة حـوالي عام ٣٠٠ قبـل الميـلاد. وكـانت أساطير الجزيرة (مـا بين النهرين دجلة والفـرات) هي المعين الغزيـر الذي أخـذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجـع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة الآف سنة أو نحـوها قبـل الميلاد. . ولعـل اليهود قـد أخذوا بعضهـا من الأدب البـابلي في أثنـاء أسرهم. ولكن أرجـح من هذا أنهم أخذوها قبـل ذلك العهـد بزمن طـويل من مصـادر

(١) قصة الحضارة: ٢/٣٥٦ وما بعدها.

سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى».

ويزعم كثير من الكتاب الغربيين ومنهم جيمس هنري برستد في كتابه «فجر الضمير»[1] أن كاتب سفر المزامير تأثر بنشيد أخناتون ويقول ما يلي: «صار لدينا الآن الأصل الهيروغليفي المصري الذي تُرجمت ونُشرت منه فقرات كاملة في كتاب العهد القديم العبراني. فقد تعرف الأستاذ هوجو جرسمان البحّاثة الضليع وصاحب الرأي الثاقب في الأدب العبراني، بلا تردد، على المنهل المصري الذي استقى منه المزمور ١٠٤ المذكور. بل ذهب الأستاذ جرسمان إلى أبعد من ذلك، حيث يقول: إن أقدم موضوع أسطوري تناولته الأناشيد العبرانية هو خلق العالم، وهو وأسطورة الخلق نفسها نشئا في بابل.. وأما موضوع العناية الربّانية بالعالم فإنها فكرة جاءت فيما بعد. وقد شقّت طريقها إلى المزامير بتأثير مصر القديمة.

«وبذلك تكشف لنا أنشودة أخناتون عن المنهل الذي استقى منه مؤلف المزمور العبراني، إدراكه لرحمة الله فرعون مخلوقاته حتى أصغرها. إن موقف العبرانيين من جهة تصورهم لعناية الخالق الرؤوف بخلقه وبصفته يعلم ما في الكون إنما يرجع إلى نشيد أخناتون وما يشبهه من الأناشيد الدينية بمصر القديمة».

وإذا قارنا هذا الموقف من كاتب نصراني، بموقف أي فقيه مسلم سنجد الفرق والبون شاسعاً. فالمسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أن كاتب المزامير هو داوود عليه السلام وأن الله أنزل الزبور على داوود قال تعالى ﴿وآتينا داوود زبوراً﴾ وأن هذا الزبور هو كتاب أنزله الله تعالى وحياً على داوود عليه السلام.

ونجد كثيراً من علماء الآثار الغربيين والمفكرين من أمثال عالم الآثار المصرية القديمة أرمان والعالم برستد يكررون القول: بأن المزمور ١٠٤ منقول بشكل شبه حرفي من نشيد أخناتون الكبير، وأن سفر الأمثال منقول بشكل فاضح من كتاب الحكم لأمنموبي المصري القديم. وقد قسّم أمنموبي كتابه إلى ثلاثين فصلاً، وقد

(١) فجر الضمير: ص ٣٦٢، ٣٩٤، ٣٩٥، كما ينقله عنه د. بدران محمد بدران من: التوراة.. العقل.. العلم.. التاريخ: ص ١٨٠، دار الأنصار، القاهرة.

اشتهر كتابه باسم «ثلاثون فصلاً من الحكمة» وأحياناً باسم «ثلاثـون فصلاً» فقط. وقـد نقـل كاتب سفـر الأمثال هـذه الحكم بعـد تغيير طفيف فيهـا، ولكنـه ينقـل في بعض الأحيـان حرفيـاً بعض العبارات مثـل قولـه: «ألم أكتب ثلاثين فصـلاً من جهـة مؤامـرة ومعرفة»، وهو تشويه لعبارة أمنمـوبـي: «تبصّر لنفسـك في هذه الفصـول الثلاثين حتى تكون مسرة لك وتعليماً». والغريب حقاً أن كاتب سفر الأمثال لم يكمل ثلاثين فصلاً، ومـع هذا أبقىٰ ما ذكره أمنموبـي دون تحوير.

ونقل سفر أرميا أيضاً شيئاً من حكم أمنموبـي وكـذلك المـزمور الأول والمـزمور الثاني.

ويعتقد كثير من الباحثين الغربيين: أن كُتّاب العهد القـديم تأثـروا كثيراً بفلسفـة مصر القديمة إلى الحد الذي صوروا فيـه «يهوا» (الله) بصـورة الشمس ذات الجناحين حيث جاء في سفر ملاخي (٤ : ٣) «ولكم أيها المتقـون اسمي، **تشرق شمس البـر في أجنحتها**»، وهي استعارة من الفلسفة المصرية القديمة.

ولا يقتصـر الأمر على الكُتّـاب الغـربيين فحسب، ولكننـا نجـد أيضـاً كثيـراً من الكتّـاب المحدثين من المسلمين وغيـر المسلمين، ينحون هـذا المنحى، مثل الأستـاذ عبد العزيـز صالـح أستـاذ علم الآثار المصـرية، حيث يقـول في كتابـه (الشرق الأدني القـديم): «ومن حيث أناشيـد الدين الجـديد (أي دين أخنـاتون الفـرعـون المصـري) خرجت تناجي ربها بالـود والحب والتبجيل وعـرضت الأناشيـد مِنَنَ الإلـه الظاهـرة في حجـج فطرية مقنعـة. . . وقد ظهـرت نفس الحجـج ضمن ما رددتـه فيما بعـد مزاميـر العبرانيين مما دعا، إلى الربط بينهما واعتبار الأناشيد المصرية أصلاً لها»[1].

ويقول الدكتور أحمد فخري في كتابه (مصر الفرعونيـة): «ليس هناك شـك، في أن أناشيد أخناتون لإلههِ كانت ذات أثر مباشر على المزامير وأن المزمور ١٠٤ يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير (لأخناتون) وليس من قبيل توارد الخواطر»[2].

---

(١) و(٢) نقلاً عن كتاب «التوراة . . العقل . . العلم . . التاريخ»، للدكتور بـدران محمد بـدران، دار الأنصار، القاهرة، ص ١٨٠ وما بعدها.

وهكذا يبحث الكتّاب، في أصول أسفار العهد القديم المختلفة، ويرجعونها إلى الحضارات السابقة مثل حضارة البابليين أو الفراعنة أو الفينيقيين أو الآشوريين كما يوضحون أيضاً تداخلات تأثير الحضارة الفارسية والحضارة اليونانية على كتاب العهد القديم.

وبما أنّ كتّاب العهد القديم، يمثلون مئات الأشخاص الذين عاشوا على مدى ألف عام أو تزيد، فإن هؤلاء الكتاب، تأثروا بمختلف الحضارات التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها.

وبما أن العبرانيين أو اليهود، قد عاشوا في مصر وبابل وفارس وآشور، وتأثروا بكل هؤلاء الأمم، فإنهم قد اقتبسوا كثيراً من أساطير وعقائد وآداب هذه الأمم، وأدخلوها في كتابات العهد القديم.

ورغم أن التيار العام لدى النصارى، هو اعتبار «العهد القديم» كتاباً مقدساً، ولو بالمعنى العام والإجمالي لكلمة الإلهام والوحي، إلاَّ أننا نجد عدداً لا يستهان به من الكتّاب النصارى ينظرون إلى العهد القديم نظرة ازدراء واحتقار. ومن أشهر هؤلاء المفكرين والكتّاب أرنست بيغن أول وزير خارجية من حزب العمال (وزارة أتلي بعد الحرب العالمية الثانية).

وكان بيڤن يقول: إن العهد القديم هو أشد الكتب بعداً عن الأخلاق!!

ويقول عن اليهود: ماذا تتوقع من شعب تربى منذ المهد على أقوال التوراة!![1].

وكان **الأب ديغو** من أوائل الباحثين الذين توصلوا: إلى أن موسى (عليه السلام) لم يكتب أسفار التوراة الخمسة المنسوبة إليه، إذ كيف يعقل أن يكتب موسى قصة موته، وكيفية دفنه، والمكان الذي دفن فيه، وهو ما ورد في سفر التثنية (تثنية الاشتراع) الإصحاح ٣٤.

وفي عام ١٧٥٣ قدم **جان استروك** ما أسماه (البرهان الحاسم) الذي يؤكد براءة

---

(١) مذكرات كريستوفر ماهيو: الشرق الأوسط في ١٩٨٧/٣/٩م، ص ٦.

موسى من كتابة الأسفار الخمسة (التوراة). ويذكر أن من يطالـع سفر التكـوين سيجد: نصين جنباً إلى جنب، أحدهما يُسمّي الإلّـه باسم «يهـوه»[1] والثاني بـاسم «الوهيم». والعلماء يعتقدون: أن القصص الخاص بيهوا قد كتب في مملكة الجنوب «يهوذا» بينما كتبت القصص الأخرى المتعلقة (بالوهيم) في مملكة الشمال «إسرائيل». وكلاهما ظهر بعد وفاة سليمان عندمـا انقسمت المملكة التي أسسهـا داوود إلى مملكتين متحاربتين، إحـداهما لسبط يهـوذا وبنيامين في الجنـوب وعـاصمتهـا (أورشليم). والأخـرى لبقيـة الأسباط (عشرة) في الشمال، وتسمى إسرائيل وعاصمتها (شكيم) (بالقـرب من مدينـة نابلس الحالية).

ويعتبر النص اليهـوي سابقاً على النص الإلهيمي.

وقد تنبَّه العالم «**ايخهورن**» (١٧٨٠ ـ ١٧٨٣م) إلى أن الأسفار الأربعة الأخـرى من التوراة تحتوي أيضاً على نصين مختلفين، وليس ذلك مقتصـراً على سفر التكـوين كما ظن استروك.

وظهر العالم «**ولهاوزن**» قرب نهاية القرن الثامن عشـر بنظريتـه التي أثرت تـأثيراً بالغاً في عالم أدبيات الكتاب المقدس. وقد عكس «ولهاوزن» الترتيب التقليدي لتأليف أسفار العهد القديم حيث كان يقال: إنَّ موسى هو كـاتب الأسفار الخمسـة (التكـوين، الخروج، اللاوييـن، العدد، التثنية) يليـه سفر يشـوع الذي كتبـه يشوع نفسـه، وهكذا على حسب الترتيب التاريخي لظهور الأنبيـاء. فجاء «ولهـاوزن» وذكر أن أسفـار موسى الخمسة كتبت بعد الأسفار الأخرى وهي متأخرة عنهـا. وكذلـك اعتبر سفـر يوشـع من الأسفار التي كتبت في فترة متأخرة جداً.. وأن موسى لم يكتب شيئـاً من هذه الأسفـار المنسوبة إليه. وكذلك يشوع لم يكتب سفره المنسوب إليه وإنما كتب هـذا السفر بعـد وفاته بمئات السنين.

وفي عام ١٧٩٨ عمد الباحث «**إيلجن**» إلى تحليل النص الالهيمي فوجده ينقسم إلى قسمين مختلفين، كتب كل واحد منهما في مرحلة مختلفـة عن القسم الآخر. وأن كتبة هذين القسمين، مختلفون فكراً وبيئةً وثقافةً وأسلوباً.

(١) يهوه أو يهوا هو اسم الرب أو الإلّـه الخاص باليهود، بينما اسم ألـوهيم يدل على أنـه رب الأمم الأخرى أيضاً. وقد نقله بعض المسلمين باسم: «ياهو».

مصادر التوراة :

وبحلول عام ١٨٥٤ كان علماء الكتاب المقدس، و «العهد القديم» بصورة خاصة يرجعون الأسفار الخمسة المعروفة باسم التوراة أو أسفار موسى الخمسة إلى أربعة مصادر رئيسية هي :

١ ـ **الوثيقة اليهوية**: (النص اليهوي)، حيث يذكر اسم الله باسم يهوه وكانت هذه التسمية شائعة في مملكة الجنوب يهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد ويحدد بعضهم ذلك في حدود سنة ٨٥٠ قبل الميلاد. ويتحدث هذا النص عن بدء الخليقة وأصل العالم وينتهي بموت يعقوب. . ويظهر الله في هذه النصوص بصورة مجسمة وبشرية. . «فسمعا وقع خطى الرب الإلّه وهو يتمشى في الجنة عند نسيم النهار» (التكوين ٣ : ٨) وظهور الرب بصورة إنسان ليعقوب ومعاركة يعقوب للرب ـ حسب زعمهم ـ ويظهر الله كإلّه يعيش مع الإنسان ويتعامل معه بصورة مباشرة كأنه هو أيضاً بشر.

ويتميز النص اليهوي بأنه تصويري وغني بالاستعارات ويكاد يكون ساذجاً ومليئاً بالأساطير. ويتحدث هذا النص عن كيفية خلق العالم ثم خلق آدم وقصة آدم والشجرة الحية وقصته مع الله، وقصة نوح والطوفان، ثم قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنيه إلى موت يعقوب. ويسمى هذا النص أحياناً باسم النص العبري.

٢ ـ **الوثيقة الالهيمية (النص الالهيمي)**، حيث يذكر اسم الله باسم «الوهيم». وكانت هذه التسمية شائعة في مملكة الشمال (إسرائيل) وعاصمتها السامرة (شكيم) وزمانها بعد الوثيقة اليهوية. وقد كتبت في القرن الثامن قبل الميلاد في حدود سنة ٧٧٠ قبل الميلاد. وتسمى أحياناً النص السامري. وموضوعها الأحداث الخاصة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف. وأسلوبها أكثر اعتدالاً، ولا يظهر الربُّ في صورة بشرية مجسَّمة بل هو رب العالمين، ورب الكائنات كلها ولا يمكن رؤيته ومن ينظر إليه يموت. . والنص الالهيمي أشد إبرازاً للبعد القائم بين الله والإنسان. . وهو متصل بعهد الله في جبل حوريب ويتمثل في تأثير أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد ويركز على الاهتمامات الأخلاقية.

إن النصين اليهـوي والالهيمي يحتويان على روايات وقصص. ونادراً ما توجدفيهما نصـوص تشريعيـة. وقد أُدمـج هـذان المصدران في مجمـوعة واحـدة في القرن السابـع قبل الميلاد (في حدود سنة ٦٥٠).

٣ ـ **سفر التثنية (تثنية الاشتراع)**، وهو سفر يكـرر فيه الشـرائـع والقوانين. وقـد أعلن العثـور عليه في زمن الملك يـوشياهـو، ملك يهوذا سنـة ٦٢٠ قبل الميـلاد وكان أساساً لإصلاحه الديني. وقد عثر عليه الكاهن حلقيا أثناء تجديد بناء الهيكل.

ويختلف الباحثون في تحديد أزمنة هذه النصوص على وجه الـدقة. فعلى سبيـل المثال يرى (إدمون جاكوب) العالم اليهودي المحقق في العهد القـديم: أن سفر التثنية كتب في القرن الثامن قبل الميلاد، بينما يرى الأب ديغو ويتـابعه كثيـرون، أن سفر التثنية كتب في القـرن السابـع، عنـدما أظهـر الملك يوشيـاهو والكـاهن حلقيـا ما أسمـوه سفر الشـريعة في عـام ٦٢٠ق.م. ويتميز نص التثنيـة بالإنشـاء الخطابـي: «اسمـع يا إسرائيل» «وأرض تدر لبناً وعسلاً».

٤ ـ **النص الكهنـوتي**، وهو يتـألف من فصول كتبهـا الكهنة في عصـر النفي إلى بابـل وإلى عصـر ما بعـد النفي، أي القرن السـادس والقـرن الخـامس قبـل الميـلاد. ويرجـع هذا النص بصورة عامة إلى زمن عزرا. . ويتميز النص الكهنوتي بالتكرار والتصلب والجمود والميل إلى كـل ما يتعلق بـالطقـوس والذبـائـح وثياب الكهنـة وأنواع القربان والإيضاحات العدوية.

ثم قام مجموعة من الكتاب بجمـع هذه النصوص المختلفة وتوحيدها في كتـاب واحد أسموه «التوراة» أو أسفار موسى الخمسة في عصور متأخرة جداً تصل إلى ما بعـد ظهور السيد المسيـح عليه السلام.

ويقول الأب ديغو: «لقد تكونت أسفـار موسى الخمسـة من أقوال مـوروثة لأمم مختلفة، جمعها محـررون، وضعوا تـارةً ما جمعـوا جنباً إلى جنب وطـوراً غيَّروا من شكـل هذه الـروايات بهـدف إيجاد وحـدة مركبـة، تاركين للعين أمـوراً غير معقـولـة وأخرى متنافرة»[1].

---

(١) نقلاً عن موريس بوكاي: «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث»: ص ٧ ـ ٣٩.

ولكأنما لم يكف كل هذا التعقيد حيث ذكر الباحثون أربعة مصادر لأسفار موسى الخمسة (التوراة) ، فجاء باحثون آخرون، نـذكر منهم على سبيـل المثال العـالم لودز (Lods) الـذي وجد: أن النص اليهـوي يتضمن ثلاثـة مصادر، وأن الـوثيقة الالهيميـة تتضمن أربعة مصادر وأن سفـر التثنية يتضمن ستـة مصادر وأن النص الكهنـوتي يحتوي على تسعة مصادر. وبـذلك رفـع لـودز عام ١٩٤١ مصـادر التوراة من أربعـة إلى اثنين وعشرين مصدراً، كتب كل واحدٍ منها في زمن معيّن وبأسلوب مختلف[١] عن المصادر الأخرى.

وهكذا يتبارى الباحثون في إثبات أن التوراة أو أسفار موسى الخمسـة، لم يكتبها موسى، وأنها كتبت بعده بعدة قرون، وأن الذين قاموا بكتابتها فئات مختلفة من الأحبار والكتاب في عهود مختلفة، وأزمنة متباينة، وثقافات غير منسجمة.

وهـذا مـا يفسـر التنـاقض الـرهيب في أسفـار التـوراة، وفي سلسلة النسب التي تضعها. فهي تختلف اختلافاً كبيراً. كما أن أسماء الأمـاكن والأشخاص تختلف حسب الرواية والنص المستخدم. بل إن نفس الحـدث يُصوَّرُ ويـذكر بـطرق مختلفة متنـاقضة تماماً.

والتوراة تسجل أمـاكن في الأردن لم يدخلهـا موسى، وفيهـا اصطلاحـات فلكية كنعانية عرفها بنو إسرائيل بعد دخولهم فلسطين واستقرارهم فيها. أي بعـد عهد مـوسى بقرون طويلة. وكذلك هنـاك أسماء لقـرى وأشخاص لم تـوجد في عهـد موسى وإنمـا وجدت بعدَهُ بقرون.

بـل إن بعض الباحثين يـزعم: أن مـوسى عليـه السـلام كـان يتكلم الفـرعـونيـة (المصرية القديمة)، لأنه نشأ في بيت فرعون. ولغـة التوراة هي اللغـة العبريـة، وهذه اللغة التي كتبت بها التوراة، لم توجد إلاَّ بعد وفاة موسى بسنوات طوال.

ويقول الباحث اليهودي **إدمون جاكوب في كتابه «العهد القديم»**[٢]: «ليس هناك نص واحد للعهد القديم، بل نصوص كثيرة ففي القرن الثالث قبل الميلاد، كـان هناك

---

(١) موريس بوكاي: المصدر السابق.

(٢) نقلاً عن موريس بوكاي: «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث»: ص ٧ ــ ٣٩.

ـ على الأقل ـ ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة (الأسفار الخمسة)، وهي:

(١) النص الماسوري أي المحقق.

(٢) النص السامري.

(٣) النص الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية (الترجمة السبعينية التي أمر بها بطليموس الثاني في الإسكندرية).

وفي القرن الأول قبل الميلاد، حدث اتجاه إلى كتابة نص موحد للتوراة (الأسفار الخمسة) ولكن تدوين نص موحد للتوراة، لم يتم إلَّا في القرن الأول بعد الميلاد، أي بعد ألف وخمسمائة عام، منذ عهد موسى.. ولم يتم الاعتراف النهائي بهذا النص إلَّا في القرن العاشر بعد الميلاد على يد عائلة بن أشير في طبرية (سوريا)[1].

«وضاعت النصوص العبرية أثناء غزوات نبوخذنصَّر والهجرة إلى بابل وما بعدها من نكبات.. ولم يبق سوى النص اليوناني. ثم ترجم ذلك النص إلى العبرية. وقد كتب أقدم نص عبري موجود للتوراة في القرن التاسع بعد الميلاد (أي بعد ظهور الإسلام بقرنين من الزمان). هذا إذا وضعنا جانباً أسطوانات مغارة قمران التي ترجع إلى ما قبل ظهور المسيح بقليل، وبردية الوصايا العشر. وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد والموجودة حالياً في كنيسة القاهرة».

وتعد الترجمة السبعينيَّة أول ترجمة باللغة اليونانية ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد (بأمر بطليموس الثاني ٢٨٥ ـ ٢٤٦ قبل الميلاد في الإسكندرية) وقد قام بها ٧٢ من يهود الإسكندرية[2].

وقد ظلت معتمدة حتى القرن السابع بعد الميلاد.

---

(١) مدخل إلى الكتاب المقدس من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس وإصدار الرهبانية اليسوعية، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م «كتب الشريعة الخمسة».

(٢) تعتبر المسكونية الفرنسية (المصدر السابق) أن قصة الترجمة السبعينية ليس لها أصل من الحقيقة وأنها أسطورة. وأن تلك الترجمة تمت على مدى فترة طويلة من الزمن بواسطة عدد من الكتاب.. ولم تكن ملتزمة بالترجمة، بل كان لها حق الإضافة والحذف وإصدار كتب جديدة.

والنصوص اليونانية واللاتينية التي يستخدمها رجال الكنيسة المسيحية هي ثلاثة[1]:

(١) مدونة الفاتيكان: (Codes Vaticanus)، وهي محفوظة في الفاتيكان في روما.

(٢) مدونة سيناء: (Codes Sinaiticus)، وقد عُثر عليها كما يبدو من اسمها في صحراء سيناء وهي موجودة بالمتحف البريطاني في لندن ويرجع تاريخ هذين المخطوطين إلى القرن الرابع بعد الميلاد.

(٣) الترجمة اللاتينية: وهي المعروفة باسم الفولجات (Vulgate)، والتي قام بها القديس جيروم في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين. وترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد.

وقد لقيت هذه النسخة اعترافاً رسمياً من الكنيسة الكاثوليكية، وظلت النسخة المعتمدة منذ القرن السابع الميلادي وحتى يومنا هذا للكنيسة الكاثوليكية. وقد وجدت أيضاً مدونات آرامية وسريانية وهي جزئية وغير كاملة. وقد أدى تعدد النسخ المختلفة والمتباينة للتوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) إلى اختلاف الكنائس المسيحية حول الكتاب المقدس. حيث قبلت بعض الكنائس أسفاراً مختلفة تمام الاختلاف عما قبلته كنائس أخرى. والشيء ذاته يقال عن الفرق اليهودية المختلفة.

وتعتبر نسخة الملك جيمس النسخة الموثقة لدى البروتستانت وهي تختلف عن نسخة الفولجات المعتمدة لدى الكنائس الكاثوليكية.

رأي دائرة المعارف البريطانية[2]:

تذكر دائرة المعارف البريطانية: أن العهد القديم، كتاب يمثل تراث الشعب الإسرائيلي، وتراث شعوب أخرى كثيرة. وتذكر أن أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم التوراة، لم يكتبها موسى (عليه السلام)، وإنما كتبت بعد وفاته بقرون طويلة،

(١) موريس بوكاي: المصدر السابق.

(٢) الطبعة ١٥: ٢/٨٧٩، ١٩٨٢م.

وأول ما كتب من التوراة هو عند تكوّن مملكة داوود، عندما ظهر الكتبة (حوالي سنة ١٠٠٠ق.م) وإلى هذا التاريخ ترجع إلى المدونات التي تشمل بعض الأناشيد، ونبؤات يعقوب وموسى والوصايا العشر.

وفي القرن العاشر قبل الميلاد في أيام سليمان (٩٦١ ــ ٩٢٢) وفي القرن التاسع قبل الميلاد تم تحريرالنص اليهوي (أي التي يذكر فيه اسم الله باسم يهوه) والتي شكلت مع النصوص الأخرى التي كتبت في فترة لاحقة أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم التوراة.

وقد أضيفت الرواية الالهيمية إلى النص اليهوي في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد سميت هذه الرواية بالنص الالهيمي لأن الله يذكر فيها باسم «الوهيم». ثم أضيف فيما بعد نص آخر هو النص الكهنوتي. وقد سمّي كذلك لأنه صدر عن كهنة المعبد وبالذات الهيكل (الذي بناه سليمان في فترة سابقة) في مدينة أورشليم (القدس).

وأول ذكر للتوراة يرد، عندما قام ملك منطقة يهوذا، والذي يسمى جوشيا (يكتب أيضاً يوشياهو) بتجديد بناء الهيكل سنة ٦٢٢ قبل الميلاد، حيث عثر على نسخة من التوراة. ولم يتم الاعتراف بالتوراة كشريعة إلاّ أثناء السبي في بابل في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد[١].

وهكذا نجد أن أقدم أسفار العهد القديم وهي أسفار موسى الخمسة (بنتاتوش) (Pentateaque) والتي يطلق عليها أيضاً اسم التوراة. قد كتبت بعد وفاة موسى ببضعة قرون. وأول تدوين لها بدأ في القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد عندما ظهر الكتبة في مملكة داوود وسليمان.

وتختلف النصوص فيما بينها اختلافاً شاسعاً، ولم يتم توحيد هذه النصوص المختلفة للأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى (عليه السلام)، إلاّ في فترة متأخرة جداً. وذلك في القرن الأول بعد الميلاد. أي بعد عهد موسى بحوالي ألف وخمسمائة عام.

---

(١) المصدر السابق.

وتقول دائرة المعارف البريطانية[1]: إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة وبأيدي كتاب مختلفين ذوي ثقافات مختلفة متباينة. ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيِّناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار[2]. ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد (أي حوالي سنة ٣٥٠ ميلادية)[3].

رأي جارودي:

ويقول روجيه جارودي[4]: «ليس هناك عالم من علماء التوراة وتفسيرها لا يقرُّ أن أقدم نصوص التوراة قد ألف وكتب على الأكثر في عهد سليمان (منتصف القرن العاشر قبل الميلاد). وهذه النصوص ليست إلَّا تجميعاً لروايات شفهية. وإذا التزمنا بمعايير الموضوعية التاريخية كان علينا الإقرار بأن هذه الروايات التي تتحدث عن ملاحم مرّت عليها قرون ليست أكثر تاريخية بالمعنى الدقيق للكلمة، من الإلياذة أو الرامايانا».

رأي أدمون جاكوب:

ويتحدث الباحث اليهودي أدمون جاكوب في كتابه «العهد القديم»[5] عن مختلف نصوص العهد القديم كما نقلناه عنه. ثم يذكر الأسفار الشعرية فيقول: «كل شعب يغني في مراحل تطوره البدائية» وفي إسرائيل، كما حدث في غيرها من البلاد، سبق

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هذا الكلام يؤكد بدليل قطعي وجود التحريف الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.. واعتراف كامل من مصدر نصراني ـ يهودي بهذه الحقيقة.

(٣) النص اليوناني الأول، وهو الترجمة السبعينية تم في عهد بطليموس الثاني في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد. ولكن يبدو أن هناك نصاً آخر تمت كتابته في القرن الرابع بعد الميلاد. ومن المعروف أن مدونة الفاتيكان ومدونة سيناء ترجع إلى القرن الرابع بعد الميلاد، وبينما ترجع مدونة الفولجات اللاتينية إلى القرن الخامس بعد الميلاد.

(٤) إسرائيل والصهيونية السياسية: ص ٩٤ ـ ٩٧.

(٥) كما ينقله عن موريس بوكاي: «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث»: ص ٧ ـ ٣٩.

الشعر والنثر. ولقد غنت إسرائيل كثيراً، وكانت تحسن الغناء، ولأن الظروف التاريخية كانت قد قادت إسرائيل إلى قمة الحماس، كما قادتها إلى مهاوي اليأس، ولأنها ساهمت بكل كيانها في كل ما حدث لها، حيث أنه كان لكل شيء معنى في نظرها، فإنها قد أعطت أغانيها تعابير شديدة التنوع.. كان الناس يغنون في مختلف المناسبات.. ويحتوي العهد القديم على الأغاني المتعددة للمناسبات المختلفة، مثل أغاني الطعام، وأغنية الاحتفال بنهاية الحصاد، وأناشيد العمل مثل نشيد البئر (العدد الإصحاح ٢١)، وأناشيد الزواج مثل نشيد الإنشاد (المنسوب لسليمان عليه السلام كذباً. وهو نشيد جنسي بحت)، وأناشيد الحرب مثل ترنيمة دبوره (سفر القضاة، الإصحاح الخامس: ١ ـ ٣٢)، وفيه تترنم بنصر إسرائيل الذي أراده يهوه إله إسرائيل في نهاية حرب مقدسة قادها بنفسه.

«وهناك أيضاً الحكم والأمثال (المنسوبة لسليمان عليه السلام)، وأمثال وحكم الكتب التاريخية المقدَّسة (وكان كثير منها منقول عن الأمم الأخرى مثل حكم أمنموبي)...

«إن تناقل هذه الأقوال كان يتم، إما عن طريق الأسرة وإما عن طريق المعابد في شكل روايات لتاريخ شعب الله المختار.

ودخلت الأساطير حيث جاء في سفر القضاة (٩: ٧ ـ ٢١): ذهبت الأشجار لتمسح عليها ملكاً فتوجهت أولاً إلى الزيتونة ثم إلى شجرة التين ثم إلى الكرمة ثم إلى العوسج...

«إن ما يرويه العهد القديم عن موسى، والأنبياء الأولين (إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط) لا يتفق إلَّا بشكل تقريبي مع المجرى التاريخي للأحداث. ولكن الرواة كانوا يعرفون كيف يضفون الأناقة والخيال على مروياتهم، بحيث يربطوا بين أحداث شديدة التنوع. وقد نجحوا في تقديم هذه الأحداث في شكل حكاية لما حدث في أصل العالم والإنسان».

وهذه الفقرة الأخيرة فيها اعتراف واضح بأن الرواة أضافوا بخيالهم الخصب

أشياء كثيرة لم تحدث. . وهذا هو الرأي الصـواب والقول الحق. . فـإن الرواة ومئـات الكتاب غيَّروا وبدَّلوا حسب ما شاءت لهم الأهواء. .

وأما المنكرون لقصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسبـاط والقـائلون بـأن موسى قائد فرعوني فقد أسرفوا في الشطط وضلوا ضلالاً بعيداً.

* * *

التوراة والعهد القديم
عند رجال الكنيسة

رأي أصحاب الكنيسة يمثلهم الرهبانية اليسوعية ولجنة الكتاب المقدس المسكونية الفرنسية[1]:

يعتبر الكاثوليك أشد الفرق المسيحية تمسكاً بالنصوص. وكانوا إلى عهود قريبة جداً يعتبرون «العهد القديم» كلام الله الذي أوحاه إلى الأنبياء، ابتداء من موسى عليه السلام إلى آخر سلسلة بني إسرائيل من الأنبياء.

ومع ظهور الاكتشافات الأثرية والتاريخية والكتابات العديدة التي قام بها علماء اليهود والنصارى التي ذكرنا جانباً منها اضطر رجال الكنيسة إلى تعديل آرائهم وإلى الاعتراف بأن «العهد القديم» ليس وحياً حرفياً من الله لأنبيائه.. وأن التوراة (الأسفار الخمسة) لم يكتبها موسى، وسفر يوشع لم يكتبه يوشع، وإنما كتبت هذه الأسفار من قبل رجال عديدين، في أزمنة مختلفة.. ولكن روح الله وإلهامه كانت تظلل أولئك الكتبة.

وتعترف الكنيسة بالتناقضات الموجودة في هذه الأسفار، وتطلب من المؤمنين بها أن يقرأوها دون أن ينظروا إلى مصداقية كل كلمة فيها. لأن المطلوب هو الإيمان بالمغزى والروح الإلهامي الإجمالي لا الإيمان بالحرفية لأن التفاصيل قد تبدو متناقضة

(١) الكتاب المقدس: «كتب الشريعة الخمسة»، مدخل إلى الكتاب المقدس من الترجمة الفرنسية المسكونية، إصدار الرهبانية اليسوعية، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م.

فيما بينها للباحث المدقق، أو مختلفة مع ما أصبح معروفاً من مجريات التاريخ. وأما إذا أخذنا ما فيها من علوم كونية على أساس أنها حقائق، فإننا سنواجه بمشكلة عويصة حيث تصادم نصوص الكتاب المقدس، في كثير من آياتها، ما هو معروف من هذه العلوم الحديثة. . .

لهذا كله لا ينبغي أن تُقرأ كتب العهد القديم على أساس دراسة تفصيلية حرفية، فإن هذه الدراسة ستؤدي بالقارىء لها حتماً إلى إنكارها والكفر بها. . . ولكن على القارىء أن يُبقي جذوة الإيمان في قلبه بأن يفهمها فهماً عاماً إجمالياً دون الدخول في التفاصيل.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً﴾. . .

وما يسمى الكتاب المقدس قد حُرِّف تحريفاً شديداً. وامتلأ بالتناقضات فيما ترويه الأسفار المختلفة، بل والسفر الواحد. . كما أنه يناقض الوقائع التاريخية والحقائق العلمية في أمور كثيرة.

وسننقل ها هنا بعض ما جاء في الدراسة القيِّمة المسماة (مدخل إلى الكتاب المقدس) والتي نقلتها الرهبانية اليسوعية من الترجمة المسكونية الفرنسية للكتاب المقدس[1]:

«ما هو الكتاب المقدس؟ تكفي نظرة نلقيها على الفهرس لنرى: أنه «مكتبة» بل مجموعة كتب مختلفة جداً. . ذلك أنها تمتد على أكثر من عشرة قرون، وتنسب إلى عشرات المؤلفين المختلفين. بعضها وُضع بالعبرية مع بعض المقاطع بالآرامية. وبعضها الآخر باليونانية، وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافاً كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة».

«أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين، ظل عدد كبير منهم

---

(١) الكتاب المقدس، إصدار الرهبانية اليسوعية، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م، «كتب الشريعة الخمسة».

مجهولاً لكنهم ــ على كل حال ــ لم يكونوا منفردين، لأن الشعب كان يساندهم، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها. معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة[1]. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب. وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية. لا بل أحدثُ الأسفار ما هي أحياناً إلَّا تفسير وتحديث لكتب قديمة».

وهذا الكلام في منتهى الأهمية فهو يعترف اعترافاً صريحاً لا لبس فيه أن هذه الأسفار المجمعة باسم (العهد القديم) والمعروفة باسم (الكتاب المقدس) ليست من عند الله مباشرة ولا أوحى الله بها لأحد من أنبيائه. بل هي عمل مؤلفين ومحررين استلهموا أعمالهم من تقاليد الشعب وآلامه وأحلامه.. وكانت تلك الصياغات ديناميكية (أي أنها قابلة دوماً للتغيير)، وليست استاتيكية (أي ثابتة).. وكان القراء ينقحونها ويعلقون عليها بل ويقوم بعضهم بإعادة صياغتها مرة أخرى بحيث يغيِّر النصوص السابقة. وتقول هذه الدراسة أيضاً: **«لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة».**

وهذا اعتراف خطير يلغي الحاجة للجدل الطويل الذي كان يقوم به علماء المسلمين، ليثبتوا أن هذه الكتب قد حُرِّفت تحريفاً شديداً وكاملاً تقريباً. بل إن بعض علماء المسلمين من أمثال الإمام البخاري والإمام الفخر الرازي والإمام ابن كثير كانوا يظنون أن التحريف للتوراة والإنجيل لم يحدث إلَّا في المعنى والتأويل وأما الأصل فباقٍ كما هو عليه.. وظن طائفة أخرى من علماء المسلمين أن التحريف بالإضافة

---

(١) وهذا الكلام اعتراف صريح بأن (الكتاب المقدس) ليس وحياً من عند الله، بل هو كلام كتبه عدد غفير من الكتاب في أزمنة مختلفة، وذوي ثقافات متباينة، استلهموا فيها تقاليد الشعب وأساطيره وقصصه وآلامه وأحلامه، وأضافوا إلى ذلك أساطير الشعوب الأخرى المجاورة أو التي عاشوا بين ظهرانيها.. وتمَّ تجميع ذلك كله وتلفيقه في كتاب واحد في عهود متأخرة جداً عن زمن موسى عليه السلام، والذي تحاول هذه النصوص المختلفة الادعاء بأنها من أقوال موسى وكتابته.

والحـذف شمل طـائفة قليلة من آيـات التوراة والإنجيـل. وأن الأصل على ذلـك بـاق إلاَّ في آيات قليلة.

والحق كما أوضحنا، هو غير مـا ذهب إليه هؤلاء العلمـاء الأجلاء، لأنهم، كمـا يبدو، لم يطلعـوا على أسفار العهـد القديم والجـديد. أمـا العلماء الـذين درسوا هـذه النصـوص، من أمثـال ابن حـزم، وابن القيم، وابن تيميـة، والغـزالي، وعبـد الملك الجـويني، وعلي بن محمـد البـاجي، والقـرطبي، وبعض المحـدثين من أمثـال: رحمة الله الهندي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ. فقد أعلنـوا أن التـوراة التي جاء بهـا موسى عليه السلام، قد حُرِّفت وبُدِّلت، ولم يبقَ من أصلها إلاَّ شذرات قليلة منبثَّة هنا وهناك. ولهـذا فلا يصـح أن تنسب هـذه التوراة الحـالية إلى مـوسى عليه السـلام. فهي، وإن كانت في الأصل منسوبة له، إلاَّ أنها في صورتها الحـالية، لا تمثـل توراة مـوسى عليه السلام، وهي بعيدة كل البعد عنها، وإن كانت تحتوي على شذرات منها مطمـورة بين الركام.

ضيـاع التوراة:

وهناك عوامل كثيرة أدت إلى ضيـاع التوراة الأصليـة التي أنزلهـا الله على موسى عليه السلام وهي كالتالي:

١ ــ **فسـاد الشعب الإسرائيلي وفسقـه وفجوره وردتـه**: فقد عبـد هؤلاء الأوثان عشرات المرات. وأقـاموا لهـا المعابـد والمذابـح وتـركوا التـوراة تركـاً تامـاً في فترات كثيرة. وأول عبادة للأوثان، كـانت في زمن موسى نفسـه، وقد بـدأت نفوسهم تتـطلـع إلى عبادة الأوثان بمجرد خروجهم من مصر(١)، ثم عبدوا العجـل عندمـا ذهب موسى

---

(١) قال تعالى:

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾. [سورة الأعراف: الآيتان ١٣٨ــ١٣٩]

لملاقاة ربه[1]. ولم يكتفوا بذلك ـ بل زعموا ـ في توراتهم المحرفة، أن هارون عليه السلام هو الذي صنع لهم العجل وهو الذي دعاهم لعبادته (سفر الخروج ١:٣٢ ـ ٣٠).. وما أن انتهى عهد موسى وعهد يشوع، حتى ظهر ما يعرف بعصر القضاة، الذي استمر (١٤٠) عاماً.. وفي هذه الفترة القصيرة ارتد بنو إسرائيل سبع مرات ارتداداً كاملاً عن دين موسى وشريعته، وعبدوا الأوثان مثل البعليم وعشتروت وملكوم، وذبحوا لها وأقاموا لها المعابد بل ووصل بهم الأمر إلى أن يحرقوا أبناءهم وبناتهم قرباناً لها.. ثم تكرر منهم ذلك بصورة فظيعة في عهد الملكية. وقد زعموا كذباً وبهتاناً أن سليمان عليه السلام عبد الأوثان وأقام لها المعابد وذبح لها (سفر الملوك الأول الإصحاح ١١: ١ ـ ١٢) والواقع أن من خلفوا سليمان في مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل، هم الذين قاموا بعبادة الأوثان.. وأسفار العهد القديم مليئة بذكر هؤلاء الملوك وعبادتهم للأوثان من أمثال آخاب وزوجته إيزابيل ويربعام ومنسي وأخزيا ويهورام وآثام. وقد بلغ الأمر من السوء: أن التوراة كانت قد فقدت تماماً، ثم زعم الكاهن حلقيا، في عهد الملك يوشياهو ملك يهوذا سنة ٦٢٠ قبل الميلاد. أنه وجد نسخة من التوراة في الهيكل.. وأظهر هذه النسخة.. ويرجع الباحثون هذه النسخة إلى أنها الأصل الذي كتب منه سفر التثنية (تثنية الاشتراع). وتاب الملك ومن معه من عبادة الأوثان، وحطمها وأقام عبادة الله، يساعده في ذلك الكهنة وعلى رأسهم حلقيا.. ولكن ما لبثت عبادة الأوثان أن عادت مرة أخرى بعد وفاة الكاهن حلقيا والملك يوشياهو.

---

(١) قال تعالى:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

[سورة الأعراف: الآية ١٤٨]

وفي سورة طه ذكر الله القصة مبسوطة وأخرج لهم السامري عجلاً له خوار فعبدوه وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى.

[سورة طه: آيات ٨٠ ـ ٩٨]

٢ ـ **الحروب المستمرة بين بني إسرائيل وسكان الأرض الأصليين**، فقد ورد أن الكنعانيين أخذوا تابوت الرب، وفيه نصوص التوراة، وبقي عندهم فترة طويلة من الزمن. ويذكر القرآن الكريم أن الله قد أرجعه لهم تحمله الملائكة إثباتاً لأحقية طالوت (شاول) بالملك. بينما تذكر نصوص العهد القديم بأنه بقي عند الكنعانيين حتى ضربهم الرب بمرض البواسير فأعادوا التابوت على عجل تجرّهُ بقرتان في عهد الملك داوود (يسمون داوود ملكاً وليس هو نبي عندهم) (سفر الملوك الأول: الإصحاح ٥، ٦).

٣ ـ **الحروب العنيفة والشديدة والنفي**، مثلما وقع لمملكة الشمال «إسرائيل» التي قضى عليها الملك الآشوري، سرجون الثاني سنة ٧٢١ قبل الميلاد، ومملكة الجنوب التي قضى عليها الملك البابلي نبوخذ نصر (بختنصر) في عام ٥٨٧ق.م ثم غزوات اليونان الإسكندر المقدوني، وخلفاؤه السلوقيون في سوريا الكبرى والبطالسة في مصر، ثم الرومان.

وقد ضاعت التوراة في النفي إلى بابل عندما حطم (نبوخذ نصر) أورشليم (القدس) والهيكل وأحرق جميع نسخ التوراة. ولم تكتب من جديد إلَّا عندما ظهر عزرا (عزير). ويرجع الباحثون النص الذي كتبه الكهنة ويرأسهم عزير إلى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد. ويسمونه النص الكهنوتي، وهو جزء من كتاب التوراة (الأسفار الخمسة) وقد وُحِّدت هذه النصوص في فترة متأخرة، أولاً في القرن الثالث قبل الميلاد ثم بعد ذلك في القرن الأول بعد الميلاد.

عدم حفظهم للتوراة:

إنَّ موسى عليه السلام أعطى التوراة إلى بني لاوي، وهم سبطه وقبيلته. وقد جعلهم الله كهنة حسب ما تذكره أسفار التوراة. وطلب منهم أن يحافظوا عليها ويقرأوها للشعب. . جاء في سفر التثنية (٣١: ٢٤ ـ ٢٧) ما يلي:

«أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب، وقال لهم: خذوا سفر هذه التوراة واجعلوه إلى جانب عهد الرب إلٰهكم فيكون ثمَّ شاهداً لأني أعلم تمردكم وقساوة قلوبكم، فإنكم وأنا في الحياة معكم قد تمردتم على الرب فكيف بعد موتي».

وحُفظت التوراة في التابوت، ولم يكن يسمح لأحد أن يمسَّه أو ينظر إليه من

غير الكهنة. ومن يمسه يضربه الرب ويموت. ولكن موسى أعطى بني إسرائيل سورة واحدة!! «وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل». وجاء في التوراة أيضاً: «إن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم...»[1].

وقد أمر موسى بإخراج التوراة من التابوت، كل سبع سنوات، في عيد المظال، بحيث تقرأ على الشعب في ذلك العيد. جاء في سفر التثنية (٣١: ٩ ـ ١٢) ما يلي:

«وكتب موسى إلى الكهنة بني لاوي حاملي التابوت، عهد الرب، وسائر شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلاً في نهاية السبع سنين، في ميعاد سنة الإبراء، في عيد المظال حينما تأتي جميع إسرائيل ليتمثّلوا لدى الرب إلّهك. في الموضع الذي يختاره تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع إسرائيل، اجمع الشعب والنساء والأطفال والغريب الذي في مدنك لكي يسمعوا ويتعلّموا».

ولكن بني إسرائيل لم يكونوا يجتمعون في عيد المظال بسبب ردّتهم وكفرهم وعبادتهم للأوثان فكانوا مشغولين عن التوراة بعبادة البعليم وملكوم وعشتروت وغيرها من الآلهة.. وطال بهم العهد. ولهذا ضاعت التوراة ولم يكن يحفظها عن ظهر قلب كاملةً أحدٌ من رجالهم. وجاء في سفر الملوك الأول (٨ ـ ٩): أن التابوت قد فتح في عهد سليمان عليه السلام، فلم يجدوا فيه التوراة، وإنما وجدوا فيه لوحي العهد فقط.

لهذا كلّه فقدت التوراة الأصيلة وكتب بدلاً عنها الأسفار الموجودة اليوم.

رأي الرهبانية اليسوعية في الكتاب المقدس:

ويواصل الباحثون ـ من علماء اللاهوت، من الرهبانية اليسوعية ـ كلامهم في مدخل الكتاب المقدس المنقول من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس، قائلين:

«والكتاب المقدس موسوم في العمق بثقافة إسرائيل.. وهو يعبِّر عن نظرته للعالم لا بفلسفة منظمة بل بعادات ومؤسسات وبردود فعل عفوية عند الأفراد والشعب كله».

---

(١) نقلاً عن ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/٣٥٢.

«إن لحضارة إسرائيل نقاطاً مشتركة كثيرة مع حضارة سائر شعوب الشرق القديم، ومع ذلك فالشرق القديم لا يشرح كل شيء في الكتاب المقدس لأن لتاريخ إسرائيل الخاص طابعاً فريداً قد كيَّف لغة هذه الأسفار».

وهذا الكلام اعتراف ضمني بما ذكره الباحثون من اليهود والنصارى أنفسهم، بأن كاتب أسفار العهد القديم (بما في ذلك أسفار موسى الخمسة) قد استعار أساطير وأدبيات الأمم الأخرى مثل البابليين والمصريين القدماء. وقد سبق أن أشرنا إلى قصة آدم والجنة، والتي يرجعها الباحثون إلى قصة الإلّه مردوك، وخلق العالم، وقصة الإنسان الذي يبحث عن الخلود.. وقصة جلجامش البابلية، التي تشابه إلى حد ما قصة نوح والطوفان وقصة الأبراج العالية والتي تشابه ما جاء في سفر التكوين عن برج بابل.. كما أن علماء الآثار المصرية قد أثبتوا التأثير الكبير لأشعار وأناشيد أخناتون في المزامير. وأن المزمور (١٠٤) مأخوذ بالنص ــ تقريباً ــ من النشيد الكبير لأخناتون.. وأن كتاب الأمثال المنسوب لسليمان، مأخوذ ــ مع شيء من التحريف ــ من كتاب «ثلاثون فصلاً في الحكمة» لأمنموبي المصري.

ولنا نحن ــ هنا ــ تعليق: وهو أن وجود نصوص لدى الأمم الأخرى مثل البابليين تحكي قصة الخلق، وقصة آدم، وقصة نوح، أمر لا يعني أنَّ التوراة مستقاة من أساطير بابلية. فالله سبحانه وتعالى قد أرسل رسلاً لكل أمة، «وإنْ مِنْ أمّة إلَّا خلا فيها نذير». ونوح نفسه قد استقرت سفينته على الجودي، وهو جبل بالعراق (في التوراة مذكور باسم جبل أرارات، وهو على الحدود بين تركيا والعراق).. ولا شك إذن أن قصة نوح كانت معروفة لأهل العراق.. فهم إما أن يكونوا من نسل نوح، أو من نسل أتباعه.. وعلى أية حال فإن قصة نوح والطوفان قد حدثت في بلادهم فلا غرابة إذن أن يعرفوها. وأما اختلاف التفاصيل بين القصتين (أي في الأساطير البابلية وفيما روته التوراة) فهو أمر متوقع، حيث يرجع ذلك إلى إضافات وحذف القصاص والتدخل البشري.

وقد انتبه الأب ديفو إلى وجود التشابه بين قصة جلجامش والطوفان في اللوحات البابلية وبين قصة الطوفان في التوراة. وقد برَّر ذلك بقوله: «إذا كانت التوراة قد تحدثت عن ذكريات سيل واحد مخرب أو أكثر من واحد، وقع بوادي دجلة

والفرات، وأنه إذا كان التراث قد ضخَّم أبعاد كارثة عالمية، فإن ذلك لا يهمّ لأن جوهر المسألة هو أن الكاتب الديني قد حمَّل هذه الذكرى بتعاليم أزلية عن عدل ورحمة الله، وعن خبث الإنسان والخلاص الممنوح للعادل».

وكلام الأب ديغو وتبريره، يختلف تماماً عن تبرير المسلم. فالمسلم يعلم أن هذه الحوادث قد حدثت فعلاً وأنها صدق وحق.. ولذا فهو لا يستغرب أبداً أن تعرفها عدة أمم.. وخاصة أن الطوفان نفسه قد استقرَّ في نهاية الأمر بسفينة نوح على الجودي في العراق.. ولهذا فليس من المستغرب أن يعرف البابليون قصة نوح والطوفان. بل ليس من المستغرب أن تعرف هذه القصة أمم أخرى بعيدة كل البعد عن مسرح هذه الأحداث[1]، لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه أرسل إلى كل أمة رسولاً منها.. وهذا الرسول يخبر قومه بما أراد الله، ومن ذلك قصص الأمم الغابرة.

وأما تبرير الأب ديڤو، فهو غير مقبول بالنسبة لنا كمسلمين. ولكنه تبرير نابع من شخص فوجىء بتشابه القصة البابلية مع القصة التوراتية.. وهو يؤمن أن الذي كتب أسفار التوراة هو مجموعة من الأشخاص الذين يختلفون حسب ثقافتهم ومعلوماتهم وأنهم يستخدمون هذه الثقافة والمعلومات من أجل غرض معيَّن، وهو «غرض ديني نبيل بإثبات رحمة الله وعدله وخبث الإنسان الذي يستحق من أجله أن يطهر الله الأرض منه ومن رجسه!! فلا ينجو بعد ذلك إلاّ البارّ والعادل...».

وهذا يؤكد ما يذهب إليه علماء اللاهوت من القسس والأحبار، في فهمهم لأسفار الكتاب المقدس ـ حيث لا يفهمونه بأنه وحي أنزل من السماء حرفياً. بل هو عمل مجموعة كبيرة من البشر، ألهمها الله بصورة ما، لكتابة هذا العمل الجبار، والمليء بالأخطاء والتناقضات.. ولكن يبقى ـ مع ذلك ـ المعنى الإجمالي، والروح المحلقة، التي تدفع بالإنسان إلى آفاق أعلى، وترفع من مستواه الروحي، وتربطه بعالم السماء.. ولهذا فهم لا يهتمون مطلقاً بأن تكون التفاصيل الموجودة في الكتاب

(١) يذكر الأستاذ العقاد في كتابه الله أن حضارة المكسيك القديمة في أمريكا اللاتينية قد ذكرت قصةً مشابهة لقصة نوح.. وهكذا نجد قصة نوح معروفة لدى كثير من الأمم الغابرة مما يؤكد صدقها وحدوثها. ونحن لا نحتاج لتأكيد صدقها، فقد أكدها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم. وكفى بذلك حجة وبرهاناً.

المقدس، تطابق الواقع أو تطابق التاريخ، أو تتفق مع العلم الحديث. فكل ذلك عندهم لا يهم.. وهم يعترفون بوقوع الأخطاء التاريخية، والتناقضات الكثيرة، ومصادمة العلم، ولكنهم يبررون ذلك: بأن الكتاب المقدس كتاب وضع لغرض ديني، وليس لغرض تاريخي، أو غرض علمي، أو غرض أدبي.. وكل هذه الأخطاء لا تعني سوى أن البشر الذين قاموا بكتابة «الكتاب المقدس» هم بشر مرتبطون بواقع عصرهم، ومعلومات عصرهم، وثقافة عصرهم .. ولا بدَّ إذن أن تكون هناك أخطاء في كتاباتهم وتفكيرهم ومعلوماتهم.. لأنها توضح ثقافة العصر ومعلوماته وتفكيره..

وإذا كان الكتاب المقدس قد كُتب على مدى أكثر من ألف عام، وعلى أيدي كتّاب كثيرين، ذوي ثقافات مختلفة وبيئات مختلفة، ولغات متباينة: العبرية والآرامية والمصرية القديمة واليونانية.. فلا بدَّ إذن أن تكون الاختلافات في نصوص الكتاب المقدس شديدة ومتباينة، بحسب تباين ثقافات ومشارب ولغات وبيئات كاتبيها العديدين.

ورغم أن هؤلاء الكتّاب، ملهمون من الله، حسب رأي الأحبار والقسس إلّا أن هذا الإلهام لا يعني إلغاء الأخطاء البشرية. فهم فوق كل شيء بشر. والبشر معرضون للخطأ.. وهذه كتابات بشرية ولها إشراق وإلهام من الله الذي يوجهها إليه!

وقد استلمت هذا الصباح خطاباً من صديق عزيز هو الدكتور صبري جوهرة[1]، من الولايات المتحدة بعد أن طلبت منه أن يعلق على ما كنت قد كتبته سابقاً حول هذا الموضوع. وقد وجدت ما كتبه يمثل رأي الكنيسة الأرثوذكسية ـ الكاثوليكية أصدق تمثيل في هذه النقطة. وإليك نص ما قال:

«سأعطيك وجهة نظر الكنيسة الأرثوذكسية ـ الكاثوليكية في موضوع كتابة

(١) الدكتور صبري جوهرة، زميل وصديق قديم من أيام الدراسة في القاهرة. وهو من أقباط مصر ومن الأطباء الناجحين ويعمل جرّاحاً في الولايات المتحدة. وله ثقافة واسعة وخاصة في أمور العقيدة القبطية. وقد لَخّصتْ رسالته هذه موقف الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية تلخيصاً جيداً، ولهذا أثبتنا هذه الرسالة القيمة هاهنا، وقد استلمتها في ١٩/١٠/١٩٨٨م.

«الكتاب المقدس» عامة بشطريه (يقصد العهد القديم والعهد الجديد) وهي: أن الله قد سمح للإنسان، في هذه الحالة كاتب السفر، بأن يضع كل إحساساته وخبراته وحساسياته وميوله في النصوص، ما دام ذلك لا يغيِّر ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية. وبالتالي تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية... إلخ، فالمقصود بالكتاب هو أن يُعلِّم الدين والأخلاق ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة، بل إن كل متمسك بحرفية الكتاب كمصدر آخر غير الأخلاق والدين، يُنظَرُ إليه نظرة غير مطمئنة، لأن ذلك يعكس عدم فهم للمعنى الأساسي والغرض الرئيسي للكتاب، كما أنه يعكس سلوكاً متعصباً إلى حد ما وهو ما يضادّ الاعتدال الذي تأمرنا الأخلاق والدين باتباعه.

فالكتاب في المسيحية إذن هو عمل مشترك بين الله والإنسان، وضع فيه كلاهما ما يريد. بحيث جاء الناتج على ما عليه، يعكس كمال الله في صحة تعاليم الأخلاق وعلاقات البشر بعضهم ببعض وعدم كمال الإنسان بكتابته لمعلومات علمية غير دقيقة وأحياناً مضحكة!! علينا كذلك أن نتذكر أن اليهود بمزاجهم المعروف منذ بدء تاريخهم، قوم كثيروالجدال والغضب لا يضيرهم (حتى الآن وهذا من حديث حاخام يهودي معي) أن يتحدّوا الله سائلين: لماذا فعلت بي هذا أو ذاك؟ بل إن التزامهم بعبادة إله واحد لم يأتِ إلَّا متأخراً جداً في تاريخهم، وهذا لم ينفِ وجود آلهة آخرين أولاً. وأعني بهذا أنهم كانوا يعتقدون بأن هناك آلهة عديدة للشعوب الأخرى، ولكن إلَهِهم واحد فقط وهو مَن يعبدون. أما فكرة وجود إلَه واحد لكل الكون فلم تكن أصلاً في ديانة العبرانيين[1]، بل إن مؤسس هذه الفكرة هو فرعون مصر الشهير (امنحتب) الرابع الذي غيّر اسمه إلى (اخناتون)، وقلب ديانة مصر رأساً على عقب. وكانت مصر عندئذ منارة العالم ومصدر كل فكر وحضارة. فَكُتُب اليهود الأولى

---

(١) القول بأن العبرانيين لم يعرفوا إلهاً واحداً لكل الكون وإنما هو إلَه شعب وقبيلة قول منتشر لدى كثير من الكتّاب الغربيين وقد تابعهم في ذلك كثير من المسلمين ومن أشهرهم الأستاذ العقاد رحمه الله في كتابه « الله ».. ولكننا نؤمن أن ديانة إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط هي التوحيد الخالص وأنهم يؤمنون بإلَه واحد للكون بأجمعه.. وأنهم على أنقى صور التوحيد، وأنّ التحريف والتبديل قد حدث فيما بعد من الذراري.

تعكس كل هذه المعطيات. وطبعاً كمصري أصيل معتز بتراث بلاده العظيم، أريد أن ألفت نظرك هنا إلى حقيقة قديمة، وهي أن مزامير داوود منقول حرفياً من أناشيد أخناتون التي يتعبَّد فيها لقرص الشمس، صورة الإلّه الواحد صانع الكون، وهي منقولة بدون تصرف، وكعادة اليهود نسبوا ما لغيرهم من الفضل لذواتهم، لعنة الله عليهم أوّلاً وأخيراً».

«أما عن التحريف المتعمَّد أو غيره، فالكنيسة لا تعتقد بحدوثه. وإذا استبعدت بعض الأخطاء غير الجسيمة في النصوص الناتجة عن كون كل هذه الأسفار مكتوب ومنقول بأيدي بشرية فلا تعترف الكنيسة بتحريف وتغيير المعاني الأصلية».

وخلاصة هذا الموضوع هو أن اليهود والنصارى كانوا يعتبرون ما ورد في العهد القديم وحياً أوحاه الله نصاً ومعنى إلى جملة من الأنبياء الذين قاموا بكتابة هذا الوحي الإلّهي. وقد قام موسى عليه السلام بكتابة الأسفار الخمسة الأولى (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية). ورغم أنها تصف موته، وأين مات، وكيف مات، إلَّا أن الأجيال المتعاقبة، ظلت تعتقد أن موسى هو الذي كتب هذه الأسفار، بوحي من الله. وكان يطلق عليها اسم كُتب الشريعة أو التوراة أو الناموس أو أسفار موسى الخمسة.

وعندما بدأت النهضة في أوروبا، اصطدم العلماء مع الكنيسة وقامت الكنيسة بحرق (كوبرنيكس) و(جاليلو)، لأنهم خالفوا نصوص العهد القديم والكتاب المقدس في معلوماتهم الفلكية.. وتعرض آلاف العلماء للتعذيب بسبب اصطدام أبحاثهم ونظرياتهم بما تقوله الكنيسة. وأدّى ذلك إلى الحرب المعلنة بين الكنيسة والعلم.

ثم تتالت الأبحاث من العلماء الغربيين، ليثبتوا في نهاية المطاف أن ما يسمى (الكتاب المقدس) ليس كتاباً أو كتباً موحىً بها من الله، وإنما كتبها كتاب عديدون على مدى قرون متطاولة وفي عهود مختلفة ومن أناس ذوي ثقافات وميول وعادات متباينة، وأن ما يسمى (التوراة أو كتاب موسى) لم يكتبه موسى بل كتب على مدى ألف عام بعد وفاة موسى.

واضطرت الكنيسة إزاء ذلك كله إلى أن تعترف بأن هذه الكتب والأسفار ليست وحياً

كـاملاً حـرفياً من الله لهؤلاء الأنبيـاء. . وهي تعتـرف بـأن التـوراة (المـوجـودة حـاليـاً) لم يكتبها موسى بل كتبها عشـرات الأشخاص وحـوت أساطيـر وتاريـخ وفلكلور وآداب شعوب كثيرة إلى جانب شعب إسرائيل. .

وأخذت الكنيسة منحى جديداً وهـو أن هذه الأسفـار المليئة بـالأخطاء التـاريخية والجغرافية والعلمية والتي كتبها عشـرات الكتاب، والتي بُـدلت وغُيِّرت نصـوصها على مـدى الأزمنة كـانت دوماً تكتب بـإلهام من الله. . وكـانت روح الله تسيـطر على هؤلاء الكتـاب المختلفين. . وهـذا لا يمنـع وقـوعهم في خـطأ فهم على أي حـال بشـر ومعلوماتهم لا تزيد عن معلومات عصـرهم. . وكل واحـد منهم يمثل معلومـات وثقافـة بيئته التي نشأ فيها، بأساطيرها وأحلامها وأوهامها. . .

وقيمة هذه الأسفار تتجلى في الروح التي تبثّهـا. . وهي روح استشرافيـة تتطلـع دوماً إلى السماء وإلى الخير وإلى الحق!! وهذا هـو المعنى الإجمالي الـذي ينبغي أن نبحث عنه، فإذا حققته هذه الكتب فقد حققت الهدف الأسمى من وجودها.

وفي رأينـا أن هذه الدعوى لا تقوم أيضاً أمام النقد الهـادىء الفاحص، فكتـاب العهـد القديم بـأسفاره العـديدة (٣٩ عنـد البروتستـانت و ٤٦ عند الكـاثوليـك) كتـاب لا أخلاقي بمعنى الكلمة. **وقـد وصفه أصـدق وصف الوزيـر البريـطاني أرنست بيفن (أول وزير خارجية في حكومة عمالية)، عندما قال: «إن العهد القديم هو أشد الكتب بعداً عن الأخلاق»**. . .

ويقـول عن اليهـود: **«مـاذا تتـوقـع من شعب تـربى منـذ المهـد على أقـوال التوراة»**[1].

ونجـد أسفار العهـد القديم، تصـور الله بأنـه إلّـه شعب إسـرائيـل فقط، ولهـذا لا يهمه هذا الكون، وإنما يهمه ابنه البكر إسرائيل. ومـع هذا فإن هذا الابن يتـرك أباه ويذهب ليزني وراء آلهـة كثيرة. وصفـات هذا الـرب كما تصـوره أسفار العهـد القديم

---

(١) مذكرات كريستوفر ماهيو (وزير خارجية بريطاني أيضاً): «الشرق الأوسط»، في ١٩٨٧/٣/٩م: ص ٦.

فظيعة جداً فهو رب حقود، مغرم بالمحارق، وباللحم المشوي، ولا يتنسم نسيم الرضا، إلاّ عندما يشم اللحم المشوي.. وإذا ما قدم له أحد هذا اللحم المشوي فإنه مستعد لإعطائه ما يريد مهما فعل من موبقات وجرائم.. وقد أفردنا فصلاً كاملاً لصفات الله في أسفار العهد القديم في هذا الكتاب فليراجعها القارىء الكريم[1].

وأما صفات الأنبياء وهم خيرة البشر وصفوة بني الإنسان فإن أسفار العهد القديم، تجعلها في أسفل سافلين.. وفي الدرك الأسفل من الأخلاق. وكل هؤلاء الأنبياء تصفهم أسفار العهد القديم، بأنهم كذبة وخونة ولصوصاً ومجرمين وعتاة وجبارين ومخادعين وزناة وشاربي خمر... إلخ. ولم تترك التوراة أحداً من الأنبياء إلاّ ولوثته تلويثاً.. إبراهيم ينكح أخته سارة ويقدمها لفرعون مصر ثم لأبيمالك ملك الفلسطينيين من أجل الحصول على مال.. وإسحاق يفعل الشيء ذاته.. وأما يعقوب فيخدع أباه ويسرق البركة من أخيه عيسو ويسرق أموال خاله لابان.. ويفعل المنكرات. وأما لوط فيسكر ويزني بابنتيه ـ حسب زعمهم ـ وأما نوح فيسكر ويتعرى.. وهارون يصنع العجل ويعبده ويأمر بني إسرائيل بعبادته.. وقد ذكرنا ذلك كله بالتفصيل في صلب الكتاب فصلاً فصلاً فلا نعيده ها هنا[2].

وخلاصة الأمر أنه لا يوجد كتاب لا أخلاقي يداني أسفار العهد القديم.. ونشيد الإنشاد غزل فاضح وحديث جنسي داعر وإذا كان الأنبياء وأبناؤهم لصوصاً وكذبة وقتلة ومجرمين وزناة، حتى أن راؤبين بن يعقوب يزني بزوجة أبيه بلهة، ويهوذا ابن يعقوب يزني بكنته (زوجة ابنه) ثمارا.. وداوود كما يزعمون يزني بحليلة جاره، وسليمان يعبد الأوثان، وأمنون بن داوود يزني بأخته، وهكذا دواليك.. صور فظيعة من الاعتداء على الأخوات والبنات والعمات.. وشرب للخمور وقتل وسفك دماء دون جريرة.. وكذب وغش وخداع...

فأين هي الروحانية والأخلاق التي تبثها أسفار العهد القديم؟! وسفر يشوع هو سفر المجازر، وقتل وإبادة للنساء والأطفال والشيوخ.. وحتى الحيوانات لم تسلم

---

(١) الجزء الثاني بعنوان: الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم.

(٢) الجزء الثاني من الكتاب.

من هذه الإبادة. . فأين هي الرحمة والأخلاق في هذا السفر؟!

وقد أفردنا فصلاً كاملاً لسفر يشوع بعنوان «سفر يشوع سفر المجازر»[1] وأوضحنا كثيراً من الجوانب اللاأخلاقية التي امتلأت بها أسفار العهد القديم والتي تأمر اليهودي بأن يرابي مع الأجنبي ويسرق ماله. وقد زعموا: أن الرب طلب من بني إسرائيل أن يسرقوا حلي المصريين قبل أن يخرجوا من مصر (سفر الخروج الإصحاح ١٢: ٢٥، ٢٦) والرب ـ حسب زعمهم ـ يأمر اليهود، بأن لا يقرضوا الأجنبي إلاّ بالربا «للأجنبي لا تقرض إلاّ بالربا» (سفر التثنية ٢٣: ١٩، ٢٠).

وهذا الكتاب بأكمله دليل كامل على أن كتاب العهد القديم كتاب لا أخلاقي وكتاب يدعو بني إسرائيل إلى اعتبار أنفسهم من نسل الإله حقيقة لا مجازاً وأنهم فوق مستوى البشر وأن أباهم قد جعلهم سادة العالم، يفعلون فيه ما يشاؤون رغم فجورهم وتنكرهم لأبيهم، وعبادتهم الأوثان. وهو عندما يغضب عليهم، يعود مرة أخرى إلى العطف عليهم والحنو على آلامهم تماماً كما يفعل الأب مع ابنه العاق. فهو أب على أية حال وقلب الأب معلق بابنه. . .

وهو يأمرهم بقتل وحرق وسلب الأمم الأخرى، وإبادتها إذا أبدت أي مقاومة لشعب الله المختار. . وهو يحارب عنهم، ويدخل معهم المعارك بشخصه لنصرتهم وتأييدهم. . ويرسل لهم الأنبياء الذين وصفهم كُتّاب العهد القديم بكل القبائح والرذائل.

ورغم وجود قبسات نورانية تلمح مثل الألماس في وسط المزابل، إلاّ أن هذه القبسات والآيات قليلة وسط هذا الركام والغثاء. . والفحش والفجور والإجرام والقتل والسفك للدماء بدون جريرة.

وهكذا نجد الدعوى الأخيرة التي تزعم أن كتاب العهد القديم، ينبغي أن ينظر إليه على أساس أنه كتاب روحاني يسمو بالإنسان إلى آفاق عليا واستشراقات سماوية أمر غير صحيح، فهذا الكتاب مادي غليظ ومستواه الأخلاقي منحط إلى أبعد الحدود، ما عدا لمحات قليلة، لا تغير من صلب الكتاب إلاّ قليلاً.

---

(١) الجزء الثاني: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم.

لهذا كله وضعنا هذا الكتاب لإثبات أن هذه الدعوى أيضاً باطلة وهكذا يتبين أن الدعوى السابقة بأن هذا الكتاب (العهد القديم) موحى به من الله قد سقطت على أيدي الكتّاب والباحثين من اليهود والنصارى أنفسهم. حتى أن الكنيسة ورجال الدين اليهودي أنفسهم، اعترفوا بأنهم يفهمون الوحي بأنه إلهام من الله لعشرات ومئات الكتّاب الذين قاموا بكتابة أسفار العهد القديم. وأن هذا الإلهام لا يمنع من وجود الأخطاء التاريخية أو الجغرافية أو العلمية. أو أن يناقض بعضها بعضاً.. لأن المقصود ــ حسب قولهم ــ هو الروح الإلهامية الاستشراقية، والمعاني الدينية العليا الهادفة إلى ربط الإنسان بالله وبالتالي رفع روحانيته وأخلاقه.

وهذه الدعوى الثانية، لا تقوم أمام التمحيص فكتاب العهد القديم كما سنرى في هذا البحث كتاب لا يعين أبداً على رفع المستوى الروحي والأخلاقي للإنسان، بل يحوّله إلى وحش ضاري يفترس أخاه الإنسان ويسمح لليهودي بأن يبتز ويسرق ويستغل غير اليهودي.. وأن يسلبه أرضه وماله.. كما يسمح لليهودي بأن يقترف كافة الموبقات والرذائل الأخلاقية (رغم وجود بعض الآيات من الكتاب الحقيقي التي تنهاه عن كل ذلك). وإذا كان الأنبياء وهم خيرة البشر، وصفوة الإنسانية، لا يزيدون عن مجموعة من اللصوص والخونة والكذبة والزناة والفجرة وشاربي الخمر والقتلة وسافكي الدماء والذين يقومون بقتل النساء والأطفال والشيوخ بل والحيوانات، إذا كان الأنبياء بهذه الصورة الزرية (حسبما تزعمه أسفار العهد القديم) فكيف يمكن أن يكون أتباعهم ممن هم أقل منهم مكانة وأخلاقاً وروحانية؟!!



أسفار العهد القديم وتقسيماته

ذكرنا في أول هذا المبحث أن «العهد القديم» سمي كذلك بالنسبة للعهد الجديد الذي أقامه يسوع. جاء في إنجيل متى ٢٦: ٢٨ «لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». وقد جاء في سفر أرميا ٣١: ٣١، ٣٢ «ها أيام تأتي يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم».

والعهد القديم هو (عهد الرب) الذي تكرر لإبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب ثم تكرر على لسان موسى والأنبياء من بعده.

وقد بدأ هذا العهد أولاً، مع نوح بعد أن أغرق الله الأرض ومن عليها، ولم يبقَ حسب كلام سفر التكوين إلاَّ نوح وأبناؤه وزوجته وزوجات بنيه: «وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً: **ها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم**.. أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد بمياه الطوفان... وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم.. وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فمتى كانت القوس في السحاب، أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض» (التكوين ٩: ٨ ــ ١٧).

وهي صورة ساذجة لهذا الرب الذي لا يتذكر أنه يجب عليه أن لا يغرق الأرض إلاَّ عندما يرى قوس قزح.. وقوس قزح لا يظهر إلاَّ بعد انتهاء المطر لا عند بدايته.. مما يدل على غباء منقطع النظير يتمتع به مؤلف هذا السفر. وأي طفل يعرف أن قوس قزح هو عبارة عن انكسار الضوء في السحب الممطرة، ولا علاقة له بأي عهد.

ويأتي العهد الثاني لإبراهيم، لأنه قدم لحماً مشوياً كثيراً للرب، وبما أن الرب ــ حسب زعمهم ــ يحب اللحم المشوي جداً، فقد أعطاه الرب ميثاقاً وعهداً أبدياً مؤكداً بغرلة الدم، وقطع الختان، بأن يجعل نسل إبراهيم مثل رمل البحر، وعدد النجوم، وعدد الحصباء. . إلخ، وأن يعطيهم أرض كنعان (فلسطين) ملكاً أبدياً (سفر التكوين ١٣ : ١٤ ــ ١٧ وسفر التكوين ١٤) ويتكرر ذلك مراراً «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر النيل، نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».

«وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك (من إسحاق فقط لأنه بإسحاق يدعى لك نسل) من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلّهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً» (التكوين ١٧).

«وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختَنُ منكم كل ذكر، فتختتنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة العهد بيني وبينكم. . . يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي» (التكوين ١٧ : ٩ ــ ١٤).

ويا له من عهد رهيب، الإعدام لمن لم يحترم العهد ويختتن!! وهو موقف يدل على تفاهة عقل كاتب هذه الأسفار، حيث يجعل العهد كله مركزاً في الختان وهو موقف يبرر أيضاً عدم أخلاقية اليهود، إذ أن الختان والانتساب إلى إبراهيم يكفي عندهم لفعل كل شيء. . .

ولا نريد أن نستطرد ها هنا. فقد ذكرنا في صلب الكتاب كثيراً من هذه الأقوال عند التعرض لحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكيف لوثتها أسفار العهد القديم.

تقسيم العهد القديم :

يقسم العهد القديم عدة تقسيمات مختلفة. والبروتستانت يقسمون العهد القديم إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ **التوراة**: أو كتب موسى الخمسة (البنتاتوش) Pentateuque وهي تبدأ بسفر

التكوين، ثم الخروج، ثم اللاويين، ثم العدد، ثم التثنية، (تثنية الاشتراع) وسنذكر بعد قليل شرحاً موجزاً لمحتويات كل سفر. وتسمى التوراة أيضاً الشريعة والناموس والقانون.

٢ ـ **الأسفار النبوية**: وقد أطلق على هذه الأسفار اسم الأسفار النبوية أو كتابات الأنبياء، لأنها تنسب لمجموعة من المتنبئين الذين ظهروا منذ القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني قبل الميلاد. ولا شك أن من بين هؤلاء الأشخاص، أنبياء من الله تعالى، ولكن ما نسب إليهم من الفساد والأكاذيب أمر لا يقبله مؤمن.

ومن ذلك أن النبي عاموس تزوج عاهرة وهبت نفسها لكهنة معبد وثني وأنه اشترك معها في هذه الطقوس الوثنية.. ومن ذلك أن الله أمر ـ حسب زعمهم ـ النبي هوشع أن يتزوج زانية وأن يتخذ أولاد الزنا أولاداً له!! وأمر يوشع بن نون أن يتزوج راحاب الزانية!!

وتقسم هذه الأسفار أيضاً إلى قسمين هما:

(أ) **أسفار الأنبياء المتقدمين**، وتشمل أسفار يشوع، والقُضاة، وصموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني.

(ب) **أسفار الأنبياء المتأخرين**، وتشمل سفر أشعيا، وسفر أرميا، وسفر حزقيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان (يونس)، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي.

٣ ـ **الكتابات أو أسفار الشعر والحكمة**: وتشمل المزامير (الزبور)، والأمثال (أمثال سليمان) وأيوب، وتسمى هذه أحياناً «الكتب العظيمة» كما تشمل **المجلات الخمس** وهي: نشيد الإنشاد، وراعوث، ومراثي أرميا، والجامعة، وأستير. وتشمل ما يسمى الكتب وهي: دانيال، وعزرا، ونحميا، وأخبار الأيام، الأول والثاني.

ومجموع هذه الأسفار (٣٩) سفراً وهي الأسفار المعتمدة لدى الكنيسة البروتستانتية.

أما الكنيسة الكاثوليكية فتقسم العهد القديم تقسيماً آخر. وعدد الأسفار لديهم (٤٦) سفراً (بدلاً من ٣٩ عند البروتستانت) إذ يضيفون سبعة أسفار أخرى هي: طوبيا، يهوديت، الحكمة، يسوع بن سيراخ، باروخ، والمكابيين الأول والثاني.

وتقسيم الكاثوليك كما يلي:

١ ـ **أسفار موسى الخمسة (التوراة)**: أو أسفار الشريعة أو الناموس وهي نفس الأسفار الخمسة الموجودة لدى البروتستانت واليهود والطوائف الأخرى التي سنذكرها فيما بعد.

٢ ـ **الأسفار التاريخية**: وهي (١٦) سفراً كالتالي: يشوع، القضاة، راعوث، الملوك الأول والثاني والثالث والرابع، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، طوبيا، استير، يهوديت، المكابيون الأول والثاني.

٣ ـ **الأسفار النبوية**: وعددها لديهم (١٧) سفراً هي: أشعيا وأرميا وباروخ وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي.

٤ ـ **الأسفار الشعرية**: وعددها ستة، وهي: أيوب، المزامير، أسفار سليمان الثلاثة وهي الأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد (وهذا الأخير غير منسوب لسليمان عند الأكثرية) ومراثي أرميا.

٥ ـ **الأسفار التعليمية**: وعددها اثنان هما: سفر الحكمة، ويسوع بن سيراخ.

وهذه الأسفار مختلفة الطول فبعضها قصير جداً وبعضها طويل جداً، فسفر عوبديا به إصحاح واحد، وسفر حجي به إصحاحان، وسفر صفنيا وحبقوق وناحوم: كل واحد منها يتكون من ثلاثة إصحاحات.. بينما يحتوي سفر التكوين على خمسين إصحاحاً وسفر أرميا اثنين وخمسين إصحاحاً، وسفر المزامير يحتوي على (١٥١) مزموراً.

وهناك سفران لا علاقة لهما مباشرة بحياة بني إسرائيل، وهما سفر أيوب وسفر يونان (يونس). فأيوب من بني عيسو بن إسحاق (أخ يعقوب الأكبر) ويونان هو يونس وهو نبي مرسل إلى نينوى في العراق، ولا علاقة له مباشرة ببني إسرائيل. . (وقد ناقشنا هذه المسألة في فصل أيوب عليه السلام من الجزء الثاني من هذا الكتاب).

ويقسم السفر عادة إلى «إصحاحات» ويسمى الإصحاح أحياناً «فصل» وفي الترجمات القديمة للتوراة إلى اللغة العربية (كما يذكرها علي بن محمد الباجي في كتابه «على التوراة») كان الإصحاح يسمى قراءة. . وكل إصحاح يقسم إلى آيات (مع التجاوز عن هذه التسمية).

وطريقة الكتابة للرجوع إلى هذه الأسفار والإصحاحات والآيات تكتب عادة هكذا: التكوين ٢ : ٣ ــ ٨ أي سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الآيات من ثلاثة إلى ثمانية.

وكل هذه الكتب عُدِّلت وبُدلت مراراً، وأضيف إليها، وأسقط منها، ولم تتخذ شكلها النهائي إلَّا في القرن الأول بعد الميلاد[1]. بل إن النص المسوري (الماسوري) وهو الصيغة الرسمية للعهد القديم لم يتقرر نهائياً إلَّا في القرن العاشر بعد الميلاد (أي بعد ظهور الإسلام بثلاثة قرون) على يد عائلة بن أشير التي ظهرت في طبرية في سوريا. وأقدم مخطوط مسوري بين أيدينا نسخ فيما بين سنة (٨٢٠ ــ ٨٥٠) بعد المسيح. وأقدم مخطوط كامل هو مخطوط حلب في القرن العاشر بعد المسيح[1].

---

(١) كما تذكره دائرة معارف أونيفر ساليس، نقلاً عن موريس بوكاي: «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث»: ص ٧ ــ ٣٩.
والدراسة المقدمة من الترجمة المسكونية الفرنسية على الكتاب المقدس «كتب الشريعة الخمسة»، إصدار الرهبانية اليسوعية، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٥م.

(١) نقلاً عن مدخل الكتاب المقدس «كتب الشريعة الخمسة»، إصدار الرهبانية اليسوعية، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٥م، والتي تذكر أيضاً أن النسخ العبرية والآرامية القديمة من الكتاب المقدس قد فقدت (ما عدا مخطوطات مغارة قمران)، وأن نسخ الكتاب المقدس =

والعهـد القديم سجـل فيه شعـر ونثر وحكم وأمثـال وقصص وأساطيـر أمم كثيـرة وفلسفات وتشريـع وغزل ورثاء، وبعضها كتب بأسلوب أدبـي مثل سفر أيوب والجامعة والأمثال. . .

وأسفار العهد القديم، كما تقـول دراسة الـرهبانيـة اليسوعيـة، «هي عمل مؤلفين ومحررين، ظل عدد كبير منهم مجهولاً. . وهو يضم مجموعة من الكتب المختلفة جداً بعضها وضـع بالعبرية مـع بعض المقـاطـع بالآراميـة وبعضها الآخـر باليـونانيـة، وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافـاً كالـرواية التـاريخية ومجمـوعة القـوانين والوعظ والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة».

الأسفار المشكوك فيها (الأبوكريفا) وتسمى أيضاً الأسفار المنحولة:

كتبت هذه الأسفار في فترة متأخرة. . وترجـع إلى العهـد اليونـاني، عندمـا ظهر فيلون اليهـودي في الإسكنـدريـة في القـرن الأول بعـد الميـلاد. وقـد قبلت الكنيسـة الكاثوليكية هذه الأسفار، بينما رفضها أحبار اليهود، كما رفضهـا أيضاً البـروتستانت من النصارى، وهذه الأسفار هي: طوبيا ويهوديت وباروخ وبن سيراخ والحكمة والمكابيون الأول والثاني. وهناك أسفار أخرى منحـولة هي «صـلاة منسّي» و«كتاب عـزرا الثالث» و«كتاب عزرا الرابـع». وفي الكاثوليكية يطلق على هذه المجموعة كلها اسم القانـونية الثانية لأنها ضمت إلى الأسفار القانونية المعترف بها في فترة لاحقة.

ترتيب الأسفار في العهد القديم:

طبقـاً لاختلاف الكنـائس في قبول بعض الأسفـار أو رفضها، فـإن هذا التـرتيب يختلف. . ويعتـرف اليهود بثـلاثة وعشـرين سفراً فقط ولكنهم يـدخلون أسفار الأنبيـاء المتـأخرين في سفـر واحد. وعـدد هذه الأسفـار عنـد البـروتستـانت (٣٩). أمـا عنـد

العبـري الحاليـة منقولـة من ترجمـة تمت في البندقيـة سنة ١٥٢٤ بعـد الميـلاد، عـن يعقـوب بن حانين، أي بعد ثلاثة آلاف سنة من عهد موسى عليه السلام.

الكاثوليك فعددها يصل إلى (٤٦) بسبب إدخالهم الأسفار الستة المشكوك فيها ضمن الأسفار.

والسامريون والصدوقيون (نسبة إلى صادوق بن هارون)، لا يعترفون إلاَّ بالأسفار الخمسة الأولى (التوراة، الناموس، أسفار موسى الخمسة)، ويضيفون إليها سفر يشوع، وأما بقية الأسفار الأخرى فينكرونها.. (وهما فرقتان يهوديتان لم يبق لهما من الأتباع إلاَّ أقل القليل).

ترتيب أسفار العهد القديم:

الرقم	النسخة البروتستانتية	الرقم	النسخة الكاثوليكية
(١ ـ ٥)	التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.	(١ ـ ٥)	التكوين، الخروج، الأحبار، العدد، تثنية الاشتراع.
(٦ ـ ٨)	يشوع، القضاة، راعوث.	(٦ ـ ٨)	يشوع، القضاة، راعوث.
(٩ ـ١٢)	صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني.	(٩ ـ١٢)	الملوك الأول ـ إلى الرابع.
(١٣ـ١٦)	أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا.	(١٣ـ١٦)	أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا ونحميا.
(١٧ـ٢١)	استير، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة.	(١٧ـ٢٣)	طوبيا، يهوديت، استير، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة.
(٢٢ـ٢٥)	نشيد الإنشاد، أشعيا، أرميا، مراثي أرميا.	(٢٤ـ٢٩)	نشيد الإنشاد، بن سيراخ، أشعيا، أرميا، مراثي أرميا، باروخ.
(٢٦ـ٢٩)	حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل.	(٣٠ـ٣٣)	حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل.

(٣٠ـ٣٤) عاموس، عوبديا، يونان (يونس)، ميخا، ناحوم.

(٣٥ـ٣٩) حبقوق، صفنيا، حجّي، زكريا، ملاخي.

(٣٤ـ٣٨) عاموس، عوبديا، يونان (يونس)، ميخا، ناحوم.

(٣٩ـ٤٤) حبقوق، صفنيا، حجّي، زكريا، ملاخي، الحكمة

(٤٥ـ٤٦) المكابيون الأول والثاني.

قانون العهد القديم (أي الأسفار المعترف بها قانونياً):

تقول دراسة المدخل، المقدمة من المسكونية الفرنسية، والرهبان اليسوعية للكتاب المقدس: «ليس العهد القديم هو كل الأدب الذي صدر عن الشعب العبراني، بل هو نتيجة اختيار مؤلفات تُعدُّ كتباً يُعوَّلُ عليها. وتسمى لهذا السبب قانونية».

ومنذ زمن قديم في عهد الإمبراطورية الفارسية، اعترفت هذه السلطات بأن أسفار موسى الخمسة، تؤلف دستوراً يحكم جميع يهود الإمبراطورية. وكان اليهود يسمون هذه الأسفار الناموس أو الشريعة أو القانون.. وقد تمَّ ذلك منذ عهد عزرا في حدود سنة ٣٩٨ قبل الميلاد.

وفي وقت لاحق حددت مجموعة أسفار أخرى هي أسفار الأنبياء، وألحقت بأسفار الشريعة الخمسة واعتبرت قانونية. وهذه الأسفار، هي: يشوع والقضاة والملوك الأول إلى الرابع وأشعيا وأرميا وحزقيال والأنبياء الصغار الاثني عشر. وسميت المجموعة الثانية. ولم يكن لهذه المجموعة الثانية سلطة منظمة تعادل سلطة المجموعة الأولى لكنها كانت أساساً لشرحها وامتداداً لفحواها.

وأُضيفت فيما بعد مجموعة المزامير التي كانت تستخدم للصلوات الطقسية، وهكذا نشأت مجموعة ثالثة من الكتب المعترف بها رسمياً والمستعملة في عبادة الهيكل وفي الأعياد والاجتماعات المجمعية وتسمى هذه المجموعة «المجلات

أو المؤلفات» وكلمة مِجلة العبرية تشبه في معناها كلمة المجلّة (العربية) أي السجل الذي يحوي متفرقات ومتنوعات. (يطلق على الأسفار التالية اسم المجلات الخمس وهي: نشيد الإنشاد، راعوث، مراثي أرميا، الجامعة، استير).

وبقي موضوع الكتب المعترف بها قابلاً للزيادة حسب الحاجة وحسب آراء كبار الكهان. وتعلق دراسة المدخل المقدمة من المسكونية الفرنسية، والرهبانية اليسوعية: «ولكن إلى متى بقيت هذه اللائحة مفتوحة؟ وما هي المبادىء التي كانت تنظم استعمالها؟ وهل ضُمَّ هذا «المؤلف» أو ذاك إلى تلك اللائحة؟ وهل كان الاستعمال واحداً في جميع الأماكن وجميع الأوساط؟ تتضمن هذه الأمثلة كثيراً من النقاط الغامضة».

والواقع أن المجامع الكنسية والمجامع اليهودية المختلفة، تتعارك فيما بينها عراكاً شديداً فيما يمكن أن تسميه معترفاً به وقانونياً وما هو غير معترف به وبالتالي غير قانوني. وبعد فتوحات الإسكندر المقدوني (المتوفى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد)، انقسمت مملكته إلى عدة ممالك ففي مصر البطالسة وفي سوريا الكبرى السلوقيون.. وفي عهد بطليموس الثاني (٢٨٥ ــ ٢٤٦) أمر هذا الملك بترجمة القانون أو الشريعة التي يريد اليهود من رعاياه، أن يتحاكموا إليها، إلى اللغة اليونانية. وبالفعل اجتمع (٧٢) من أحبار اليهود الذين يجيدون اللغة اليونانية وقاموا بكتابة الأسفار الخمسة وقدموها إلى بطليموس الثاني على اعتبار أنها كتاب دينهم وشريعتهم. وقد عرفت هذه الترجمة باسم الترجمة السبعينية وظلت معتمدة لكل الكنائس اللاتينية والغربية. وقد تمَّ ذلك في الإسكندرية.

وتشكك دراسة المدخل إلى الكتاب المقدس، الذي قامت بها الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية في هذه الرواية، وتعتبرها أسطورة!! إذ تقول بالحرف الواحد ما يلي: «**وبالرغم من كون هذه الأسطورة المروية خالية من القيمة التاريخية، يمكننا أن نأخذ بالتاريخ الذي تشير إليه، لأنها من جهة أخرى تدل على أن اليهود والناطقين باليونانية كانوا ينسبون إلى ترجمة شريعتهم هذه ما ينسبونه إلى نصها العبري من قيمة تنظيمية. وكانوا لا يترددون في أن ينسبوا إلى المترجمين إلهاماً إلهياً حقيقياً،**

كما يشهد على الأمر بوضوح فيلون الإسكندري في مطلع القرن الأول من عصرنا[1]. وبعد ترجمة الشريعة (أي أسفار موسى الخمسة أو التوراة)، ترجمت أيضاً مؤلفات تفيد صون الإيمان والحياة اليهودية كالأنبياء والمزامير أولاً، ثم سائر المؤلفات.. وأضيفت إلى هذه الترجمات توسعات جعلت منها تفسيراً حقيقياً للنصوص مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتغيير الإطار الثقافي الذي سببه الانتقال من اللغة العبرية واللغة الآرامية إلى اللغة اليونانية».

وهكذا تعترف دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية أن ما اشتهر باسم الترجمة السبعينية للتوراة أمر أسطوري.. وأن الترجمة حدثت خلال قرون بأشخاص ملهمين!! وأنهم وضعوا أفكارهم وتأثيرات عصرهم وثقافتهم اليونانية في إطار ترجمتهم، حيث لم تكن تلك الترجمة دقيقة وأمينة، بل كان المترجمون أنفسهم يدَّعون أنهم ملهمون من الله، وبالتالي لهم حق الإضافة أو الحذف.

وتذكر هذه الدراسة أن حدود ما هو معترف به وقانوني، وما هو غير معترف به وغير قانوني، من هذه الأسفار ظل مثار جدل طويل.. ويصعب تماماً معرفة حدود قائمة الأسفار المعترف بها، والأسفار غير المعترف بها، إذ أن ذلك كان يتغيَّر من زمان إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى ومن بلد إلى بلد آخر، تقيم فيه مجموعات يهودية.. ويبدو **أن قائمة الكتب المعترف بها، أي القانونية ظلت مفتوحة لتضيف كتباً جديدة حسبما يرى كبار الأحبار.** «فقد عثر في مِسَدَّة، وهي آخر ملجأ للمقاومة اليهودية في وجه الرومان (٧٣ ميلادية) على سفر لابن سيراخ، لعل وجوده يثبت استعماله في إطار المجمع» (أي أن الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية غير متأكدة من قبوله أو رفضه لدى المجمع).

وكان الفريسيون (وهم فرقة من غلاة اليهود لعنهم المسيح عيسى بن مريم) يعترفون بسلطة سفر دانيال، بينما كان الصدوقيون يرفضون الاعتراف به. وكانت جماعة قمران تستعمل سفر طوبيا وابن سيراخ، وعلى الأرجح سفر باروخ أيضاً. كما كانت جماعة قمران تعترف أيضاً بأسفار أخرى غير موجودة الآن، مثل سفر أخنوخ وسفر اليوبيلات وعلى المؤلفات الرسمية التي كانت حياة طائفة قمران تقوم عليها.

---

(١) أي القرن الأول بعد الميلاد.

ولم تُحدّد قائمة الكتب والأسفار الرسمية القانونية إلاَّ على يد معلمين يهود من طائفة الفريسيين (وهي الطائفة التي حاربت المسيح عيسى بن مريم حرباً شعواء وحاولت قتله وصلبه) وذلك في الفترة الواقعة بين سنة ٨٠ و ١٠٠ بعد الميلاد. وقد رفض هؤلاء أسفار الأنبياء المتأخرين، والأسفار التي وضعت مباشرة باليونانية، أي التي ألفها أحبار اليهود المقيمين في الإسكندرية.

وقد رأت جماعة الإسكندرية اليهودية، والتي قامت بترجمة التوراة، أن من حقها أن تضيف إلى هذه التوراة العبرانية ما شاءت، وأن تحذف إليها ما شاءت على اعتبار أنها هي الأخرى تتلقى وحياً من الله. وأن روح الله تظللها وتلهمها في جميع ما تكتب وتقول المسكونية الفرنسية والرهبانية اليسوعية في دراسة المدخل ما يلي:

«غير أن الجماعة اليهودية في الإسكندرية، لم تكتف بأن تنقل إلى اليونانية الأسفار القانونية الأولى (أي التوراة) وأهم المؤلفات الصادرة تحت أسماء مستعارة، فهناك كتب أصلية صدرت في الإسكندرية ولا سيما «حكمة سليمان» وسفر المكابيين الثاني وعلى الأرجح جزء من سفر باروخ. . .» وتقول أيضاً «لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله لأن الإضافات كانت مستمرة وكانت القائمة مفتوحة».

وهكذا قام يهود الإسكندرية في فترات متأخرة بإضافة كتب جديدة إلى الكتاب المقدس «العهد القديم». ويبدو واضحاً التأثير الفلسفي اليوناني في سفر الجامعة (حكمة سليمان). كما تبدو تأثيرات أمثال أمنموبي المصري في الأمثال المنسوبة لسليمان.. وفي سفر أيوب تظهر مواقف التحدي والمصادمة لله، وهو أمر مشهود في الأساطير اليونانية.

كيف تكونت الكتب المقدسة في الكنيسة المسيحية؟

تقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية «مدخل إلى العهد القديم» ما يلي: «لما كانت الكنيسة المسيحية قد نشأت في الإطار المجمعي اليهودي. قبل أن يكون لها نظام خاص منفصل تماماً، فقد حصلت من الدين اليهودي على مجموعة

كتبها المقدسة . . » وكان اليهود يستعملون الترجمة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية للتوراة ويعترفون بها، وكانوا يعرفون «حكمة سليمان» و «ابن سيراخ» على الأرجح . . وكان لقرار أحبار اليهود في «جمنيا» الذي اعترف ببعض الأسفار وأنكر بعضها أثر كبير على قرار الكنيسة، بقبول هذه الأسفار أو رفضها . . ولكن عمد رجال الكنيسة فيما بعد إلى توسيع دائرة الكتب المعترف بها وأول من فعل ذلك هو أوريجينس في القرن الثالث الميلادي» .

وكما تم نقل بعض الأسفار في الإسكندرية إلى اليونانية وتمتع الناقلون بحق الإضافة والحذف، بل ووضع كتب جديدة باعتبار أنهم ملهمين من الله، كذلك قامت الكنائس السورية بنقل بعض الأسفار مباشرة من العبرية إلى اللغة السريانية وكان من حق المترجمين أيضاً، باعتبارهم ملهمين من الله، أن يضيفوا أو يحذفوا ما رأوه حسناً . كما كان من حقهم أيضاً وضع كتب وأسفار جديدة .

«وسلكت الكنائس الشرقية الناطقة باليونانية، طرقاً متنوعة لم ينظمها تنظيماً نهائيّاً أي قرار شرعي على مر العصور» . ولهذا كانت مسألة الاعتراف بالأسفار التي تعد قانونية مفتوحة . . فبالإضافة إلى أسفار التوراة الخمسة المعترف بها من الجميع اختلفت الفرق اليهودية والمسيحية اختلافاً شديداً فيما هو معترف به، وما هو غير معترف به . وظلت الكنيسة الشرقية حتى يومنا هذا (كما تقول دراسة الرهبانية اليسوعية) تختلف حول مفهوم الأسفار القانونية الثانية عن الكنيسة الغربية . « فصلاة منسّى » . وكتب عزرا الثاني والثالث والرابع ، لا تحظى بأي اعتراف في الكنيسة الغربية (كاثوليكية أو بروتستانتية) ولكنها تحظى باعتراف لدى بعض الكنائس الشرقية .

والأمر ذاته تكرر في شمال إفريقيا، إلَّا أن التأثير اللاتيني كان قوياً جداً، بحيث أن ما اعترفت به روما، أصبح معترفاً به في شمال إفريقيا . ومنذ القرن الرابع الميلادي شهدت المجامع العديدة معارك طاحنة للاتفاق على أو رفض الكتب والأسفار التي ستعتبر قانونية ومعترف بها أو مرفوضة .

«نحن أمام وجهات نظر مختلفة في مختلف الكنائس (الأرثوذكسية والشرقية غير الخلقيدونية والكاثوليكية والبروتستانتية) فهي تنسب إلى الأسفار القانونية الثانية،

بحسب مواقفها، إما سلطة تساوي سلطة سائر الكتب المقدسة، وإما سلطة مقللة، وإما لا وجود لأية سلطة».

ومعنى هذا الكلام أن هناك كنائس تقبل بعض الأسفار وتعتبر كتّابها ملهمين من الله، ولهذا تقبل ما كتبوه، ولو كان في عصور متأخرة، وهناك كنائس تتردد في هذا القبول، كما أن هناك كنائس ترفض رفضاً باتاً، أن تعطي هذه الأسفار أي قداسة، ولهذا تخرجها من دائرة الكتب المعترف بها.

ورغم أن نصوص الكتاب المقدس تعتبر مقفلة منذ عدة قرون، إلاّ أن الذين يقومون بترجمة أو إعادة نشر الكتاب المقدس، يرون من حقهم تغيير ألفاظ أو حذف جمل وإبدالها بغيرها حتى يومنا هذا. فعلى سبيل المثال هناك طبعة صدرت باسم «الكتاب المقدس الإنجليزي الجديد» (New English Bible) ، وهناك طبعة باسم «الكتاب المقدس الأمريكي الجديد» (New American Bible) ، وهناك «الكتاب المقدس العالمي الجديد» (The New International Version) ، وهناك «الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية العصرية» (The Bible in Today's English) ، وهكذا دواليك. . .

وقد ترجم الكتاب المقدس إلى أكثر من ألف وستمائة لغة أو لهجة. . وهذه الترجمات لها حق التحوير والإضافة والحذف وتغيير الكلمات من مواضعها على اعتبار أن روح الله دائماً تلهم المترجمين الصواب.

وهذا الأمر لا يستطيع المسلم، أن يتصوره لأن القرآن كتاب لا يستطيع أحد أن يضيف إليه أو ينقص منه حرفاً واحداً. بل لو قام شخص في أي قرية نائية بخطأ بسيط في القراءة، حيث يضع علامة رفع بدل نصب أو جر فإن مئات المصلين أو المستمعين سيردون عليه فوراً لتصحيح قراءته، بل لو أخطأ في مدٍّ أو غنةٍ لوجد من يصحح له هذا الخطأ فور قراءته.

أما الكتاب المقدس، فهو دوماً قابل للتغيير ولو ببعض الألفاظ. وتعتبر ترجمة الملك جيمس الأول ملك بريطانيا والتي قام بها (٤٧) من علماء اللاهوت سنة (١٦١١م) الترجمة المعتمدة في اللغة الإنجليزية. . ومع هذا فإن من حق الكنائس أن

تصدر باستمرار ترجمات جديدة تختلف في الأسلوب وفي اختيار الكلمات، وحذف بعض المقاطع أو إضافتها حسب ما يتراءى لها من مصلحة، ومن موافقة لأساليب العصر وتفكيره واتجاهاته. وبحيث تكون النسخة أقرب إلى القبول من سابقتها التي بها ألفاظ وتعبيرات تحفز الشخص على إنكارها أو على الأقل التشكك في مصداقيتها. كما تحاول الترجمات الحديثة أن تخفف من الوقائع والحوادث اللاأخلاقية المنسوبة إلى الأنبياء وذلك باللعب بالألفاظ.. واختيار لفظ دون آخر.. وكذلك تحاول أن تخفف من وقع تلك الصورة البشعة التي ترسمها بعض النصوص التوراتية لله سبحانه وتعالى.

نص العهد القديم وتناقله:

يقول الباحث اليهودي (آدموند جاكوب) في كتابه «العهد القديم»[1]: «ليس هناك نص واحد للعهد القديم، بل نصوص كثيرة. ففي القرن الثالث قبل الميلاد كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة (أسفار موسى الخمسة، أسفار الشريعة، الناموس)، وهي:

١ ــ النص المسوري (أي النص المحقق).

٢ ــ النص السامري.

٣ ــ النص الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية.

وتذكر دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية «المدخل إلى العهد القديم» ما يلي[2]:

« **الأسفار القانونية:**

١ ــ النص المسوري: تطلق عبارة النص المسوري على صيغة النص الرسمية التي قررت نهائياً في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح (أي بعد عصر

---

(١) نقلاً عن موريس بوكاي: «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث»: ص ٧ ــ ٣٩.

(٢) الكتاب المقدس: «كتب الشريعة الخمسة»، دار المشرق، بيروت.. وجمعيات الكتاب المقدس في المشرق، ١٩٨٤م، ص ٥١.

موسى بحوالي ٢٣٠٠ سنة)، حين ازدهر في طبرية أشهر المسوريين وكانوا ينتمون إلى عائلة بن أشير. وأقدم مخطوط «مسوري» بين أيدينا نسخ فيما بين (٨٢٠ ـ ٨٥٠) بعد المسيح. وهو لا يحتوي إلّا على التوراة. وأقدم مخطوط كامل وهو مخطوط حلب، قد نُسخ في السنوات الأولى من القرن العاشر بعد المسيح. أما نسخ الكتاب المقدس العبري الحالية، فهي منقولة عن النشرة التي صدرت في البندقية في السنة (١٥٢٤ بعد المسيح) عن يد يعقوب بن حاييم.

«كثيراً ما وقع التباس في النصوص الكتابية، لأن الكتابة العبرية غالباً ما تُهمل فيها الحركات. وفي القرن السابع الميلادي اهتدى الباحثون إلى وسيلة واضحة لكتابة الحركات. (وقد نقلوا ذلك عن المسلمين الذين وضعوا النقاط على الحروف والتشكيل للمحافظة على سلامة القرآن الكريم) وللإشارة إلى علامات الفصل في الجمل، عن طريق النقاط والخطوط. وهكذا دُونَ خطيّاً تقليد حي للقراءة والتفسير، كان قد انتشر في الدين اليهودي، خلال الألف الأول من عصرنا. ويشهد له «الترجوم»، أي التفسيرات الآرامية التابعة للكتاب المقدس العبري[1].

وقد عُثر في مغارة قمران على البحر الميت سنة (١٩٤٧م) على ملفات أسفار مقدسة شبه كاملة وعلى ألوف الأجزاء التي تركت في القرن الأول بعد ميلاد المسيح. وتبيَّن من ذلك أن اليهود كانوا يتناقلون على عهد يسوع، **صيغ نصوص معظمها أسفار، غالباً ما تختلف عن النص المسوري الأول**[2].

---

(١) لقد تأثر اليهود المقيمين في سوريا والعراق والمغرب والأندلس ومصر، تأثراً كبيراً جداً بالثقافة الإسلامية، واقتبسوا أشياء كثيرة، منها: النقط والتشكيل وتنزيه الله عن الجسمانية وتأويل ما ورد في التوراة من التجسيم. انظر كتاب الفكر اليهودي وتأثره بالفكر الإسلامي، تأليف جورج فيدا، وترجمة وتعليق علي محمد النشار ومياس أحمد الشربيني، طبع نشأة المعارف، الاسكندرية.

(٢) هذا كلام في منتهى الأهمية، حيث يوضح أن النصوص التي اكتُشفت في مغارة قمران تختلف اختلافاً جذرياً عما هو موجود فيما يسمى النص المحقق والمعترف به للتوراة. وهذه الجماعة كانت تدعى الآسيين، وقد اعتزلت فرق اليهود الأخرى قبل ظهور المسيح، وكانت تعيش حياة الزهد والتنسُّك، رافضة لكل ما تقوله الفرق اليهودية الأخرى، وخاصة الفريسيون.. وكانوا يبشرون بمجيء المسيح ويذكرون صفات النبي محمد ﷺ.

«وهناك أيضاً النص السامري وهو يختلف عن النص المسوري. كما أن هناك النص الذي استخدم أساساً للترجمة السبعينية اليونانية.

«وهكذا يتضح أن هناك أربعة نصوص للتوراة يختلف بعضها عن الآخر اختلافاً كبيراً أو طفيفاً:

١ ــ النص المسوري.
٢ ــ نصوص مغارة قمران.
٣ ــ النص السامري.
٤ ــ النص الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية.

وتذكر دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية «مدخل إلى العهد القديم»:

«أن النص المسوري عانى من التشويه، ولهذا فإن كثيراً من علماء اللاهوت، قاموا بمحاولة تنقيح هذا النص، ولا سيما في الفترة ما بين عام (١٨٥٠و١٩٥٠) بعد ميلاد المسيح!!!

«**تشويه النصوص**: لا شك أن هناك عدداً من النصوص المشوهة، التي تفصل النص المسوري الأول عن النص الأصلي. فمن المحتمل أن تقفز عين الناسخ من كلمة إلى كلمة تشبهها وترد بعد بضعة أسطر مهملة كل ما يفصل بينهما.. وقد يدخل الناسخ في النص الذي ينقله تعليقاً هامشياً يحتوي على قراءة أو على شرح ما. والجدير بالذكر أن بعض النسّاخ أقدموا على إدخال تصحيحات لاهوتية (إضافة منهم)، وعلى تحسين بعض التعابير التي كانت تبدو لهم معرَّضة لتفسير عقائدي خطير.. (وهذا يوضح إلى أي مدى كان من حق النسّاخ، أن يضيفوا أو يحذفوا أو يبدلوا من نصوص التوراة أو الأسفار الأخرى حسبما يتراءى لهم من المصلحة. هذا إذا تركنا جانباً الأخطاء في الكتابة ونسيان أسطر، وتبديل كلمة مكان أخرى، دون قصد أو تعمُّد).

نقد النصوص: تحت هذا العنوان تتحدث الرهبانية اليسوعية قائلة: «أية صيغة من النص نختار؟ أو بعبارة أخرى كيف الوصول إلى نص عبري يكون أقرب نص

ممكن إلى الأصل؟ لم يتردد بعض النقاد في تصحيح النص المسوري كلما لم يعجبهم لاعتبار أدبي أو اعتبار لاهوتي. وتقيّد البعض بالنص المسوري إلّا إذا كان تشويهه واضحاً، فحاولوا عندئذ أن يجدوا بالرجوع إلى التراجم القديمة قراءة أفضل. هذه الطرق غير علمية ولا سيما الأولى منها، فهي ذاتية إلى حد الخطر.

« لا بد إذن من الرجوع إلى مختلف نصوص «الكتاب المقدس» النص المسوري ومختلف نصوص مغارة قمران (التي لم تنشر حتى الآن رغم مضي أكثر من أربعين سنة على اكتشافها)، والتوراة السامرية والترجمات اليونانية السبعينية (مع مراجعاتها الثلاث المتعاقبة). وغير السبعينية وترجمات الترجوم الآرامية (التي وضعها الفريسيون في عهد المسيح). والترجمات السريانية والترجمات اللاتينية القديمة وترجمة القديس إيرونيمس والترجمات القبطية والآرامية... إلخ. مع دراسة آداب الشرق الأدنى القديمة. وبهذه المقارنات كلها نستطيع أن نستعيد النموذج الأصلي الكامن في أساس جميع الشهود والذي يرقى عادة إلى حوالي القرن الرابع قبل المسيح (أي إلى عصر عزرا ونحميا) ».

يا للهول!! بعد كل هذه الشروط التي لا يمكن أن تتحقق، سنظفر بنص يوصلنا إلى عهد ما بعد النفي البابلي. أي إلى زمن عزرا ونحميا. أي القرن الرابع قبل الميلاد، وأما الوصول إلى عهد موسى، فأمر مستحيل لأن ما بين عزرا وموسى أكثر من ألف عام. والمشكلة الحقّة هي أن علماء اللاهوت من اليهود والنصارى يؤكدون أن موسى لم يكتب أسفاره الخمسة المنسوبة إليه (التوراة، الناموس)، بل إن هذه الأسفار كُتبت بعد وفاته بعدّة قرون (بدأت في القرن التاسع قبل الميلاد واستمرت إلى القرن الرابع قبل الميلاد)، ثم نأتي في النهاية لنرى؛ أن توراة عزرا أيضاً قد بُدِّلت وحُرِّفت وفقدت. وهناك عشرات النصوص المتناقضة..

وفي هذا الخضم من العسير على أي إنسان أن يجزم بأن هذه التوراة هي التي كُتبت في عهد عزرا. أما رفعها إلى موسى فهو أمر ترفضه المجامع المسيحية واليهودية على السواء.

هذا كله بالنسبة للأسفار القانونية الأولى، أي التوراة أو الناموس التي حظيت بأكبر قدر من الاهتمام والتدوين والمتابعة، على اعتبار أنها شريعة اليهود وقانونهم. والذي اعترف به الحكّام الفرس، ثم الحكّام اليونان، ثم الحكّام الرومان، وسمحوا جميعهم لليهود بالتحاكم إليها واتباع تعاليمها.

أما بالنسبة للأسفار القانونية الثانية (أسفار التاريخ والأنبياء)، فإن اليهود لم يدرجوها في لائحة كتبهم المقدسة الرسمية. «ونظراً إلى أن الدين اليهودي كفَّ عن تداوُلها في القرن الميلادي الأول، فقد وصلتنا هذه الأسفار في تقاليد نصوص أقل وحدة بوجه عام، وغالباً ما فقدت جذورها السامية، كما تقول الدراسة القيِّمة التي قدّمتها الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية في مدخل دراسة العهد القديم (الكتاب المقدس: كتب الشريعة الخمسة، دار المشرق - بيروت).

وهكذا نرى: أن أسفار التوراة، رغم ما لقيته من عناية واهتمام، إلَّا أن هناك عشرات النسخ المختلفة، والتي لم تُدرس دراسة مقارنة حتى الآن، لتوضح هذا الاختلاف، وأين يكمن الحق والباطل.. وأما الأسفار الأخرى فأمرها أشد سوءاً وأكثر اضطراباً ولا سبيل إلى الإطلاق لإجراء دراسة مقارنة لأن أصولها السامية قد فقدت تماماً!!



نظرة عامة على أسفار التوراة
(أسفار الشريعة، الناموس، الأسفار الخمسة)

بعد أن ألقينا نظرة إجمالية عامة على أسفار العهد القديم وتقسيماته وتعريف التوراة، فإن علينا أن ننظر الآن إلى هذه الأسفار بنوع من التفصيل النسبي دون الدخول في التفاصيل الدقيقة.

وبما أن الأسفار الخمسة، هي أساس الكتب المعترف بها، وهي التي يطلق عليها اسم (التوراة) واسم (الناموس) و(أسفار موسى) و(القانون). فإن هذه الكتب تستحق أن تدرس بعناية أكبر.

تقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية:

إن تقسيم كل سفر إلى فصول (إصحاحات)، إنما تمّ في القرون الوسطى، وإن طول وعدد هذه الإصحاحات قد اختلف من زمن إلى آخر، ومن مكان إلى مكان، حسب اهتمام وآراء الأحبار والقسس في ذلك الزمان والمكان.

«والأسفار الخمسة تشكل مجموعة روحية متماسكة. **وهذه المجموعة المبنية على تحرير التوراة النهائي تظهر في أعقاب تاريخ طويل يستطيع التحليل الأدبي أن يعرف مراحله إلى حد ما في أصل هذا التاريخ الأدبي تقاليد يرقى عهدها إلى أيام موسى وقد تكون انتقلت مشافهة مدة طويلة من الزمن، قبل أن يجمعها ويحرِّرها كتّابٌ مُلهمون، في مختلف العصور التي منها ينهلون الرؤية والفكر والأسلوب».**

والقارىء المنتبه يفاجأ بتكرار هذه النصوص وباختلافات فيها قد تصل إلى حد التناقض الصريح . . والوصايا العشر ترد مثلاً مرتين (مرة في سفر الخروج الإصحاح ٢٠ ومرّة

في التثنية الإصحاح ٥)، ومواسم الأعياد أربع مرات. (خروج ٢٣ و ٣٤، واللاويين ٢٣، والتثنية ١٦). ورواية الخلق مزدوجة (الأصل اليهوي والأصل الالهيمي)، أحدها في التكوين الإصحاح الأول، والآخر في الإصحاح الثاني. وهناك تناقض بين النصين. وكذلك قصة طرد هاجر. (تكوين ١٦ و ٢١). «وليس الأمر أمر تكرار فحسب، فكل رواية من روايات الحدث لها طابع مبتكر». وتتناقض إلى حدٍ ما مع الرواية السابقة.. والشيء ذاته يتكرر في عرض إبراهيم لزوجته سارة للملك فرعون ولأبيمالك ملك الفلسطينيين وقوله عنها إنها أخته. كما يفعل إسحاق الشيء ذاته مع زوجته رفقة..

وفي رواية الطوفان يختلط النص اليهوي بالنص الالهيمي ويمتزجان ولكن فوارق الإنشاء والأسلوب تظل واضحة بادية للعيان.. والحيوانات التي أصعدها نوح إلى سفينته تُذكر بأنها زوجين من كل جنس. (التكوين ٦: ١٧)، وتذكر حيناً آخر بأنها سبعة أزواج من كل جنس طاهر. (التكوين ٧: ٢). ومدة الطوفان تُذكر بأنها أربعين يوماً. (التكوين ٧: ١٧) وفي موضع آخر تُذكر بأنها مائة وخمسون يوماً. (التكوين ٧: ٢٤).

ويبدو بوضوح أن هناك أكثر من نص في سفر التكوين جُمعت فيما بعد في فترة متأخرة في سفر واحد. فهناك النص الذي يذكر فيه اسم الله باسم يهوه (يهوا). وهناك نص آخر يذكر فيه اسم الله باسم ألوهيم. ويرجع النص اليهوي، كما أسلفنا، إلى القرن التاسع قبل الميلاد.. حيث كان اسم يهوا هو الشائع لدى مملكة الجنوب (مملكة يهوذا)، بينما يرجع النص الالهيمي إلى القرن الثامن قبل الميلاد، حيث كان اسم «ألوهيم» هو الشائع لدى مملكة الشمال (مملكة إسرائيل). وهناك أيضاً نص كهنوتي، وهو يتألف من فصول كتبها الكهنة، وتوجد في سفر الخروج وسفر اللاويين بصورة خاصة. وقد كتب هذا النص في عصر النفي إلى بابل في القرن الخامس قبل الميلاد. أما نص سفر تثنية الاشتراع فيرجعه الباحثون إلى الكاهن حلقيا والملك جوشياهو (يوشياهو) في حدود سنة (٦٢٠ قبل الميلاد).

وقد جُمعت هذه النصوص المختلفة على شكل كتاب واحد، في عصور

متأخرة، واستمرت التعديلات والتنقيحات فترة طويلة جداً من الزمن. . وتقول دراسة الرهبانية اليسوعية ما يلي:

«ويتميز النص اليهوي بأنه واقعي وتصويري وغني بالاستعارات، ويكاد يكون ساذجاً، إنه إنشاء راوي قصص لا يتردد في الكلام على الله بألفاظ كثيرة الصور كأنه إنسان. . فسمعا وقع خطى الرب الإلّه وهو يتمشى في الجنة عند نسيم النهار». (التكوين ٣ : ٨)، «وأغلق الرب على نوح». (التكوين ٧: ١٦).

وبالمقابل نلاحظ أن النص الالهيمي أشد إبرازاً للبعد القائم بين الله والإنسان، ويحب الكلام على ملاك، بل على إنسان تجنباً لإدخال الله في نشاط بشري. ويُظهر الله أحياناً في مظهر رهيب:

«إن التقليدين (النصين)، اليهوي والالهيمي، يحتويان خاصة على روايات قصصية ونادراً على نصوص تشريعية. أما النص الكهنوتي فجوهره قائم على أمور قانونية، فسفر الأحبار (اللاويين) مثلاً لا يحتوي على غير ذلك. لكن النص الكهنوتي يتضمن أيضاً روايات. (الخلق: تكوين: ١)، وشراء مغارة المكفيلة. (تكوين: ٢٣).

«ويمتاز إنشاؤه بالتكرار (الممل جداً) وببعض التصلب وحب الإيضاحات العددية والميل إلى كا ما يتعلق بالعبادة والليترجية (أي الطقوس العبادية). والجمود الإنشائي الذي يتصف به التقليد (النص) الكهنوتي، ساعَد على خلق إطار مستوعب للتقليدين اليهوي والالهيمي، وهما أشد مرونة فيه. أما التقليد (النص) المختص بالتثنية وهو مقتصر عليه، فإنشاؤه خطابي وتكثر فيه العبارات القولية كهذه: «اسمع يا إسرائيل»، و «بكل قلبك وكل نفسك»، و «أرض تدر لبناً وحليباً وعسلاً». و «الرب إلّهك».

وتقول الدراسة المقدمة من الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية:

«يساعدنا هذا التحليل الأدبي على قراءة التوراة بمزيد من العمق. . .» فهناك النص اليهوي الذي يصوِّر الإلّه في صورة إنسان كثير الغضب، سريع النسيان يحب المحارق بصورة خاصة وبالذات اللحم المشوي. . وهناك النص الالهيمي وهو أكثر شفافية، ويتحدث الملاك بدلاً من الرب مباشرة، وهناك النص الكهنوتي الذي يهتم

بتفاصيل ثياب الكاهن وخيمة الاجتماع وصنعة التابوت والقرابين بدرجة مملَّة مقرفة تسبب الغثيان.

«ولا شك أنَّ التقاليد الدينية والأدبية لشعب إسرائيل والشعوب المجاورة، هي التي أدَّت في النهاية إلى تكوين التوراة كما نعرفها اليوم. مع العلم بأن هذه التحاليل الأدبية والتاريخية لمادة التوراة ليست نهائية ولا تزال تتسع للمزيد من الإضافات والشروح.

«وتاريخ هذه النصوص الأدبية المختلفة يوحي بوجود مرحلة سبقت مرحلة تكوين التوراة الحالية، مرحلة ترتبط بحياة شعب الكتاب المقدس، وهو شعب إسرائيل. وكان الكهنة يحافظون على هذه التقاليد. وقد انتظمت شيئاً فشيئاً في دوائر ومجموعات أوسع كلما تعمقت العلاقة بين أسباط بني إسرائيل. وكلما ترسخت وحدة إسرائيل الدينية.. أي أنها نشأت في مجموعات صغيرة. وكل مجموعة تروي قصصها وتقاليدها.. ثم تُجمع هذه القصص والتقاليد لتتحول إلى مجموعات أكبر.. وقد تركت آثاراً ظاهرة نستطيع بفضلها أن نكوِّن فكرة عن مراحل هذا التاريخ.. ومتى كُتب كل نص من هذه النصوص بصورة تحدِّد العصر والزمان الذي كُتبت فيه هذه النصوص.. ومتى تم تجميعها وتوحيدها».

سفر التكوين:

هو أول أسفار التوراة، وأول أسفار العهد القديم.. وهو مكوَّن من خمسين فصلاً أو إصحاحاً، ويحكي قصة آدم ونوح والطوفان وما كان من أمر أبنائه بعد الطوفان سام وحام ويافث. ثم يصل إلى إبراهيم وسلالته والعهد الذي قطعه الله معه. ويتحدث عن ابنه إسحاق ثم يعقوب بن إسحاق الذي يُسمى أيضاً إسرائيل.. ويذكر قصة أبناء يعقوب الاثني عشر، وقصة يوسف.. وينتهي بموت يعقوب.

«ويروي هذا السفر كيف أن الله كوَّن لنفسه بين أُمم الأرض شعباً كتب له أن يصبح شاهداً له»، كما تقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية: «ولا بدَّ من التذكر بأن سفر التكوين لم يؤلف دفعة واحدة، بل جاء نتيجة عمل أدبي استمر

لعدة أجيال فهو يعكس الإختيارات الأليمة التي مرَّ بها أحياناً بنو إسرائيل الذين يروون لنا حياة أجدادهم. والنص الحالي لا يفهم ما لم يؤخذ بعين الاعتبار ما هنالك من استئنافات ضرورية للعمل الإلّهي في رعاية شعب إسرائيل».

وتذكر الرهبانية المسيحية وغيرها من المصادر التي سبق الإشارة إليها أن هناك أربعة نصوص أو روايات موجودة في سفر التكوين، هي: النص اليهوي، والنص الالهيمي، والنص الكهنوتي، ونص تثنية الإشتراع. ولكن يبدو بوضوح ظهور وبروز النص اليهوي يليه النص الالهيمي.. وتبدو نُبذ بسيطة ومحدودة من النص الكهنوتي.

وقد أسلفنا القول: في أن النص اليهوي تمَّت كتابته في مملكة يهوذا في حدود القرن التاسع قبل الميلاد (٨٥٠ق.م). والنص الالهيمي في مملكة إسرائيل في الشمال في القرن الثامن قبل الميلاد. والنص الكهنوتي في أيام عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد. ثم تمَّ دمج هذه النصوص في مرحلة متأخرة جداً امتدت إلى القرن الأول بعد الميلاد (أي بعد وفاة موسى بألف وخمسمائة عام).

ويُقسم سفر التكوين عادة إلى قسمين:

القسم الأول: من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الحادي عشر: ويبحث هذا القسم في موضوع خلق الكون وخلق آدم وقصته مع حواء والحية والشجرة... إلخ.

والقسم الثاني: من الإصحاح الثاني عشر إلى الإصحاح الخمسين: ويروي سيرة الآباء الأوائل: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وأُخوة يوسف. وهو يقسم أيضاً إلى ثلاث حلقات: قصة إبراهيم. (الإصحاح ١٢ ــ ٢٥)، وإسحاق ويعقوب (٢٦ ــ ٣٦)، ويوسف (٣٧ ــ ٥٠).

ويبدو النص اليهوي بارزاً في السفر كله، حيث نرى الله في صورة بشر يتمشى في الجنة ويربط عهده مع نوح بطريقة ساذجة (قوس قزح) ويقوم بمصارعة يعقوب طوال الليل ولا يستطيع التغلب عليه. ويحب المحارق واللحم المشوي، بصورة مزعجة جداً، وهو مستعد أن يعطي نصف مملكته لمن يقدّم له هذا اللحم المشوي والمحارق.

والنص الالهيمي أقلّ بروزاً، ولكنه يظهر في علاقة إبراهيم بالله بواسطة الملك، حيث تتحوَّل الصلة المباشرة اليومية بين الله والإنسان إلى صلة بـواسطة ملك، وبحيث لا يظهر الرب مباشرة على مسرح الأحـداث يتعارك أو يقـدم العهود مـع الإنسـان ولكنه يختار ذلك بواسطة ملك في غالب احيان.

أما النص الكهنوتي فهو قليل البروز في سفر التكوين.

مصادر سفر التكوين:

تذكر الدراسة القيمة الـتي قدَّمَتْها الرهبانية اليسوعية والمسكـونية الفـرنسية، أن مصادر سفر التكوين كانت الأسـاطير الشـائعة والسـائدة لـدى الحضارات المـوجودة، فيمـا بين النهـرين (العـراق) وعلى ضفـاف نهـر النيـل (مصـر)، والمنـطقـة الفينيقيـة والكنعانية. والاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين، وبين بعض النصوص الخاصة بسـومر وبـابل وطيبة وأوغاريت.

ويـرجـع الباحثـون، كما أسلفنـا، قصة الخلق إلى مـا هـو مسجَّـل في القصص البـابلية، وقصـة آدم والشجرة يـرجعونهـا إلى قصة الإلّـه مـردوك ومخادعتـه للإنسـان وإعطائه ثمرة شجرة الفنـاء بدلاً من ثمـرة شجرة الخلد التي كـان يسعى إليها. وقصـة الطوفان ونوح تمثلها قصة جلجامش والطوفان... إلخ.

وقصة الأبراج الشامخة التي شادتها مدن ما بين النهرين. تذكِّر برواية برج بـابل الـذي ورد ذكره في سفـر التكـوين وأن الله نـزل ليحـطم هـذه المـدينـة حتى لا يمتـد بنو البشـر ويتطلعوا لمنافسته في ملكوته!!

ويعترف الباحثون ومنهم أصحاب الدراسة القيمة التي قدمتها الرهبـانية اليسـوعية أن روايات الآباء وسفر التكوين وضعت في زمن يبعد كثيراً عن الأحـداث العائـدة إليها في القصص البابلية. فتلك الأمـور قد ذكـرت في الأساطيـر البابليـة.. في حدود سنـة (٣٠٠٠) قبل الميلاد.. بينما كتب سفر التكوين في مرحلة متأخرة (من القـرن التاسـع إلى القرن الرابـع قبل الميلاد)، والفترة الزمنيـة بين إبراهيم وبين كتـابة قصتـه في سفر

التكوين، تمتد إلى حوالي (١٥٠٠) عام.. وهي فترة زمنية بعيدة جداً وتتعرض فيها الروايات الشفهية للتبديل والتحريف والتغيير.

ويزعم كثير من الباحثين والكتّاب إن قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب لا يوجد ما يؤكدها من ناحية علم الآثار والتاريخ.. ويتحدثون عن عبور مجموعات من الرعاة البدو وانتقالهم من بادية العراق إلى بادية الشام.. ثم إلى مصر.. ويدللون على ذلك بدخول الهكسوس إلى مصر.. ويعتبرون العبرانيين أو «العبيرو» مجموعات من الرعاة والبدو والرحّل الذين دخلوا على فترات، متقطعة وبأزمنة متتالية إلى بادية فلسطين (أرض كنعان) أولاً ثم إلى أرض مصر.. وأن قصص التوراة عن هذه الشخصيات الأسطورية لا تزيد عن قصص الإلياذة والأوديسّة والراماياتا عن الآلهة المختلفة وأساطيرها في جبال الأولمب!!

ونحن نرفض ذلك كله لسبب بسيط، هو أن القرآن الكريم قد حدثنا بما لا يقبل الشك عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط عليهم السلام أجمعين، كما حدَّثنا عن آدم وبنيه وعن نوح والطوفان.. وكلها بالنسبة لنا نحن المسلمون حقائق لا تقبل الجدل.

وقد فصَّلنا القول في عدة فصول من الكتاب حول ما ذكره سفر التكوين عن الله (فصل الله جل جلاله كما تصوره التوراة والتلمود)، وعن آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط ويعقوب وبنيه في فصول خاصة، وعقدنا مقارنات بين ما ذكره الله في القرآن الكريم من قصص هؤلاء الأنبياء الكرام، وبين ما ذكره سفر التكوين الذي لوث سيرة هؤلاء الأنبياء الأطهار الأبرار[1].

سفر الخروج:

وهو ثاني أسفار التوراة ويقع في أربعين إصحاحاً (فصلاً)، تبدأ بالحديث عن مولد موسى أثناء اضطهاد فرعون لبني إسرائيل بعد أن عظم شأنهم، وكثر عددهم، خلال الأجيال التي انصرمت بعد وفاة يوسف. وقد دخل يوسف مصر في عهد الرعاة الهكسوس الذين حكموا مصر من سنة (١٧١٠ إلى ١٥٨٠) قبل الميلاد. وكان دخول يوسف عليه السلام في القرن السابع عشر قبل الميلاد. وخروج موسى ومن معه من

---

(١) في الجزء الثاني من الكتاب وهو بعنوان: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم.

بني إسرائيل تمّ في القرن الرابع عشر قبل الميلاد أو الثالث عشر، وتحدد مدة بقاء بني إسرائيل في مصر، بحوالي أربعمائة عام. تكاثر فيها بنو إسرائيل من سبعين شخصاً إلى ملايين ــ حسبما تزعمه أسفار التوراة (الخروج والعدد) ــ وهي أرقام مبالغ فيها دون ريب. . والله سبحانه وتعالى يقص علينا على لسان فرعون قوله عن بني إسرائيل ﴿إنهم لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون﴾.

وكان فرعون يستخف بهم ويراهم فرقة صغيرة بالنسبة لجيشه الكبير اللجب. ويحكي سفر الخروج مولد موسى، ونشأته في قصر فرعون، وتحركاته وخروجه إلى مدين وصحراء سيناء، وتزوجه في مدين من ابنة الكاهن «يشرون» ثم عودته بزوجته، وكلام الله له في سيناء، ودعوته لفرعون لإخراج بني إسرائيل، وترد في هذا السفر الوصايا العشر التي سيتكرر ذكرها في سفر التثنية، ومجموعة هامة من الشرائع والقوانين تسمى قانون العهد ثم يصعد موسى إلى الجبل، وتطول إقامته هناك، وفي هذه الفترة يرتد بنو إسرائيل ويعبدون العجل.

وفي هذا السفر من الأمور المنكرة التي ذكرنا جانباً منها في فصل: موسى عليه السلام. ذكر منها على سبيل المثال: أن عمران والد موسى تزوج عمته يوكابيد وأن موسى رفض أن يذهب إلى فرعون فحمى غضب الرب على موسى. (الخروج ٤ : ١٧).

وأن الرب قرر أن ينزل إلى الأرض ويقتل ابن موسى البكر. ولكن صفّورة زوجة موسى أسرعت وأخذت الغلام بسرعة، قبل أن يأخذه الرب، وقطعت غرلة الغلام ومسحت قدم الرب وساقه بالدم. وقالت للرب: إنك عريس دم لي، فانفك الرب عن الغلام، وتركه من أجل أنه عريس دم، من أجل الختان!! (الخروج ٤ : ٢٤ ــ ٢٦).

ويرد في هذا السفر أن موسى كان يعاتب الربّ ويقرّعهُ لأنه لم يُنقذ إسرائيل ابن الله البكر!! وكان موسى يقول للرب: كيف نسيت العهد الذي قطعته مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب. . ويذكِّرُه بهذه العهود والمواثيق التي نسيها أو تناساها!! (الخروج ٦ : ٣ ــ ٨). . وموسى إلّه فرعون وهارون نبي موسى!! (الخروج ٧ : ١ ــ ٢) والعصا لهارون وليست لموسى!! وفرعون يطلب من موسى وهارون أن يصليا من

أجله!! ويكرر ذلك مرات عديدة (الخروج ٨: ٢٥ ـ ٣٠، ٩: ٢٧ ـ ٢٨). ويأمر الرب بني إسرائيل ـ حسب زعمهم ـ بسرقة حُلي المصريين. (الخروج ١١: ٤ ـ ٨).

ويذكر سفر الخروج أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت (٤٣٠) سنة. وفي سفر الخروج أن مدة الإقامة كانت (٤٠٠) سنة. وأن عدد الذكور البالغين الصالحين للقتال كان ستمائة ألف. فكم يا ترى يكون عددهم مع الأولاد والنساء والشيوخ؟ (على الأقل ثلاثة ملايين). (الخروج ١٢: ٣٧ ـ ٣٩).

ويزعم سفر الخروج أن هارون هو الذي صنع لهم العجل وهو الذي أمرهم بعبادته وهو كذب وافتراء على هارون عليه السلام. (الخروج ٣٢: ١ ـ ٣٠). وقام موسى ـ حسب زعمهم ـ بتقريع هارون فما كان من هارون إلاَّ أن عرَّى موسى ليضحك عليه الشعب ويراه وهو عارٍ. (الخروج ٣٢: ٢١ ـ ٢٦).

وترد قصة السبعين المختارين من بني إسرائيل بصورة مزعجة حقاً حيث يزعمون أنهم رأوا الله وأكلوا وشربوا معه، ورأوا تحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف!! (الخروج ٢٤: ٩ ـ ١١).

وموقف هارون وأخته مريم من موسى، وسخريتهما منه، وإصابة مريم بالبرص، ثم دعاء موسى لها فشفيت.

وتذكر دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية أن سفر الخروج يوصف أحياناً بأنه إنجيل العهد القديم، لأنه على غرار الإنجيل يعلن البشارة الأساسية بتدخل الله في حياة مجموعة من البشر، ليلدهم للحرية ويجمعهم في شعب مقدس!!

ويعني الخروج من مصر ولادة شعب إسرائيل.. فهذا الشعب كان مكوناً من عدة قبائل (ليسوا من بني إسرائيل أي ليسوا أولاد يعقوب ـ حسب زعمهم ـ) وهذه القبائل الساميّة المختلفة خرجت مع موسى بسبب اضطهاد فرعون.. ويدعي بعضهم أن موسى نفسه كان مصرياً ولكنه جاء بعقيدة أخناتون (عبادة الشمس). وأدى ذلك إلى الصراع بين فرعون مصر رمسيس الثاني ومنفتاح من بعده وبين موسى.. لأن هؤلاء

الفراعنة قد ارتدوا عن ديانة أخناتون الموحد (يعبد الشمس) إلى عبادة الأوثان والآلهة المتعددة ــ وفي أثناء خروج هؤلاء العبرانيين (أي الذين قدموا إلى مصر وعبروا النهر، وهم من قبائل سامية متعددة) تكوَّن شعب الله المقدَّس في هذه الصحراء!! وتقول الرهبانية اليسوعية ما يلي:

«وذكرى الخروج من مصر كان لها دور حاسم على الصعيد التاريخي المحض في إيجاد وتطور حياة شعب إسرائيل. . وهو الذي أدَّى لدخول هذه القبائل إلى أرض مديان ثم أرض كنعان ثم توحد الأسباط الاثني عشر بالتدريج في عصر القضاة، ثم إقامة الملكية في عهد داود».

«والخروج من مصر هو الذي أثار التفكير اللاهوتي والتاريخي، لما يسمى شعب إسرائيل. وهو الذي أوجد الأساطير المتعلقة بالآباء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف واالأسباط (ــ حسب زعمهم ــ وهي في الواقع ليست أساطير بل حقائق). ويرتبط الخروج بأعياد دينية مثل عيد يوم كبور (يوم أن نجَّا الله موسى ومن معه من اليهود من فرعون وقد صادف في ذلك العام يوم عاشوراء من شهر المحرم) ومثل عيد الفصح وعيد الفطر وتقريب الأبكار».

«ولم يكن الخروج مولد إسرائيل فحسب بل كان أيضاً الزمن المفضل لملاقاة الله!! ولا يحسن أن ينخدع القارىء العصري بلغة سفر الخروج العجائبية. (معجزات موسى عليه السلام مع فرعون وقومه وفي أثناء التيه) ويعتقد أنه أمام تفكير لاهوتي ساذج، أي أمام تفكير لاهوتي يتصور تدخل الله كحدث باهر وقاهر حتماً. . فإن طالعنا الكتاب بانتباه وجدنا أن هناك عدة أسئلة لا بل عدة شكوك تتخلله: هل هم مؤمنون؟ هل الرب في وسطنا؟ أيمكن رؤية الرب؟ لماذا هذه المغامرة القاتلة التي يَجرُّنا إليها موسى؟ على هذه الأسئلة والشكوك يجيب الكتاب جواب إيمان إسرائيل وما زال هذا الإيمان ينضج على مر القرون، حتى وضع سفر الخروج في صيغته النهائية!!».

وهكذا تدافع الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية عن تمرد شعب إسرائيل وكفره وعناده وتعتبر ذلك مزيَّة!! وتنكر بكل بساطة معجزات موسى!! وترى أن هذا

الإيمان يعتبر ساذجاً بهذه الطريقة، وأما الإيمان الحق فلا يكون إلاَّ بعد التحدي والكفر الصريح وإثارة المواقف المخزية التي قام بها شعب إسرائيل ضد موسى عليه السلام.

وتواصل الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية تعليقها على هذا السفر وتقول:

«سفر الخروج هو كتاب شعب يسير في طريق التكوين وليس بكتاب قد تمّ. وبكونه شاهداً على تدخل الله الخلاصي في تاريخ البشرية متمثلاً في تاريخ الشعب المقدَّس: إسرائيل. «والقول بأن سفر الخروج قد كتب للتعبير عن إيمان إسرائيل لا يعني أنه مبني على وقائع خيالية (كما يقول كثير من علماء التاريخ الغربيين)».

«ويذكر أن عهد موسى حوله خلاف بين المؤرخين، حيث يذكر بعضهم إنه في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بينما يذكر آخرون أنه في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

والمؤرخون يميلون إلى تحديد القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كتاريخ أكثر احتمالاً لوجود موسى.. وفي ذلك العهد تصدَّى رمسيس الثاني لقوة الحيثيين وهزمها.. واستخدم المصريون يداً عاملة سامية وجدوها في بلادهم (من بقايا الرعاة الهكسوس وغيرهم ممن عبروا النهر وعرفوا باسم العابيرو أو العبرانيين). **وقد دُرِّبَ موسى كغيره من الساميين على خدمة فرعون في آسيا. ولكن موسى ثار على فرعون، بسبب الاضطهاد الواقع على القبائل السامية ومنها قبيلته. وقد نجح موسى في دفع بني قومه إلى البرية، وفي تنظيم حياتهم الدينية، ريثما يتمكن أولئك الناس المنتمون إلى بيت يوسف وبيت لاوي من الاجتياز إلى كنعان بقيادة يشوع.. وكان هناك أسباط أخرى وقبائل أخرى، انضمت إليهم وإلى الإلَه الذي أخرج شعبه من العبودية.**

«ذلك هو الإطار البشري الذي تدخَّل فيه الله ليكشف لشعب نازح أنه يريد أن يجعل منه خاصته ومملكة كهنة وأمّةً مقدَّسة!!» انتهى كلام الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية بدون تعليق لأنه لا يحتاج لأي تعليق.

سفر اللاويين (سفر الأحبار عند الكاثوليك): عدد فصول (إصحاحاته) (٢٧) فصلاً:

ولاوي هو ابن يعقوب عليه السلام. وهو أحد الأسباط. ومن نسله ظهر موسى وهارون عليهما السلام. وقد وصف يعقوب أبناءه قبل وفاته بقوله: «شمعون ولاوي أخوان. آلاتُ ظلمٍ سيوفهما. في مجلسهما لا تدخل نفسي. بمجمعهما لا تتحد كرامتي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضاهما عرقبا ثوراً، ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس. أقسِّمُهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل. (التكوين ٤٩).

وقد جعل موسى الكهنة من سبط اللاويين وعليهم أن يكونوا هم حملة التوراة «ذلك لأنهم ـ حسب زعمهم ـ السبط الوحيد الذي لم يشارك في عبادة العجل أثناء غياب موسى. ولكن ذلك منقوض بزعمهم أن هارون (عليه السلام) هو الذي صنع العجل وأمرهم بعبادته. وهارون هو الرئيس الثاني بعد موسى لسبط لاوي، ولكل بني إسرائيل.. على أية حال اجتمع بنو لاوي إلى موسى وقاموا بقتل من عبدوا العجل «فحمي غضب موسى.. وقال من للرب فإليَّ، فاجتمع إليه جميع بني لاوي، فقال لهم: هكذا قال الرب إلّه إسرائيل: ضعوا كل واحد سيفه على فخذه، ومرّوا وارجعوا من باب إلى باب في المحلّة، واقتلوا كل واحدٍ أخاه، وكل واحدٍ صاحبه، وكل واحدٍ قريبه، ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل». (الخروج ١٩ ـ ٢٩). وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنه أمرهم بقتل أنفسهم ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾. (البقرة: ٥٤).

وأمر الرب موسى بأن يفرّغ بني لاوي لخدمة الخيمة والكاهن الأعظم والكهنة.

ولا ينبغي أن يكهن أحد إلّا من بني لاوي. وأول من تولّى الكهانة، حسب قولهم، هو هارون عليه السلام، وهو الكاهن الأكبر، ولا يجوز أن يتولى الكهانة عندهم إلّا من كان من نسل هارون.. وظل الأمر كذلك لفترة طويلة من الزمن ثم تعاونوا على إلغائه.

وجاء في سفر العدد. (٣: ٥ ـ ١٣): «وكلَّم الرب موسى قائلاً: قدّم سبط لاوي وأوقفهم قدام هارون الكاهن، وليخدموه فيحفظون شعائره وشعائر كل الجماعة قدام خيمة الاجتماع. ويخدمون خدمة المسكن، فيحرسون كل أمتعة خيمة الاجتماع... فتعطي اللاويين لهارون وبنيه. إنهم موهوبون له... ها إني قد أخذت اللاويين من بين بني إسرائيل بدل كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل فيكون اللاويون لي لأن لي كل بكر. يوم ضربت كل بكر في أرض مصر، قدَّستُ لي كل بكر في إسرائيل من الناس والبهائم. يكونون لي أنا الرب».

والمقصود بذلك: أن الرب، حسب زعمهم، قد جعل كل بكر من البهائم والناس يقدَّم له محرقة.. ولكنه عاد وعفا عن الناس، (المقصود بالناس هنا بني إسرائيل). ولكنه اختار من بني إسرائيل، اللاويين، ليقوموا بخدمته، فمنهم الكاهن الأعظم والكهنة، وعليهم أن يقوموا بخدمة خيمة الاجتماع (الخيمة التي ينزل فيها الرب ـ حسب زعمهم ـ ويجتمع فيها بموسى وبشيوخ بني إسرائيل).

وكان اللاويون يتوسطون بين الكهنة وبني إسرائيل. أما الكهنة فيتوسطون بينهم وبين الرب..

وقد أمر الرب ـ حسب زعمهم ـ أن يُعطي بني لاوي مدناً للسكن ومسارح لبهائمهم وسط أسباط إسرائيل. وقد حدد الرب لكل سبط أماكن سكنه من أرض فلسطين (حسب زعمهم) وقد حدد الرب (٤٨) مدينة أو قرية تعطى للاويين . كما أعطى الربُّ لبني لاوي: العشور المفروضة على بقية الأسباط. «وأما بنو لاوي فإني قد أعطيتهم كل عشر في إسرائيل، ميراثاً، عوض خدمتهم التي يخدمونها». (العدد ١٨: ٢١).

وتعطى القرابين أيضاً لبني لاوي ونصيب في الأسلاب والغنائم التي يحصلون عليها في الحرب.

وأما الكهنة فينبغي أن يكونوا من ذرية هارون (عليه السلام)، دون سواهم من عشائر سبط لاوي.. وبمقتضى هذا التعيين الإلّهي أصبح كل ذكر من ذرية هارون كاهناً. وله أن يمارس وظيفة الكهنوت بشرط أن لا يكون فيه عاهة أو عيب

جسـدي وتجرى لتعيين الكـاهن طقوس طـويلة جداً ولـه لبـاس خـاص «ولبني هـارون تصنـع أقمصة وتصنـع لهم مناطق وتصنـع لهم قـلانس للمجد والبهـاء. . وتصنـع لهم سراويل من الكتان. . فريضة أبدية له ولنسله من بعده». (الخروج ٢٨ : ٤٠ ــ ٤٣).

وتفرض الشريعـة على الكاهن في معيشتـه قوانين خـاصة وعليـه أن لا يمس ميتاً ولو كان آباه وأمه أو زوجته أو قريبه. وعليه أن لا يتزوج إلَّا عذراء. «**أمـا المطلقـة وغير العذراء والتي عرفت رجـلًا فهي نجسة. وإذا تـدنّست ابنة كـاهن بالـزنا، فقـد دنست أباها. بالنار تحرق**». (اللاويين ٢١ : ١ ــ ٩).

وتفرض الشريعة على الكاهن أن لا يشرب خمراً عنـد دخولـه المقدس للخـدمة الدينية وعليه أن يكثر من الاغتسال والتطهر. . وأوجبت الشريعـة مسح الكهنة بـالدهن المقدس.

وكـان من أهم واجبات الكهنـة تقديم القـرابين والـذبـائـح اليـومية والأسبـوعيـة والشهرية والسنوية، والخدمة في الاحتفالات الدينية والتطهير والعناية بالآنية المقدَّسة، والنار المقدسة والمنارة الذهبية وإطلاق الأصوات في الأبـواق المقدَّسـة وحمل تـابوت العهد والقضاء بين الشعب، وتقدير المال اللازم للفـدية، والنـظر في شؤون المصابين بالبرص وتحديد ذلك فإن كانوا مصابين به فهم أنجاس يُخرجون من بين بني إسرائيل للبرية. ومن واجباتهم استشارة الله وإيصـال مشورتـه للشعب!!! ولا يستطيـع أحـد من غير ذرية هارون أن يدخل في الكهانة، وألَّا يكون نصيبه الموت. .

ولهـم في مقابل ذلك كله (١٣) مدينة في أنصبة أسبـاط يهوذا وشمعـون وبنيامين وعشراً لعشر المقـرر للاويين وجميـع فداء الأبكـار (لأن كل بكـر ينبغي أن يقوم للرب محرقة، ولكن الرب أبدلهم بذلك أن يقدموا أغنامـاً وشياه بـدلًا منها، وتكـون هذه من نصيب الكهنة). كذلك بكر جميـع البهائم، ينبغي أن يقدم للكهنة. . حتى بكر الحقل وأول المحصول، ينبغي أن يقدم للكـاهن. وللكهنة كـل النذور وذبـائـح الخطيئـة. . وكـل خـطيئـة من الخـطايـا الكثيـرة لا تكفَّـر إلَّا بتقـديم ذبيحـة والـذبيحة من نصيب الكاهن. . وهناك غرامات مالية كثيرة بالذهب والفضة وكلها تذهب للكاهن.

وللكهنـة بـاكـورات الغـلات ومحصـول الأرض ــ ولهم نصيبهم في الغنـائم

والأسلاب وللكهنة خبز الوجوه ولحم التقدمات المقدمة أثناء خدمتهم للهيكل.. وجميع ذبائح الخطايا.. وذبائح السلامة وذبائح... إلخ.. ولهم البخور والعود والعطر والمِرّ واللبان..

ورغم هذه الامتيازات الضخمة، فقد فسد الكهنة فساداً عظيماً. وكان أبناء عالي كبير الكهنة (في زمن صموئيل النبي) يزنون في داخل المعبد، وجاء في سفر أرميا:

«لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح. ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب.. هل خزوا لأنهم عملوا رجساً؟ بل لم يخزوا خزياً ولم يعرفوا الخجل. لذلك يسقطون بين الساقطين». (أرميا ٦: ١٣ ــ ١٥).

وجاء فيه أيضاً «لأن الأرض امتلأت من الفاسقين.. صار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل.. **لأن الأنبياء والكهنة تنجّسوا جميعاً بل في بيتي وجدت شرهم.. يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادي فاعل الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره»**. (أرميا ٢٣: ١٠ ــ ١٤).

وتحول كثير من الكهنة إلى عبادة الأوثان، وتقديم الذبائح، والنذور لها، وأكل أموال الناس بالباطل.. وقد وبّخهم المسيح عيسى بن مريم عندما جاء، وشنَّ عليهم الحملات وفضح سرقاتهم وأكاذيبهم، وجمعهم للأموال واكتنازهم إياها.

وقد صدق الله العظيم في وصفهم حيث يقول: «إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل».

وأما رئيس الكهنة فهو ذو منصب كبير وله نفوذ وسلطان ضخم وأموال هائلة وكان أول رئيس للكهنة (حسب قولهم) هارون عليه السلام، حيث جاء في سفر الخروج (٢٨: ١): «قرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي».

وكان يتحتم أن يكون رئيس الكهنة هو البكر من ذرية هارون بشرط: أن يكون سليم الجسم خالياً من كل عاهة أو تشويه جسدي.

وقد حدد الله ــ حسب زعمهم ــ ثياباً خاصة لرئيس الكهنة. وهناك وصف طويل وممل جداً في وصف ثياب رئيس الكهنة في سفر اللاويين.. وكانت الاحتفالات

بتنصيب رئيس الكهنة تستمر سبعة أيام يجرى خلالها تطهيره وإلباسه ثيابه ومسحه بالدهن المقدس وتقديم الذبائح عنه. . وهناك وصف طويل جداً وممل جداً لهذه العملية في سفر الخروج وفي سفر اللاويين.

وقد فرضت الشريعة قوانين صارمة على رئيس الكهنة، فعليه أن لا يكشف رأسه، ولا يشقَّ ثيابه، ولا يلمس ميتاً ولو كان أباه أو أمه. وعليه أن يأخذ عذراء زوجة له. أما المطلقة أو الأرملة فهي نجسة (اللاويين ٢١ : ١٠ ـ ١٥).

وكان لرئيس الكهنة مساعد، وهو الذي كان يدعى رئيس بيت الله. وكان رئيس الكهنة يظل في وظيفته مدى الحياة. وحين مات هارون تولى الكهانة بعده ابنه أليعازار.

ولم تلبث وظيفة رئيس الكهنة بما لها من نفوذ وسلطان وجاه ومال أن أصبحت مطمعاً للطامعين. . وكثرت المؤامرات والرشاوي للوصول إليها. وفي بعض الأحيان يقوم الأخ بمحاولة عزل أخيه وشراء منصب رئيس الكهان، كما فعل ياسون الذي رشا الملك أنطوخيوس بمبلغ (٣٦٠) قنطاراً فضة و(٨٠) قنطاراً فضة أيضاً من دخل آخر في مقابل عزل أخيه أونيا رئيس الكهنة، وأن يتولى بدلاً عنه رئاسة الكهانة. . .

واستعان الرومان ومن قبلهم الفرس واليونان برئيس الكهنة، لتنفيذ مآربهم. وكان رئيس الكهنة، في كثير من الأحيان يتحول إلى عبادة الأوثان، حسب المصلحة والضرورة. . وقد جمعوا أموالاً طائلة وثروات ضخمة من هذه الوظيفة.

ويذكر سفر اللاويين (الأحبار) تفاصيل خيمة الاجتماع[1] التي كان يجتمع فيها موسى وشيوخ بني إسرائيل مع الرب حيث كان ينزل إليها ويجتمع بهم شخصياً ويعلن مراسيمه. . وكانت خيمة الاجتماع هذه مصنوعة من خشب معيّن، وهناك وصف تفصيلي لكيفية بنائها. . وكانت هذه الخيمة (القبة) تنقل من مكان لآخر ويوضع فيها التابوت وتقام فيها مراسيم الكهانة. . واستمرت على ذلك حتى قام سليمان عليه

---

(١) كانت تترجم باسم «قبة الزمان»، وقد ذكرها ابن كثير وابن القيم وابن حزم والباجي والقرطبي باسم «قبة الزمان».

السلام ببناء الهيكل، فاستراح الرب ـ حسب زعمهم ـ من التجوال والسفر المستمر في الخيمة، واستقر أخيراً في سكن خاص داخل الهيكل!! وبما أن الرب كان ينزل إلى الخيمة في جميع المناسبات، ولإعلان الأحكام والمراسيم، فلا بد أن تكون الخيمة مطهرة تطهيراً خاصاً.. وفيها أيضاً مذبح الرب، وهناك تجري التقدمات والحرائق (تقدم المحرقات)، من الشياه والأغنام والأبقار. وكان الرب مغرم جداً ـ حسب زعمهم ـ برائحة الشواء، فإذا شم رائحة اللحم المشوي، وخاصة الدهن والدم الذي يرش على الموقد المقدس، فإنه يشعر بالسعادة والرضا، ويتنازل عن الذبيحة لرئيس الكهنة، وللكهنة الآخرين.

ويصف هذا السفر الطقوس المملة، وثياب الكاهن الأعظم، وبقية الكهنة، وطريقة حياتهم، وطقوس القرابين والذبائح.. وطقوس معرفة المصاب بالبرص، وطقوس شفائه.. وفي كل ذلك لا بد من تقديم رشوات للكاهن.. وكذا شاقل فضة، وكذا ثور، وكذا بقرة، وكذا غنمة، وكذا من المعز... إلخ. حتى الطيور والحمام واليمام.. متى تقدم، وكيف تقدم، وماذا يصنع الكاهن، وكيف يرش دمها على الموقد المقدس.. وكيف يضع الشحم على الموقد، حتى تتصاعد رائحة الدخان الذي يحبه الرب جداً... إلخ.

وتقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية تحت عنوان تاريخ السفر وأصله ومضمونه: «**إن النص في وضعه الحالي والقانوني (أي المعترف به) هو من التأليف الذي تبع النفي إلى بابل (القرن الرابع قبل الميلاد) حتى وإن جمع في وحدة متماسكة إلى حد ما عناصر مختلفة المصادر، قد يرقى بعضها إلى أقدم العصور** (المدة بين تأليف الكتاب وزمن موسى وهارون هي ألف عام فقط!!) **وحين أخذت سلطة الكهنة السياسية تتوطد، إثر زوال الملكية، ضم كهنة أورشليم في مجموعات منسقة، مختلف الشرائع والطقوس الدينية. وأضافوا إليها ما يلائم الهيكل الثاني (لأن الهيكل الذي بناه سليمان كان قد هدمه نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ق.م والهيكل الثاني أمر ببنائه قورش الامبراطور الفارس عندما سمح لليهود الموجودين في المنفى في بابل وغيرها بالعودة إلى أورشليم وبناء الهيكل من جديد).**

ويذكر سفر اللاويين في الإصحاحات (١ ـ ٧) جميع أصناف الذبائح التي يجوز أو يجب أن تقرب لله في ظروف معينة (ويستفيد منها الكاهن بطبيعة الحال): «**إن إسرائيل أخذ مبدأ الذبيحة عن ديانات الشرق القديم وإنه أحسن في تضمين هذا الإطار الطقسي محتوى جديداً يناسب نظرته إلى العالم**». حسبما تذكره الرهبانية اليسوعية.

والقسم الثاني (الإصحاح ٨ ـ ١٠) يصف الحفلات التي تجرى بمناسبة تكريس هارون وبنيه ممارسة الكهنوت. ولهذا فهم مقدسون وواسطة بين الله والشعب.

والقسم الثالث (الإصحاح ١١ ـ ١٦)، ذكر تفصيلي (ممل جداً)، لجميع أنواع النجاسات التي تمنع الإنسان من الاتصال بالله. مثل تناول الأطعمة النجسة، ونجاسة المرأة في الحيض والنفاس. وكل من مسَّ المرأة في تلك الفترة يعتبر نجساً لمدة سبعة أيام.. والبرص ونجاسته وكيفية التطهر من تلك النجاسة بتقديم القرابين الخاصة للكهان ونجاسة الاتصال الجنسي لدى الرجل والمرأة وكيفية التطهر منه.

ويعد الإصحاح (١٦) قلب الكتاب، فهو يصف بالتفصيل طقوس يوم الغفران.. والقسم الرابع (الإصحاح ١٧ ـ ٢٦) يختص بشريعة وقوانين القدس، أي الطهارة. وعلى الشعب الذي اختاره الله لنفسه، وجعله مقدساً من بين كل الشعوب أن يتجنب كل ما يلوث قداسته مثل أكل لحم الخنزير والدم... إلخ. وعليه الإعراض عن جميع العلاقات الجنسية المحرمة. وبما أن هذه العلاقات منتشرة جداً في بني إسرائيل فقد كان التركيز عليها شديداً ووصف تفصيلي للعقوبات التي تقع على من يكشف عورة أمه أو أبيه.. وذكر للمحرمات من النساء ومن الأقارب ومنع نكاح الأخت أو زوجة الأب أو العمة أو الخالة... إلخ. وهي أمور كانت شائعة في بني إسرائيل وعقوبة اللواط وعقوبة إتيان البهيمة.. وكلها عقوبات شديدة تتراوح بين القتل بالسيف والرجم بالحجارة حتى الموت والحرق بالنار.

ويصف هذا السفر وجوب تكريم الكهنة واحترامهم، وتفاصيل الذبائح، والاحتفالات بالأعياد الدينية، والمواسم المقدسة.

وتقرُّ الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية بصعوبة مطالعة هذا السفر: **«ليست مطالعة سفر الأحبار (اللاويين) بالأمر السهل، فالإنشاء غالباً ما هو رتيب (ممل جداً) لا رونق فيه، ونجد فيه بعض المصطلحات التي لا بد من الاطلاع على قيمتها مثل الذبيحة، المحرقة التذكار، الذبيحة بالنار، التقدمة النباتية، الذبيحة السلامية، البخور والعطر، رائحة الرضى، والذبيحة عن الخطيئة، القربان، ذبيحة تكفير قدس وقدس الأقداس»**.

ووظيفة الكهنوت هي الوساطة بين الإنسان والله والقيام بالطقوس وتبليغ إرادة الله. وهي محصورة كما أسلفنا في ذرية هارون. وقد حدث صراع طويل وحاد بين الكهنة للوصول إلى هذا المنصب، كما حدث صراع حاد بين عائلة أبياثار وعائلة صادوق حول هذا المنصب في زمن الملك سليمان (لا يعتبرون سليمان عليه السلام نبياً). واستطاع الصادوقيون أن يبعدوا خصومهم عن ممارسة الكهنوت في أورشليم.. ولكن هجوم نبوخذ نصر والنفي إلى بابل (٥٨٧ق.م) هو الذي وضع حداً لهذا الصراع الطويل المرير.

وبعد العودة من المنفى في عهد قورش الفارسي (٥٣٨ق.م) وفي غياب الملكية، تولى الكهنة مصير الشعب.. وتولى رئيس الكهنة رويداً رويداً وظيفة تعادل وظيفة الملك، فهو يتقلَّد الشعارات الملكية، ويمسح كما كان يمسح الملك. ثم اتخذ عظيم الكهنة لقب ملك منذ أيام أرسطو بولس الأول (١٠٤ ـ ١٠٣ قبل الميلاد).

ويعتبر سفر اللاويين آخر أسفار التوراة ظهوراً في التأليف، فقد كتب في القرن الرابع قبل الميلاد بعد العودة من النفي من بابل.

«وهو سفر معتدّ ومهتم جداً بالذبائح والطقوس وهو أقل أسفار العهد القديم مطالعة من المسيحيين لصعوبته وكثرة طقوسه». (كما تقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية).

سفـر العـدد:

سمـاه اليونـانيون (أي اليهـود النـاطقـون بـاليـونـانيـة) بهـذا الاسم نـظراً لكثـرة الإحصاءات التي هي موضوع الفصول الأولى. وهو كما تقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية، أشد أسفار التوراة (الكتب الخمسة) تعقيداً وأكثرها تناقضاً.

والسفـر مكون من (٣٦) إصحـاحاً. وتـظهـر الإحصـاءات بصـورة خـاصـة في الإصحـاح الأول والرابـع والسـادس والعشرين. وتـرد إحصـاءات تفصيليـة عن تعـداد بني إسرائيل الراحلين مـع مـوسى في التيه.. كمـا تعطي إحصـاءات عن عدد المـدن والذبائـح والقرى ومن الناحية التاريخية فإن كل تلك الإحصارات مغلوطة.

وفي هـذا السفر رجـوع لسرد قصـة موسى وقـومه أثنـاء التيه ويتخلل ذلـك ذكـر للأحكام الشرعية في مختلف المسـائل.. ويكثـر في هذا السفـر تذمـر قوم مـوسى من السير معه، ويكثرون من الاحتجاج على مـوسى وعلى ربه، وكثيـراً ما كـانوا يـرفضون أوامر الرب، ويتحدونها مما أثار غضب موسى عليهم مراراً.

ويمكن أن يقسم السفر إلى ثلاثة أقسام:

● **القسم الأول:** مـواصلة ذكـر المؤسسـات المكتـوبـة في سفـري الخـروج واللاويين. وذكر الذبائـح وخيمة الاجتماع وعـدد بني إسرائيـل أثناء الخـروج من مصر مـع تفصيل في الأعداد.

● **القسم الثاني:** مدة التيه، وهي أربعين سنة، حتى يصلوا إلى عبـر الأردن عند حـدود أرض مـوآب (جنـوب المملكـة الأردنيـة الهـاشميـة حـاليـاً).. وقصـة بلعـام بن باعوراء. ومحاولته الدعاء على بني إسرائيل، ولكن ذلك ينقلب رغماً عنـه إلى دعاء لهم.. ثم قصة زنا الإسرائيليين بالموآبيات لدرجة ارتكاب الزنا أمام مـوسى وفي خيمة اجتماع الرب!!

● **القسم الثالث:** إحصاء آخر، يحتوي على التدابير التي اتخذها موسى لتقسيم الأراضي التي فتحـوها في جنـوب الأردن (أرض موآب).. والمـذابـح التي قامـوا بها هناك.. وإبادة الأطفال والنساء والشيوخ ــ حسب زعمهم ــ بأمر موسى عليه السلام..

رغم أن الموآبيين هم الذين أكرموا موسى، وزوجوه بنتهم عندما هرب من مصر وحيداً. ثم إنهم قاموا بإكرامه وإكرام بني إسرائيل عند انتهاء مرحلة التيه.. وتزعم التوراة أن موسى جازاهم على هذا الإكرام بحرب إبادة كاملة تشمل النساء والأطفال والشيوخ والبهائم.

ويقوم موسى في هذا القسم الأخير من سفر العدد بتقسيم الأراضي الفلسطينية (الكنعانية) قبل أن يدخلها، اعتماداً على وعد الرب إياه بأنهم سيدخلونها بعد موته. ويكرر هذا القسم مراحل سير إسرائيل من مصر إلى ضفة الأردن بطريقة مملة، وبأسلوب فاقد لكل الخصائص الأدبية، مما جعل الرهبانية اليسوعية تقول:

«ورغم أن طابع السفر هو طابع روائي، لكن التفاصيل المعقدة والمملة والمتناقضة تحجب وحدة السياق وتبلبل القارئ».

«ويتضح من السفر أنه يحوي على نص يهوي والهيمي وكهنوتي. وقد أدمجت النصوص في مراحل متأخرة، وأدرج بعضها الآخر في مواضع شتى دون أن يكون لها أي صلة بسياق الكلام».

ويركز سفر العدد ـ بصورة خاصة ـ على قصة وجود إسرائيل في البرية ومرحلة التيه في البراري المحيطة بفلسطين من الجنوب والجنوب الشرقي وما يسمى برية صين.

وتذكر دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية ما يلي:

«ويبدو أن قبائل شبه بدوية مختلفة تلاقت في شبه جزيرة سيناء وفي جنوب عبر الأردن وأنها تشاركت تدريجياً لتكوين شعب واحد!! فبعضها كان قد هرب من مصر نحو سنة ١٢٣٠ق.م وبعضها الآخر كان آتياً من أماكن أخرى. وإن استحال علينا أن نحدد بدقة المدة التاريخية لهذه العملية. فإنه يمكننا استناداً إلى الكتاب المقدس أن نربطها بمواقع معروفة، ولا سيما برية سيناء، وواحات قادش، وسهول موآب، في الوادي الأسفل لنهر الأردن».

وهذا الكلام خطير، حيث إنه يأتي من الرهبانية اليسوعية وليس من علماء الآثار

أو علماء التاريخ، فهو ينفي نفياً قاطعاً أن «بني إسرائيل» هم من نسل يعقوب ويذكر أن هناك قبائل متعددة، بعضها خرج من مصر، وبعضها جاء من جهات أخرى، تجمعت في برية سيناء وجنوب الأردن وجنوب فلسطين. . وهو بهذا ينكر قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب. . وقد ذكرت الرهبانية اليسوعية في أماكن متعددة من دراستها المدخل لدراسة العهد القديم، أن هذه القصص مليئة بالأساطير. . ولا ينبغي أن تؤخذ بحرفيتها. . فالجانب الخرافي والأسطوري فيها كبير جداً. . والذي ينبغي أن يؤخذ هو المعنى الديني والروحي والمغزى الأخلاقي من هذا القصص.

وتقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية: «وقد سجل الأحفاد بعد قرون طويلة ذكريات تحركات آباءهم وانتصاراتهم وانكساراتهم ونزاعاتهم وحتى تفاصيل الدروب التي سلكوها».

وما دام الأحفاد قد سجلوا ذلك بعد قرون طويلة فلا بد أنهم أضافوا وبدلوا وغيروا أشياء كثيرة ونسوا أموراً أكثر.

ويشدد السفر على ثلاثة نقاط:

١ ــ كان شعب (إسرائيل) في مرحلة التكوين سائراً في البرية دون إقامة دائمة.

٢ ــ كان شعباً منعزلاً وبعيداً عن كل تأثير غريب في تلك الفترة (رغم أنه مكون من عدة قبائل سامية مختلفة بعضها جاء من مصر وبعضها الآخر من أماكن أخرى).

٣ ــ كان شعباً في مرحلة التكوين فصادفته مشاكل جوهرية كان لا بد له أن يحلها.

ويظهر في السفر (العدد) ثلاثة نصوص: النص اليهوي وهو الأقدم (القرن التاسع قبل الميلاد) والنص الالهيمي (القرن الثامن قبل الميلاد) والنص الكهنوتي (القرن الرابع قبل الميلاد) وقد أدمجت هذه النصوص بصورة أفضل من دمج سفر الخروج ومع هذا فإن عين الفاحص سرعان ما تلمح هذه النصوص المختلفة أسلوباً وثقافة وفكراً.

ويواجه الشعب أزمات عديدة يذكر سفر العدد منها عشر أزمات يرتد فيها الشعب عن دين موسى، ويخاصم رب موسى وموسى مخاصمة شديدة.. ولا يكف الشعب عن التذمر على موسى، وعن رفضه السير لمواصلة مغامرة تخيفه، لأنه فقد الثقة بنفسه، وبقيادته، وبجدوى هذه المغامرة، ولأنه شعب جبان.. ورغم الأعداد الهائلة التي يذكرها سفر العدد للمقاتلين في بني إسرائيل (ستمائة ألف مقاتل)، إلاّ أنهم يرتعبون فرقاً من مواجهة أي عدو ولو كان أقل منهم عدداً وعدة. ويقولون لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا. إنا ها هنا قاعدون».

وهذا الشعب يتشكك في سلطة زعمائه وفي صدق أقوالهم ويتهم موسى وأخوه هارون بالكذب، وبأنهما يريدان الزعامة لنفسيهما ولا يهمهما هلاك الشعب.. بل يعلن هذا الشعب الصلب الرقبة تمرده على الله ذاته، وعلى مخططاته التي أعلن لهم أنه بموجبها سيسكنهم أرضاً تدِرُّ سمناً وعسلاً..

ويغضب الرب على هذا الشعب العنيد المكابر فيقضي على جيل بكامله.. وينتظر الرب ظهور الجيل التالي الذي سيتحقق على يديه التدبير الإلّهي ويصل فيها الشعب إلى الأرض التي تدرّ لبناً وعسلاً!!

والغريب ــ حقاً ــ أن السخط على موسى لا يقتصر على شعب إسرائيل المتمرد ولكن يزعم هذا السفر أن هارون ومريم تآمرا ضدّ موسى أيضاً.. وقررا أن يعرّياه أمام شعب إسرائيل، وخاصة بعد أن تزوج موسى امرأة كوشيه (العدد ١٢ : ٢)، كما قام قورح وهو من اللاويين بثورة ضد موسى وهارون، وصاح قورح قائلاً: «كفاكما إن كل الجماعة بأسرها مقدسة. وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب» (العدد ١٦ : ٣)، وانضم إلى قورح آخرون وصاحوا بموسى قائلين: «أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا أيضاً ترأساً» (العدد ١٦ : ١٣).

سفر التثنية (تثنية الاشتراع) : (Deutronomium)

وهو آخر الأسفار الخمسة ومعناه تثنية الشريعة أو إعادتها وتكرارها لتثبيت الشرائع والقوانين في أذهان الشعب. . وعدد فصوله (إصحاحاته) (٣٤).

وفي هذا السفر عُرضت الوصايا العشر عرضاً جديداً ــ للمرة الثانية ــ كما أُعيد الكلام عن أنواع الأطعمة المباحة والأطعمة المحرمة. وعن نظام القضاء والملك والنبوة والكهنة. . ويكرر سيرة الأحداث التي صنعها الله أمام بني إسرائيل في البرية. ويشمل بيان بعض الشرائع الجديدة، وينقح الشرائع القديمة.

وقبل نهاية السفر، يتحدث عن استخلاف يشوع بن نون تلميذ موسى وخادمه. وعن وفاة هارون، ثم وفاة موسى في جبل موآب، وعدم معرفة قبريهما إلى الآن (أي إلى عهد كتابة السفر، والذي يبدو أنه قد تمَّ في حدود سنة (٦٢٠) عندما ادعى الكاهن حلقيا أنه اكتشف هذا السفر أثناء إعادة بناء الهيكل، على يد الملك جوشياهو. . وقد قام هذا الملك بإصلاحه الديني بناء على هذا السفر وهدَّم جميع المعابد الوثنية التي كانت قد انتشرت في عهده، وأعاد للهيكل في أورشليم مكانته ورفض عبادة البعليم وعشتروت وملكوم والتراقيم وغيرها من الأوثان، وحطَّمها وقتل كهنتها وشردهم في البلاد).

ويظهر في هذا السفر لأول مرة، نص يجعل نظام الحكم ملكياً: «إذا دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك وملكتها وسكنت فيها وقلتَ أقيم عليّ ملكاً كسائر الأمم الذين حوالي، فأقم عليك من يختاره الرب إلهك، من بين إخوتك تقيم عليك ملكاً، وليس لك أن تقيم عليك رجلاً أجنبياً ليس بأخيك. لكن (على الملك) لا يستكثر من الخيل، كي لا يرد الشعب إلى مصر بسبب كثرة الخيل!!

فقد قال لكم الرب: «لا تعاودوا الرجوع في هذه الطريق أيضاً. ولا يستكثر من النساء، لئلا يزيغ قلبه، ولا يبالغ في استكثار الذهب والفضة. ومتى جلس على عرش ملكه فليكتب له نسخة من هذه التوراة في سفر من عند الكهنة اللاويين». (التثنية ٧: ١٤ ــ ١٨).

وموضوع الملكية في بني إسرائيل، لم يظهر إلَّا في عهد صموئيل عندما مسح شاول (طالوت) ملكاً وهو بعد عهد موسى بكثير.

ولكن بما أن السفر قد كتب على يد كهنة هيكل أورشليم في عهد الملكية، فكان لا بد من ذكر الملكية وإعطائها الصفة الرسمية المدعومة من الرب ذاته.

وتقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية عن هذا السفر ما يلي: «يكوّن هذا السفر وحدة أدبية من نوع خاص. وقد كتبه جماعة من الأحبار في عصور متأخرة لها طابعها الخاص المتميز. . لهذا يعرف هذا النص أو التقليد باسم تقليد تثنية الاشتراع. ولا يرد في هذا السفر أي من النصوص الأخرى (اليهوي أو الالهيمي) إلَّا في آخر الإصحاح ٣١.

«وبين الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من الكتاب، لا يوجد تطور تاريخي في الأحداث. فمطلع الكتاب والشعب في عبر الأردن في أرض موآب ونهايته في نفس المنطقة حيث يموت موسى (وحيداً طريداً حيث جاء في الإصحاح ٣٤: ٥ ــ ٦: «فمات هناك موسى، عبد الرب، في أرض موآب بأمر الرب، وتمَّ دفنه في الوادي في أرض موآب تجاه بيت فاعور، ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا»).

وهذا الكتاب أشد تماسكاً مما هو موجود في أسفار التوراة الأخرى، بالرغم من الانقطاع أو التكرار. وتأتي الفصول (الإصحاحات) من (١ إلى ٣٠) في شكل وصايا وخطاب طويل ألقاه موسى على الشعب. وتتكرر عبارات: «ترثون الأرض التي أقسم الرب الإلّه أن يعطيها لآبائكم. . تطلبون الرب في المكان الذي يختاره الرب إلّهكم من بين أسباطكم ليجعل فيه اسمه. . احفظوا الوصية والفرائض والأحكام التي أعطيكم إياها لتمارسوها. . .»

ويمتاز هذا السفر بصيغته الخطابية رغم أنه يحتوي على (١٥) فصلاً (١٢ ــ ٢٦) تحتوي على مجموعة من التعاليم والفرائض والأحكام. . .

«والتعليم موجه لإسرائيل لكن الخطاب قد يكون بأنت أو أنتم. وهذه الظاهرة تكشف عن تأليف أدبي تمَّ على مراحل متتالية، مع وضوح المقاطع المختلفة

الموجهة بـأنت أو بأنتم . . وكـانت تتلى أصلاً في أعيـاد دوريـة في مقـدس شكيم في سفح جبلي جـرزيم وعيبال (في مملكة الشمـال إسرائيـل المنافسـة والمحاربـة لمملكة الجنوب يهوذا). ولا شك أن هذا السفر، قد كتب بعد فترة طويلة جداً من وفـاة موسى (يقرر الباحثون أنه كتب في زمن الملك جوشيا، وأظهره حلقيا الكاهن في عام (٦٢٢) قبل الميلاد).

«ويتكلم موسى في هذا السفر عن الرب بصفة الغائب. . وهذا يوضـح الأسلوب الكهنوتي المتأخر، إذ أن الصيـغ المتقدمة يتحدث فيها الرب مباشرة قائلاً أنـا الرب. . وهذا الدور هو دور اللاويين الذين قاموا بمهمة الكهانة في إسرائيل».

«فسفر تثنية الاشتراع هو إذاً، هـذه المجموعـة الواسعـة التي دُوِّنَ فيها تـدريجياً الوعظ اللاوي الصادر عن موسى (أو الكهنة) والذي رافق إسرائيل بإرشاداتـه وإنذاراتـه ومواعده من عتبة أرض الميعاد إلى ساعة النفي إلى بابل».

ما هي المراحل التي دون فيها سفر التثنية؟

تجيب على ذلك الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفـرنسية بقـولها: «هنـاك تحقيق متعدد المصادر قد لمحه آبـاء الكنيسة، نستـطيـع بفضله أن نعرف في أي زمن تمَّ أول تـدوين لسفر تثنيـة الاشتراع. فـإن سفر الملوك يـروي (الملوك الثاني: ٢٢)، أنهم في السنـة (١٨) لحكم الملك يـوشيـا (أي سنـة ٦٢٢ قبـل الميـلاد) عثـروا في هيكـل أورشليم على سفـر الشريعـة أو سفر العهـد. وأن الملك تأثـر بمعاني هـذا الكتاب من إنذارات فجمـع الشعب كله وجدد العهد ونادى بإصلاح العبادة (وهدم المعـابد الـوثنية المنتشرة والتي كان بنو إسرائيل يقدمون لها القرابين بما في ذلـك أبناءهم وبنـاتهم). . ودمَّر الملك جميـع معابد الأرياف وحصر العبادة في أورشليم.

من المحتمل أن تكون المجموعة القديمة من هذا السفر، قد ألفت بعد إخفـاق حـزقيا في تـطهيـر العبـادة (من عبـادة الأوثـان التي انتشـرت مـرات عـديـدة في حيـاة إسرائيل)، في أيام منسّي الذي ازدهرت فيه عبـادة الأوثان. ولهـذا فترجـع المجمـوعة الأولى إلى النصف الأول من القرن السابـع (قبل الميلاد). وتُعبـر هذه المجمـوعة عن

النزعات الإصلاحية السائدة في الأوساط اللاوية التي كانت تقاوم التوفيقية الدينيـة (أي التوفيق بين عبادة الأوثان وعبادة الله) والتراخي الاجتماعي (الزنا الفجور الغش الخداع الرشوة والـربا والتي انتشـرت جميعها في بني إسـرائيل). وكـان معظم هؤلاء الـلاويين لاجئين هربوا من مملكـة الشمال (إسـرائيل) التي دمـرها الآشـوريون سنـة (٧٢٢) قبل الميـلاد. وأتوا إلى مملكـة الجنوب، يهـوذا وإلى أورشليم عاصمتهـا، بتقاليـد قـد تمَّ إهمالها».

«وقد زاد حجم الوثيقـة التي بنى عليها الملك يـوشيا إصـلاحه الـديني وزاد فيها الكهنـة مجموعـة من المواعظ والإنـذارات وأضافـوا أجزاء قـديمـة. وجمعت في آخـر الكتاب بعض النصوص اليهوية والالهيمية الأقدم عهداً، والتي تتحدث عن موسى وعن موته في آخـر المطاف. كمـا تتحدث عن نشيـدين نسبا إلى مـوسى. وقام مـدون أخير بتحرير خطاب مقدمة استغرقت الإصحاح الأول إلى الثالث».

«ويُقسم سفر التثنية إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خطابان تمهيديان في الأول منهما أقرب إلى أسلوب الرواية والثاني أقرب إلى أسلوب الموعظة؛ والثاني: الفرائض والأحكام؛ والثالث: المـواعظ الختاميـة. ثم خاتمة الكتاب وقصة موت موسى (الإصحاح ٣١ إلى ٣٤).

لهذا فإن سفر التثنية قد تمَّ إعداده على مدى عدة قرون، وباستخدام مواد متنوعـة وبأيدي عدد كبير من الكهنة. ويعتمد على إظهار إلّـه إسرائيل وشعب الله الذي لا يزال يتمرد على الله الذي يحبه بلا حـدود. ويحتـل هـذا السفر مكـانة مـرموقـة في الكتاب المقدس لأنه بتعاليمه يؤثر تأثيراً قوياً في تيارات العهد القديم كلها».

* * *



العهد القديم
الأسـفـار الـتـاريـخـيـة

سبق أن ذكرنا، أن العهد القديم يتكون من أسفــار يختلف عددها بين مختلف الكنائس والبيـع والفرق اليهـودية والنصـرانية . . وجميعهم متفقـون على قبول الأسفـار الخمسة التي تسمى أسفار الشـريعة أو النـاموس أو التـوراة. وأكثرهم أيضـاً يقبل سفـر يشوع ويضم إلى هذه الأسفار الخمسة.

وعـدد الأسفـار التي يعتـرف بهـا النصـارى البـروتستـانت (٣٩) بينمـا يعتـرف الكـاثوليـك بـ (٤٦) سفراً. وكمـا أسلفنا فـإن تقسيم هذه المجمـوعات، يختلف لـدى الفريقين بعد الأسفار الخمسة (التوراة).

ويجمـع الكاثوليك (١٦) سفراً ويسمونها **الأسفار التاريخية** وهي :

يشوع، القُضاة، راعوث، صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثـاني (يسمى صمـوئيل أيضـاً الملوك أحيانـاً ولهذه تصبـح أسفـار الملوك أربعة) وأخبـار الأيام الأول والثاني، وعزرا، ونحميا، وطوبيا، ويهوديت، وأستير، والمكابيون الأول، والثاني.

وهذه الأسفار أيضاً معترف بها لدى البروتستانت مـا عدا الأسفـار التاليـة: طوبيـا ويهوديت والمكابيون الأول والثاني، ولكن تقسيمها عندهم يختلف، فيدخل سفر يشوع والقضـاة وصموئيـل الأول والثـاني والملوك الأول والثـاني، تحت اسم أسفـار الأنبيـاء المتقدمين وتدخل الأسفار التالية ضمن ما يسمى الكتابات: وهي أستير وراعـوث وعزرا ونحميا وأخبار الأيام الأول والثاني.

وتسمى الأسفار غير المعترف بها لدى البروتستانت، الأسفار المنحولة أو المشكوك فيها أبوكريفا (Apocryphia).

و«**الأسفار التاريخية**»، تسمى هكذا لأنها تحكي قصة وحياة «شعب الله المختار» من حيث انتهت الأسفار الخمسة بوفاة موسى وتعيينه يشوع بن نون خليفة له. وتسير بهذا الشعب في مختلف دروب التاريخ ومنعطفاته، مع خيال خصب وأساطير كثيرة، تدخلها أثناء تلك الرواية. حتى تصل بهذا الشعب وسيرته إلى ما قبل ظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وتنتهي بوفاة سمعان المكابي (المقابي)، وتَسلُّم ابنه يوحنان حرقان (هرقانوس) عرش أبيه وذلك سنة (١٣٤) قبل الميلاد. أي أن الفترة التي تحكيها الأسفار التاريخية تمتد من حوالي سنة (١٢٠٠) قبل الميلاد، إلى قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد.. وهي حكاية تمتد عبر ألف ومائة عام، شهدت قيام امبراطوريات دول كثيرة وأفولها، وقيام أنظمة عديدة وانهيارها.. ومع ذلك ظلت مرتبطة بشكل أو بآخر بأرض الميعاد وأورشليم، حتى في سنوات النفي والتشريد إلى بابل ومصر وغيرها من الأقطار...

ومهما انداحت رقعة الزمان، ورقعة المكان، فهي تظل محصورة في كلمتين: الوعدوالعهد الذي قطعه الرب لإبرام (إبراهيم) وكرره عشرات المرات لبنيه بأن يعطيه أرض كنعان، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً!!

ويظل الشغل الشاغل لهذه الأسفار التاريخية، بل لجميع أسفار العهد القديم، هو كيفية تحقيق هذا الحلم وكيف استطاع الرب أن يختار لنفسه شعباً أخص من جميع الشعوب!! شعب مقدس تتجلى فيه ألوهية الرب ذاته!!

وفي هذا الإطار اللاهوتي، كتبت أسفار العهد القديم بأكملها.. وفي هذه الأسفار كما يقول الباحث اليهودي أدموند جاكوب: «اهتمام بتكييف التاريخ مع الضرورات اللاهوتية» أي بعبارة أصرح تزييف التاريخ، ليوضح كيفية تحقيق العهد الذي قطعه «يهوه» رب إسرائيل لإبراهيم قبل أن يوجد هذا الشعب. وإعطائه الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، أرض كنعان.. وعلى هذا الأساس فحسب، تُزيّف كل حقائق التاريخ وتحوَّر.

ولا يمكن أبداً، فهم أسفار العهد القديم، وخاصة الأسفار التاريخية، إلاّ في ضمن هذا الإطار، الذي يسمى (إطاراً لاهوتياً)!! وهي كتب لا تمت إلى التاريخ إلاّ بمقدار ما يمكن أن تمت إلى الجغرافيا أو علم الفلك أو العلوم الحديثة !!

والأخطاء التاريخية مرعبة.. بل إن تزييف التاريخ في هذه الأسفار وتشويهه متعمد لدرجة خطيرة جداً...

سفر يشوع:

ويحكي سفر يشوع بداية دخول «إسرائيل» إلى أرض كنعان وبداية الفتوحات العسكرية التي تضخمها الرواية بدرجة لا تتفق مع كثير من مجريات التاريخ.

وتقول دراسة الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية في الدراسة (المدخل لكتب التاريخ) من الكتاب المقدس[1]: «إن أخذنا بعين الاعتبار ذلك العمل التحريري الطويل، أدركنا على وجه أفضل ما يجب أن نتوقعه على الصعيد التاريخي من سفر يشوع... وينسب فتح حبرون ودبير إلى يشوع في حين أنه يقال في مكان آخر: إن كالب هو الفاتح الحقيقي لحبرون، وإن عُتنيئيل هو الفاتح الحقيقي لدبير»، ويذكر أن علم الآثار يدل على تدمير شديد لهذه المناطق، ولكن هذا التدمير قد حدث في العصر البرونزي (١٥٥٠ قبل الميلاد) وذلك قبل خروج موسى وبني إسرائيل من مصر بثلاثمائة عام على الأقل.. وتذكر هذه الدراسة القيمة أن مؤلف السفر قد نسب إلى إسرائيل، وبالذات إلى يشوع، هذا التدمير على اعتبار أنها انتصارات ضخمة حققها يشوع.. وهو أمر ليس له نصيب من الحقيقة وإن كان له نصيب من الحقد الرهيب حيث يزعم مؤلف أو مؤلفو السفر، أن يشوع قام بارتكاب مجازر تتصاغر أمامها مجازر صبرا وشاتيلا، التي قام بها شارون في لبنان ومجازر دير ياسين وقبية التي قام بها مناحيم بيجن وعصاباته عام ١٩٤٨م.

(١) الكتاب المقدس: كتب التاريخ: مدخل لدراسة سفر يشوع: ص ٤١٩، الرهبانية اليسوعية والترجمة المسكونية الفرنسية، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

وقد ذكر سفر يشوع على سبيل المثال، قصة فتح أريحا، وتدميرها على يد يشوع وإبادتها إبادة كاملة بما في ذلك النساء والأطفال والشيوخ حتى البهائم.. حرب إبادة كاملة.. ومن المعلوم أن يشوع ظهر كقائد وكنبي لبني إسرائيل بعد وفاة موسى في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (توفي يشوع سنة ١١٥٧ق.م).. ولكن المؤرخين يثبتون أن أريحا لم يكن لها وجود في عهد يشوع، فقد دمرت قبل زمن يشوع بعدة قرون وبالذات في القرن الرابع عشر قبل الميلاد(١)، (٢)، (٣).

ويذكر الباحث اليهودي أدموند جاكوب(٤) كذلك قصة تدمير جيرشو على يد يشوع وعلم الآثار يدل على أنه لم يكن هناك وجود لهذه المدينة في عهد يشوع.

ويقول جارودي(٥): «ومع هذا تستخدم هذه التلفيقات التاريخية في المدارس الإسرائيلية لتنمية التعصب بين الشباب. ولقد قام العالم السيكولجي (ج. تاماران) الأستاذ بجامعة تل أبيب بالتجربة التالية: وزع الأستاذ على أكثر من ألف تلميذ (المرحلة الأولية) حيث تدخل دراسة سفر يشوع في المنهج، ورواية مذبحة أريحا التي قام بها يشوع، ثم سأل التلاميذ السؤال التالي: لنفترض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية في الحرب فهل يفعل مع أهلها ما فعله يشوع (وهو الإبادة الكاملة للنساء والأطفال والشيوخ وحتى البهائم)؟ وتراوحت الإجابات بنعم بين ٦٦ بالمئة و ٩٥ بالمئة حسب المدرسة والمستعمرة (كيبوتز) والمدينة».

وقد ذكرنا تفاصيل سفر يشوع في فصل خاص بعنوان «يوشع بن نون المفترى عليه» وفصل «التوراة المحرَّفة تدعو إلى إقامة المجازر» كما نشرنا مقالاً في صحيفة الشرق الأوسط ومجلة المجتمع الكويتية بعنوان (سفر يشوع سفر المجازر) وفيه تفاصيل لهذه

---

(١) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥.
(٢) روجيه جارودي: إسرائيل الصهيونية السياسية، دار الشروق: ص ٩٠.
(٣) الأب ديغو كما ينقله عنه موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث: ص ٧ ـ ٣٩.
(٤) في كتابه «العهد القديم»، كما ينقله عنه موريس بوكاي، المصدر السابق، ص ٧ ـ ٣٩.
(٥) روجيه جارودي: «إسرائيل الصهيونية السياسية»، دار الشروق: ص ٩٠.

المأساة حيث قام كاتب هذا السفر بالإفتراء على نبي من أنبياء الله هو يوشع بن نون تلميذ موسى عليه السلام، وحواريه ووارث علمه من بعده ـ وقد صوره هذا السفر في صورة بشعة تهون أمامها صورة جنكيز خان، وهولاكو، وهتلر، ومناحيم بيجن وشارون.

سفر القضاة:

ويقول الأب لوفيفر (Lefevre)[1] في التمهيد الذي وضعه لتوراة كرابيون إن سفر القضاة أعيدت كتابته وعُدِّل مرات كثيرة قبل أن يصل إلى صيغته النهائية، وأن أحداثه التاريخية تعوزها الدقة.

ويحكي سفر القضاة، الفترة التي تلت وفاة يشوع، والتي لم يكن فيها لإسرائيل قيادة موحدة، بل كانت هناك قيادات متعددة لكل سبط من الأسباط أو المجموعة من الأسباط المرتبطين بحلف دفاعي. وكان ذلك القائد يسمى القاضي.. وهو ليس قاضياً فحسب بل هو الكاهن والقائد العسكري والزعيم السياسي في وقت واحد وكان القاضي صاحب أعلى منصب في تلك الإقطاعية أو الدويلة.. وقد يكون هناك قاضيان أو أكثر في زمن واحد.

وقد قضى لهذا الشعب في هذه الفترة التي امتدت إلى (١٤٠) عاماً تقريباً اثني عشر قاضياً يعتبر ستة منهم من القضاة الكبار، وستة من القضاة الصغار.. وقد اشتهر من هؤلاء القضاة شمسون الذي قامت هوليود بإخراج فيلم عنه وضخمته بدرجة مهولة على طريقة اليهود في أكاذيبهم التاريخية وتزويراتهم للحقائق.. ومنهم دبورة صاحبة نشيد النصر المشهور الذي يتغنى به اليهود ومنهم جدعون الذي ظل يمتحن الرب امتحانات عسيرة حتى يتأكد من صدق الرب في وعده له بالنصر.

وفي هذه الفترة الوجيزة من الزمن ارتد شعب بني إسرائيل عن عبادة الله سبع مرات، وعبدوا فيها الأوثان مثل البعل (البعليم) وعشتاروت وملكوم والتراقيم وشيدوا لهذه الآلهة المعابد، وقدموا لها القرابين والنذور، لدرجة أنهم قدموا أبنائهم وبناتهم قرباناً لها.

---

(١) كما ينقله موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث.

وكما تقول دائرة المعارف البريطانية[1]: «تأثر اليهود في هذه الفترة بالكنعانيين وأخذوا لغتهم وتعلموا منهم الكتابة. كما تأثروا أيضاً بعقائدهم الوثنية وعبدوا آلهتهم العديدة. . .».

ورغم أن بني إسرائيل كانوا في مرحلة تكوين دويلات لهم، إلاَّ أنه حتى هذا العهد لم يكن لهم دولة واحدة. وكما يقول الأب ديڤو[2]: «ولا يوجد ذكر لإسرائيل في هذه المرحلة وأقدم ذكر لإسرائيل ورد فوق حجر يشيد بالانتصارات المصرية للفرعون مرنبتا حوالي عام (١٢٢٥) قبل الميلاد ودمرت إسرائيل. . ولا يمكن أن يعني ذلك أن الأمر يتعلق بإسرائيل كلها الاثنتي عشر قبيلة، فلم تكن إسرائيل قد تشكلت بعد من تلك القبائل. . وقد اكتشف من تل العمارنة (٤٠٠) لوحة فخارية أثرية تسجل انتصارات فرعون وأوامره للأمراء في فلسطين وسوريا. ولم يأت بها أي ذكر لإسرائيل رغم ما حوته من معلومات هامة عن المدن الكنعانية وما جرى فيها من تنافس».

وفي زمن القضاة وربما قبل ذلك بدأت تظهر قوة الفلستينيين الذين أتوا من بحر إيجه وجزيرة كريت، وسكنوا في سواحل فلسطين منذ سنة (١٢٠٠) قبل الميلاد تقريباً. وازدادت قوة هؤلاء القوم مع مرور الأيام، واستولوا على السواحل والمنطقة الغربية من فلسطين. ولقد بلغ الأمر من قوتهم ونفوذهم أن أرض كنعان أصبحت تعرف باسم أرض فلسطين.

وشكل هؤلاء مع الإمارات الكنعانية تهديداً قوياً للدويلات اليهودية الصغيرة والتي لم يكن يجمعها سوى حلف دفاعي واهٍ، مما أدى إلى قيام الدعوة لإقامة نظام ملكي يجمع شتات إسرائيل. وقد تولى الكاهن والنبي صموئيل هذا الأمر وقام فعلاً بتنصيب شاول (طالوت) ملكاً على إسرائيل بعد أن مسحه بالزيت المقدس، وأعلنه مسيحاً للرب وذلك في حدود سنة (١٠٢٠) قبل الميلاد.

---

(١) دائرة المعارف البريطانية: ٢/٨٧٩، الطبعة ١٥، ١٩٨٢م.

(٢) الأب ديغو: التاريخ القديم لإسرائيل: ١/٣٦٦، كما ينقله عنه روجيه جارودي في كتابه: «إسرائيل الصهيونية السياسية».

سفر صموئيل الأول والثاني:

وشكل سفر صموئيل الأول، قصة ظهور صموئيل بعد أن فسد أبناء الكاهن الأكبر عالي. وكانوا يمارسون الزنا في خيمة اجتماع الرب ذاتها!! وغضب عليهم الرب فأماتهم. وتولى صموئيل منصب الكهانة والنبوة في آن واحد. وكان له تأثير كبير على مجريات الأمور في حياة إسرائيل.

ويقص سفر صموئيل الأول والثاني ظهور مملكة شاول وانتصاره على العماليق وظهور نجم داوود الذي قتل جليات (جالوت) الجبار بمقلاعه. ثم يقص ذلك السفر الصراع الطويل الذي قام بين شاول وداوود[1].. وينتهي الصراع المرير بإعلان غضب الرب على شاول، وندمه لأنه أقام شاول ملكاً وقرر آنذاك سحب الملك منه وإعطائه لداوود!! وذلك على يد صموئيل أيضاً، الذي قام بتنصيب داوود. وقد تولى داوود في حدود (١٠١٠) قبل الميلاد، واستمر في الحكم عام (٩٦١) قبل الميلاد.

ويتحدث السفر عن مملكة داوود، وعن حروبه، وعن خطيئة داوود الكبرى ـ حسب زعمهم ـ وهو أنه زنى بحليلة جاره، وقائد جنده أوريا الحثي. ثم قام بمؤامرة دنيئة للتخلص من حياته.. كما أن السفر يتحدث عن جرائم العنف التي قام بها داوود (كذباً وافتراءً عليه) وأنه نشر بالمناشير النساء والأطفال وضرب الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة (صموئيل الأول ٢٧).. وأنه كان ـ حسب زعمهم ـ كاذباً مخادعاً عندما يحتاج لذلك.. وأنه لم يفِ بوعوده للكنعانيين والفلسطينيين وقد وضعنا فصلاً كاملاً لهذا الموضوع بعنوان داوود عليه السلام في التوراة[2].

ثم يقص السفر قصة أخرى منكرة وهي زنا أمنون بن داوود بأخته ثامار، ثم يقوم

---

(١) نرفض نحن كمسلمين تصديق هذا الكلام إذ أن الله هو الذي اختار طالوت ملكاً وزاده بسطة في الجسم والعلم.. ولا يعقل أن تقوم المعارك بينه وبين نبي الله داوود (واليهود لا يعتبرون داوود نبياً بل ملكاً فقط). ويصور السفر تلك المؤامرات القذرة والأساليب الخسيسة التي اتبعها الخصمان وبصورة خاصة شاول، حتى أعلن الرب لصموئيل أنه ندم على جعل شاول ملكاً.. وقرر سحب الملكية منه وإعطائها لداوود.

(٢) في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

أبشالوم بن داوود وشقيق ثامار بالانتقام لأخته التي لم يكتف أمنون بالزنا بها، بل قام بإهانتها وطردها.. فيقتل أبشالوم أخاه أمنون، ويعلن نفسه ملكاً بدلاً من أبيه.. وتقوم الحرب بين الأب وابنه ـ حسب زعمهم ـ ويحتال داوود حتى يقتل ابنه أبشالوم...

سفر الملوك الأول والثاني:

وفي شيخوخة داوود بدأت المؤامرات للحصول على خلافة العهد بين أدونيا بن داوود وسليمان بن داوود. وتغلب سليمان بفضل أمه بتشبع (وهي الزانية ـ حسب زعمهم ـ وزوجة أوريا الحثي الذي خانته مع داوود) مع كبير الكهنة صادوق والنبي ناثان. (وتظهر هذه القصة في سفر الملوك الأول).

وتمت عملية تنصيب سليمان ملكاً دون إراقة دماء، ولكن سليمان ـ حسب زعمهم ـ قام بعملية تصفية جسدية لكل الذين عفا عنهم داوود، كما قتل كل الذين تآمروا مع أخيه أدونيا لتنصيبه ملكاً. (٩٦١ ـ ٩٢٢ قبل الميلاد).

ويتحدث السفر بعد ذلك عن بناء سليمان للهيكل، وبنائه للقصر الفخم ثم يتحدث السفر عن زواج سليمان بألف امرأة وأنهن أملن قلبه عن عبادة الله فعبد الأوثان ـ حسب زعمهم ـ وأقام لهذه الأوثان المعابد والمذابح وقد فصلنا ذلك في فصل سليمان عليه السلام وأوضحنا زيف ما قالوه وأكاذيبهم. وينتهي سفر الملوك بوفاة سليمان ـ حسب زعمهم ـ مغضوباً عليه من الرب!! ويتولى رحبعام بن سليمان الملك بعده فتتمزق المملكة في عهده وتنقسم إلى مملكتين صغيرتين متنافستين، إحداهما في الشمال وتسمى إسرائيل وعاصمتها شكيم ومعبدها على جبل جرزيم (افرايم). وهي مكونة من عشرة أسباط من أسباط إسرائيل. والثانية في الجنوب وعاصمتها أورشليم ومعبدها الهيكل الذي بناه سليمان، وهي مكونة من سبط يهوذا وسبط بنيامين.

ويشرح سفر الملوك قصة ملوك مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا.. ومعاركهم وتحالفاتهم وعبادتهم للأوثان في كثير من الأحيان.

وينتهي سفر الملوك الثاني بسقوط أورشليم على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ق.م ثم سجن يهوياكين وإطلاق سراحه على يد أويل مردوخ ملك بابل سنة ٥٦١ق.م.

سفر الأيام الأول والثاني :

ويأتي سفر الأيام الأول والثاني، ليعيد التاريخ من بدأ الخليقة إلى زمن السبي البابلي وأمر قورش الفارسي سنة (٥٣٨) قبل الميلاد بإعادة المنفيين وإعادة بناء أورشليم والهيكل.

ويعالج السفر أنساب ملوك مملكة يهوذا ويذكر عصر داوود وسليمان بشيء من التفصيل، ويركز على ملوك مملكة يهوذا، وتاريخهم وأنسابهم ومدة حكم كل واحد منهم. ويركز السفر على هيكل أورشليم ونظامه المتصل بالطقوس. وذكر حسنات الملوك الذين قاموا بالإصلاح الديني وألغوا عبادة الأوثان التي تفشت في بني إسرائيل. ويركز المؤلف على الناحية الدينية أكثر من اهتمامه بالتاريخ السياسي وإن كان الارتباط بين الاثنين قوياً.

ومن المعلوم أن دويلة «إسرائيل» في الشمال.، انتهت على يد الملك الآشوري (تجلت فلاسر) سنة (٧٢٢) قبل الميلاد. ولم تقم لها قائمة بعد. وبقيت مملكة الجنوب يهوذا خاضعة للآشوريين ثم للمصريين. ولما ظهرت القوة الجديدة في بابل على يد (نبوخذ نصر) تمالأت مملكة يهوذا مع أعداء (نبوخذ نصر) فكان عاقبتها خسراً ودمرها نبوخذ نصر تدميراً كاملاً وحطم الهيكل وشرد أهلها، وذلك سنة ٥٨٧ق.م...

سفر استير :

وكان من حظ اليهود في بابل، أن عوملوا معاملة طيبة.. واستطاع الفرس أن يتغلبوا على الدولة البابلية، وكعادة اليهود تحولوا إلى الدولة الأقوى يقدّمون خدماتهم لها ويدخلون بناتهم الجميلات في بلاط الملوك والأمراء. واستطاعت الفاتنة استير أن تستولي على لب الملك الفارسي أحشويروش وأن يكون لليهود سلطان في تلك الدولة بعد أن تآمرت على وزير الملك (هامان) الذي يبغض اليهود، واتهمته بأنه يدبر مؤامرة للإطاحة بالملك. واستطاعت أن تستصدر أوامر من الملك بإعطاء المناصب لليهود. وفي سنة (٥٣٨ق.م) أصدر الملك أمره بعودة المنفيين إلى أورشليم وبناء الهيكل.

سفــر طوبيــا :

وهو من الأسفار المنحولة (المشكوك فيها) التي تدعى الأبوكـريفيا والتي يـرفضها اليهود والبروتستانت وتقبلها الـطائفة الكـاثوليكيـة. ويتضمن هذا السفـر قصة رجـل من سبط نفتالي يسمى طوبيـا.. وكان ممن سبـاهم الآشوريين إلى بـلادهم بعد أن حـطم تجلت فلاسر مملكة إسرائيل في الشمال عام (٧٢٢) قبل الميلاد.

ويرجـح العلماء أن طوبيا وابنه (الذي يـدعى طوبيـا أيضاً) قـد قامـا بكتابـة هذا السفـر باللغـة الكلدانية.. وقـد ورد هذا السفـر ضمن الترجمـة اليـونـانيـة (التـرجمـة السبعينيـة) للعهـد القـديم والتي قـام بهــا (٧٢) من أحبـار يهــود الإسكنـدريــة بنـاء على طلب من الملك بـطليموس فيـلاولفوس (الثـاني) في القرن الثـالث قبل المسيـح كما تزعم الأسطورة.

وقد استبعد أحبار اليهود هذا السفر من قائمة الأسفار القانونية وبذلك دخل ضمن إطار أسفار الأبوكريفا (أي الأسفار المنحولة).

سفــر يهــوديت :

ويتضمن هـذا السفر سيـرة أرملة يهوديـة تُدعى يهـوديت.. ويدَّعي كـاتب هـذا السـفـر أن هذه اليهـودية الجميلة قـامت بالارتمـاء في أحضان القـائـد البـابلي لجيش (نبوخذ نصر). وأخذت تغازله حتى رق لها جداً، وعاملها بكل شهامة. ولكنها أصـرت على أن تكون من ضمن جواريه فرفـع مقامها.. وأخـذت تحسيه الخمـر وتغازلـه فلما سكر ذبحته...

وكما قام سفـر أستير بتمجيـد أستير وتخليـد ذكراهـا، لأنها استـطاعت أن تغوي الملك الفارسي أحشويروش، وتجعله يصبـح ألعوبة في يد اليهود، مجَّد اليهـود كذلـك قصـة هذه الـداعرة (يهـوديت) التي دافعت بطريقـة يهود المعـروفـة (استخـدام النسـاء والخمر لقضاء مآربهم وتحقيق أحلامهم)، عن قومها ووطنها.

وهذا السفر يدخل أيضاً في إطار أسفار الأبوكريفا المشكوك فيها.

سفر راعوث:

وفي نطاق تاريخ العهد القديم يحكي لنا سفر راعوث قصة فتاة موآبية اختارت العيش مع حماتها (أم زوجها) بعد أن فقدت زوجها وأخلصت لذكراه.. وعادت من بلادها إلى فلسطين وتزوجها بعد ذلك بوعز، وأنجبت منه يسي والد داوود.

سفر عزرا ونحميا:

ويتحدث سفر عزرا ونحميا عن العودة من السبي من بابل ودعوتهما لإقامة بناء الهيكل من جديد.

وكان سفر عزرا ونحميا يشكلان سفراً واحداً ولكنهما فصلا إلى سفرين في الترجمة السبعينية (اليونانية).

ويسرد هذان السفران، قصة عودة الشعب اليهودي من السبي، ببيانات تفصيلية، توضح كيفية العودة وكيفية إقامة النظام السياسي والديني الجديد في أورشليم وما جاورها.

ويتصل السفران بأخبار الأيام.. ويبدو أن كاتب هذه الأسفار الثلاثة (عزرا ونحميا وسفر أخبار الأيام) هو شخص واحد أو مجموعة متماثلة مترابطة وفي زمن واحد. ويرجعها بعض الباحثين إلى عزرا نفسه.

ويتكون سفر عزرا من قسمين:

الأول: أخبار عودة اليهود، وإعادة بناء هيكل أورشليم في عصر قورش ودارا الأول (الإصحاحات ١ إلى ٦).

الثاني، يوضح خبر عودة فوج آخر من السبي تحت زعامة عزرا وقيام عزرا بإصلاحه الديني (الإصحاحات ٧ إلى ١٠).

وقد عاد هذا الفوج في السنة السابعة من حكم الملك الفارسي أرتحشتا في حدود سنة (٣٩٨) قبل الميلاد. (متناقض من ناحية التاريخ مع ما قبله).

وينقسم سفر نحميا إلى ثلاثة أقسام:

● **الأول**: ذهاب نحميا إلى الملك الفارسي (وكان نحميا من موظفي البلاط) واستئذانه الملك في أن يذهب إلى أورشليم نتيجة سوء أحوالها، فيأذن له الملك أرتحششتا، ويصل إلى أورشليم في السنة العشرين من حكم هذا الملك.. وسرعان ما يبدأ نحميا ببناء سور أورشليم.

● **الثاني**: إصلاحات عزرا ونحميا الدينية وتلاوة الشريعة على مسامع الشعب في عيد المظال (سكوت) في الشهر السابع. واعتراف الشعب بخطاياه ومنع الزواج بالأجنبيات منعاً باتاً.

● **الثالث**: يتولى نحميا الولاية على أورشليم بأمر الملك أرتحششتا.. وبعد أن تنتهي ولايته يعود إلى البلاط.. ولكن الفساد يدب في أوصال المدينة العتيقة، فيعود نحميا بأمر الملك مرة أخرى ليقيم الإصلاح الديني الثاني.

وتعتبر القيمة التاريخية لأسفار صموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني، ضئيلة جداً، وفيها أخطاء متعددة وكثيرة جداً وفاحشة.

ويُدعى كاتب سفر أخبار الأيام وعزرا ونحميا القصاص.. ويتمتع بخيال واسع وقدرة على تلفيق الأحداث.

وفي هذه الأسفار جميعاً كما يقول أدموند جاكوب، الباحث اليهودي: «اهتمام بتكييف التاريخ مع الضرورات اللاهوتية»، أي تزييف التاريخ ليوضح أحقية شعب الله المختار في فلسطين وما جاورها من البلاد.

وأما أسفار طوبيا ويهوديت وأستير فهي مليئة بالمغالطات والأخطاء التاريخية الفاحشة.. ويدخل سفر طوبيا وسفر يهوديت ضمن قائمة الأسفار المنحولة (أبوكريفا).

سفر المكابيين الأول والثاني:

وفي سفري المكابيين الأول والثاني تضخيم لدور الكهنة، وهو من الكتب القليلة التي كُتبت مباشرة باللغة اليونانية وليس العبرية أو الآرامية.. ويتضمن هذا السفر قصة

أبنـاء الكـاهن متـاتيـا (ميتـاس). وقـد سمي السفـر على كنيـة يهـوذا ابن ميتـاس (الإبن الثالث) ومعنى المقابـي (المكابـي) المعيَّن من قبل الرب يهوه، وقـد أطلق هذا اللقب على إخـوته أيضـاً بل وعلى جميـع الـذين اشتركـوا في الثورة. . والسفـر يقص استبـداد الملك السلوقي انطوخيـوس وتدميـره للهيكل، ونشـره عبادة الأوثـان اليونـانية بالقوة، حينئذٍ بدأت المقاومة بقيادة الكاهن ميتاس ثم أولاده. وقد قام يهوذا بـدور قوي في قيادة الأمة وتعاون مـع الملوك الموجودين في المنطقة للإطـاحة بحكم انـطوخيوس ولكنه سقط صريعـاً في الحرب، فخلفـه أخوه «يـوناثـان» وحمل «لقب ملك» و«رئيس الأحبار والكهنة» في آن واحد. . واستطاع أن يستفيد من خصومـة جيرانـه الملوك فأمن لنفسه حكماً ذاتياً، لكنه وقـع بعد ذلك في قبضة أحد الملوك من جيرانه ومات قتلاً في المنفى. . فخلفه أخوه سمعان. . ولكنه مات أيضاً على يـد أحد المغـامرين، ويتـوقف سفر المكابيين الأول عند اعتلاء ابنه السلطة واسمه يوحنا حرقان (هرقانـوس). . ويبدو أن المؤلف كتب السفـر أثناء حكم يـوحنا حـرقان. . ويـذكر الأحـداث التي عايشهـا، ويضخمها بالطريقة التي تحلو له للإشـادة بدور هـذه الأسرة. وينتهـي السفـر في حدود سنة (١٣٤ قبل الميلاد)، وهي سنة وفاة سمعان المقابـي.

وأمـا سفـر المقـابيين (المكـابيين)الثـاني فيختلف عن الأول في طـريقـة تـأليفـه وعرضه، وهدفه الأساسي دعوة اليهود للاحتفال بعيد الحـانوكـا، وهو التـذكار السنـوي لإعادة العبادة في الهيكل على يد يهوذا المكابـي بعد أن أبطلها انطوخيـوس السلوقي. يخبرنا المؤلف أنه قام بتلخيص مؤلف آخر مكون من خمسـة أجزاء من وضـع جـازون (ياسون) القيرواني الذي لا يبدو أن أحداً يعرف عنه شيئاً. . ولهذا فإن هذا السفر لا بد أنه وقد وضـع في فترة متأخرة كثيراً عن أيام المكابيين. وقـد وُضـع هذا السفـر بكامله باللغة اليونانيـة وكذلـك السفر الأصلي الـذي استقى منه معلومـاته والمنسـوب لجازون القيرواني.

وفي هذا السفر إطناب كثير، وخرافات متعـددة، وخيال واسـع، وذكـر لخوارق، وفيه أيضاً ذكر لحياة بعد الموت (روحية). ويذكر كاتب السفر ملاحظة هامة حين يقول عن نفسـه: «وأما الـذي يلخص فرخص لـه أن يسوق الحـديث بـاختصـار مـع إهمـال التدقيق في المباحث». (سفر المكابيين الثاني ٢: ٢٠ ــ ٣٢).

هـذا ملخص سريـع لـلأسفار التـاريخية، وقـد ناقشنـا بشيء من التفصيل سفـر يشوع، وسفر القضـاة، وسفر صمـوئيل الأول والثـاني، والملوك الأول، أثناء التعـرض لحيـاة الأنبياء يـوشـع بن نـون، وصمـوئيـل، وقصـة طـالـوت، والملكين النبيّين داوود وسليمان عليهما السـلام. وقد اعتمـدنا اعتمـاداً كلياً في رفض هـذا القصص أو قبولـه على ما جاء في القرآن الكريم من قصص هؤلاء الأنبياء الكرام. .

وميزاننا واضـح كل الوضـوح، فما قبله القـرآن وأيّده قبلنـاه وأيّدنـاه، وما رفضـه القرآن الكريم رفضناه. . والقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية قـد رفعت من قدر الأنبياء، وجعلتهم معصومين عن ارتكاب الخطايا، وخاصة بعد النبوة.

ولا يمكن بـأي حـال من الأحـوال أن نقبـل ــ كمسلمين ــ قـذف هؤلاء الأنبيـاء واتهامهم بالكذب والخداع والمكر والوحشية والإجرام والقتل (بغير حق)، والزنا وشرب الخمور والفجور وارتكاب الموبقـات والآثام، بحيث يصـل الأمر ــ حسب زعم مؤلفي العهد القديم ــ إلى اتهام الأنبياء بارتكاب الفاحشة مـع بنـاتهم وأخواتهم. وأن يكـونوا من ذوي الدياثة، ويقدموا زوجاتهم للملوك، للحصول على مال وجاه. . واتهام بعضهم بعبادة الأوثان، وتقديم القرابين لها، إبتداء من هـارون عليه السـلام الذي اتهمـوه بأنـه هو الذي صنـع العجـل الذهبـي وعبـده، وأمَر بنـي إسرائيل بعبـادته، وانتهـاء بسليمان عليه السلام الذي اتهموه بأنه عَبَد الأوثان الكثيرة وأقام لها المعابد وقدّم لها القرابين.

ميـزاننـا واضـح لا لبس فيـه ــ ولا نحتـاج بعـد ذلـك لتخـرصـات المتخـرصين وحذلقات المتحذلقين سواء كانوا عرباً أم عجماً، مسلمين أم كفّاراً. .



الأسـفـار الـنـبـويـة

يُطلق اسم الأسفار النبوية عند الكاثوليك على مجموعة من الأسفار يبلـغ عددهـا (١٧) سفـراً هي أسفـار: أشعيـا وأرميـا وبـاروخ وحـزقيـال ودانيـال وهـوشـع ويـوئيـل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا ونـاحوم وحبقـوق وصنـفينـا وحجي وزكريـا وملاخي. وسنتحدث عن هؤلاء الأنبياء في الجـزء الثاني من هـذا الكتاب «الله والأنبيـاء» وسنلقي هـاهنا نظرة إجمالية على هذه الأسفار.

وأما البروتستانت فلديهم نفس هذه القائمة مـا عدا بـاروخ ودانيال. وبـاروخ من الأسفار غير المعترف بها والتي يسمونها (الأبوكريفيا) أو الأسفار المنحولة.

وأمّا دانيال فيدخله البروتستـانت ضمن ما يسمى بـالكتب، وهو داخـل في أسفار الكتابات والشعر والحكمة.

ويسمى البروتستانت هـذه المجموعـة أسفار الأنبيـاء المتأخـرين إذ لديهم قـائمة أخـرى يسمونهـا أسفار الأنبيـاء المتقدمين.. وهي: يشـوع والقُضاة، وصمـوئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني.

وهـذه المجموعـة تدخـل عند الكـاثوليـك باسم الأسفـار التاريخيـة وقد سبق أن تحدَّثنا عن كل واحدٍ منها بإيجاز عند الحديث عن الأسفار التاريخية.

وقد اخترنا تقسيم الطائفـة الكاثـوليكية، لأنـه يشمل كـل الكتب التي تعترف بهـا جميـع الـطوائف اليهوديـة والنصرانيـة بالإضـافـة إلى الكتب غيـر المعتـرف بهـا والتي يسمونها الأسفار المنحولة (الأبوكريفيا).

الأسفـار النبويـة :

وقد أُطلق على هذه الأسفار اسم الأسفار النبوية أو كتـابات الأنبيـاء، لأنها تنسب لمجموعة من المتنبئين الذين ظهـروا منذ القرن الثامن قبل الميـلاد، إلى القرن الثـاني قبل ظهور المسيـح عليه السلام.

ولا شك أن من بين هؤلاء أنبياء حقاً وصدقاً. . ولكنهم عانـوا كما عـانى الأنبياء الكبار من تحريف الكهنة والأحبار لتاريخهم واتهامهم بالفجور والزنا فعلى سبيل المثال ادّعى الأحبار الذين كتبوا سفر يشوع، أن يشوع تزوج من راحاب الزانية، وادّعى الذين كتبوا سفر عاموس أنه تزوج عاهرة وهبت نفسهـا لكهنة وعبـاد معبد وثني، وأنـه اشترك معها في الطقوس الوثنية، ثم تزوجها. وإذا كانوا قد اتهموا هارون عليه السلام بصناعة العجل وعبادته، واتهموا داوود بالزنا بحليلة جّاره واتهموا سليمان بعبادة الأوثان الكثيـرة وإقامة المذابـح والمعابد لها، فلا يستغرب أن يتهموا عاموس بالزواج من عاهـرة. وقد فعلوا أكبر من ذلك، واتهموا لوطاً عليه السلام بأنه سكر وشرب الخمر ثم زنا بابنتيه.

وقد ادعوا أيضاً أن الله أمر النبـي هوشع بأن يتزوج من زانيـة وأن يتخذ من أولاد الزنا أولاداً لـه، لأن إسرائيـل زنت وراء الآلهة الكثيـرة، وسارت وراء البعـل (وثن كان يعبد في كنعان ومنطقة لبنان). . وبما أن إسرائيل تركت إلـهها وزنت، فإن على النبـي هوشـع أيضاً أن يزني ويتزوج عاهرة. . والرب ذاته (تعـالى الله عن ذلك) قـد اتخذ لـه زوجـة زانية هي إسـرائيل. . وأنـه اتخـذ بنيهـا أولاد الـزنـا أولاداً (تعبيـرات في منتهى الوقاحة والخسّة والحقارة).

وقد بدأت كتابة هذه الأسفار منذ نهاية القرن التاسـع واستمرت إلى القرن الثاني قبـل الميلاد. وظهـرت كتابـات الأنبياء إيليـاء واليشـع منذ نهـاية القـرن التاسـع وحتى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد.

ويعتبر القرن الثامن قبل الميلاد عصر الأنبياء التالية أسماؤهم: عاموس وهـوشـع في مملكـة الشمال (إسـرائيل) وعـاصمتها شكيم أو السـامرة وأشعيـا وميخا في مملكـة الجنوب (يهوذا) وعاصمتها أورشليم (القدس).

وقد اشتهر عاموس بإدانته للمظالم الاجتماعية، كما اشتهر هوشع بإدانته للفساد الديني، ونفاق رجال الكهنوت، مما أدى إلى معاداتهم لهما واتهامهما بأنهما تزوَّجا عاهرتين. وأن عاموس اشترك مع هذه العاهرة في عبادة الأوثان، وتقديم الطقوس لها.

واشتهر أشعيا، وهو من مملكة الجنوب يهوذا، بنبوءاته السياسية حيث كان الحكام يستشيرونه فيما يفعلون. . وكانت وظيفته أشبه بوظيفة المنجمين، وقد تميَّزت نبوءاته بما فيها من احتجاج ضدّ الظلم الاجتماعي والخوف من نهاية العالم والتبشير بمجيء المسيح في آخر الزمان.

وظهر في نفس الفترة (القرن الثامن قبل الميلاد) ومن مملكة الجنوب (يهوذا)نبي آخر هو ميخا. . وكانت وظيفته مماثلة لوظيفة أشعيا.

وعندما سقطت مملكة الشمال إسرائيل بيد سرجون الثاني الآشوري سنة (٧٢٢ قبل الميلاد)، فرَّ عدد كبير من سكانها ــ بما فيهم الكهان والأحبار ــ إلى مملكة الجنوب يهوذا والتي أظهرت الطاعة لهذا الملك الآشوري، وبذلك نجت من التدمير.

وشهدت مملكة الجنوب لذلك كله زخماً دينياً وظهر في هذه الفترة سفر تثنية الإشتراع على يد الكاهن حلقيا (في زمن الملك يوشياهو) سنة (٦٢٢) قبل الميلاد (على الأقل ظهرت الفصول الأولى من هذا الكتاب في هذه الفترة).

وظهر أرميا أيضاً في القرن السابع قبل الميلاد. ولكن سفر أرميا المنسوب إليه تمَّت كتابته في القرن السادس قبل الميلاد، وبعد استشهاد أرميا بفترة من الزمن.

وتعود رسائل صفنيا وناحوم وحبقوق إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد ظهرت بطبيعة الحال في مملكة يهوذا، وكان ظهورها قبل النفي إلى بابل وسقوط أورشليم القدس وتحطيمها على يد (نبوخذ نصّر) سنة (٥٨٧ قبل الميلاد). وكانت تحذر من العقوبة الإلَهية المنتظرة، بسبب فساد شعب إسرائيل وعبادتهم للأوثان، وظهور الأنبياء الكذبة وفساد الكهان وكثرة الرشاوي وانتشار الزنا والربا واللواط والفساد الإجتماعي.

وظهر حزقيال في فترة النفي إلى بابل. وكُتب سفر حزقيال بعد وفاته (القرن الخامس قبل الميلاد) على يد تلامذته الذين قاموا أيضاً بكتابة النص الكهنوتي لسفر

التكوين، والذي اشترك فيه عزرا وتلاميذه، كما قد مرَّ معنا.

ويتميز سفر حزقيال بأنه سفر فترة النفي إلى بابل، كما يتميز بتشدده، ومنع اليهود رجالاً ونساءً من التزوج من غير اليهوديات، وقد أكَّد عزرا أيضاً على هذه الأمور بنفس الأسلوب تقريباً.

وتميَّز سفر عوبيديا بوصفه الدقيق لكوارث القدس المشهورة.

وقد ظهرت معظم الأسفار النبوية بعد العودة من السبي من بابل، وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد. وهو ما يُعرف بالعهد الفارسي حيث سمح ملوك الفرس بعودة المنفيين إلى أورشليم وساعدوهم في إقامة بناء الهيكل.. وقد تميَّز ملوك الفرس بالعطف على اليهود وخاصة بعد أن قامت الفاتنة (أستير) بالاستحواذ على لب الملك أحشويروش.. واستمرَّ ذلك الأمر في عهد قورش ثم في عهد دارا، وقدَّم اليهود بالمقابل النساء والتجسُّس لصالح الحكّام الفرس.

وتميَّزت فترة ما بعد النفي من بابل بظهور أسفار حجاي وزكريا وملاخي، التي ظهرت فيها لأول مرة قيم روحية وأخلاقية. وإن كانت تطمس كالمعتاد بتصرفات لا أخلاقية تنسب إلى الأنبياء أنفسهم!!

وكُتبت رؤى دانيال في القرن الثاني قبل الميلاد في عصر المكابيين الذين قاموا بثورة على الحاكم انطوخيوس في سنة ١٣٤ قبل الميلاد. وقد تمَّت كتابة سفر دانيال بالعبرية والآرامية واليونانية.

أما سفر باروخ وهو من الأسفار المشكوك فيها (الأپوكريفا) لدى اليهود والبروتستانت، فقد كُتب مباشرة باللغة اليونانية.

الأنبياء في بني إسرائيل:

يُفاجأ مَن يطالع العهد القديم بالأعداد الكبيرة للأنبياء.. وهم يطلقون لفظ نبي على كل شخص يتنبَّأ بأمور المستقبل.. ووظيفة النبي عندهم تشبه وظيفة المنجمين، حتى أنهم زعموا: أن لكل ملك من ملوك مملكة يهوذا أو مملكة إسرائيل،

مجموعة كبيرة من الأنبياء، يتنبأون له عما ينبغي أن يفعله؛ هل يقاتل أم لا؟ هل يخرج لملاقاة العدو أم يمكث في المدينة؟ هل يسافر إلى المنطقة الفلانية أم يؤخر السفر؟

وكان لكل معبد من المعابد ـ بالإضافة إلى الكهنة ـ مجموعة من الأنبياء.. ولم يكن ذلك مقتصراً على المعابد اليهودية، بل شمل ذلك المعابد الوثنية الكثيرة، التي انتشرت في بني إسرائيل منذ عهد القضاة ثم في عهد الملكية.

النبيّات من النساء:

ولم يقتصر الأنبياء على الرجال، بل شاركت النساء في ادعاء هذا الشرف، وكانت زوجات الأنبياء أيضاً يسمَّين نبيّات.. وفي أحيان أخرى قد تكون أخت النبي أيضاً نبيّة.

وقد وصفت التوراة (سفر الخروج ١٥ : ٢٠) مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام بأنها نبيّة **«فأخذت مريم النبيّة أخت هارون الدفّ وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص»**.

والغريب حقاً، أن التوراة لم تصف موسى ولا هارون بالنبوّة، وقد تكرّم كاتب السفر فأضفى على مريم لقب النبيّة، ولكنه لم يحدِّثنا أبداً عن نبوّتها.. وقد جاء ذكرها في عدة مواضع، ليس لها علاقة بأي نبوة على الإطلاق. ومن ذلك أنها تآمرت ـ حسب زعمهم ـ مع هارون لتعرية موسى، ووقفت ضد موسى مع هارون عندما تزوَّج امرأةِ كوشية (العدد ١٢ : ٢)، وقامت بالرقص وأخذ الدفوف ومعها النساء من بني إسرائيل احتفالاً (سفر الخروج ١٥: ٢٠).

وقد ذكرت أسفار التوراة والعهد القديم عدداً من هؤلاء النسوة اللائي ادَّعين النبوة نذكر منهن، دبورة التي كانت أيضاً قاضية لبني إسرائيل، وقائدة وحاكمة في عصر القضاة. وقد جاء في سفر القضاء (٤ : ٤): «ودبورة امرأة نبيّة، زوجة لفيدوت، هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت». وقد أنشدت دبورة نشيدها المشهور بعد الانتصار على الكنعانيين..

وخلدة أيضاً نبيّة، وقد ظهرت في عصر الملك يوشياهو، في مملكة يهوذا في

أواخر القرن السابع قبل الميلاد. وجاء في سفر الملوك الثاني (٢٢ : ١٤) ما يلي:

«فذهب حلقيا الكاهن وأخيقام وعكبور وشافان وعسّايا إلى خلدة النبية امرأة شلوم». ولم يحدثنا السفر أيضاً عن نبؤتها فيم كانت كما لم يحدثنا عن أي تفاصيل أخرى عن حياتها.

صفات الأنبياء في التوراة والعهد القديم:

قد أسلفنا القول: في أن صفات الأنبياء في التوراة والعهد القديم، هي أرذل الصفات وأحطّ الأخلاق.. وهو أمر مستغرب جداً. إذ أن الأنبياء هم خير البشر وصفوتهم. ولكن اليهود عليهم لعائن اللّه المتتابعة أرادوا أن يسوغوا لأنفسهم ارتكاب جرائمهم،، فما كان منهم إلّا أن لوثوا الأنبياء أشد تلويث..

فإذا كان الأنبياء خونة لصوصاً ومخادعين وكَذَبَة وَزَناة وديوثين، فبالأحرى أن يكونوا هم كذلك ولا تثريب عليهم ولا لوم!!

ولا نجد أحداً من الأنبياء يدعو إلى الله في التوراة والعهد القديم إلا فيما ندر وعلى أساس أن الله هو رب إسرائيل فقط. بل نجد العلاقة بين الله والنبي علاقة مبينة على منفعة ذاتية.. والنبي عندهم يقدم قرباناً وذبيحة ويشويها للرب، فإذا تصاعد دخانها، وشمَّ الربُّ رائحة اللحم المشوي انتعش، وانبسطت أساريره، وعلى الفور يعطي ذلك الشخص المقدم للمحرقة عهوداً موثقة بأن يعطيه ونسله أراضي الغير.. «أرضاً تدرُّ لبناً وعسلاً!!».

ويتكرر ذلك بصورة مزعجة جداً لدرجة تثير القرف والغثيان من كثرة المحارق، ويسبب دخانها المتصاعد ضيق النفس وحالات الربو!!

وهكذا نجد الأنبياء في التوراة والعهد القديم، منذ آدم عليه السلام إلى آخر أنبياء بني إسرائيل، ليس لهم هم إلّا أن يحصلوا على الأموال والثروات واستلاب أراضي الغير بالمكر والحيلة أو بالقوة حسب الظروف، وبوعود موثقة من الرب بعد أن يقدموا له اللحم المشوي.

وهذا ما فعله ـ حسب زعمهم ـ نوح ثم إبراهيم(عليهما السلام). وتركز التوراة على إبراهيم باعتباره الجد الأعلى لبني إسرائيل.. وتكرر بصورة مثيرة للسخرية حكاية العهد بينه وبين الرب لإعطائه ونسله أرض كنعان، أرض تفيض لبناً وعسلاً!! ويتم توثيق العهد بين الرب وإبراهيم بدم الختان.. دم الغرلة. «ومن لم يَختتن فتقطع تلك النفس من إسرائيل»..

وتتكرر المواثيق مع إسحاق ثم مع يعقوب.. وهذه المواثيق والعهود لا بد أن توقع بالدم!! دم الغرلة والختان!! ودخان اللحم المشوي!!

ولا يبدو على كاتب أسفار العهد القديم أي اهتمام بذكر اليوم الآخر أو الجنة والنار. ولهذا لا نجد أحداً من الأنبياء يدعو قومه إلى عبادة الله، وإلى تذكيرهم باليوم الآخر.. وبصورة خاصة، يفتقد الآباء (الأنبياء نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب) لدى مؤلف أسفار التوراة، أي اهتمام بنشر عبادة الله بين الناس، وإنقاذهم من دركات عبادة الأوثان وما يتبعها من موبقات. بل نجد التوراة تزعم أن يعقوب يقسم بالآلِهة الكثيرة لخاله لابان..

وينصب اهتمام الأنبياء في التوراة على الحصول على الأموال والأنعام والذهب والفضة.. (قصة إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب) بكافة الوسائل بما في ذلك تقديم الزوجات للملوك من أجل الحصول على مال وفير!!

وفي زمن موسى يتركز الاهتمام على إخراج بني إسرائيل من أرض مصر وإنقاذهم من نير فرعون دون أي اهتمام بأي شيء آخر..

ورغم أن موسى دعا بني إسرائيل لعبادة الله، ولكن هذه الدعوة ـ حسبما روتها التوراة ـ كانت مشوبة بالوعد والعهد الذي قطعه الرب على نفسه بإعطائهم أرض كنعان.. أرضاً تفيض لبناً وعسلاً!! وليس فيها أي ذكر على الإطلاق لليوم الآخر والجنة والنار.

وتصف التوراة الأنبياء بأوصاف مرعبة فنوح يشرب الخمر حتى يسكر ويتعرّى، ولوط يزني بابنتيه، وإبراهيم يتزوج أخته سارة، ثم يقدمها للملوك من أجل الحصول على مال. وإسحاق يقدم زوجته رفقة لأبـي مالك ملك كنعان، من أجل الحصول على

أمـوال وأرض. . ويعقوب يخـادع أباه ويسـرق بركـة أخيه عيسـو ويـأخـذ العهـد بحيلة ويسرق أموال خاله لابان. . ويدخل على ليته ابنة خاله دون عقد نكـاح وتلد له معـظم أولاده. ويقوم بعمليات خداع ومكر كثيرة. .

وأمـا أولاد يعقوب فتصفهم التـوراة بـأقبح الأوصـاف وأخبثهـا فهم قتلة وزنـاة. وراؤبين زنى بزوجة أبيه، ويهوذا زنا بزوجة ابنه. . ولكـل واحد منهم قـائمة طـويلة من الجرائم الكبرى.

وتتهم التـوراة المحـرَّفـة هـارون عليـه السـلام بـأنـه صنـع العجـل الـذهبـي لبني إسرائيل وأمرهم بعبادته. كما تتهمه بأنه كان يتآمر على موسى. وتتهم موسى عليه السلام بالوحشية ونكران الجميل حيث أمر بقتل كل امرأة، وكل طفل، وكـل شيـخ من سـكـان مديـان، بعد هـزيمتهم وشدد النكيـر على يشـوع تلميـذه لأنـه لم يقتـل النسـاء والأطفال والشيوخ ولم يقتـل البهائم والأغنـام. . وأهل مـديان (مـدين) هم الذين آووه عندما فرَّ من مصر هارباً وتـزوج موسى صفـورة بنت كاهن مـدين (يثرون)، وحتى بعـد خروجه من مصر مـع بني إسرائيل قدموا له المعونة والمشورة فجازاهم ــ حسبمـا تزعم التوراة المحرفة ــ جزاء سنمارٍ.

وتنتهي حيـاة موسى وهـارون نهايـة محزنـة (حسب زعم التوراة) إذ يمـوتـان في البـرية مغضـوباً عليهمـا من الرب!! «فقـال الرب لمـوسى وهـارون: من أجـل أنكمـا لم تؤمنا بـي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعـة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها. (سفر العدد ٢٠ : ١٢)، ومات هارون في جبل صـور بعد أن عزله الرب عن الكهانة، ومات موسى في أرض موآب مقابل بيت فغور.

وأما يشوع بن نون فتجعله التوراة أشـد جرمـاً وفتكاً وحبـاً للدماء من جنكيـزخان وهولاكو وتيمورلنك وهتلر. . وهو صاحب سفر كامـل ــ حسب زعمهم ــ والسفر يقص جـرائمه ومـذابحـه الـوحشيـة وسفكـه لـدمـاء الأبـريـاء من النسـاء والأطفـال والشيـوخ والبهائم. . وهي أمور كلها مكذوبة على يشوع. . والتـاريـخ يكذّب مـا زعموه وافتـروه عليه.

وتصف التـوراة داوود بأنـه ملك وليس نبياً. وهـو نبـي كريم في واقـع الأمـر. .

ويزعم سفر صموئيل أن داوود كان مخادعاً وكاذباً وزانياً بحليلة جاره، ولم يكتف بذلك كله ــ حسب زعمهم ــ ولكن دبَّر مكيدة للتخلص من أوريا الحثي جاره وقائد جنده، بعد أن زنى بزوجته، وبعد أن حملت الزوجة من هذا السفّاح سقطاً. ثم «سليمان».

وأما سليمان فهو عندهم المستبد الطاغية عابد الأوثان!! وهكذا تلوث سيرة الأنبياء.

ويشوع يتزوج الزانية راحاب، لأنها وافقت على العمل معه كجاسوسة على قومها وآوت الجاسوسين اللذين أرسلهما للتجسس على وطنها.

وعاموس ــ حسب زعمهم ــ يتزوج من عاهرة معبد وثني، ويقدم الطقوس أيضاً لهذا المعبد. وهوشع تزوج من عاهرة ــ حسب زعمهم ــ بأمر الرب، واتخذ أولاد الزنا أولاداً له، لأن الرب قال: إن «إسرائيل» تركته وزنت وراء البعليم وآلهة أخرى كثيرة.. والرب مع ذلك يحب إسرائيل وأبنائها.. ويجعلهم أبناءه.. وعلى هوشع النبي أن يفعل ما فعله الرب!! (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

الأنبياء الكذبة:

إذا كانت أسفار العهد القديم قد اتهمت أنبياء الله الصادقين بكل نقيصة، فما بالك بصفات الأنبياء الكذبة.. وقد تحدثت أسفار العهد القديم عن ظهور أعداد كبيرة من المتنبئين الكذبة. فقد جاء في سفر التثنية (١٨: ٢٠ ــ ٢٢) «وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟

فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب. بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه».

وجاء أيضاً في سفر التثنية (١٣: ١ ــ ٥): «إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية وأعجوبة ولو حدثت الأعجوبة والآية التي كلمك عنها قائلاً: لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم... وذلك النبي وذلك الحالم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم».

ويتحدث سفر الملوك الأول عن عدد من الأنبياء الكذبة في عهد الملك يهوشافاط ملك يهوذا قائلاً: «وكان ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا جالسين، كل واحد على كرسيه. . وجميع الأنبياء يتنبأون أمامهما. . وعمل صدقيا بن كنعنة لنفسه قرني جديد، وقال هكذا: قال الرب بهذه تنطح الآراميين حتى يفنوا. وتنبأ جميع الأنبياء هكذا قائلين: اصعد إلى راموت جلعاد وافلح، فيدفعها الرب ليد الملك، فقال ميخا: هوذا قد جعل الرب روح كذب في جميع أفواه أنبيائك هؤلاء. والرب تكلم عليك بشرٍّ». (الملوك الأول ٢٢: ١٠ ـ ٢٣).

وترد قصة الملك آخاب وزوجته إيزابيل في سفر الملوك الأول. وقد قاما بعبادة الأوثان وأقاما لها المعابد، وغضب الرب على آخاب، واجتمع الرب ـ حسب زعمهم ـ مع الملائكة ليستشيرهم في كيفية القضاء على آخاب وزوجته إيزابيل. . وأخيراً تم الاتفاق على إرسال الروح القدس بنفسه ليكون روح كذب في أفواه جميع أنبياء آخاب، فيقوم بالحرب ويهلك!! وقام إيليا النبي بفضح آخاب وأنبيائه.

«ولما رأى آخاب إيليا، قال له آخاب: أأنت هو مكدر إسرائيل؟ فقال إيليا: لم أكدر إسرائيل. بل أنت وبيت أبيكم بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم. فالآن ارسل واجمع إليّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل، وأنبياء البعل الأربعمائة والخمسين، وأنبياء السواري الأربعمائة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل. فأرسل آخاب إلى جميع بني إسرائيل وجميع الأنبياء إلى جبل الكرمل، فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال: حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتّبعوه وإن كان البعل فاتّبعوه. . ثم قال إيلياء للشعب: أنا بقيت نبياً للرب وحدي وأنبياء البعل أربعمائة وخمسون رجلاً ـ فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ويضعوه على الحطب، ولكن لا يضعوا ناراً وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب، ولكن لا أضع ناراً، ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب. والإلّه الذي يجيب بنار فهو الله». (سفر الملوك الأول ١٨: ١٧ ـ ٢٥).

ويستطرد السفر في ذكر القصة وأن أنبياء البعل الكذبة ظلوا يدعون طوال النهار، فلم تستجب لهم آلهتهم ولم تأت نار. ودعا إيلياء الله، فجاءت نار من السماء وأكلت

المحـرقة والثـور ولحست المياه التي في القنـاة، فلمـا رأى الشعب ذلـك سقـطوا على وجوههم، وقالوا: الرب هو الله، فقال لهم إيلياء: أمسكوا أنبياء البعل فأمسكوهم فنزل بهم إيلياء إلى نهر قيشون وذبحهم هناك. (الملوك الأول ١٨ : ٢٦ ـ ٤٠).

وهكذا تحدى إيلياء ٨٥٠ نبياً من الأنبياء الكذبـة: ٤٥٠ من أنبياء البعـل و ٤٠٠ من أنبياء السواري.

ويذكر عوبديا أحد ضباط آخاب: أنه خبأ مائة نبـي من وجه الملكة إيزابيل زوجة آخاب عندما أمرت بقتل مئات الأنبياء دفعة واحدة (الملوك الأول: الإصحاح١٨ /١ ـ ١٤) وفي سفر أرميا إنذارات عديدة للأنبياء الكذبة. يقول أرميا (١٤: ١٤): «فقال الربُّ لي بالكذب تنبأ الأنبياء بـاسمي. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم. بـرؤيا كـاذبة وعـرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم».

ويتحـدث أرميا (٢٣: ١١ ـ ٣٥) بحـرقة وحسـرة عن الأنبيـاء الكَـذَبـة والكهنـة الفَجَـرة فيقول: «الأنبيـاء والكهنة تنجسـوا جميعاً. بـل في بيتي وجدت شـرهم، يقول الرب. لذلك يكون طريقهم لكم مزالق في ظـلام دامس فيطردون ويسقـطون فيها لأني أجلب عليهم شراً. . . وقد رأيت في أنبيـاء السامـرة حماقـة. (أكبر من حمـاقة) تنبـأوا بالبعل وأضلوا شعبـي إسرائيل. . وفي أنبيـاء أورشليم رأيت ما يُقشعـرُّ منه. . يفسقـون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحـد عن شره. . من عنـد أنبياء أورشليم خـرج نفـاق في كـل الأرض. . لا تسمعـوا لكـلام الأنبيـاء الـذين يتنبأون لكم فإنهم يجعلونكم باطلاً. . لم أرسـل هؤلاء الأنبياء. . لم أتكلم معهم، بـل هم تنبأوا، قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبـأوا باسمي الكذب قائلين حلمتُ حلمتُ.. حتى متى يوجد في قلب الأنبياء المتنبئين بالكـذب، بل هم أنبيـاء خداع قلبهم الـذين يفكـرون أن يُنسوا شعبـي اسمي بـأحلامهم التي يقصـونهـا، كمـا نسي آبـاؤهم اسمي لأجل البعل».

وفي سفر حزقيال إنذار من الرب للأنبياء الكذبة حيث جاء ما يلي:

«قـل للذين هم أنبياء من تلقـاء ذواتهم: اسمعـوا كلمـة الـرب. . ويـل لـلأنبيـاء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً. . أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في

الخراب. . رأوا باطلاً وعرافة كاذبة. . القائلون وحي الربِّ والربُّ لم يـرسلهم لذلـك، هكذا قال السيد الرب، لأنكم تكلمتم بالباطل، ورأيتم كذبـاً، فلذلك، هـا أنا عليكم، يقـول السيد الـرب. وتكون يـدي على الأنبياء الـذين يرون البـاطـل والـذين يعـرفـون بـالكـذب. . في مجلس شعبـي لا يكـونـون، من أجــل إنهم أضلوا شعبـي. . وأنت يـا ابن آدم: فاجعـل وجهـك ضـد بنـات شعبـك اللواتي يتنبــأن من تلقـاء ذواتهن. . أفتصطدن نفوس شعبـي وتستحيين أنفسكن، وتنجسنني عنـد شعبـي لأجل حفنـة شعير ولأجل فتات من الخبز. . لإماتة نفوس لا ينبغي أن تمـوت، واستحياء نفـوس لا ينبغي أن تحيا، بكذبكن على شعبـي». (حزقيال ١٣ : ١ ــ ١٣).

ويصـرخ النبـي ميخـا قـائـلاً: «هكـذا قـال الـرب على الأنبيـاء الــذين يضلون شعبـي. . تكـون لكم ليلة بـلا رؤيـا، ظـلام لكم بـدون عـرافـة. وتغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهـار فيخزي الـراؤون ويخجل العـرافون، لأنـه ليس جواب من الله!!». (سفر ميخا ٣ : ١ ــ ٥).

ويتحدث أرميا عن الشعب اليهودي وكهنته وأنبيـائه فيفضحهم قـائلاً: «لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولـع بالربـح. ومن النبـي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب، لم يعرفوا الخجل، لذلك يسقطون بين الساقطين». (أرميا ٦ : ١٣ و ١٤).

«وقـال أرميا لحنـانيا النبـي: اسمـع يـا حنانيـا إن الـرب لم يـرسلك. وأنت قـد جعلت هـذا الشعب يتكل على الكـذب. لذلـك قال الـرب: هأنـذا طـاردك من وجـه الأرض. هذه السنة تموت لأنك تكلمت بعصيان على الرب. فمـات حنانيـا النبـي في تلك السنة». (أرميا ٢٨ : ١٥ ــ ١٧).



أسـفـار الـشـعر والحـكمـة

يُقسم الكاثوليك العهد القديم كما أسلفنا إلى :

١ ــ أسفار التوراة (أسفار موسى الخمسة، أسفار الشريعة، الناموس).

٢ ــ أسفار التاريخ وهي (١٦) سفراً.

٣ ــ أسفار الأنبياء وهي (١٧) سفراً. . .

. . . وقد أسلفنا القول فيها جميعاً.

وبقي علينا أن نتحدث عن الأسفار الشعرية أو أسفار الشعر والحكمة، وهي :

سفر أيوب وسفر المزامير (المنسوب لداوود عليه السلام) ومراثي أرميا والأسفار الثلاثة المنسوبة لسليمان عليه السلام وهي الأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد.

وسيأتي ذكر سفر مراثي أرميا عند الحديث عن النبي أرميا وسفره. وأما الحديث عن سفر المزامير، فقد وضعناه بعد فصل داوود عليه السلام، لأنه هو الذي تنسب إليه معظم المزامير الموجدة. وأما أسفار سليمان الثلاثة، فقد أفردنا لها فصلاً بعد الحديث عن سليمان عليه السلام. وجعلنا لسفر أيوب عليه السلام فصلاً خاصاً به[1].

وسنكتفي ها هنا بنظرة موجزة عن كل سفر من هذه الأسفار:

---

(١) جعلنا ذلك كله في الجزء الثاني من الكتاب «الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم».

مـراثي أرميـا :

أرميا عليه السلام من أنبياء بني إسـرائيل المشهـورين، عاش في مملكـة يهوذا. وأبوه الكاهن حلقيا، الذي قيل: إنه وجد سفر الشريعة، أثنـاء تجديـد بناء الهيكـل في أيام الملك يوشيا سنة (٦٢٠) قبل الميلاد. وإليه ينسب سفر التثنية، أو على الأقل جزء منـه. وهـو الـذي حثّ يـوشيـا على تـرك عبـادة الأوثـان، والعـودة إلى عبادة الله، والاستمساك بكتاب سفر التثنية (الشريعة).

وقد عاصر أرميا الملك يوشيا، صـاحب الإصلاح الـديني، ثم يهويـاقيم الفاسـد الفاسق ثم صدقيا الفاسق أيضاً. .

ووكانت نبؤات أرميا عن تحطيم أورشليم، ومملكة يهوذا صارخـة. . وبكى أرميا أورشليم وأهلها بكاءً مراً في مراثيه ذات الأسلوب الأدبـي الراقي.

سفـر المـزامير:

تنسب هذه المزامير إلى داوود عليه السلام. ويحتوي السفر على (١٥١) مزموراً منها (٧٣) مزموراً مذكورة باسم مزمار لداوود.

وتقول الرهبانية اليسوعية والترجمة المسكونية الفرنسية للكتـاب المقدس (كتـاب الـمـزمـور) إن المـزامير هي مجمـوعة من الأنـاشيد الـدينية المنسـوبة لعـدد كبيـر من المؤلفين على مـدى أجيال طـويلة، منذ عهـد موسى (عليـه السلام)، الـذي عاش في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. . وهناك عدة مزامير منفردة موجودة في أسفار أخرى غير سفر المزامير.

ويعتبر داوود مرنم إسرائيل ويُذكر بـأنه شـاعر ومـوسيقار ومختـرع كثير من آلات الطرب ومنظم الأنـاشيد الغنـائية الجمـاعية (الليتـورجي). . وتكتسب أهميتها في أنهـا داخلة ضمن الطقوس الدينية والصلوات لليهود والنصارى على السواء.

وتتهم الرهبانيّة اليسوعية مؤلفين عديدين، بأنهم قاموا بإعادة صيـاغة وكتـابة كثيـر من هذه المزامير.

ويذكر بعض الشرّاح أن نشيد العاصفة مسروق من نشيد إكرام الوثن (الإلّـه) بعل والذي عبده سكان لبنان ومنطقة بعلبـك وفلسطين. وأن مـطلـع المزمـور (١٩) يتضمن الابتهـالات التي كانت تقـدم لإلّـه الشمس، وأن نشيد الخلق (المـزمور ١٠٤) مستلهم من نشيد أخناتون الكبير.

وتقسم المزامير، إلى ثلاث مجموعات:

١ ـ مجمـوعة التسـابيـح: ومعظمهـا داخل في الـطقـوس العبـاديـة والصلوات الجماعية (الليترجي) وهي تذكر الله على أساس: أنه ربُّ العهد الـذي قطعـه لإبراهيم وبنيـه بإعـطائهم أرض كنعان. . أرض تفيض لبنـاً وعسلاً!! وتصـوره بـأنـه ربُّ قبيلة، يحارب من أجلها الأرباب الآخرين.

وهنـاك ترانيم صهيـون التي تشيد بـالهيكل وأورشليم. . وهي مـرتبطة كمـا تقول دراسة الرهبانية اليسوعية بأناشيد المعابد الكنعانية وتعتبر تقليداً لها.

وهناك مزامير الملك التي **تشيد بالملكية وتعتبر الملك هو ابن الله بـالتبني ووريثه بما أنه مسيح الرب وهو جالس عن يمين الرب** كمـا تقول دراسـة الرهبـانية اليسـوعية والترجمة المسكونية الفرنسية للكتاب المقدَّس (كتاب المزامير).

٢ ـ مجمـوعة صلوات الاستغـاثة: وهي صلوات وأنـاشيد تتحـدث عن حالات الضيق والكرب التي تصيب الفرد أو الجمـاعة. وتـطلب من الرب إنقـاذها. . والأمـر، كما تقول دراسة الرهبانية اليسـوعية، «يتعلق في النهـاية بكـرامة الله وأمـانته وإخـلاصه لإسرائيل. ولا فرق بين قضية الشعب وقضية الرب»!!

٣ ـ مجموعة التعاليم: وهي مزامير قليلة مختصة بنوع من أنواع التعـاليم حيث تذكر بعض هذه المزامير الطقوس بشكل تفصيلي.

وينظر الدارسـون من علماء الـلاهوت للمـزامير على أسـاس: أنها أنـاشيد أُلِّفت على مدى ألف عام، وتأثرت بآداب الأمم المجاورة فاستعارت بعض الأناشيد من مصر (نشيد أخناتون) أو من كنعان (المـزمـور ١٩ ونشيـد العاصفـة مستعـار أو مسـروق من أناشيد البعل).

وهي تمثل ثروة من الأدب والشعر الغنائي والطقوس الليترجية.

الأسفار المنسوبة لسليمان عليه السلام:

سفر الأمثال: يتضمن مجموعة من الحكم والأمثال المنسوبة لسليمان عليه السلام.

ولا شك أن سليمان عليه السلام قد اشتهر بالحكمة، وربما كانت بعض هذه الأمثال من كلامه حقاً.. وبعض هذه الأمثال والمواعظ منسوبة صراحة لمؤلفين آخرين أو لمؤلفين مجهولين.

ويحوي سفر الأمثال مقدمة في امتداح العقل والحكمة والتحذير من الرذيلة (من الإصحاح الأول إلى الإصحاح التاسع). ويبدأ الإصحاح العاشر بقوله: «أمثال سليمان». ويستمر إلى الإصحاح (٢٢) حيث يجعل تلك الأمثال لمؤلف مجهول إلى الإصحاح (٢٤)، ثم أمثلة منسوبة لسليمان. (الإصحاح ٢٥ إلى ٢٩). وفيها أمثال تدل على أنها كتبت بعد عهد سليمان بأربعة أو خمسة قرون على الأقل لأنها تتحدث عن السبي البابلي (القرن الخامس قبل الميلاد) بينما عاش سليمان وملك في القرن العاشر قبل الميلاد. والإصحاح (٣٠) منسوب صراحة إلى آجور بن ياقة. والإصحاح (٣١) منسوب لأم الملك موئيل، وهو ملك مجهول ويعتقد كثير من الباحثين أن سفر الأمثال هذا مسروق من سفر «حكم أمنموبي» المصري المعروف باسم «ثلاثون فصلاً في الحكمة» وأحياناً باسم «ثلاثون فصلاً».

سفر الجامعة: وهو السفر الثاني المنسوب لسليمان عليه السلام. وهو يتميز بأسلوب أدبي قوي رغم ضعف الترجمة في كثير من الأحيان (إلى اللغة العربية). وهو سفر من المستحيل أن يكتبه نبي، فهو رجل يائس متشائم لا يعرف الآخرة مطلقاً ولم يسمع عنها. فالكل باطل.. وقبض الريح.. ولا شيء غير الموت، الموت والحياة عبث.. والملك عبث. بل وكثرة الحكمة باطل وعبث.

ويتحدث أنه جرَّب كل لذّات الحياة نساء، خمر، ملك...إلخ. ولكنه عاد من

رحلته تلك خائباً ضائعاً تعباً فإذا الكل باطل، وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس..

إنها فلسفة تتميز بالحيرة والشك والعدمية.. ولا شك أنها تؤدي إمَّا إلى الجنون أو الانتحار.. وهي توضح إلى حد كبير تأثير الفلسفة اليونانية المبنية على الشك في كل شيء.. وفقدان الأمل من كل شيء. ولا إيمان ـ لا بخالق ولا بحكمته ولا بيوم الدينونة.

وهو لا شك مصدر من مصادر الفكر الأوروبي الحديث والقديم.. ومن أراد أن يعرف مصدر كامي وسارتر وصموئيل بيكيت وهيمنجواي فليقرأ سفر الجامعة فإنه مصدر إلهام لكل فلسفاتهم العدمية.

سفر نشيد الإنشاد: وهو السفر الثالث المنسوب لسليمان. وحاشا لسليمان عليه السلام أن يقول مثل هذا الشعر الغزلي الناضج.. وفيه قصة راعية وراعي يتغزَّل كل واحدٍ منهما بالآخر بطريقة الأدب المكشوف.. أو أدب الفراش، كما كان يسميه العقاد، رحمه الله.

والغريب حقاً أن هذا النشيد يتغنى به اليهود في أعياد الحصاد وفي الأعياد الدينية..

وهو يمثل سياسة أحبار اليهود نحو الجنس.. وقد حدثتنا أسفار التوراة والعهد القديم عن زنا الأحبار داخل الهيكل المقدس.. وكيف كان أبناء عالي كبير الكهنة يزنون عند باب خيمة الاجتماع، (أي التي ينزل فيها الرب ويجتمع بموسى وشيوخ إسرائيل، وكانوا في الترجمات العربية القديمة يسمونها قبة الزمان).

وقد أسلفنا القول في أكاذيب الأحبار الذين كتبوا أسفار التوراة والعهد القديم حيث نسبوا إلى الأنبياء وأبنائهم الزنا.. فلوط عليه السلام زعموا، أنه زنى بابنتيه، وراؤبين بن يعقوب زعموا أنه زنا بامرأة أبيه، ويهوذا بن يعقوب زنى بكنته (زوجة ابنه) ثمارا. ويوشع بن نون تزوج ـ حسب زعمهم ـ الزانية راحاب.. وداوود من نسل فارص بن يهوذا من الزنا بثامار.. وداوود ـ حسب زعمهم ـ زنى بحليلة جاره وقائد

جنده المخلص أوريا الحثي. وسليمان هو ابن تلك الزانية ـ حسب زعمهم ـ وأمنون بن داوود يزني بأخته. وأخوه أدونيا يزني بحليلة أبيه أبيشج، ثم يطلب من سليمان أن يزوجه إياها.

وبنو إسرائيل قادة وجنوداً يتركون القتال ويزنون مع الموابيات، لدرجة أنهم يدخلون خيمة الإجماع أمام موسى ليمارسوا الزنا.. ثم يكثر الزنا في بني إسرائيل لدرجة تملأ كل أسفار التوراة والعهد القديم.. ويمارسون الزنا في بيت الرب ذاته!! بل هناك بيت أو بيوت للمأبونين جوار بيت الرب وداخله!! فلا يستغرب إذن، بعد هذا كله، أن يكون أعظم نشيد ديني عندهم نشيد غزل فاضح غليظ وقح.

ويبدأ النشيد هكذا: ليقبِّلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر.. ثم تتحدث عن حبيبها وتقول: بين ثديي يبيت.. وثمرته حلوة لحلقي.. أدخلني إلى بيت الخمر.. وجدت من تحبه نفسي فأمسكته حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي..

ثم ينتقل الغزل ويتحدث الراعي عن حبيبته، فيقول: ثدياك كخشفتي ظبية، توأمين يرعيان بين السوسن.. شفتاك تقطران شهداً.. دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صنّاع. سُرَّتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج.. بطنك صُبرة حنطة مسيَّجة بالسوسن... إلخ.

سفر أيوب: أيوب عليه السلام يضرب به المثل في الصبر وقد مدحه الله تعالى بقوله:

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]

وأيوب هو من نسل عيسو (العيص) بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمٰن..

---

(١) سورة ص: الآيات ٤١ ـ ٤٤.

وهو ليس من بني إسرائيل.. وقصته وقصة يونس تجري في إطار خارج الإطار المعتاد لأسفار العهد القديم، لأنها تحكي قصة بني إسرائيل وآباءهم فقط.

وقد ورد سفر كامل باسم سفر أيوب. وهو ضمن أسفار الشعر والأدب والحكمة، وفيه وصف بليغ للآلام التي كان يعانيها أيوب. ولكننا نفاجيء برجل متذمر على ربه، غير راضٍ بقضاء الله، كثير الشكوى على عكس ما هو معروف من صبر أيوب، بل يصل به الأمر إلى الكفر الصراح وإلى تحدي الله (لعنة الله على اليهود).

وتبدأ قصته بأسطورة غريبة، حيث يحضر الشيطان اجتماع الرب مع الملائكة ويسمع الربَّ يباهي بعبده أيوب، فإذا بالشيطان يخبر الرب بأن أيوب إنما يعبد الله لأن الله أعطاه مالاً وفيراً، وزوجة بارة، وأولاداً كثيرين طائعين.. ويسمح الرب للشيطان بأن يمتحن أيوب.. ويبدأ الشيطان عمله فيميت أبناء أيوب، وفوراً يقوم أيوب بتمزيق جبَّته، وجز شعر رأسه (وهو أمر مرفوض إسلامياً)، ولكنه قال: الرب أعطى. .الرب أخذ. ويعود الشيطان، فيذهب بأموال أيوب، ويتكرر نفس الموقف.. وللمرة الثالثة يسمح الرب للشيطان أن يمتحن أيوب في بدنه، فتبدأ الأمراض ويبدأ أيوب يئن بالشكوى ويتذمر لرفاقه الثلاثة الذين أتوا لتسليته وتعزيته.. ويبدأ بالصراخ، ثم يجأر بالشكوى من الرب الظالم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. ويتحدى الرب أن يميته ويريحه من هذا العذاب، أو يأتِ إليه ليحاكمه.. ويعلن أيوب: أن لا إلّه هناك لأنه لو كان هناك إلّه لأجاب!! كفر فظيع يكتبه المجرم كاتب هذا السفر وينسبه لأيوب عليه السلام.

الأسفار التعليمية:

هذه هي المجموعة الخامسة والأخيرة من أسفار العهد القديم، حسب تقسيم الكنيسة الكاثوليكية.. وهي تضم سفرين، كلاهما من الأسفار المنحولة (المشكوك فيها)، والتي تسمّى الأبوكريفيا، والتي يرفضها اليهود والبروتستانت وكثير من طوائف النصارى والتي اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى المتأخرة، وبالذات سنة ١٥٤٦ بعد الميلاد.

وتتضمن هذه الأسفار مجموعة من المواعظ، وآداب السلوك، على طريقة أسفار العهد القديم، حيث تخلط الصالح بالطالح والحسن بالرديء، والجميل بالقبيح ـ وهي قريبة في موضوعاتها من سفري الأمثال والجامعة، وإن كانت أردأ في أسلوبها بكثير. .

١ ـ **سفر الحكمة**: وهو أيضاً منسوب لسليمان عليه السلام، ولكن الفرق النصرانية واليهودية ذاتها تنكر هذه النسبة لأنه كتب مباشرة باللغة اليونانية.

واللغة اليونانية لم يعرفها اليهود إلَّا في عهد خلفاء الإسكندر المقدوني: البطالسة في الإسكندرية (مصر)، والسلوقيون في سوريا وفلسطين. وذلك في القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. وسليمان عليه السلام عاش في القرن العاشر قبل الميلاد.

وتبدو في السفر آثار الفلسفة اليونانية المنحولة دون أصالة.

٢ ـ **سفر حكمة يشوع بن سيراخ**: وهو أيضاً من الأسفار المشكوك فيها (المنحولة) التي تسمى الأبوكريفا. . وغير معروف هل كتب أولاً بالعبرية وضاع الأصل، أم أنه كتب باليونانية مباشرةً. . وكاتبه يشوع بن سيراخ. . وهو من مملكة يهوذا، وعاش في أورشليم ولكنه أكثر من التجوال والترحال ـ وفي السفر تعاليم أخلاقية وصور من السلوك. . وأمثال حكمية. . ويقرر أن مصدر هذه الحكمة هو الله وأنه يهبها لمن يحب.



فرق اليهود الرئيسية

افترقت اليهود إلى فرق كثيرة متناحرة. وكذلك افترقت النصارى.. ثم افترق المسلمون كما أخبر به المصطفى ﷺ في قوله: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». رواه الترمذي عن أبي هريرة وقال حديث حسن صحيح. وذهب بعض من شرح الحديث إلى أن «أمتي» تعني «أمة الدعوة» لا أمة الإجابة[1].

ورغم أن المسلمين أصبحوا فرقاً كثيرة، إلَّا أن هذه الفرق جميعاً تؤمن بالقرآن الكريم كتاباً منزلاً من الله سبحانه وتعالى، وأنه لا زيادة فيه ولا نقص.. وليس لهم كتاب غيره ما عدا البهائية الذين لا يعتبرون من المسلمين وكذلك القاديانية.

أما اليهود والنصارى، فيختلفون في كتابهم المقدس ذاته. والنصارى لديهم العهد القديم (التوراة والأسفار الأخرى) والعهد الجديد (الأناجيل المختلفة والرسائل).. وهم يختلفون فيما بينهم اختلافاً شديداً في الاعتراف بمختلف الأسفار في العهد القديم، كما أن لهم أناجيل عديدة، بلغت المئات، ثم اعترفوا في مؤتمر نيقية بأربعة منها.. وأنكروا على الفرق الأخرى أناجيلها. ومن تلك الأناجيل المرفوضة لدى أكثريتهم إنجيل (برنابا) الذي ذُكر فيه المسيح عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، وذكر أنه لم يصلب وأنه شُبِّه لهم.. وأن الله رفعه إلى السماء وفيه بشارات واضحة

---

(١) سقاف علي الكاف: حقيقة الفرقة الناجية، مكتبة المطيعي القاهرة، ١٩٨٩م، وموضوع الكتاب الأحاديث الواردة في افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة.

بالنبـي محمد ﷺ لا لبس فيهـا ولا غموض، على عكس البشـارات الأخرى المـوجودة في العهد القديم، والأناجيل الأربعة فإنها غامضة وقابلة للتفسيرات المختلفة.

ولليهـود كتابـان يعترفـون بهما همـا، التوراة (ضمن العهـد القديم)، والتلمـود. والتوراة هي الشريعة المكتوبة، والتلمود هـو الشريعـة الشفهية، التي زعمـوا أن موسى عليه السلام كان يقولها، وتناقلتها الأجيال لأكثـر من ألف وخمسمائـة عام، عنـدما بـدأ الحاخام هليل ثم الحاخام عقيبا والحاخام مائير في كتابة المشنـا الفلسطينيـة في القرن الأول بعـد ميلاد المسيـح. وفي عـام (١٨٩) بعد الميـلاد قام الحـاخـام يهـوذا هنسيـا بكتابة ما أسماه الشريعة الشفهية بأكملها. . وعرفت باسم مشنا الحبر يهوذا هنسيا. وقد كتبها في فلسطين في قريته صبوره.

وانتشرت هذه المشنا بين مختلف طبقات اليهـود، وأضيف إليها، وحـذف منها، وسميت بـاسمه. ثم وضعت لهـا شروح، وتجمعت هـذه الشروح في كتـابين ضخمين أحدهما سمي الجمارا الفلسطينية لأن بدء تكوينها وتأليفها كان في فلسطين، والأخـرى الجمارا البابلية، لأن منشأها كان أحبار بابـل الذين بقـوا فيها منـذ عهد (نبـوخذ نصـر) ورفضوا العودة إلى فلسطين سنة ٥٣٨ قبل الميلاد، عندما سمـح لهم قورش بالعودة.

وهناك فرق كثيرة من اليهود، لا تعتـرف أصلاً بـالتلمود، وتـرفضه لأنـه من عمل أحبار يهود، ولا يمت لموسى عليه السلام بأي صلة.

فـإذا تركنـا هذا الكتـاب الضخم المليء بالخـزعبـلات والخـرافـات والأسـاطير جانباً[1]، ونظرنا إلى الكتاب المقدس الأول لدى اليهود، نجد أيضاً اختـلافاً كبيـراً بين

---

(١) انظر الكتب التالية لمعرفة التلمود وأساطيره وخزعبلاته وجرائمه:

(أ) إبـراهيم خليل أحمـد: إسرائيـل والتلمود للقس السـابق (المسلم) إبراهيم خليـل أحمـد، مكتبة الوعي العربـي، القاهرة، ١٩٨٣م.

(ب) ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٠م.

(ج) د. محمـد علي البـار: المسيـح المنتـظر وتعـاليم التلمـود، الـدار السعـوديـة، جـدة، ١٩٨٧م.

(د) د. يوسف نصر الله، تقديم د. حسن ظاظا ومصطفى الزرقا: الكنز المرصود في تعاليم التلمود. دار القلم ــ دمشق، ودارة العلوم ــ بيروت، ١٩٨٧م.

هـذهالفرق. فهنـاك من يؤمن بالأسفـار الخمسة فقط، ويـرفض ما عـداهـا. وهنـاك من يضيف إليها سفر يشوع.. وهناك من يؤمن بالأسفار الأخـرى الموجـودة بالعهـد القديم وعدد الأسفار التي يؤمنون بها ثلاثة وعشرون. بينما يؤمن النصارى البروتستـانت بتسعة وثلاثين والكاثوليك بستة وأربعين سفراً.

وأشهر الفرق اليهودية التي سندرسها باختصار هي:

(١) الفريسيون والكتبة.
(٢) السامريون.
(٣) الصادوقيون (الصدوقيون).
(٤) الآسيون (الأسينيون) ومخطوطات البحر الميت (مغارة قمران).
(٥) الأبيونيون (الفقراء إلى الله).
(٦) القناؤون أو السفاكون أو الجليليون أو الهيروديون (المتعصبون).
(٧) المنذورون.
(٨) النثنيم.
(٩) القراؤون.
(١٠) الصابئة.

(١) الفريسيون والكتبة: (Pharisees)

الفريسيون هـم طائفة من الفقهاء الدينيين، الشديدي التعصب، الـذين يتمسكون بحـرفية النصـوص الـظاهـرة، ويخـالفـون روحهـا. واسـم الفـريسيين مشقق من كلمـة «فروشيم» العبرية وتعني «المفروزين» أي الذين امتازوا على الجمهور، وعزلوا أنفسهم عنه.. وأصبحوا لعلمهم واتصالهم بأسرار الشريعـة الصفوة المختـارة.. ويصفون بقية اليهود بأنهم «عوام الأرض» «عام هاأرتز» وهي صفة ذم، تتضمن الجهل، وأنهم أقـرب إلى البهائم..

وإذا كـان اليهـود عـامـة يـرون أنفسهم أنهم شعب الله المختـار، وأنهم أبنـاءُ الله وأحبـاؤه، فإن هؤلاء الفـريسيين كأن يـرون أنفسهم «خاصـة الخاصـة» و«خلاصـة

الخلاصة» وهم الذين وضعوا التلمود وتعاليمه التي تقـرر «أن مخافة الحـاخامـات هي مخـافـة الله» و «أن أقـوال الحـاخـامـات هي أفضـل من أقـوال الأنبيـاء» و «أن تعـاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ذاته». و «أن من يقرأ التوراة بـدون المشنا والجمارة (التلمود الذي وضعه الفريسيـون والكتبة) فليس لـه إلـه.. وذكروا في تلمودهم: أن خلافـاً نشأ بين الله، وبين بعض الأحبـار، أثناء الاجتمـاع اليومي الـذي يعقـد بين الله وكبار الأحبـار لدراسـة التوراة، حـول إحدى المسـائل العـويصـة وطـال الجدل.. وأخيراً تقرر إحالة الخلاف إلى السنهـدرين وكبير الحـاخامـات فحكم هؤلاء بخـطأ الله (تعالى الله عن ذلـك علواً كبيراً)، ممـا اضطر الـرب إلى الاعتراف بخـطئـه علانية أمام السنهدرين».

وإذا كـانت تعاليم التلمـود تنص على أن أرواح اليهود تتميـز عن بـاقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده. أما أرواح غير اليهود فهي شيطانية وأن نطفة غير اليهودي هي كنطفة سائر الحيوانات، وأن الإسـرائيلي معتبر عنـد الله أكثر من الملائكة.. وإذا ضرب أممي (جوييم أي غير يهودي) إسـرائيلياً، فكـأنما ضـرب العزة الإلّهيـة ويستحق الموت.. ولـو لم يخلق اليهـود لانعـدمت البـركـة من الأرض، ولمـا خلقت الأمطار والشمس.. والفرق بين درجة الإنسان والحيـوان، كالفـرق بين اليهودي وبـاقي الشعـوب.. والأجـانب كـالكـلاب، والأعيـاد المقـدسـة لم تخلق لـلأجـانب ولا للكلاب، والكلب أفضل من الأجنبي، لأنه مصرح لليهـودي في الأعياد أن يـطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبي أو أن يعـطيه لحمـاً، بل يعـطيه للكلب لأنـه أفضل منه!! والخارجـون عن دين اليهود، خنـازير نجسـة، وقد خلق الله الأجنبـي على هيئـة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الـذين ما خلقت الـدنيا إلاَّ من أجلهم.. والسـرقة من غيـر اليهودي لا تعتبـر سرقـة، بل استـرداداً لمال اليهـودي: إذ أن العالم كله لم يخلق إلاَّ من أجل اليهود.. .وإذا كان الأجنبي وحياته ملك لليهودي فكيف بماله... إلخ.

إذا كـانت تعاليم التلمـود التي وضعها الأحبـار الفريسيـون تتحدث عن اليهـودي العامي العادي هكـذا، فكيف ترى هـذه الفئة نفسهـا، وهي تنظر إلى العـامي اليهودي نظرة احتقار وتحسبه في درجة البهائم بالنسبة لها!!

إن هذه الطائفة، ترى أنها: خاصة الخاصة، وخلاصة الخلاصة.. وبلغ من وقاحتها وغرورها أن تقرر: «أن مخافة الحاخامات هي مخافة الله» و«أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولو بأمر الله»!!

وقد ظهرت هذه الطائفة قبيل زمن ظهور المسيح عليه السلام.. ووصلت أوج غرورها وقوتها في زمنه.. وقد عانى منها عيسى بن مريم عليه السلام ووصفها بأقبح الأوصاف. وقد كانوا مغرورين بأنفسهم غروراً رهيباً ويضفون على أنفسهم ألقاب الكرامة والتبجيل، وكانوا يسمون أنفسهم «السوفريم» أي الفقهاء، و«الشابمهيريم» أي المفكرين الأحرار، و«التالميدي شكاييم» أي تلاميذ الحكماء.

وكان نشوء هذه الطائفة في أواخر عهد المكابيين، الذين ثاروا على أنطوخيوس الحاكم السلوقي (اليوناني من خلفاء الإسكندر المقدوني).. وكان تأثير العقائد اليونانية الوثنية قوياً في ذلك الوقت.. واليهود كعادتهم يتأثرون بمن حولهم من الأمم، وينقلون عاداتهم وعباداتهم كما فعلوا سابقاً في عبادة آلهة الكنعانيين وعبدوا البعل، وآلهة البابليين وعبدوا عشتروت.. وعجل المصريين وغيرهم من الأمم.

وقد ظهرت هذه الطائفة في أول الأمر للمحافظة على العقائد اليهودية من التأثير اليوناني الجارف.. وكانوا هم خلفاء الحسيدين المذكورين في سفر المكابيين، وهم قوم كانوا يتظاهرون بالورع والتقوى ويسمون أنفسهم القديسيين.

وقد اشتهر الفريسيون بهذا الاسم في أواخر عهد يوحنا هركانس في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد.. وكان يوحنا هذا من أحبارهم غير أنه لم يلبث أن انشق عنهم وانضم إلى أشد أعدائهم ضراوة الصادوقيين (نسبة إلى صادوق).. وعندما تولى ابنه إسكندر الأمر في أورشليم عمل على إبادتهم.. وبعد أن توفي استطاع الفريسيون أن يؤثروا على زوجته إسكندرة، التي خلفته على العرش عام ٧٨ قبل الميلاد فرضيت عنهم واستطاعوا أن يسيطروا على الحياة الدينية لليهود[1].

وقد حصر الفريسيون همهم في دراسة الشريعة اليهودية، وتفسيرها، ووضع

(١) زكي شنوده: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، ص ٢٩٨ وما بعدها.

معاييرها وشروحها. . واشتهروا بـالتمسك بحـرفية النصـوص، والشكليات، والاهتمـام بالمظهر الديني، والتـظاهر بـالزهـد والتقوى والمبـالغة في الصـلاح، وباطنهم أنتن من الجيف. . يحتـالون على النـاس ليأكلوا أمـوالهم بالبـاطـل، ويحصلوا على المنـاصب والمراكز والجاه والسلطان. وكانوا يستأثـرون بصدور المجـالس في المجامـع والـولائم والأعياد، ويفرضون على الناس بأن يخاطبـوهم بقول: يـا ربِّـي. . وإذا صلوا يتعمَّدون أن يقيموا صلاتهم في الميـادين، ورؤوس الشوارع، حتى يـراهم الناس، وإذا صـاموا قطّبوا أساريرهم لكي يعلم الناس أنهم صائمون.

وقـد اشتهر الفـريسيون بـوضـع الحيل للتملص من قـوانين الشريعـة التي كانـوا يتظاهرون بالتقيد بهـا. . وكان من يـرشيهم يجد لـه فتوى للتخلص من أي قـوانين من هذه القوانين (مثل قصة أصحـاب قريـة إيلات الـذين كانـوا يحتالـون على الصيد يـوم السبت، وهو محرم عليهم، بأن يضعوا الشباك يوم الجمعـة، ثم يأتـون لأخذ الأسمـاك يـوم الأحد). . وكـانت الشريعـة ـ على سبيل المثـال ـ تحـرم عليهم حمـل أي شيء خارج البيت يوم السبت، فكانوا يحتالون على ذلـك بوضـع أبـواب ونوافـذ في شوارع المدينة، فتصير المدينة كلها ـ حسب قولهم ـ بيتاً واحـداً. . ولذلـك أباحـوا لأنفسهم ولأهل المدينة حمل الأشياء يوم السبت خارج البيت. . .

وكانت الشريعة تفرض على الابن أن يعول والديه في حالة الشيخوخـة أو الفقر فكـان هؤلاء يتحـايلون على ذلـك بـوقف أمـوالهم على الهيكـل مـع الكهنـة فيعـجز الوالدان أن يأخذا منها شيئاً، فإذا انتهت المحكمة استرد ممتلكاته من الكهنة نـظير دفـع نسبة معينة من المال لهم. . .

وكـان من أبشـع جرائمهم، أنهم كـانوا يحللون الـزنا إذا حـدث في الخفاء ولم يعلم به أحد. . .

وكانوا يكثرون من الحذلقـة والريـاء والنفاق وجمـع الأمـوال بالسحت والكـذب، وبيـع الذبائـح المقررة على اليهود، حتى أنهم حولوا المعابد إلى أمـاكن لبيـع الحمام الذي فرضوا ذبحه كل يوم ليقدم إلى الهيكل. . .

لهذا كله كان المسيـح عليه السلام، ألدَّ أعدائهم، فقـد فضحهم وفضـح نفاقهم

وكذبهم وبهتانهم ورياءهم، وامتلأت الأناجيل بتحقير هؤلاء الفريسيين وفضح نفاقهم حتى أصبحت كلمة فريسي تدل على العار كما قال هوكسلي[1].

وقد جاء في إنجيل لوقا (١١ : ٤٣ ــ ٤٧): «ويلٌ لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون».

وقد سماهم يحيى بن زكريا عليه السلام (يوحنا المعمدان) أولاد الأفاعي. وكان بولس، وهو أول من بدَّل دين المسيح وحوَّله إلى عقيدة التثليث يهودياً فريسياً.

فقد جاء في رسالته إلى أهل فيلبي (٣:٥): «من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين، من جهة الناموس فريسي».

وجاء في سفر أعمال الرسل (٢٣ : ٦ ــ ٩): «ولمّا علم (بولس) أن قسماً منهم صدوقيون والآخر فريسيون (وكانوا قد اجتمعوا ليحاكموه، فأراد أن يبذر الفتنة بينهم لينجو هو. . وكان الفريسيون هم الأغلبية)، صرخ (بولس) في المجمع: أيها الرجال الأخوة، أنا فريسي ابن فريسي، على رجاء قيامة الأموات، أنا أخوكم. ولمّا قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة، لأن الصدوقيين قالوا إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرّون بكل ذلك. فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين: لسنا نجد شيئاً رديئاً في هذا الإنسان، وإن كان روح أو ملاك قد كلّمه فلا نحاربنَّ الله!! ».

واستطاع بولس بذكائه أن يبذر الفتنة بين اليهود الذين اجتمعوا لمحاكمته، وكيف لا يستطيع ذلك وقد كان من كبار أحبار اليهود. فهو أعرف بهم وبفرقهم. . وقد استطاع فعلاً أن يوضح الفروق الأساسية بين الفريسيين والصدوقيين. فالفريسيون يؤمنون بفناء الجسد ولكن الروح باقية. وهناك قيامة، ويوم دينونة. . ويؤمنون بالملائكة والجن والأرواح. . بينما الصدوقيون يرفضون الإيمان بذلك كله.

---

(١) كما ينقله عنه د. أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان: اليهودية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٢٢٩.

وكانت أهم عيوب الفريسيين تتمثل، كما ذكرها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، في كبريائهم وغرورهم وعتوهم وتجبُّرهم وتظاهرهم بالزهد والتقوى وداخل نفوسهم عجب كعجب إبليس اللعين بنفسه. . . وهم أصحاب علم الحيل والتملُّص من الشريعة حين يريدون والتمسُّك بظاهرها دون جوهرها حين يرغبون. .

والفريسيون هم أصحاب التلمود الذين قاموا بكتابته وشرحه واعتباره مُقدَّماً على التوراة نفسها. . وكانوا يقولون للناس أن أقوال الحاخامات مقدسة، بل ولا يمكن نقضها ولو بأمر الله. . وأعلنوا أنهم معصومون وأن مخافتهم من مخافة الله «ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي. فإذا قال الحاخام أنّ يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس، فصدِّق قوله ولا تجادله»(١).

ورغم أن الأناجيل كلها تتحدث عن كلام يسوع المسيح في هذه الفرقة المتجبرة المرائية المنافقة، إلا أن تأثير اليهود الحاليين في نصارى أوروبا والولايات المتحدة قد أصبح من القوة بدرجة أن ينكروا كلام المسيح ،ويتمدحوا هم بهؤلاء الفريسيين الذين لعنهم عيسى بن مريم عليه السلام، وابن خالته يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) عليه السلام. ويقول (هارنولد)(٢): «كانت الفريسية سيِّئة الحظ في التاريخ، إذ قلَّما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسية على حقيقتها، بل قلَّما حاولت أن تنتهز هذه الفرصة إذا سنحت، فهل بلغ الدِّين المسيحي مبلغاً من الضعف يلجئه إلى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة الفريسيين وهم أفضل منافسيه؟».

ويقول (هوكسلي)(٣): «من غرائب سخريات التاريخ إن لم تكن أغربها، إن كلمة فرّيسي أصبحت تدل على العار».

ويقول القس (بوكس)(٤): «لقد أسَّس الفريسيون نظام الفردية في الدين،

---

(١) د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان: اليهودية، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) و(٣) و(٤) نقلاً عن د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان: اليهودية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٢٢٩.

ووضعوا طقوساً روحية بحتة[1]، وتعمَّقوا في الاعتقاد في الآخرة، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف، وجعلوا الكتاب المقدس ملكاً مشاعاً للجميع، وفي اجتماعات الكنيس الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات بالغات عن حقائق الدين وآماله، استناداً إلى نصوص التوراة.. وكافح الفريسيون كفاحاً مستبسلاً في سبيل وضع الحياة تدريجياً تحت سلطة العقائد الدينية، فتأثرت قلوب الشعوب بتعاليم الدين ونواهيه بفضل ما بذله الفريسيون من العناية في سبيل تقويم العادات وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقاً دقيقاً، ولكن الظواهر الخارجية كانت دائماً خاضعة للعقائد الكامنة».

وهكذا بلغت وقاحة هؤلاء اليهود وسيطرتهم على النصارى، وخاصة في الغرب، حتى بدّلوا دين النصارى، وحتى جعلوا الفئة التي تقول عن المسيح عيسى بن مريم أنه ابن زنا، وأنه ساحر كذّاب، فئة طاهرة روحانية مظلومة من التاريخ ومن المسيحيين.

تقول تعاليم التلمود التي وضعها الفريسيون:

١ ــ يسوع المسيح ارتد عن دين اليهود وعبَد الأوثان. وكل مسيحي لم يتهوَّد فهو وثني عدو لله ولليهود.

٢ ــ يسوع الناصري، موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار. وأمه مريم أتت به من زناها بالعسكري باندارا (كذباً وبهتاناً). والكنائس المسيحية بمقام القاذورات، والواعظون فيها كلاب نابحة.

---

(١) هذه من المغالطات المفضوحة، فالفريسيون هم أصحاب التلمود الذي يذكر أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه.. وأنّ على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم حتى يكون اليهود في غاية الثراء وقد جمعوا ذهب العالم بأيديهم وأنه مباح لهم سرقة الأجناس الأخرى وقتلها وغشها وخداعها ويجب على اليهودي أن لا يقرض الأجنبي إلّا الربا، وعليه أن لا يشفق على غير اليهودي، ويجب عليه أن يضرّ ويخدع غير اليهودي ويستخدم النفاق والكذب والحيل.

٣ ــ قتل النصارى من الأفعال التي يكافىء الله عليها، وإذا لم يتمكن اليهودي من ذلك فواجب عليه أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت وعلى أي وجه.

٤ ــ على اليهود أن يعاملوا النصارى كحيوانات دنيئة غير عاقلة.

٥ ــ يجب على اليهودي أن يلعن النصارى كل يوم ثلاث مرات، ويطلب من الله أن يبيدهم ويفني ملوكهم وحكّامهم.

٦ ــ إن من حكمة الدين وتوصياته، قتل الأجانب الذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات.. والذين لا يؤمنون بتعاليم الدين اليهودي، يجب تقديمهم قرابين إلى إلّهنا الأعظم.

٧ ــ عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلّهنا يهوا: إحداهما: عيد الفطير الممزوج بالدماء البشرية؛ والأخرى: مراسيم ختان أطفالنا. (وسنتحدَّث في فصل خاص عن عيد الفطير وأهمية ذبح نصراني وجعل دمه في الفطير المقدس الذي يأكله الأحبار طوال العام).

٨ ــ نحن شعب الله المختار، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا. ذلك لأنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخَّر لنا الحيوان الإنساني وهم كل الأمم والأجناس لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والأنعام، ونوع ناطق كالمسيحيين وغيرهم، فسخَّرهم لنا، ليكونوا في خدمتنا. وفرَّقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج أموالهم لمنفعتنا. لذلك يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء (وقد فعلوا ذلك وافتخروا به في كتبهم المقدسة وهناك سفر اليهودية (استير) وسفر اليهودية (يهوديت)، وقد تحدَّثنا عن هذين السفرين فليرجع إليهما القارىء).. وأن ندخل أبناءنا في الديانات المختلفة (وقد فعلوا ذلك وخاصة في المسيحية فأفسدوها أيما إفساد، وحرَّفوها أيما تحريف.. ودخلوا في الإسلام فحفظ الله كتابه من تحريفهم، ولكنهم استطاعوا إثارة الفتن والقلاقل، ومن ذلك ما فعله اليهودي عبد الله بن سبأ، ابن السوداء، حتى أثار الناس على عثمان رضي الله عنه، وأدّى ذلك إلى الفتنة

الكبرى وقتل عثمان، وانشعاب الأمة واقتتالها وتحولها إلى فرق يقاتل بعضها بعضاً).

هذا قليل من كثير من تعاليم التلمود التي وضعها الأحبار الفريسيون[1]، وللأسف نجد بعض الكتاب الفضلاء من المسلمين يتأثرون بما يكتبه اليهود وبعض النصارى من الدفاع عن هذه الفرقة الضالة المضلّة من اليهود[2]. بل هي أشدّ فرق اليهود عتواً وتجبُّراً.. وهي التي ينتمي إليها أكثر أحبار دولة إسرائيل الذي عرفوا بشدّة حقدهم وبعتوّهم وبجبروتهم وطغيانهم ومنهم الحاخام (مايير كهانا)، وغيره من الحاخامات الذين يُسمّون متشددين في الصحافة الغربية والعربية وهم عماد الأحزاب الدينية وحزب ليكود.. وهم الذين يعبئون الرأي العام في إسرائيل على أساس التصورات التوراتية والتلمودية، وأحقيتهم في حكم البشرية كلها، وأن الله لم يخلق هذه الحيوانات البشرية إلاّ لخدمتهم، وإذا كانت روح غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بماله.. وإقامة المذابح والمجازر للفلسطينيين أمر قد قرَّره الرب مراراً وتكراراً ــ حسب زعمهم ــ في أسفار التوراة الخمسة وسفر يشوع وبقية أسفار العهد القديم.

* **الكتبة**: يعتبر الكتبة من ضمن فرقة الفريسيين ولكنهم سموا كذلك لأنهم كانوا يقومون بكتابة أسفار التوراة والعهد القديم، والتعليق عليها وإضافة الشروح لها.. وكان من واجبات الكتبة أيضاً الخدمة في الهيكل تحت إشراف الكهنة والجلوس على كرسي القضاء في المجامع المحلية، ولذلك أصبحوا معروفين باسم الناموسيين، أي علماء الناموس (الشريعة، القانون) كما أصبحوا معروفين باسم: الفقهاء والمعلمين والربيّين (جمع ربيّ وتكتب أيضاً رابي) لأنهم كانوا يقومون بتلقين تعاليم الرب.

وقد نشأت طائفة الكتبة في الأصل لأن ملوك اليهود، ابتداءً من داوود عليه

---

(١) لمزيد من التفاصيل نحيل القارىء الكريم للكتب التالية: الكنز المرصود في تعاليم التلمود، ليوسف نصرالله؛ والتلمود: تاريخه وتعاليمه، لظفر الإسلام خان؛ وإسرائيل والتلمود، لإبراهيم خليل أحمد؛ والمسيح المنتظر وتعاليم التلمود، للمؤلف (محمد علي البار).

(٢) من هؤلاء الكتّاب الدكتور حسن ظاظا في كتابه القيّم: الفكر الديني اليهودي، دار القلم، ص ٢١٠ــ٢١٣.. وقد حاول أن يكون معتدلاً.

السلام، كانوا يتخذون لأنفسهم كتبة ونسّاخاً من طائفة الكهنة ورجال الدين. . وزادت اختصاصات الكتبة في أثناء سبي اليهود في بابل، حتى أن اليهود نسوا لغتهم العبرية، كما نسوا تعاليم الشريعة تماماً. . ولهذا لعب الكتبة دوراً في كتابة أسفار العهد القديم، وإعادة صياغتها مع الكهّان بعد أن ضاعت جميع الأسفار، وتفرَّغوا هم لتدوين الشريعة وتعليمها[1] ومنذ العودة من السبي إلى زمن سمعان المكابي في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد، كان الكهنة، هم الكتبة في نفس الوقت. ثم لم يلبث أن أصبح الكتبة طائفة مستقلة. وقد أصبحت فتاوى كثير من مشاهير أولئك الكتبة تقليداً وتشريعاً. (أي شريعة شفهية يعتبرها اليهود في منزلة الشريعة المكتوبة، أي في منزلة التوراة نفسها). وقد كثر عدد الكتبة في عهد المكابيين وبلغوا أوج نفوذهم في القرن الأخير قبل المسيح. . ومن أشهر الكتبة الذين ورد ذكرهم في أسفار العهد القديم عزرا (عزير) الذي تزعَّم اليهود بعد رجوعهم من السبي. وكان كاهناً وكاتباً في نفس الوقت وله سفر خاص باسمه ضمن الأسفار التاريخية من العهد القديم. . وكان بعضهم ذوي مكانة مرموقة في المجتمع اليهودي وأعضاء في السنهدرين الذي يمثل المحكمة العليا والبرلمان في وقت واحد.

وليس الكتبة فرقة خاصة بهم من حيث الاعتقاد فهم في ذلك فرقة من الفريسيين ويشبهونهم في معتقداتهم وضيق أفقهم وحذلقتهم وصرامة تعاليمهم واعتمادهم على المظاهر والقشور دون اللّب. وفساد باطنهم وتحايلهم على التهرب من تعاليم الشريعة التي يشددون على الناس في تنفيذها والتمسك بحرفيتها ولا يسمحون بالتهرب منها إلّا بالحيل التي يضعونها لمن يقدم لهم الرشاوى والأموال. . . ولهم ولع شديد بالجدل في المسائل العقيمة ولم يكونوا يتورعون عن التلفيق بل والكذب في أثناء جدلهم وحذلقتهم. وقد خاطبهم النبي أرميا بقوله: «كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟ حقاً إنّه إلى الكذب حَوَّلها قلم الكتبة الكاذب. . رفضوا كلمة الرب فأية حكمة فيهم» (أرميا ٨: ٧ ــ ٩).

---

(١) زكي شنودة: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص ٣٠٧ ــ ٣٠٩.

وقال لهم المسيح عيسى بن مريم: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية، والذين يمشون عليها لا يعلمون» فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: «يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً. فقال: وويل «لكم أنتم أيها الناموسيين لأنكم تحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسّون الأحمال بإحدى أصابعكم. ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم» (إنجيل لوقا ١١ : ٤٤ ـ ٤٧).

(٢) السامريون:

هم سكان السامرة.. وهي منطقة نابلس فيما يسمى اليوم الضفة الغربية من فلسطين. وقد تكونت فيها دولة الشمال «إسرائيل» عندما انقسمت مملكة داوود بعد وفاة سليمان عليه السلام وتولى ابنه رحبعام الحكم.. وانضمت عشرة من أسباط بني إسرائيل إلى تلك المملكة وبقي سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم وما حولها مكونين مملكة «يهوذا» وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد.

وتحطمت مملكة الشمال عندما غزاها (تجلت فلاسر شلمناصر) ثم (سرجون الثاني) الملك الآشوري سنة (٧٢٢) قبل الميلاد، وسبى أغلب سكانها.. ثم أتى بشعوب أخرى وأسكنهم في السامرة.. وكان كل شعب من هذه الشعوب يعبد آلهته الخاصة به.. ويقال: أن الوحوش كثرت في منطقة السامرة فاعتقد هؤلاء أن إله أرض السامرة غاضب عليهم فاستغاثوا بملك آشور، طالبين إليه أن يرسل إليهم أحد الكهنة اليهود ليعلمهم طقوس هذا الدين حتى يرضوا رب هذه الأرض ويتقوا غضبه؛ فأرسل إليهم الملك (كاهنا) أقام في بيت إيل وكان يلقنهم أسفار موسى الخمسة، وعبدوا إله اليهود ومع ذلك ظلوا يعبدون آلهتهم العديدة.. واختلط هؤلاء باليهود والباقين في السامرة اختلاطاً شديداً وتزاوجوا حتى أصبحوا شعباً واحداً. وقد قص كاتب سفر الملوك الثاني ذلك بالتفصيل (١٧ : ٦ ـ ٤٠) وكان اليهود في أورشليم ينظرون إليهم باحتقار وازدراء، لأنهم لم يكونوا يعبدون الله (ألوهيم أو يهوه) وحده وإنما كانوا يعبدون معه عدداً كبيراً من الآلهة الأخرى، وكانوا كذلك لا يهتمون بتنفيذ تعاليم الشريعة.. كما كانوا مختلطين بالزواج والعادات بالأمم الأخرى..

وقد ركز يهـود السبـي على أهمية اعتـزال اليهود، عن الأمم الأخـرى باعتبـارهم أرجـاساً وأنجـاساً وعبـدة أوثـان. ولا ينبغي الـزواج منهم أو إليهم.. ولهـذا لمـا طلب السامريون أن يشتركوا مـع بقية اليهود في ترميم الهيكل وإعادة بنائه بعد أن سمـح لهم بذلك ملك الفـرس رفض اليهود طلبهم بـاعتبارهم قد اختلطوا بالشعوب الأخرى، ولم يعودوا يهوداً. وقد جاء في سفر عزرا أنهم «تقدموا إلى زر بابل ورؤوس الآبـاء، وقالـوا لهم نبني معكم لأننا نظيركم نطلب إلٓهكم، وله قد ذبحنا من أيام أسرحدون ملك آشور الذي أصعدنا إلى هنا. فقال لهم زر بابل ويشوع وبقية رؤوس آباء إسرائيل: ليس لكم ولنا أن نبني بيتاً لإلٓهنا ولكننا نحن وحدن نبني للرب إلٓـه إسرائيل» واشتكى السامـريون إلى الملك الفـارسي هذا الأمـر، وأخبروا الملك أرتحتشتـا بأن اليهـود إذا بنـوا مـدينـة أورشليم فلن يدفعوا الجزية والخـراج للملك.. وبذلـك نجـح السامـريون في تعـطيل بناء أورشليم لفترة من الـزمن (سفر عـزرا ٤ : ١ ــ ١٣).. ومنذ ذلـك الوقت اشتـدت العـداوة بين الفريقين.. وأصبـح اليهـود يحتقرون الســامـريين احتقـاراً شـديـداً وأقـام السامريون لأنفسهم هيكلاً على جبل جرزيم لينافس هيكل أورشليم نحو عام ٤٣٢ قبل الميلاد. وقد ظلَّ قائماً حتى هدمه يوحنـا هركـانس رئيس كهنة اليهـود سنة ١٢٨ق.م. ولكن السامريين أعادوا بناءه في مكـانه الأول حتى هـدمه الـرومان في القـرن الخامس بعد المسيـح بعد أن ثار السامريون على الرومان..

ولا يزال السامريون يقدسون جبل جرزيم ويسمونه جبـل الطور (وهـو غير الـطور الـذي في سينا ولكن تيمنـاً بهذا الاسم الـذي تجلى الله فيه لمـوسى عليـه السـلام). ويحجون إليه ثلاث مرات في السنـة ويذبحـون الذبـائـح هناك في عيـد الفصـح وعيد الأسابيـع وعيد المظال.

ولا يعتـرف السامـريون إلاَّ بـالأسفار الخمسـة (أسفار الشـريعـة، أسفـار مـوسى الخمسة)، ويرفضون بقية الأسفـار الأخرى.. وهنـاك نسخة من التـوراة السامـرية وهي مكتوبة باللغة العبرية المدونة بالحروف الفينيقية القديمة.. وهي تختلف إلى حد كبيـر عن التوراة الأخرى.

وقـد امتزجت معتقـداتهم بكثير من الأفكـار والطقـوس الوثنيـة التي أخذوهـا عن الشعوب التي خالطوها منذ أن غزا بلادهم الملك سرجون الآشوري سنة (٧٢٢)ق.م.

وقـد كانت مـدينة السـامرة هي مـركز السـامريين حتى استـولى عليها الإسكنـدر المقـدوني عام (٣٣٢)ق.م. ونقـل سكانهـا إلى شكيم المجـاورة. وأسكن بـدلاً منهم مقدونيين وسوريين.. ثم في عام (١٢٨)ق.م، هدمهـا يوحنـا هركـانس.. ولكن أعيد بناؤها، وألحقها القائد الروماني (بومبـي) عام (٦٣)ق.م. بمقاطعته في سوريا.

وأعاد بناءها هيرودس الكبير وسماها سيباسطة نسبة إلى سيبـاسطوس الامبـراطور الروماني المشهور باسم أغسطس قيصر..

وقـام بهدمهـا القائـد الرومـاني فسياسيـان وأقام على أنقـاضهـا مـدينـة سمـاهـا «نيوبوليس» أي المدينة الجديدة، وهي التي تعرف إلى اليوم باسم نابلس ولا تـزال بقية ضئيلة من السـامـريين تعيش في «نـابلس» ومـا حـولهـا من القـرى وتحتفظ بتـوراتـهـا الخاصة، وتقاليدها وطقوسهـا.. ويذكـر الدكتـور حسن ظاظـا في كتابـه الفكر الـديني اليهـودي :أنـهـم يؤمنـون بـإلّـه واحـد. وهـو روحـاني بحت غيـر متجسـد كمـا يـرى الفريسيون، ويؤمنون بأن موسى رسول الله وخاتم رسله، ولذا يرفضون الإيمـان بأسفـار العهد القديم الأخرى غير التوراة أي أسفار موسى الخمسة التي يقدسونها ويقولون عنها أنهـا كلام الله. وقبلتهم جبـل جرزيم المجـاور لنابلس وهـو مكان هيكلهم الـذي بنـوه هناك في القرن الرابـع قبل الميلاد.

(٣) الصادوقيون (الصدوقيون) : (Sadducees)

ينسب الصدوقيون أنفسهم: إلى صـادوق الكاهن الأكبـر في عصر سليمـان عليه السلام وصادوق ينتسب إلى هارون عليه السلام. وقد احتفظت أسرته برئاسة الكهنـوت حتى عصر المكابين[١][٢].

وكان سليمان عليه السلام ــ حسب ذكـر سفر الملوك الأول ــ قـد عزل الكـاهن

(١) زكي شنودة: المجتمـع اليهودي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص ٣٠٤.

(٢) د. أحمد شلبي: مقارنـة الأديان: الـطبعة الخـامسة، ١٩٧٨م، النهضـة المصريـة، القاهـرة، ص ٢٢٩.

الأكبر (أبياثار) الذي اشترك في مؤامرة تنصيب (أودينا بن داوود) ملكاً على عرش المملكة في أثناء شيخوخة داوود. وعيَّن سليمان عليه السلام (صادوق) في منصب الكهانة الكبرى، حسب قولهم.

وتذكر مصادر أخرى أن هذه النسبة غير صحيحة[1]. ويذكر بعضهم أنهم ينتسبون إلى صدوق الكاهن تلميذ «أنتيخنوس السوخي» الذي عاش حوالي سنة (٣٠٠) قبل الميلاد وهم بذلك بعيدون جداً عن الكاهن الأكبر صادوق الذي ظهر في القرن العاشر، في عهد سليمان عليه السلام[2].

على أية حال لا يبدو أن هناك اتفاق حول هذه النسبة، فبعضهم يجعل الاسم الأصلي «صديقيم» بالعبرية وهي تعني الصدّيق بالعربية، ويسمون أهل العدل نسبة إلى «صدوقيم» العبرية، من باب التواضع بدلاً من الصديقيَّة.

أما الفريسيون وأصحاب التلمود، فقد شنوا عليهم حملات مكثفة ووصفهم التلمود بأنهم: «أبيقوريون» أي أصحاب مذهب اللذة، الذي نادى به الفيلسوف اليوناني أبيقور.

وكان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء، وكانوا متأثرين جداً بالثقافة اليونانية.. وقد أنكروا البعث. ويرون أن جزاء الإنسان يتمّ في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيِّىء يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب.

وقد أنكروا تعاليم التلمود، وكانوا على عكس الفريسيين في كل شيء.. ولديهم إنكار شديد للطقوس الرهيبة التي أقامها الفريسيون، بل وصل بهم الأمر إلى التحرر من كثير من تعاليم الشريعة..

ولم ينكروا «التلمود» الذي وضعه الكهنة الفريسيون فحسب ــ وإنما أنكروا أيضاً

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، دار القلم ــ دمشق، ص ٢١٤ وما بعدها.

أسفار العهد القديم، ولم يؤمنوا إلاّ بالأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، ويلحقون بها سفر يشوع. وحتى هذه التوراة لا يرون لها قدسية مطلقة، لأنهم يعلمون أن الأحبار قد وضعوا كثيراً مما فيها.. وهم ينكرون وجود الملائكة والشياطين، ويعتقدون: أن الموت موت للروح والجسد.. ولا يؤمنون بالبعث. ولا يقولون بالقضاء والقدر، ويؤمنون بحرية اختيار الإنسان. ويرون: أن الإنسان يخلق أفعاله.. وينكرون عقيدة المسيح المنتظر الذي سيأتي في آخر الزمان، ويحكم به اليهود ـ حسب زعم الفريسيين ـ العالم

ولا يميل الصدوقيون للإشتراك في الحركات الثورية.. وذلك راجع إلى أنهم طبقة أرستقراطية وواسعة الثقافة، وكانوا يميلون لاحترام السلطات الحاكمة، سواء كانت فارسية أو يونانية أو رومانية.. ويقيمون معها علاقات ودية..

وكانت للصدوقيين فلسفات يرجع أصلها إلى فلسفات الإغريق، وقد تأثروا إلى حد ما (بأبيقور) صاحب مذهب اللذة الذي يقول: بأن اللذة هي أسمى أهداف الحياة. واللذة في رأيهم، لا تقتصر فقط على الشهوات واللذات الجسدية والحسية، ولكنها تشمل أيضاً الحياة الاجتماعية والحياة العقلية.. وعلى الإنسان أن يسعى جهده لتحقيق اللذة والابتعاد عن الآلام، فاللذة هي الخير، والألم هو الشر (وهذه هي فلسفة الغرب اليوم). وكانوا يقولون أنهم يخدمون الله، مسوقين بدافع الحب لله، والشكر على نعمه الجزيلة، وأن فعل الخير لا ينبغي أن يكون من أجل الجنة، والبعد عن الشر لا ينبغي أن يكون خوفاً من النار، فليست لديهم في عقيدتهم جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور؛ بل ينبغي أن يكون فعل الخير لذاته.. لأن فعل الخير يورث في النفس سكينة ورضا، وهذا هو الجزاء وفعل الشر، يسبب في النفس ظلمة وكآبة وألماً وهذا يكفي للبعد عن الشر.

وانضم إليهم أناس أقل فهماً لهذه الفلسفات.. وظنوا أن اللذة الشهوانية هي المبتغى والمقصد، وأدى ذلك إلى شن الحملات عليهم، وخاصة من خصومهم الألداء الفريسيين.

ولما جاء المسيح كان الصدوقيون طائفة محدودة، وإن كانت ثرية وعلى قدر

كبير من الثقافة ولديها نوع من التسامح الديني. . ولهذا لم يهاجمها المسيح عيسى بن مريم كما هاجم خصومهم الفريسيين المتظاهرين بالدين. . وكانت حملات يسوع شديدة على هؤلاء المنافقين الفريسيين، ولكن المسيح عليه السلام، وجّه نقده أيضاً للصدوقيين، بسبب عدم إيمانهم بالبعث والنشور. . وأنكروا هم دعوته أيضاً، ولكنهم لم ينخرطوا في محاولة صلبه التي قام بها الفريسيون.

ويؤمن النصارى بأن الفريسيين هم الذين دفعوا الحاكم الروماني لصلب المسيح. وقد حاول اليهود ذلك فعلاً، ولكن الله نجاه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم.

وقد اندثر الصدوقيون ــ مثل أكثر الفرق القديمة ــ لأن عقيدتهم لا يمكن أن يقبل عليها إلاّ أفراد من الطبقة الأرستقراطية المثقفة بالثقافة اليونانية. . وهؤلاء قليل في المجتمع اليهودي في فلسطين في ذلك الزمان. وعقائدهم تصادم عقائد اليهود في كثير من الأمور، فهم لا يرون أن الله يتدخل في شؤون الكون كما تصفه التوراة، وحيث يحارب بنفسه عن شعبه، ويدخل معهم المعارك، ويجلس في وسط التابوت بذاته. .

ونتيجة فكرهم ــ الإغريقي ــ فهم على نقيض العقائد اليهودية التلمودية التي تجعل الرب في صورة إنسان، ينزل ويتكلم معهم، ويمكنهم رؤيته، بل ويبلغ به الأمر أن يتعارك مع يعقوب طوال الليل. . لهذا كله فإن الصدوقيين ينكرون هذا التجسيم، ويذهبون إلى التنزيه لدرجة إخراج الله كلية عن التدخل في شؤون العالم والكون (فلسفة يونانية).

وهم في الواقع قد ذهبوا من النقيض إلى النقيض ومن طرف إلى الطرف الآخر وابتعدوا في ذلك عن حد الاعتدال.

وكانت الخصومات بين الصدوقيين والفريسيين على أشدها منذ عهد الملك المكابي (يوحنا هركانس) الذي عاش في منتصف القرن الثاني قبل ميلاد المسيح. وكان هركانس يميل في أول الأمر إلى الفريسيين، بيد أنه أقام لهم وليمة، فقام أحد أحبارهم وطلب من هركانس أن يستقيل من منصب رئيس الكهنة الذي كان يحتفظ به

إلى جانب كونه ملكاً. . وطلب منه ذلك لأن الشريعة لا تسمح بهذا المنصب لمن كانت أمه من السبايا، ومن غير اليهود أيضاً. . فغضب هركانس لهذه الإهانة وانقلب على الفريسيين، وقرَّب أعداءهم الصدوقيين، وقضى على خلق كبير من الفريسيين وكذلك فعل خليفته اسكندر. وعندما مات اسكندر استطاع الفريسيون أن يستميلوا قلب الملكة (اسكندرة)، فانضمت إلى جانبهم (٧٨ قبل الميلاد) فانتقموا انتقاماً رهيباً من الصدوقيين، وقتلوا منهم جمهوراً غفيراً. . وظلت المعارك بين الفريقين محتدمة مع غلبة الفريسيين وصعود نجمهم إلى زمن المسيح. . ثم انقرض الصدوقيون مع مرور الأيام.

(٤) الآسيون (الأسينيون):

ظهرت هذه الفرقة في حدود القرن الثالث قبل الميلاد، واستمرت في زمن الدولة المكابية إلى قرب عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

والمشكلة في تاريخ هذه الجماعة، هو غموضها، وندرة ما كتب عنها، وقد اندثرت هذه الفرقة بكاملها، حول زمن المسيح عليه السلام.

ورغم أن المؤرخ اليهودي (يوسيفوس) (يوسف) قد كتب عنها إلَّا أن ما ذكره عنها كان قليلاً جداً. وذكر الفيلسوف اليهودي (فيلون الإسكندري) (القرن الأول بعد الميلاد) هذه الفرقة وسماها (Theraputy Theo) أي أطباء الله، أو خدم الله، لأن كلمة «ثيرابيوتي» اليونانية، تعني (الطبيب) أو (الخادم). . وفيلون كان يكتب باليونانية لأنه عاش في دولة البطالسة(ورثة الإسكندر المقدوني) في الإسكندرية. وكانت لغته الأولى اليونانية.

ويسمون «الآسيون» نسبة إلى (الآسي) وهي كلمة آرامية ومعناها نفس معنى الكلمة باللغة العربية، أي (الطبيب) أو (المداوي). واللغتان الآرامية والعربية من أصل واحد. ولُقِّبَ الآسينيون أو الآسيون، كذلك: لأنهم كانوا يقومون بمعالجة المرضى بالأعشاب وبالأدعية والرقى تقرباً إلى الله، ويمزجون علاج الجسد بعلاج الروح.

وقد ذكر المؤرخ والعالم الطبيعي (بلينوس الروماني) الذي عاش في القرن الأول

للميلاد (٢٣ ــ ٧٩ بعد الميلاد). هذه الجماعة أيضاً في كتابه «التاريخ الطبيعي».

واحتار الناس في هـذه الجماعـة، حيرةً شـديدةً حتى جاء عام ١٩٤٧م. عنـدما اكتشفت مجمـوعة كبيـرة من المخطوطـات بالقـرب من البحر الميت في مغـارة تعـرف بـاسم مغارة قمـران. وقد اكتشفت صـدفة عنـدما وجـدهـا راعي غنم فلسـطيني.. ثم وصلت بعد فترة لأحـد علماء الآثـار والتاريـخ فعـرف قيمتها.. وبعـد الحرب العـربية الإسرائيلية الأولى (١٩٤٨) استؤنف البحث عنهـا ووجد المـزيد منهـا. وسنذكـر بعض تفاصيلها بعد أن نوضـح شيئاً عن طقوس وعقائد هذه الفرقة.

وقد انتهـج الآسيون حياة الزهـد والتقشف والطهـارة. وكانت مبـادئهم تقوم على الطهارة الحسية والطهارة المعنوية.. وكانـوا يكثرون من الاغتسـال والتنظف بـالماء.. ولذا زعم بعض الباحثين أن اسم هـذه الجماعـة يرجـع إلى كلمة «ساحيـا» والتي تعني (النزول إلى الماء والاغتسال فيه)[١]. وزعم بعضهم أن اسم هذه الجماعـة يرجـع إلى كلمة «حَسْيا» أو «حَسين» (وهي قـريبة من معنى الكلمـة في اللغة العـربية أيضـاً فتقول حَسْين للشيء الحسن).. وقيل إن اسمهم يرجـع إلى الكلمـة اليونـانية «أوسيـوي» أي الأبـرار أو القديسين[٢].. ولكن هـذا بعيد، لأن هـذه الجماعـة كـانت تـرفض التـأثيـر اليوناني، وتستخدم اللغة الآرامية السائدة في المنطقة واللغة العبرية، وهي لغة الكتاب المقدس لديهم.

وكانت هذه الجماعة تتميز: بالنظافة والطهارة الحسية والمعنوية.. وتلبس الثياب البيضـاء. وكـانت قليلة الكـلام، وتعيش منعـزلـة في جمـاعـات، وعلى كـل جمـاعـة رئيس.. وكان الرئيس الأعلى لهذه الجماعـة يسمى العدل أو الهـادي[٣].. وكانـوا قد اعتزلوا قـومهم اليهود وأنكـروا عليهم عقائـدهم وسلوكهم.. وامتنعوا عن أكـل اللحوم

---

(١) دائرة المعارف العبرية: ٢/٢٢٣ ــ ٢٤٦.. كمـا ينقله عنها د. حسن ظـاظا في الفكـر اليهودي الديني، ص ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) محـاضرات الـدكتور عمـر الفاروق (الأمـريكي المسلم) لـطلبـة كليـة الآداب، جـامعـة الملك عبد العزيز ــ جدة ١٩٨٦م، غير مطبوعة.

والذبائح . . (والذبائح كما نعلم من أهم عقائد اليهود . . وتقريبها يشكل أهم أنواع العبادة: وأحبها إلى الله بزعمهم، وخاصة عند حرقها، وشم اللحم المشوي الذي به يحصلون به دائماً على رضى الرب كما يزعمون) . .

وكانوا يعملون بأيديهم، ولا يسألون الناس إلحافاً . . وهناك نظام صارم لا يقبلون أحداً أن ينضم إلى جماعتهم، إلاَّ بعد أن يمرَّ بهذا النظام والإمتحان. وهم يشتغلون بالزراعة في منطقتهم، ويكتفون بالقليل من الطعام، ويحرصون دائماً على لبس الثياب البيضاء، وتقديم الصلوات، وخاصة الفجر، التي يقيمونها في جماعات كبيرة.

وكانوا يداوون المرضى تقرباً إلى الله بالأعشاب وبالأدعية . . والراجح من الأقوال: أن اسمهم مشتق من كلمة «آسي» أي (الطبيب المداوي) . . وإذا داووا شخصاً تقربوا إليه ليدعوه إلى الله وإلى السمو الروحي، ونظافة اليد والقلب . . وكانوا لا يتزوجون (على أرجح ما قيل فيهم). وكانوا يتبنّون الأطفال اللقطاء والأيتام والذين يتخلى عنهم آباؤهم، فينشؤونهم على عقيدتهم، ويربونهم بتربيتهم الروحانية العالية.

وكانوا دائماً في انتظار ظهور المسيح، لأن ما لديهم من كتب وعقائد كانت تؤكد لهم قرب ظهوره وأوان بزوغه، كما كانوا أيضاً ينتظرون النبي الذي سيظهر من فاران (مكة)(١).

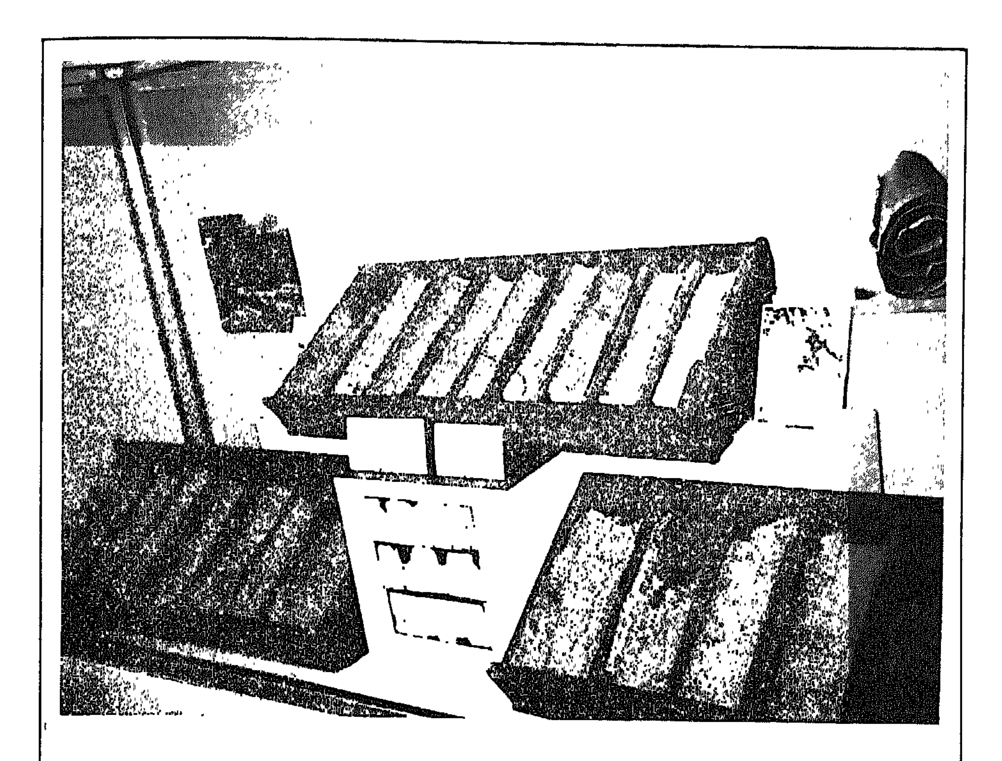
وكانوا يؤمنون بأسفار موسى الخمسة، والأسفار الأخرى، ولديهم منها نسخ بالعبرية تعتبر أقدم ما عثر عليه باللغة العبرية إلى اليوم، بل أقدم مخطوط للكتاب المقدس إذ أن أقدم المخطوطات، وهو النص المسوري، يرجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد، وهو موجود في حلب في سوريا(٢).

ولسنا ندري، هل كانت هذه الجماعة موجودة عندما ظهر المسيح عيسى بن مريم أم لا؟ والراجح لدينا أنها اندثرت بسبب غامض . . وبما أن تعاليمها كانت تدعو

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكتب المقدسة: كتب الشريعة ــ الدراسة «المدخل إلى الكتاب المقدس والعهد القديم»، التي قدمتها الترجمة المسكونية الفرنسية والرهبانية اليسوعية، دار المشرق ــ بيروت ١٩٨٤م.



صورة لبعض مخطوطات مغارة قمران الأثرية الهامة، الموجودة في متحف عمان (متحف القلعة الرومانية)، وقد كتب تحتها ما يلي: «وُجدت المخطوطات في أحد كهوف قمران على الشاطىء الغربي للبحر الميت وقد كتب عليها مجموعة من الأساطير (!!) التي تدل على وجود دفائن قديمة مكونة من الذهب والفضة تزيد في وزنها على مائتي طن. وقد وضعت في المنطقة الممتدة من نابلس وحتى الخليل. وقد اكتشفت هذه المخطوطات صدفة سنة ١٩٤٧م من قبل أحد الرعاة البدو في بعض كهوف قمران وقد كتب عليها الآسينيون، الذين كانوا يقيمون في قمران على قطع من الجلد وورق البردي والنحاس (في الصورة رقائق ملفوفة من النحاس)..

وبسبب الوضع المضطرب الذي ساد المنطقة بعد ثورة اليهود على الرومان سنة ٦٦ بعد الميلاد عمد الآسينيون إلى مخطوطاتهم التي تحتوي على نبوءات قديمة، وآمالهم في عالم أفضل، وطقوسهم الدينية، ومؤلفاتهم الموضوعة والمترجمة، فأخفوها كلها في الكهوف.

وحوالي ثلثها كان من كتب العهد القديم، وأقدم بمئات عديدة من السنين من أية مخطوطات عبرية للعهد القديم. وقد كتبت المخطوطات باللغة الآرامية والعبرية وترجع في تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد إلى سنة ٦٨ بعد الميلاد.».

أرسل لي هذه الصورة الطالب النجيب محمد نايف عبد الله، أحد طلبة كلية الطب في الجامعة الأردنية بعمّان، بعد أن رافقني ــ جزاه الله خيراً ــ في زيارة متحف القلعة الرومانية في عمّان بجبل القلعة أثناء زيارة قمت بها لعمّان لإلقاء محاضرات في المستشفى الإسلامي وكلية الطب (مارس ١٩٨٩م).

بقوة إلى المسيـح . . وكانت تنتظر ظهوره بفارغ الصبر، فإنه من الغريب حقـاً أن يظهـر المسيـح عيسى بـن مـريم عليه السـلام، دون أن يذهبـوا على الأقـل للقـائـه ومعـرفـة ما يقول. وهل هو حقاً المسيـح المنتظر؟ وخاصة أن التعاليم التي كان يدعو إليها قريبة جـداً مما كانـوا يمارسـونه . . مثـل الغـطاس في المـاء والصمت والـزهـد، والتقلل من الـدنيا، والاعتمـاد على العمل لكي يقتـاتـوا . . والبعـد عن الـزواج . . وكثـرة الصيـام والصلاة ومداواة المرضى . . وقد اشتهر المسيـح وتلاميذه ورسله الذين أرسلهم للدعوة إلى الله بمعجزاتهم في إبراء المرضى الذين عجز الطب عن شفائهم.

لهـذا كله نرجـح، أن هـذه الجماعـة قد أبيـدت بشكل غـامض جداً قبـل ظهور المسيـح عليه السلام . . ومما يدلل على ذلك أن مخطوطات مغارة قمـران التي اكتشفت فيما بين سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٥٦ تدل على أنها قد نسخت في فتـرة معينة وقصيـرة من الزمن على ملفات أو طوامير جـديدة من الجلد. عـولجت وهذبت لهـذا الغرض، وأن هذه الطوامير لُفَّت بالكتان المدهون بالقار لمنـع الرطوبة والحشـرات. وبالتـالي وضـح للعلماء أن الناسخين كانوا يـريدون الاحتفـاظ بتراث معين يخـافون عليـه من الضياع. ولـم يكتـف أولئك القوم بهـذا كله، بل وضعـوا اللفائف بعنـاية في قـدور أسطوانيـة من الفخـار، ولها أغـطية من الفخـار، صنعت خصيصاً لهـذا الغرض أي غـرض الاحتفاظ بهذه المخطوطات القيِّمة[١] . .

ووجد الباحثـون في المغارة، أدوات للكتـابة والنسـخ كقنـاديل الفخـار ودوايات للحبر ولوحات يستعملها الكاتب مثل المنضدة عند الكتابة[٢].

وذلـك كله يؤكد، أن هـذه الجماعـة أحست بخطر كبيـر على حيـاتهـا، فقـامت بنسـخ كتبهـا وتراثهـا في فتـرة واحـدة، ووضعتهـا في مكـان بعيـد عن الأعين (مغـارة قمران): وضمنت حفظ هذه الكتب قدر وسعها من العاديات . . ثم تـركت مكانهـا إلى مكان آخر . . لعلها تستطيـع العودة إليه بعد زوال الخطر ولكنها لسبب ما، لم تستـطـع العودة أبداً وقضيَ عليها إلى الأبد».

---

(١) و(٢) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي: ص ٢٣٠.

ويبدو أن هذه الجماعة كانت تعاني من اضطهاد ديني، فقد وجد الباحثون في هذه المخطوطات، سفر حبقوق (من أسفار العهد القديم) وعليه حواشي وتعليقات جاء فيها أن رئيس هذه الجماعة الذين يدعونه «موريه صدق» (أي معلم الصدق والحق أو المعلم الحق) قد قبض عليه، وعُذِّبَ وأُهين، وجُرِّدَ من ملابسه البيضاء ثم صلب[1].

ومما يؤكد أن هذه الجماعة كانت قد اندثرت عند ظهور المسيح عليه السلام، هو أن المسيح لم يذكرها فيما وصل إلينا، مع أنه ذكر طائفة الفريسيين والصدوقيين وقد هاجم المسيح عليه السلام هاتين الطائفتين وخاصة الفريسيين والكتبة، لأنهم كانوا أشد الناس ضراوةً في معاداته، وهم الذين ألّبوا عليه الناس، وحاولوا قتله وصلبه.

وقد تميَّزت جماعة الآسيين بالميزات التالية[2]:

١ ــ العزلة عن الناس والمعيشة في مجموعاتهم الخاصة، بحيث يقسِّمون الواجبات بينهم.

٢ ــ حياة الزهد والكفاف.. ويقتسمون الواجبات والطعام.

٣ ــ الطهارة الحسية والمعنوية.. وتكرر الاغتسال ولبس الثياب البيضاء.

٤ ــ عدم أكل اللحوم، وتحريم الذبيحة والقرابين الدموية التي كانت أساسية في عبادة اليهود.

٥ ــ عدم الزواج.

٦ ــ تحريم الاستعباد والرق، ويقولون بالحرية للناس جميعاً.

٧ ــ يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وأحكامها، ويبدو أن ما لديهم من النصوص يختلف كثيراً عن النصوص الموجودة لدى الفرق الأخرى، حيث إن الذبائح

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٣٣.

(٢) نقلاً عن كتاب التراث الديني اليهودي، للدكتور حسن ظاظا، (بتصرف).

والقربان الدموي في نصوص التوراة الموجودة إلى اليوم أساسية جداً في عقائد اليهود وهم ينكرونها والزواج عند اليهود أساسي وهم يبتعدون عنه.

٨ ـ كانوا يؤمنون بمجيء المسيح، ويعيشون في انتظار ظهوره، لنصرته وتأييده. . ويبدو كذلك أنهم كانوا ينتظرون النبي الذي يشرق من فاران (من جبال مكة).

٩ ـ كانوا يؤمنون بالبعث والنشور والجنة والنار.

١٠ ـ كانوا يؤمنون بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

١١ ـ كانوا يؤمنون بالملائكة والجن والأرواح الطيبة والشريرة.

١٢ ـ كانوا يؤمنون بأن الله هو المتصرف في كل شيء. وليس من الضروري أن تتفق تصرفاته مع اجتهادات عقولنا.

١٣ ـ كانوا يلتزمون بالفضيلة والطهر والعفاف ويبتعدون عن الشر ولا يلجأون إلى العنف.

١٤ ـ كان منهم أطباء يتبرعون بمداواة المرضى احتساباً وطلباً للمثوبة من الله تعالى.

مخطوطات مغارة قمران والبحر الميت[1]:

تعتبر مخطوطات مغارة قمران «البحر الميت»، من أهم الاكتشافات في مجال الكتب الدينية، والتي لها أهمية خاصة بالنسبة لليهود والنصارى، بل ولغيرهم من الملل والنحل وخاصة بالنسبة للمسلمين، لأن هذه المخطوطات توضح: أن التوراة وأسفار العهد القديم الحالية تختلف عما كان موجوداً لدى هذه الفرقة (الآسيين) من اليهود، والتي تعتبر مخطوطاتها، أقدم مخطوطات عثر عليها حتى الآن. وقد كتبت حوالي

---

(١) مصدر هذه المادة محاضرات غير مطبوعة للدكتور عمر الفاروق، لطلبة كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز بجدة؛ وكتاب الدكتور حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، دار القلم، ١٩٨٧م؛ ودائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥: ٢/ ٨٧٩؛ والدراسة المدخل للكتاب المقدس «كتب الشريعة»، الترجمة المسكونية الفرنسية والرهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت.

القرن الأول قبل الميلاد. وربما قبل ظهور المسيح عليه السلام بفترة وجيزة.. وللعلم فإن النص المسوري للتوراة والعهد القديم، يرجع إلى القرن التاسع بعد الميلاد والنص الكامل يرجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد، وهو موجود في حلب..

وهناك توراة قديمة موجودة في اليمن، ولكن لم تدرس بعد، وقد بلغني أن (هنري كيسنجر) حاول أن يشتريها من الحكومة اليمنية التي رفضت بيعها. وقد أحسنت بذلك صنعاً.

والمخطوطات المتعلقة بالعهد القديم والتوراة والعهد الجديد التي اكتشفت في هذا القرن هي:

١ ــ **اكتشاف نسخة لكتاب راعي (هرمس) سنة ١٩٢٢**. وهرمس هذا كان راعي كنيسة وقد طردته الكنيسة التابعة (لبولس) محرّف دين المسيح.

٢ ــ **اكتشاف مجموعة كبيرة من كتب الطائفة النصرانية (الغنوسطية) القديمة في مغارة بالقرب من نجع حمادى بالصعيد المصري**. وتحتوي هذه المجموعة على (٥٢) مخطوطاً.

٣ ــ **اكتشاف مخطوطات البحر الميت ومغارة قمران**. وقد اكتشفت هذه المخطوطات بمحض الصدفة، حيث كان أحد الرعاة العرب البدو من فلسطين يرعى غنمه في صخور «خربة قمران» بقرب قرية «عين فشخة» في منطقة أريحا على البحر الميت (جنوب غرب البحر الميت). وشردت على هذا الراعي (واسمه محمد الديب) أحد أغنامه إلى داخل المغارة فلما تبعها وجد طومارا ملفوفاً فيه مخطوط بلغة لا يعرفها. وذلك في ربيع سنة (١٩٤٧م) فأخذ المخطوط وعرضه على تاجر للسلع السياحية والآثار في بيت لحم يدعى (خليل اسكندر). وكان التاجر كذلك يجهل قيمة هذا المخطوط فعرضه على راعي كنيسة القديس (مرقس) الذي كان بدوره جاهلاً في هذه المواضيع. وأخيراً وصلت النسخة إلى المستشرق الدكتور (جون تريفو) في المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية بالقدس في ١٨ فبراير ١٩٤٨، وعرف على الفور قيمتها التاريخية المذهلة.

ولكن قيام الحرب الإسرائيلية العربية الأولى (١٩٤٨م) حال دون استكمال البحث عن بقية هذه المخطوطات.

وعرف البدو الساكنون في هذه المنطقة أن هذه المخطوطات لها أهمية بالغة فأسرعوا بأخذها، وأخذوا يبيعونها لمن يدفع الثمن وهو ثمن بخس على أية حال بالنسبة لقيمة هذه المخطوطات.. وتمَّ العثور على ستمائة مخطوط في الفترة ما بين عام ١٩٥٢ و١٩٥٦.. وهي أكبر ثروة في عالم المخطوطات الدينية تمّ العثور عليها حتى الآن.. وستغير مفاهيم كثيرة إذا تمَّ نشر محتوياتها..

وقد استولت الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل على نصيب الأسد من هذه المخطوطات وبقي شيء يسير منها لدى الحكومة الأردنية وحصلت فرنسا على جانب من هذه المخطوطات.. وربما ظهرت مخطوطات أخرى لدى أناس آخرين لبيعها بثمن مرتفع.

وقد وجدت المخطوطات في حالة جيدة بسبب طريقة الحفظ والصون، التي قام بها أصحابها وقد تم نسخ هذه النسخ في زمن واحد تقريباً على طوامير جديدة من الجلد بعد تهذيبها ومعالجتها لهذا الغرض. وكانت ملفوفة في لفات من الكتّان المدهون بالقطران لأجل المحافظة عليها من الحشرات والرطوبة ثم وضعت في قدور من الفخار لها أغطية من الفخار أيضاً. ويبدو أن هذه القدور، صنعت خصيصاً للاحتفاظ بهذه المخطوطات. ووجد في المغارة أدوات للكتابة ودوايات حبر ومناضد للكتابة وعدة آثار أخرى.

واكتشف الباحثون بالقرب من المغارة بقايا دير أو مستعمرة كاملة كانت تعيش فيها هذه الجماعة المؤمنة الفارَّة بدينها.

وترجع هذه المخطوطات إلى القرن الثاني قبل الميلاد، كما يقول الخبراء.. وهي بذلك أقدم مخطوطات للعهد القديم والتوراة عُثر عليها حتى الآن.

وكان من ضمن تلك المخطوطات، مخطوط عنوانه «حرب أبناء النور مع أبناء الظلام» وهذه الحرب الخيالية تدور في آخر الزمان بين الجماعة الخيّرة الصالحة وبين

الأشرار من جميع الأجناس بما في ذلك اليهود.. وفي هذا الوصف تفاصيل دقيقة عن تنظيم جيش النور. وعندما بحث المختصون بالفنون العسكرية هذه التفاصيل العسكرية للجيش الخيالي، وجدوها تشبه الكتائب العسكرية الرومانية في هذه المنطقة من العالم في منتصف القرن الأول قبل الميلاد..

ووجدت أدلة أخرى كلها تشير إلى أن هذه الجماعة كانت موجودة في أواسط القرن الأول قبل الميلاد، في هذا المكان، وإنها ربما اضطرت تحت تهديد خطر ماحق إلى الهرب من المعقل الذي كانت تعيش فيه.. وفي تلك الفترة القصيرة، نسخت كل تراثها بهذا الشكل الموحد وخبأته في تلك المغارة على أمل العودة إليه مرة ثانية.. ولكن يبدو أنها قد ذهبت إلى غير رجعة.. وأن الخطر الماحق الذي هدد كيانها، قد لاحقها وقضى عليها.

ورغم مرور أكثر من ثلاثين سنة، على الاكتشاف الكامل لهذه المخطوطات النفيسة، ورغم ظهور عدة كتب وعشرات المقالات حول هذه المخطوطات. إلَّا أن هذه المخطوطات لم تنشر إلى الآن. وكل ما نشر منها أشياء قليلة بالنسبة للكنوز التي لا تزال مخبوءة. ويبدو أن هناك سبباً قوياً يدفع لعدم الإفصاح عن مكنونات هذه المخطوطات التي بدأت فعلاً تقلب كيان الدراسات التوراتية ودراسات العهد القديم.. والقليل الذي نشر يوضح إلى أي مدى، عبثت الأيدي بأسفار التوراة وأسفار العهد القديم. وبما أن هذه المخطوطات هي أقدم المخطوطات الموجودة، ومخطوطات النص المسوري المعتمد لدى اليهود والنصارى للعهد القديم، ترجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد!! أي بعد عصر موسى عليه السلام بحوالي (٢٥٠٠) عام!! فإن هذه المخطوطات ينبغي أن تعتبر المرجع الأول للدراسات التوراتية ودراسة كتب العهد القديم.

وقد أظهرت النصوص المنشورة من هذه المخطوطات النفيسة، بل والتي لا تقدر بثمن لوائح تنظمية في داخل معسكرات هذه الجماعة، وكيفية ترتيب أمور معاشها، ومسؤوليات كل مجموعة صغيرة، ومسؤوليات الأفراد العاديين، ومسؤوليات القائمين على شؤون الجماعة، حتى تصل إلى القائد الأعلى الذي يسمونه «مورية صدق» أي «معلم الصدق والحق» أو «المعلم الحق»...

وفي تعليق على هامش سفر (حبقوق) أن أحد هؤلاء القواد للجماعة ألقي القبض عليه وعذب وأهين ثم صلب. . .

وتوضح النصوص المنشورة من هذه المخطوطات، مجموعة من الصلوات والأناشيد والابتهالات وأدعية الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى.

وهناك تفاسير على بعض النصوص المقدسة. منها مختصر للأسفار الخمسة (وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام والموجودة بين أيدي الناس اليوم). وهناك تفاسير وشروح لسفر (ميخا) و (حبقوق) و (ناحوم) و (المزمور ٣٧).

وهناك نصوص كثيرة تتحدث عن قرب مجيء المسيح المخلص. . وقد كانت هذه الجماعة تنتظر خروج المسيح عيسى بن مريم، الذي بشّرت به أسفار التوراة، وأسفار العهد القديم، كما كانوا ينتظرون ظهور نبي يستعلن من فاران (جبال مكة).

ولديهم كتاب فيه أصول السلوك في المجتمع الحق. ونص يتعلق بوصف يوم الدينونة والجزاء وأهوال القيامة وعنوانه «الشر القادم». كما أن لديهم نصاً يسمى العهد الجديد، (طبعاً ليس له علاقة بالعهد الجديد لدى النصارى لأنه يسبقه بأكثر من قرن من الزمان).

وقد حاول بعض الباحثين أن يفرق بين جماعة قمران وجماعة الآسيين على اعتبار أن الآسيين كانت جماعة تنبذ العنف. . ولكن من الواضح جداً أن مكان الآسيين هو مكان جماعة قمران، وأن تعاليمهم واحدة، ما عدا ما يبدو من استعداد للقتال لدى جماعة قمران. . وليس في الأمر غرابة فإن هؤلاء المؤمنين والمنتظرين مجيء المسيح الحق لا بد لهم أن يستعدوا للجهاد في سبيل الله، لأن قوى الظلام والكفر ستجتمع كلها لمحاربة المسيح. . وعليهم أن يستعدوا لنصرته. .

وهذا ما حدث بالفعل للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فكل قوى الشر والبغي والعدوان المتمثلة في المجتمع اليهودي، وبالذات في جماعة الفريسيين تناوت للقضاء على المسيح عليه السلام.

وعلى هذا فإن الآسيين (جماعة قمران) كانوا على حق في استعدادهم لنصرة السيد المسيح عليه السلام.

هذا لا يمنع أنهم كانوا في فترة الانتظار يمنعون أفرادهم من القتال وينادون بالسلام.. رغم ما أصابهم من أذى مستطير حتى أن قائدهم الأعلى قد عُذِّبَ وأهين ثم صلب، كما جاء في تعليق كتبه أحدهم على مخطوط سفر حبقوق...

ولا مجال إذن للالتباس فهما جماعة واحدة كانت تعيش بالقرب من مغارة قمران في جنوب غرب البحر الميت بالقرب من أريحا.. وهذه الجماعة تدعى الآسيين نسبة إلى الآسي أي (الطبيب المداوي) نظراً لاشتغال أفراد منهم بمداواة المرضى احتساباً وطلباً للمثوبة من الله تعالى، حيث لم يكونوا يأخذون على ذلك أجراً.

وقد قضت قوى الشر والظلام فعلاً على هذه الجماعة النقية الطاهرة الصالحة المؤمنة الموحدة.. وبعد مرور أكثر من ألفي عام ظهرت كتابات ومخطوطات هذه الجماعة لتوضح للعالم مدى ظلم وجبروت وطغيان يهود.. وللأسف فإن أيدي يهود وأتباعهم لا تزال تحاول أن تمنع ظهور هذه الحقائق الهامة التي بدأت تتسرب رويداً رويداً...

ومهما فعل دعاة الظلم والظلام فإن النور والحق لا بد أن ينبلج ويسود.

(٥) الأبيونيون (الفقراء إلى الله).. المساكين: (Ebonites)

وهذه فرقة أخرى من فرق اليهود التي آمنت بعيسى بن مريم عليه السلام، رسولاً من الله. وأعلنت أنه بشر مرسل من رب العالمين وأن أمَّه صديقة. وأنه لم يصلب بل رفعه الله...

وقد حاربهم محرِّف دين المسيح بولس (يسمونه القديس بول) واستطاع أن يقضي عليهم.. ومع مرور الزمن نسيهم الناس كلية.

وكما استطاع جنود الظلام، وقوى البغي والعدوان، القضاء على الفرقة الخيِّرة الصالحة المعروفة بجماعة الآسيين أو جماعة قمران، وذلك قبيل ظهور المسيح

عيسى بن مريم عليه السلام، فإن قوى الشر استطاعت أيضاً أن تقضي على هذه الجماعة الأحدث ظهوراً والتي تبعت عيسى بن مريم عليه السلام.

وكلمة «ابيون» العبرية، التي يُنسبون إليها، تعني (الفقير أو المسكين). . فهم إذن جماعة «الفقراء إلى الله». وهو تعبير شائع جداً لدى المسلمين إلى اليوم، وهذا التعبير قديم لدى اليهود أيضاً. ويذكر المؤرخ الألماني (جريتس)[1] أنه يعود إلى أيام القضاة. . ففي سفر القضاة (١٧: ١٠ ــ ١٣) أنّ ميخا صنع تمثالاً من الفضة وأقام معبداً، وبما أن اللاويين كانوا هم الكهنة، فقد بحث عن لاوي فوجده وأعطاه فضة وحللاً وأموالاً بشرط أن يكون كاهناً لذلك المعبد. . . وقبل اللاوي ذلك الشرط وأقام عبادة الوثن، وكسب من ذلك أموالاً. .

وعندما علم اللاويون بذلك قرَّر بعضهم ألَّا يؤجر نفسه لأحد وألَّا يأخذ على تعليم الدين والتوراة أي مال، وعاشوا عيشة الكفاف والزهد والقناعة، وتسموا باسم المتقشفين أو الفقراء. وكان منهم الكاهن (عالي)، الذي تولَّى تربية النبي صموئيل.

وهؤلاء الأبينيون يعيشون حياة الزهد والقناعة ويكرهون ما كان يفعله الكهنة وخاصة من طائفة الفريسيين أصحاب التظاهر والنفاق. . والقسوة والرشوة والتحايل على الدين، مع التمسُّك بالقشور والطقوس بصورة متصلِّبة. وقد أدى ذلك إلى لعنهم على لسان عيسى بن مريم عليه السلام والتنديد بأفعالهم وخبثهم وقاذوراتهم وكِبرهم ومكرهم وحقدهم ولؤمهم وغرورهم

وقد اتّبعت هذه الجماعة من الأبيونيين (الفقراء إلى الله)، تعاليم أشعيا وغيره من الأنبياء قبل ظهور المسيح. واستمع إلى قول الرب في سفر أشعيا (١: ١١ ــ ١٧) تدرك على الفور فلسفة هذه الجماعة النقية الصالحة من بني إسرائيل: «ما فائدتي من كثرة ذبائحكم، يقول الرب. قد شبعتُ من محرقات الكباش وشحم المسمنات، وأصبح دم العجول والخراف والتيوس لا يرضيني. حينما تأتون لتمثلوا أمامي، من

(١) كما ينقله عنه د. حسن ظاظا في كتابه: الفكر الديني اليهودي: ص ٢٣٦.

طلب هـذا من أيديكم حتى تـدوسوا مسـاكني. لا تعودوا لـلإتيان بتقـدمة بـاطلة (وهي مـا يقدَّم للرب في المعـابد) فـالبخور لـديَّ رجس، ومستهل الشهـور والسبـوت ونـداء المحفـل لا أطيقها. إنمـا هي إثم وتصنُّـع (نفاق وتـظاهر بـالـدِّين). رؤوس شهـوركم وأعيادكم (التي يقدمون فيها القرابين والذبائـح) كرهتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً، وقد سئمت احتمالها. فحين تبسـطون أيديكم أحجب عيني عنكم، وإن أكثـرتم من الصلاة لا أستمـع لكم، لأن أيديكم مملوءة من الدماء. فاغتسلوا وتطهَّروا وأزيلوا شر أعمالكم من أمـام عيني، وكفّوا عن الإسـاءة، تعلَّمـوا الإحسـان، والتمسـوا الإنصـاف. أغيثـوا المظلوم وأنصفوا اليتيم والأرملة».

ويقـول أرميـا (٧: ٢١ ــ ٢٢): «هكـذا قـال رب الجنـود إلـه إسـرائيـل. لمّـوا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحمها، فإني لم أكلِّم آباءكم ولم آمـرهم يوم أخـرجتهم من أرض مصر، بمحرقة ولا ذبيحة».

وقد أعلن الرب على لسان الأنبياء المتـأخرين في أكثـر من مناسبـة ضيقة بهـذه المحارق واللحم المشوي والذبائـح التي زعم الأحبار من اليهود أن الـرب يشتاق إليهـا جـداً. وأنه لا يـرضى إلاَّ بعد أن يشم رائحـة الشواء.. وقـد أوضحنـا كثيـراً من هـذه النصوص الزائفة والمحرَّفة التي تدعو إلى المحارق واللحم المشوي.. والتي يزعمـون فيها أن الرب مستعد بعدها أن يعطي السائل كـل شيء ولو كـان أرض الغير وأمـواله.. وذكرنا ذلك كله في فصل (الله جـل جلالـه) كما تصـوره تعاليم التـوراة والعهد القـديم والتلمود[1]..

ومـع هـذا، فقد ظهـرت أقوال كثيـرة للأنبيـاء المتأخـرين، تدعـو إلى المرحمـة والشفقة بالمسكين بدلاً من المحارق.

ويقول أرميا (٢٠: ١٣): «رنِّموا للرب. سبِّحوا الرب، فإنـه أنقذ روح المسكين (أبيون) من أيدي فـاعلي الشر». ويتحـدث الأنبياء كلهم عن المسـاكين المتواضعين، وإنهم أحبـاب الله، وأمـا المتجبـرون العتـاة فهم أوليـاء الشيـطان أول المتكبـرين والمغرورين، والقائل: «أنا خير منه».

(١) الجزء الثاني من هذا الكتاب بعنوان: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم.

ويتحدَّث النبـي صفنيا عن هؤلاء المسـاكين المتواضعين من بني إسـرائيل، وهم قليـل، بل أقـلّ من القليل: «سـأبقي فيما بينـك شعباً وديعـاً فقيراً، فيعتصمـون بـاسم الرب. فبقية إسرائيل لا يصنعون الإثم ولا ينطقون بالكذب ولا يوجد في أفواههم لسان مكر». (صفنيا ٣: ١٢ ـ ١٣).

والنصوص منبثّة في أسفـار الأنبياء المتـأخرين، على وجـه الخصوص، الـداعية إلى التواضـع والمسكنة والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى. . ومـع هذا فلم يترك الأحبار هذه الأسفار على نقائها، بل أضافوا إليها كثيراً من غثائهم وكِبرهم وغرورهـم وعنادهـم.

وعندما فتـح الإسكندر المقدوني فلسـطين في أواخر القـرن الرابـع قبـل الميلاد (٣٣٠)، كان بقيتهم لا يزالون موجـودين. وقد كتب الفيلسـوف اليونـاني «ثيوفـراست» (تلميذ أرسطو، والذي صحب هذه الحملة على فلسطين) يصف هذه الجماعة، فقال: «ومنهم، أي اليهود، مَن وهب حياته للتأمـل والدرس، وتعليم خفـايا الحكمـة ومعرفـة الحياة والكون». وهو وصف ينطبق على فئة «الفقراء إلى الله»الأبيونيون.

وقد بقيت هذه الطائفة المحـدودة إلى زمن المسيـح عيسى بن مريم فـآمنت به. قال تعالى: ﴿فـآمَنَتْ طائفـة من بني إسرائيـل وكفرت طـائفة فـأيَّدْنـا الذين آمنـوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾.

وانتصر الذين آمنوا بعيسى كما قال رب العزة سبحـانه وتعـالى. . ولكن سرعـان ما جاء (بولس الرسول) وهو من أكـابر الفـريسيين، أخبث فرق اليهـود، وادّعى الإيمان بعيسى، حتى أن (برنابا) وهو أحد الحواريين، وقف معه وأيّده واغترَّ بتظاهره بالإيمان. بينمـا كان بقيـة الحواريين يتشككـون في بولس. . ولكن مـا لبث بـولس أن قلب ظهـر المجن لـ (برنابا) واستطاع بـذكائـه وحيله الشيطانيـة أن يلبّس الأمر. . وكـان يتجه إلى كل فرقة ويكلمها وكأنه منها. . حتى الفرق الوثنية المختلفة، استطاع أن يجتـذبها لأنـه كـان يـوافقهـا على جـزء ممـا هي عليـه من الـوثنيـة، وأكـل لحم الخنـزيـر وشـرب الخمـر. . . إلخ. واستـطاع (بولس) في فتـرة وجيزة أن يكـون هـو وأتبـاعـه، أصحـاب الصوت الأقوى في المسيحية، وكتب (برنابا) يشكو بمرارة من بولس هذا.

ولم يكن (بـرنابـا) وحـده هـو الـذي شكى من مؤامـرات بـولس وحيله الـرهيبـة

وتحريفه لدين المسيح عيسى بن مريم. وجعلِهِ عيسى ابن الله وثالث ثلاثة. . . إلخ، ولكن هؤلاء الأبيونيون (الفقراء إلى الله) أيضاً عانوا من حيل بولس وتحريفه. . ووقفوا بصرامة وصراحة ضد تلفيقاته، وآمنوا بعيسى نبياً ورسولاً، واحتفظوا بتعاليم التوراة (الناموس)، لأن عيسى عليه السلام يقول: لم آتِ لأغيِّر الناموس.

وكانت نداءات عيسى وكلامه تشير إليهم كثيراً. فقد جاء في إنجيل متّى (٥ : ٣ ــ ٩) قوله عليه السلام: «طوبى للمساكين بالروح (الأبيونيون) فإن لهم ملكوت السمٰوات. طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض. طوبى للحزانى فإنهم يتعزون. طوبى للجياع والعطاش إلى البرِّ فإنهم يشبعون. طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون. طوبى لأنقياء القلب فإنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام لأنهم يدعون أبناء الله»، على المعنى المجازي.

وقد بقي الأبيونيون هؤلاء فترة طويلة، نسبياً، من الزمن. . ولم يندثروا إلَّا بعد أن دخل الإمبراطور الروماني قسطنطين في المسيحية. . ودخلت الطقوس الوثنية معه بقوة إلى المسيحية. . واستطاعت الإمبراطورية الرومانية بقوتها أن تقيم المؤتمرات المتتالية (نيقية سنة ٣٢٥م، والقسطنطينية سنة ٣٨١م، وأفسس سنة ٢٤٣١، وخلقيدونية سنة ٤٥١ م)، حتى وصلت إلى إلغاء عشرات الأناجيل واعتماد أربعة منها فقط. واعتماد عقيدة التثليث (Trinity)، ومحاربة ما عداها من عقائد التوحيد. .

واندثرت فرقة الأبيونيين الموحدة مثلما اندثرت فرق كثيرة من فرق النصارى الصغيرة الموحدة، تحت ضغط الدولة الرومانية الجبارة. . وتحت ضغط تعاليم بولس التي أخذت رويداً رويداً صفة الممثل الوحيد للمسيحية. ويذكر كتاب «الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية» للدكتور عبد المنعم الحفني، هذه الفرقة بأنها من فرق اليهود المتنصرين الذين تمسَّكوا بالناموس (الشريعة) وآمنوا بالمسيح كرسول وليس كإله وشايعوا كبيرهم (سيرنيش)، فقالوا: إن المسيح ليس سوى رسول قد خلَت من قبله الرسل وأنكروا رسولية بولس لأنه قال بغير ذلك مجدفاً في حق الله ومستحقاً اللعنة، لأنه جعل الله ثالث ثلاثة ورفع المسيح من كونه بشر إلى مقام الألوهية. . وعندهم أن المسيح قد ورِثَ شريعة موسى وأنه لا كتاب سوى الأسفار الخمسة (أسفار

الشريعة). . وعاشوا زهاداً على الخبز والزيتون، ولم يقبلوا الخمر والخنزير ومارسوا الختان. . وعافوا الزواج أول الأمر ولكنهم أباحوه لمن أراد.

(٦) القناؤون (المتعصبون) أو السفاحون أو الجليلون أو الهيروديون:

كلمة «قنّاء» العبرية تعني «الغيور» أو صاحب الحميّة والمقصود (الغيرة أو الحميّة الدينية). .

وتشبه هذه الفرقة في عقائدها وطقوسها فرقة الفريسيين إلاّ أنها أشد تعصباً منها. وقد كانوا يتهمون الفريسيين بالجبن والخيانة لأنهم رضوا بحكم الرومان، وتعاونوا معهم. . وكانوا هم يرون: أنه لا ينبغي لوثني أن يحكم يهودي.

وقد ظهروا بعد هزيمة المكابيين، واندثار دولتهم على يد الرومان. . وتولد لديهم الشعور بمقاومة المحتلين «الرومان». وقد ظهروا منذ بداية السيطرة الرومانية في القرن الأول قبل المسيح، ثم اشتدت مقاومتهم وصلب عودهم في القرن الأول بعد ميلاد المسيح.

وكانوا يقومون باغتيال الرومان واليهود المتعاونين معهم. . وأدّى ذلك إلى تشديد القبضة الرومانية وسحب الحكم الذاتي الذي كانوا أعطوه لليهود. . وأدى ذلك بدوره إلى مزيد من تشدد فئة القنائين. . ومزيد من الاغتيالات والثورات وبالتالي مزيد من القضاء على هذه الثورات بالعنف من قبل الرومان.

ولم يكونوا يركزون حملتهم على الرومان فقط، أو حتى على أولئك الذين يتعاونون مع الحاكم الروماني من اليهود ولكنهم أيضاً كانوا يحكمون بالإعدام لمن يخالف أحكام الشريعة اليهودية ويتشددون في ذلك لدرجة أن الفريسيين (وهم من أشد فئات اليهود تعصباً، ولا يختلفون عنهم من ناحية العقيدة في شيء) أعلنوا أن القنّائين سفاحون وقطاع طرق ومتمردون وخارجون على القانون. فقد جاء في التلمود (وهو الذي كتبه أحبار الفريسيين) إطلاق اسم «سيقارين» أو «سيقاريتين» وتعنى الإرهابي أو السفاح كما أطلق عليهم لفظ «بريوناي»، أي الخارجين على القانون والمتمردين.

ويذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس[1] هذه الجماعة بصيغة المدح، ويطلق عليها صفات البطولة والجهاد ورفض حكم الأجنبي، وإنهم لا يعترفون برئيس أو سيد لهم سوى الله، وأنهم يفضلون الموت على أن يبايعوا حاكماً أجنبياً.. ويعزو نشأة القنّائين إلى حوادث الثورة التي حدثت في السنة السادسة بعد مولد المسيح والتي أدت إلى أن يعزل الرومان الحاكم اليهودي المحلي وتعيين حاكم روماني يحكمها مباشرةً بعد إلغاء ما كان لها من حكم ذاتي..

وقد بدأت هذه الحركة عندما أمر الرومان بإحصاء السكان في فلسطين لتقرير الضرائب والمكوس. وقام يهوذا الجليلي والكاهن الفريسي «صدوق» بمحاولة إشعال نار الثورة ولكن السلطات الرومانية قبضت عليهما وأعدمتهما على الفور.. وتحولت بذلك هذه الحركة إلى النشاط السري وإلى الاغتيالات.

وتولى مناحم بن يهوذا الجليلي بعد قتل والده قيادة هذه العصابات وراح ينشر الاضطرابات في أرجاء فلسطين مما أدى إلى إرسال قوات رومانية ضخمة سحقت هذه الثورة سنة ٧٠ ميلادية.

ويرجع بعض الباحثين أصول هذه الحركة إلى زمن قديم جداً، إلى زمن موسى عليه السلام عندما انتشر الزنا بين بني إسرائيل.. فقد ورد في سفر العدد أن بلعام بن باعوراء أشار على ملك المديانيين: بأن يرسل بناتهم إلى الجيش الإسرائيلي فيزنون بهن.. ومن ثمَّ تحل عليهم لعنة الله وغضبه، وبذلك فقط يستطيع التغلب على جيش فيه نبي الله موسى. وبالفعل تمَّ ذلك، وانتشر الزنا لدرجة أن رجلاً من بني إسرائيل جاء بامرأة مديانية أمام عيني موسى، وأعين كل جماعة بني إسرائيل وأدخلها ليزني بها في خيمة اجتماع الرب (وهي الخيمة التي كانت تسمى قبة الزمان لدى المترجمين القدماء والتي يجتمع فيها الرب بموسى وشيوخ إسرائيل) فلما رأى ذلك فنحاس بن العازار بن هارون الكاهن، قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القبة (خيمة الاجتماع) وطعن الرجل الإسرائيلي والمرأة بضربة واحدة

(١) كما ينقله عنه د. حسن ظاظا في كتابه: الفكر الديني اليهودي: ص ٢١٩.

وخرج بها وهما معلقان برمحه . . فرضي الرب وامتنع الوباء وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً عقوبة لهم على انتشار الزنا فيهم. «وكلم الرب موسى قائلاً: فنحاس بن العازار بن هارون الكاهن قد ردّ سخطي عن بني إسرائيل، بكونه غار غيرتي في وسطهم، حتى لا أفني بني إسرائيل بغيرتي. لذلك قل إنني أعطيه ميثاقي ميثاق السلام، فيكونون له ولنسله من بعده. . لأجل أنه غار لله وكفّر عن بني إسرائيل». (سفر العدد ٢٥ : ٦ ــ ١٣).

ويبدو أن الدكتور الفاضل حسن ظاظا التبس عليه الأمر فظن أن المديانية زوجة للرجل الإسرائيلي . .ولذا لم يفهم لماذا قام فنحاس بقتلهما ــ واعتبر ذلك تعصباً ذميماً قبيحاً حيث اعتبر أن القتل كان بسبب الزواج من مديانية.

والأمر على غير ذلك فموسى عليه السلام تزوج مديانية وتزوج كوشية، ولم يتزوج من بني إسرائيل. . والسفر صريح في إيراد قصة بلعام ومشورته على ملك المديانيين بإرساله الفتيات من أجل إغواء بني إسرائيل حتى ينتشر بينهم الزنا فيغضب الله عليهم. وفيه «وأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق الشعب ببعل فغور فحمى غضب الرب على إسرائيل. (سفر العدد ٢٥ : ١ ــ ٣).

وهذا الأمر قد أخبرنا به رسول الله ﷺ. وذكر لنا هذه القصة بحذافيرها تقريباً الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب الطب)، ولهذا نعتقد أن الأمر فيه التباس على الدكتور الفاضل الذي شدد النكير على فنحاس (وبالتالي على موسى الذي وافق على ذلك) لقتل الرجل والمرأة[1] حيث قال بالحرف الواحد «وواضح من هذه القصة أن ذلك «القنّاء» القديم المعاصر لموسى، فنحاس، كانت غيرته للرب دموية جداً لم يتحرج فيها عن القتل، بل عن قتل اثنين أحدهما من إخوانه بني إسرائيل، وامرأة غريبة ضعيفة هي الزوجة المديانية. أما مبرر هذا القتل فالعصبية العنصرية التي جعلت فنحاس الكاهن يرى في الزواج بأجنبية جريمة ما بعدها جريمة، بل جعل معاصريه من بني إسرائيل، حسب هذه القصة، يسندون الأوبئة

(١) د. حسن ظاظا في كتابه: الفكر الديني اليهودي: ص ٢١٧ ــ ٢١٨.

والـطواعين التي تفتـك بعشـرات الآلاف من أبنـاء شعب الله المختـار إلى الـزواج بالأجنبيات».

وواضـح أن الدكتور الفاضل لم ينتبه إلى أن ما فعله بنـو إسرائيـل كان زنـا وأدّى ذلك الزنـا إلى غضب الله وعقوبتـه.. بأن نشـر فيهم الأوجاع والـطواعين والأوبئة التي فتكت بأربعة وعشرين ألفاً.. وقد بلغت وقاحـة هذا الإسـرائيلي أن يـأتي بالمـرأة أمام أعين الجماعة وأمـام موسى ويـدخل «خيمـة الاجتماع المقـدَّسة» ليمـارس فيها الـزنا. ولا شك أن هذه العقوبة التي نفذها فنحاس تستحق المدح.

وإليك نص ما ذكره ابن حجر العسقلاني[1] قال:

«وأخرجه البخاري في ذكر بني إسرائيل ومسلم أيضـاً والنسائي من طـريق مالـك ومسلم أيضاً من طريق الثـوري ومغيرة بن عبـد الرحمن كلهـم عن محمـد بن المنكدر، زاد مالك: وسالم أبـي النضر كلاهما عن عامر بن سعد «أنه سمـع أباه يسأل أسـامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعـون؟ فقال أسـامة: قـال رسول الله ﷺ: الطاعون رجس أرسل على طائفـة من بني إسرائيـل، أو على من كان قبلكم» الحـديث كذا وقـع بالشك، ووقـع بالجزم عند ابن خزيمة من طريق عمرو بن دينار عن عامـر بن سعد بلفظ: «**فإنه رجز سلطه الله على طائفة من بني إسرائيل» وأصله عند مسلم**.

«والتخصيص على بني إسرائيل أخص، فإن كان ذلك المراد، فكأنه أشار بذلـك إلى ما جاء في قصـة بلعام (بن بـاعورا)، فـأخرج الـطبري من طـريق سليمان التيمي، أحد صغار التابعين عن سيار: أن رجلاً كان يقول له بلعام، كان مجـاب الدعـوة، وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام فـأتاه قـومه، فقـالوا: ادعُ الله عليهم، فقال حتى أوامر ربـي، فمنـع، فأتوه بهدية فقبلها، وسألـوه ثانيـاً، فقال: حتى أوامـر ربـي، فمنع، فـأتـوه بهـديـة فقبلهـا، وسـألـوه ثـانيـة فقـال: حتى أوامر ربـي، فلم يـرجـع إليـه بشيء، فقـالـوا لـو كـره لنهـاك. فـدعـا عليهم فصـار يجـري على لسانه ما يدعو به على بني إسرائيـل فينقلب على قومـه، فلامـوه على ذلك. فقـال سـأدلكم على ما فيـه هلاكهم. ارسلوا النسـاء في عسكرهم ومـروهنَّ أن لا يمتنعن من

(١) فتح البـاري شرح صحيـح البخـاري، المـطبعـة السلفيـة: ١٠/١٨٣، كتـاب الـطب ــ بـاب ما يذكر في الطاعون.

أحد، فعسى أن يزنوا فيهلكوا، فكان فيمن خرج بنت الملك فأرادها رأس بعض الأسباط وأخبرها بمكانته، فمكنته من نفسها، فوقع في بني إسرائيل الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً في يوم واحد. وجاء رجل من بني هارون (هو فنحاس بن العازار بن هارون) ومعه الرمح فطعنهما وأيده الله فانتظمهما جميعاً.. وهذا مرسل جيد، وسيار شامي موثق. وقد ذكر الطبري هذه القصة من طريق محمد بن إسحاق عن سالم أبي النضر فذكر نحوه. سمّى المرأة كشتا وسمى الذي طعنهما فِنحاص بن هارون.. وقال في آخره.. فحُسِب من هلك من الطاعون سبعون ألفاً، والمقلل يقول عشرون ألفاً، وهذه الطريق تعضد الأولى. وقد أشار إليها القاضي عياض».

وخلاصة القول أن ما ذهب إليه الدكتور الفاضل في كتابه القيِّم «الفكر الديني اليهودي» في هذه النقطة حول فنحاس بن العازار بن هارون، لم يكن صحيحاً..

والواقع أن القنائين أو الإرهابيين هؤلاء لم يظهروا إلاّ في فترة متأخرة جداً وبينهم وبين زمن موسى عليه السلام أكثر من ألف عام.. وهم قد ظهروا في زمن الرومان في بداية القرن الأول بعد ميلاد المسيح..

وكان زعيم هؤلاء القوم شخص يدعى يهوذا الجليلي، نسبة إلى منطقة الجليل.. وقد قام بثورته عندما بدأ الرومان في عدِّ اليهود وإحصائهم، تمهيداً لتحديد الضرائب والمكوس.. وسرعان مافشلت ثورته وقُبض عليه وأعدم.

وقد قام بعده ابنه مناحم وتحولت الحركة من ثورة إلى منظمة سرية تقوم بالاغتيالات للرومان ومن تعاون معهم من اليهود.

وقد سميت هذه الحركة أيضاً باسم الجليليين نسبة إلى يهوذا الجليلي الزعيم الأول لهذه الحركة..

ولكن يبدو أيضاً أن هناك فرقة أخرى تسمى الجليليين[1] وكان هؤلاء من أنصار حاكم الجليل هيرودوس أنتيباس. وقد ثاروا ضد الوالي الروماني بيلاطس النبطي، فما كان من بيلاطس إلاّ أن هاجمهم وأبادهم.

وهذه الفرقة تسمى الهيروديين وظهرت أيضاً أثناء حياة المسيح، وصفاتهم هي

(١) زكي شنودة: المجتمع اليهودي: ص ٣٢٠.

نفس صفات القنائين والجليليين ولعلهم منهم. . وكانوا شديدي العداء للمسيح عليه السلام(1)، فقد جاء في إنجيل مرقس (٣: ٦) «فخرج الفريسيون مع الهيروديين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه» وجاء في إنجيل متى (٢٢: ١٥ ــ ٢١): «حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديين، قائلين: يا معلم. نعلم أنك صادق، وتعلّم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس. فقل لنا ماذا تظن، أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم، وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون؟ أروني معاملة الجزية فقدموا له ديناراً. فقال: لمن هذه الصورة والكتابة، قالوا له: القيصر فقال لهم: اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». »

(٧) **القراءون** (Karaites)

ترجع هذه التسمية إلى أن كتب العهد القديم كانت تسمى عند اليهود «المقْرا». وهذا الاسم أيضاً موجود بالعربية حيث يقسم القرآن الكريم إلى (٣٠) جزءاً، وكل جزء مقسم إلى جزئين وكل حزب مقسم إلى عدة «مقاري» وأحدها يسمى «مُقرا». والمقصود بالمقرا المقرؤ وهذه الفرقة رفضت التلمود الذي وضعه الأحبار الفريسيون وجعلت المرجع الأول والأخير هو النص المقدس المكتوب المنزل من عند الله، وهو التوراة والذي يسمى المقرا ولذا سمى أتباعها القرائيين. .

وهي تؤمن بالأسفار الخمسة (أسفار موسى، أسفار الشريعة، التوراة) ويضيفون إليها سفر يشوع. . أما الأسفار الأخرى فلا يعتبرونها وحياً من عند الله وإن كانوا يعترفون بها أيضاً.

وهم يقولون بالاجتهاد، فإذا تبيّن خطأ السلف، كالخطأ الذي لاحظوه في المحرمات في الزواج، فإن للخلف تصحيح هذه الأخطاء.

وقد ظهرت هذه الجماعة في العراق في عهد الدولة الإسلامية في القرن الثامن الميلادي.

وعندما توفي حاخام العراق الأكبر سنة (٧٦١)م. تولى بعده ابن أخيه عنان بن داوود هذا المنصب الخطير. وكان عنان قد تأثر بما تموج به العراق من فرق إسلامية

(١) د. مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم: ص ٢٧.

وعلى اطلاع واسع على أكاذيب التلمود. . وأعلن عنان عدم قبوله بتعاليم التلمود، وأعلن أنه لا يؤمن إلا بالعهد القديم. . وبطبيعة الحال عارض زعماء اليهود من الفريسيين ترشيح عنان بن داوود لهذا المنصب الخطير. . وكان أهم معارضيه الجأون الأعمى يهوداي رئيس أكاديمية سورة والجأون داردي رئيس أكاديمية نومبدينا. واختارا بدلاً عنه «حنانيا» وهو أخ أصغر لعنان بن داوود.

ووقعت الفتنة بين الأخوين وأنصارهما. . وقام حنانيا باتهام أخيه داوود بتدبير مؤامرة ضدّ الخليفة المنصور العباسي مما أدى إلى إلقاء القبض عليه واعتقاله. وتبيَّن بعد ذلك عدم صحة هذا الأمر فأطلق المنصور سراحه. . وانطلق داوود بعيداً عن أخيه «حنانيا»، الذي استولى على منصب حاخام العراق الأكبر.

وذهب داوود إلى فلسطين. . وهناك ركّز حملته على الفريسيين وعلى تعاليم التلمود وأبان زيفها وبطلانها ومصادمتها للعقل والمنطق والخلق، بل والدين.

واشتعلت الحرب بين أنصار داوود الذين عرفوا باسم القرّائين وبين الفريسيين الذين يؤمنون بتعاليم التلمود ويعطونها قداسة تماثل، إن لم تفق تعاليم التوراة ذاتها.

ومن الواضح الجلي، أن داوود بن عنان قد تأثر بالفكر الإسلامي الديني، وبعلم الكلام والمعتزلة بصورة خاصة. كما تأثر بأقوال المسلمين في عيسى بن مريم عليه السلام، وقد شدد النكير على الفريسيين الذين اتهموا عيسى بأنه ابن زانية، وأنه زنديق ملحد كافر، تعلّم أنواعاً من السحر أثناء رحلته إلى مصر. . وقال داوود إن المسيح عيسى بن مريم رجل تقي صالح، من بني إسرائيل وإنه لم يدَّع الألوهية قط، ولكن بعض أتباعه هم فعلوا ذلك. (وذلك كله حق وصدق) وزاد داوود فزعم أن عيسى بن مريم لم يقل أنه نبي (وهذا أمر باطل فهو من الأنبياء المرسلين)، بل كان مصلحاً دينياً، يريد أن يخلِّص شريعة موسى من المفاهيم المنحرفة التي ألصقها بها طائفة الفريسيين المنحرفة المنافقة الضالة المضلَّة. (وهذا أيضاً حق وصدق).

ونادى عنان كذلك: بأن محمداً ﷺ كذلك جاء لإصلاح ضلالات البشر، وردهم إلى الطريق القويم، ولكنه زعم أيضاً أن محمداً لم يفكر قط في مخالفة التوراة أو نسخ شرائعها. وهذا القول واضح الشطط، فقد نسخ الله على لسان نبيه محمد ﷺ بعض أحكام التوراة وأثبت بعضها، وعدَّل في بعضها مع إعلانه أن التوراة

كتاب الله الموحى بـه إلى موسى عليـه السلام. . وأنهـا هدى ونـور يحكم بها النبيّـون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله.

ويقـول الفريسيـون (الربّـانيون) أن ظهـور القـرّائين كـان بتـأثير تعـاليم القـرآن والمتكلمين المسلمين وأنهم أخذوا عن المسلمين موضوع الاجتهاد والقيـاس. . وأنهم مثل المسلمين رفضوا التشبيه والتجسيم لله وبذلك يؤولون التوراةالتي يظهـر فيها الـرب في صورة إنسان. . وقـد كتبوا مؤلفـاتهم بالعـربية والعبـرية ولهـم مـوسيقى مأخـوذة من الموسيقى العربية.

وأدّى هذا النزاع المحتـدم بين أنصار الفـريسيين الذين فضحهم عيسى بن مـريم عليه السلام، وبين طائفة القرّائين، إلى أن تكفِّر كل طائفة الطائفة الأخرى وتلعنها.

ويسمى التلمود الـذي كتبه أحبار الفريسيين طائفة القرّائين، «منيم» أي الزنـادقة أو الكفرة واسم «أبيقوريم»، أي أتباع أبيقور صاحب مذهب اللذة اليـوناني، وهـو لقب قـد أطلق من قبـل على الصـدوقيين. . وإن صحَّ هـذا اللقب من بعض الـوجـوه على الصـدوقيين فهو لا يصـح من أي وجـه من الوجـوه على طائفـة القرائين الـذين كـانـوا ملتزمين بتعاليم الشريعة كما وردت في أسفار موسى الخمسة.

ولم يقصِّـر القراؤون من جهتهم في السخـريـة من الفـريسيين وتلمودهـم. وبعـد مـوت عنـان كـان القـراؤون يـدعـون لـه بهـذه الـدعـوة: «رحم الله الأميـر عـنـان رجـل الله، الـذي مهَّـد طـريق التـوراة، وفتـح عيـون القـرّائين، وأبعـد عن المعصيـة عدداً كبيراً من إخوته، وبيَّن لنا سواء السبيل. فليجعل الله له مكاناً مرمـوقاً بين السبعـة المختارين لدخول الجنة»[1].

وتولّى شاول بن داوود بعده رئاسة الطائفـة. وظهر من هـذه الطائفـة علماء نـذكر منهم أبو سليمان داوود بن إبراهيم الفـاسي (من مدينـة فـاس في المغـرب) من علمـاء القرن العاشر الميلادي ومؤلف قاموس التوراة الكبير، الذي شرح معاني الألفاظ العبرية باللغة العربية. ومنهم بنيامين بن موسى النهاوندي (من مـدينة نهاوند في إيران) ودانيال

(١) دائرة المعارف العبرية، ج ٩، كما ينقله الدكتور حسن ظاظا في كتابه «الفكر الـديني اليهودي»: ص ٢٥٢.

الزمجاني وابن ساقويه صاحب كتاب «الفضائح» الذي ذكر فيه فضائح التلمود (المشنا والجمارا) والفريسيين.. ويعقوب القرقساني الذي تولّى زعامة القرّائين في القرن العاشر الميلادي.

وظهر سعديا الفيومي من طائفة التلموديين الفريسيين في مصر، وكان أيضاً متأثراً من ناحية بالفكر الإسلامي، ولكنهمتعصب لتعاليم التلمود، وله قدرة على تبرير تعاليمه. وكتب سعديا الفيومي عدة كتب من أشهرها «الرد على عنان» وكتاب «الأمانات والاعتقادات» الذي سماه بعض علماء المسلمين الخيانات.

واحتدم الجدل والعراك بين الفريقين فظهر من طائفة القرّائين سلمون بن يروحم وحسّون بن مِشيَح وداوود بن بوعز صاحب «كتاب الأصول».. ورد هؤلاء بقوة على سعديا الفيومي وأصحابه.

وفي القرن الحادي عشر الميلادي ظهر يافث بن علي اللاوي وسهل بن مصلح وليفي بن يافث اللاوي ويوسف بن إبراهيم الراعي ويشوعا بن يهوذا. وتخرج على يد الأخير طوبيا بن موسى المترجم ويهوذا هاواسي مؤلف كتاب «مجمع العطور». وقد قاما بنشر مذهب القرّائين في الإمبراطورية البيزنطية.. ومن علماء القرّائين المشهورين هارون بن اليسع صاحب كتاب «جنة عدن».

واستمر القرّاؤون في نشاطهم إلى القرن السابع عشر الميلادي وكان مركز ظهورهم البلاد الإسلامية، وبالذات مصر والشام والعراق وتركيا وإيران.. ثم خَفَتَ ذكرهم وتقلّصَ نشاطهم.. بينما امتد نشاط أعدائهم «التلموديين» وازداد قوة حيث كانوا يعيشون في أوروبا، وتأثروا بنهضتها.. واستطاعوا أن يكوّنوا لأنفسهم قوة مالية ضاغطة في المجتمعات الأوروبية ثم في الولايات المتحدة..

وظهرت في العصر الحديث الحركة الصهيونية على يد (هرتزل) وكان التلموديون أول من دعَّمها وأيَّدها.. ولا تزال هذه الحركة تعتمد إلى حد كبير على تأييد هؤلاء الأحبار من هذه الطائفة الخبيثة، بل أشد الطوائف اليهودية كفراً وبغياً وعدواناً وبهتاناً. ووقف بقايا القرّائين في تركيا وروسيا ومصر ضد الحركة الصهيونية، ولكن سرعان ما استطاعت الفئة التلمودية إسكات هؤلاء القرّائين الذين لم يكن يساندهم إلاَّ أفراد

معدودون.. مع قلة الإمكانيات..

وقد أعلن كثير من علماء الفريسيين التلموديين كفر القرائين وردَّتهم وأنهم ليسوا يهوداً منذ زمن سعديا الفيومي.. واختفى القراؤون من الوجود بسبب تحول الكثير منهم إلى الإسلام أو بسبب عودة بعضهم إلى مذهب الفريسيين الذين أصبحوا قوة في أوروبا ودول الكتلة الشرقية.

(٨) المنذرون:

ليس المنذرون طائفة يجمعها حزب أو اتفاق في المعتقدات والآراء.. بل هم مجموعة من الرجال والنساء نذروا أنفسهم لله.. أي لخدمة المعبد وفيه يكثر النذور من العبادة والصلاة والصوم والاستغفار ويخدم بيت الله.. وقد تكون المدة قصيرة لمدة أسبوع فقط أو شهر وقد تطول لمدة سنة وقد تكون للعمر كله.

وكثير من النساء العواقر كن ينذرن لله إن رزقهن الله بولد، فإنها ستجعله في خدمة بيت الله. ومن أولئك النبي صموئيل نذرته أمه قبل أن تحمل به. وشمسون (الجبار) كذلك نذرته أمه قبل ولادته. ويحيى (يوحنا المعمدان) ومريم بنت عمران عليهم السلام كانوا كذلك من المنذورين.

وكان من شروط النذر، أنه لا يحلق رأسه أثناء فترة النذر. وإذا كملت مدة النذر يُقرّب خروفاً ونعجة (عمر كل واحدٍ منهما سنة كاملة) محرقة للرب، وكبشاً واحداً ذبيحة سلامة، وسلة فطير من دقيق، فيقدمها الكاهن أمام الرب.. «ويحلق النذير لدى باب خيمة الاجتماع رأس انتذاره ويجعله على النار التي تحت ذبيحة السلامة». (سفر العدد ٦: ١ ـ ١٩).

وعلى النذير أيضاً أن لا يقرب الخمر أثناء فترة النذر.

(٩) النثنيم:

تعني هذه الكلمة العبرية «المكرّسون» أي المكرّسون لخدمة الهيكل. وقد كان هؤلاء بمثابة الخدم أو العبيد الذين جعلهم داوود لخدمة المعبد والكهنة.. وأول من

فعل ذلك موسى عليه السلام، حيث جعل بعض المديانيين لخدمة خيمة الاجتماع والكهنة. (العدد ٣١: ٤٧). ثم خصص شمعون جماعة الجبعونيين الأسرى لهذه الغاية فكانوا يجلبون الحطب والماء للمذبح وينظفون خيمة الاجتماع. (يشوع ٩: ٢٢ ـ ٢٧) وفي عهد سليمان زاد عدد النثنيم زيادة كبيرة، نتيجة إقامة الهيكل الضخم. .

وعندما سبى البابليون اليهود كان معهم النثنيم، وعند العودة رجع عدد منهم أيضاً إلى أورشليم. . وصاروا يهوداً، وإن كانوا من أصل غير إسرائيلي. . ومع مرور الزمن ونتيجة لخدمتهم للهيكل، صار لهم نوع من الاحترام والتقدير الذي يعطى عادة للكهان.

(١٠) الصابئة:

هل الصابئة فرقة من اليهود؟ هل هم فرقة من النصارى؟ هل هم عبدة الكواكب؟ أم هم قوم يقولون لا إلّه إلاّ الله وليس لهم نبي ولا كتاب؟ أهم قوم يعبدون الملائكة؟ أم هم قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين؟

كل هذه أقوال ذكرها أهل العلم، ونقلها الإمام ابن كثير في تفسيره(١) عند قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾(٢).

وقوله تعالى في سورة البقرة (٦٢):

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/١٠٣، ١٠٤، طبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٩.

وقوله تعالى في سورة الحج (١٧):

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

وقد ظهر هؤلاء الصابئة في العراق، وكان فرقة من العلماء، منهم إسحاق بن راهويه وأبو العالية والربيع بن أنس والسدي والضحاك وأبو حنيفة النعمان، يقولون: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور، ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق بن راهويه لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم..

وكان العرب يطلقون لفظ الصابىء قبل الإسلام على من ترك دينه، وكانوا يقولون صبأ محمد أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا قال بعض العلماء إن الصابئة قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم يؤمنون بلا إلّه إلّا الله وهم على دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقد جعلها الدكتور حسن ظاظا في كتابه القيم «الفكر الديني اليهودي» ضمن الفرق اليهودية. وسماها الغنوصية الصابئة[١]. وقال عنهم:

«وهم عند اليهود جماعات تتفق على القول بأن المعرفة هي الطريق إلى الله، وكانوا يريدون بذلك معرفة المادة والروح».

«ولهؤلاء الصابئة دين خاص بهم تعتبرهم المسيحية واليهودية من أجله كفاراً بينما يلحقهم الإسلام بأصحاب الديانات السماوية وأهل الذمة» (على الأقل بعض علماء الإسلام كما قد مرَّ معنا).

ومما يدل على أنهم من الفرق اليهودية في أصولها ـ على الأقل ـ أنهم يؤمنون

---

(١) الفكر الديني اليهودي ص ٢٤١ وما بعدها. وكلمة غنوصية تعني أخذ المعرفة عن طريق الحدث والإلهام والكشف الروحي لا عن طريق التعلم والحواس.. ويكثر استخدام هذه الكلمة للأسف في الكتابات العربية الحديثة دون أن يشرح الكاتب معناها للقارىء الذي يلتبس عليه الأمر.. وفي ظني أنه ينبغي الابتعاد عن استخدام هذه الألفاظ المستعجمة، وإذا استخدمت لا بد من شرحها في الهامش على الأقل.

برسالة موسىٰ عليه السلام، ويؤمنون بالتوراة (الأسفار الخمسة) ويعملون بكثير من شرائعها، وخاصة تلك المتعلقة بأنواع الطعام الحلال والحرام. وهم يؤمنون بالله ربّاً لا يشركون به شيئاً، ويؤمنون بوجود الملائكة والجن. . ويعتقدون أن للكواكب تأثير في حياة البشر. ولهذا يولون بعض الكواكب نوعاً من التقديس (وهو ينافي التوحيد). وقد أدّى ذلك إلى أن تعتقد العامة، بل وكثير من العلماء، بأنّ الصابئة هم عبدة النجوم. وبما أن الصابئين ظهروا في العراق (بابل)، موطن عبادة النجوم فلا شك أنهم تأثروا بتلك العقائد. . مما أدى إلى القول بأنهم من عبدة الكواكب حتى أن الأديب الفرنسي (ڤولتير) يقول في بعض كتاباته: «إنني أقنع برفع يديّ إلى نجم الشمال، فأنا على دين الصابئة» كما ينقله عنه الدكتور حسن ظاظا في كتابه الفكر الديني اليهودي. وهم يؤمنون بمجيء المسيح (المسيحانية) في آخر الزمان على ما جاء في كتب العهد القديم، كما يؤمنون باليوم الآخر. ويؤمنون بأن سيدنا يحيى بن زكريا عليه السلام والذي يسميه النصارى (يوحنا المعمدان) هو النبي وهو المسيح، على عكس ما كان يعتقده اليهود ــ عليهم لعائن الله ــ الذين قالوا عنه: إنه زنديق وكافر وقدموا رأسه على طبق مهراً لبغي هي سالومي بنت هيروديا. .

وهم أيضاً يخالفون النصارى الذين يعتقدون أن «يوحنا المعمدان» هو الذي بشّر بعيسى المسيح، وهو الذي عمّده في نهر الأردن أي (غطّسه في الماء) ولكنهم لا يقولون بنبوة يوحنا، على عكس المسلمين الذين يقرون النصارى بأن يوحنا (يحيى) قد بشّر بعيسى عليه السلام، ولكنه كان أيضاً نبياً وقد أخذت طائفة الصابئة عن (يوحنا المعمدان) شريعة الغطاس، وقدسية الزواج، بحيث يحرم الطلاق (حسب زعمهم)، ويحرم اتخاذ زوجة ثانية إلاّ في ظروف خاصة (من المعلوم أن يحيى عليه السلام كان حصوراً لا يأتي النساء).

وللصابئة كتبهم الخاصة، التي كتبت باللغة المندائية، وهي لهجة من لهجات اللغة الآرامية وحروفها تتأرجح بين السريانية والنبطية والعبرية. . وكلمة «مندائي» تعني «صاحب المعرفة عن طريق الإلهام والحدس» أي الغنوصي.

وقـد انـدثـرت هـذه الفئـة أو كـادت، ولـم يبق منهـا إلاَّ أعـداد قليلة في العـراق باختصار طائفة الصـابئة فـرقة تؤمن بمـوسى عليه السـلام نبياً ورسـولاً، وتؤمن بالتـوراة (الأسفـار الخمسة)، وتنفِّـذ بعض تعاليمهـا فقط، وتؤمن بالله واليـوم الآخر والمـلائكـة والجن، وتعتقد في النجوم أنها فاعلة ومؤثرة في حياة البشر، ولذا تتجـه إليها بنـوع من العبـادة وتعتقد أن يحيـى بن زكـريا هـو النبي وهو المسيح، لا عيسى بن مـريم، كما تعتقد بظهور المسيح في آخر الزمان.

وبهذه الفرقـة ننهي الحديث عن أهـم فـرق اليهود التي ظهـرت في الماضي ولن نتعـرض للفـرق التي ظهـرت في العصـور الحـديثـة وأهمهـا فـرقتـان: الإصـلاحيـون أو المجددون (Reformist) والصهاينة (Zionist). والفرقة الأخيرة هي التي أقـامت دولة إسرائيل وهي المهيمنـة على فكر وعقـائد معـظم يهود العـالم اليوم. وكمـا قال بيجن: «لا يوجد صهيوني دون أن يكون يهودياً، ولا يهودي دون أن يكون صهيونياً». وقـلَّ من هو يهودي غير صهيوني في عالمنا المعاصر.



أهمّ الأيّام
والأعياد الدينيّة لدى اليهود

يهتمّ اليهود اهتماماً كبيراً بأعيادهم الدينية. ذلك لأنها ترتبط بتعاليم التوراة والعهد القديم، كما ترتبط ارتباطاً جلياً بتاريخهم..

ولا بدّ لمن يدرس التوراة والعهد القديم، أن يدرس هذه الأعياد ولو بإيجاز، لأنها توضح جوانب مهمة من معتقدات اليهود. وسنذكرها هنا أهم هذه الأعياد، لأن قائمة الأعياد طويلة حقاً وتخرج بنا عن غرضنا الأساسي إذا استعرضناها كلها بالتفصيل.

● **السبت: (Shabath)**

هو العيد الأسبوعي لدى اليهود. ويبدأ من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت. وأهم شعائره الكفّ عن أي عمل في ذلك اليوم، لأن الرب ـ حسب زعم سفر التكوين ـ قد استراح فيه، بعد أن تعب من خلق السمٰوات والأرض (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) «**وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه**». (سفر التكوين ٢ : ٣).

وجاء في سفر الخروج (٢٠ : ٨ ـ ١١): «اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلٰهك، لا تصنع عملاً ما، أنت وابنك وعبدك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، **لأن في ستة أيام**

صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه».

وفي سفر الخروج أيضاً (٢٣ : ١٢): «ستة أيام تعمل عملك، وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك ويتنفّس ابن أمتك والغريب».

وفيه أيضاً (الخروج ٣١: ١٢ ــ ١٧): «كلّم الرب موسى قائلاً: وأنت تكلّم بني إسرائيل قائلاً سبوتي تحفظونها، لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم، لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدّسكم. فتحفظوا السبت لأنه مقدس لكم. . . فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً. وهو بيني وبين بني إسرائيل إلى الأبد، **لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفّس».**

وجاء في سفر التثنية (٥: ١٢ ــ ١٤): «احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلّهك. ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. وأما اليوم السابع فسبت للرب إلّهك لا تعمل فيه عملاً ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمَتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمَتك مثلك».

وكان لا بدّ أن تقدم ذبيحة للرب يومياً، هي خروف بلا عيب ويقدَّم وقوداً لله (محرقة، لأن الرب ــ حسب زعمهم ــ يحب اللحم المشوي جداً) للتكفير عن خطايا الشعب. وكان ذلك طوال السنة صباحاً ومساءً.

وكان الكاهن قبل ذبح الخروف يعترف بخطايا الشعب فوق الخروف، وينقل خطاياهم إلى الخروف، ويتلو بعض الأدعية بينما يقوم وكلاء الشعب بوضع أيديهم على رأس الخروف، فتنتقل الخطايا ــ حسب زعمهم ــ من أيدي وكلاء الشعب إلى الخروف. ثم يقوم الكاهن بذبحه، ويقدمه وقوداً (محرقة) نيابة عنهم، وفي أثناء ذلك تسجد الجماعة في المكان، ويبخر الكهنة على المذبح الذهبي، وهم يقدمون طلبات الشعب لله[1]، لأن الرب ــ حسب زعمهم ــ مستعد أن يعطي نصف مملكته لمن يقدم له اللحم المشوي!!

---

(١) د. مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم: ص ٤٥.

وفي يوم السبت، تقدم ذبيحة إضافية، إذ جاء في سفر العدد: «**وفي يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعُشران (كمية معيّنة) من دقيق ملتوت بزيت تقدمة مع سكيبة، محرقة كل سبت، فضلاً عن المحرقة الدائمة وسكيبها**». (العدد ٢٨ : ٩ ــ ١٠).

وطبعاً تذهب كل هذه اللحوم والزيت والسمن والدقيق. . . إلخ، إلى بيت الكاهن بعد أن تتم الطقوس حولها.

وتتشدَّد الشريعة اليهودية في أحكام السبت. . **ومن يعمل عملاً يوم السبت يُحكم عليه بالإعدام** (يا للهول!!)، إذ جاء في سفر الخروج (٣١: ١٤ ــ ١٥): «**فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم، من دنَّسه يُقتل قتلاً. إن كل من صنع فيه عملاً تقطع تلك النفس من بين شعبها. . كل من صنع عملاً في يوم السبت يُقتل قتلاً**».

وتزعم التوراة المحرَّفة: أن هذا الحكم القاسي قد نفَّذه موسى في رجل كان يحتطب يوم السبت، فقد جاء في سفر العدد ١٥ : ٣٢ ــ ٣٦): «**ولمّا كان بنو إسرائيل في البرية، وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت، فقدَّمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهارون وكل الجماعة. . فقال الرب لموسى: قتلاً يُقتل الرجل، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة. فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات**».

واعتبر اليهود تطبيق شعائر يوم السبت، أهم بند من بنود الوصايا العشر التي جاء بها موسى، وكانوا يمتنعون عن جميع الأعمال بما في ذلك استدعاء طبيب لمعاينة مريض مهما اشتد به المرض. وعدم صنع أي طعام أو إيقاد أي نار. ولذا كانوا يصنعون طعامهم ويوقدون نارهم يوم الجمعة. . وكانوا يمتنعون عن الكتابة والتعاقد والبيع والشراء بل وعبور نهر أو حتى الخروج من البيت إلّا لمسافة محددة مما جعل الفريسيين، الذين سماهم المسيح المنافقين، يتحايلون على ذلك بوضع نوافذ وأبواب في شوارع مدينة القدس ليستطيعوا التجوّل فيها على اعتبار أنها تحولت إلى منزل. كما يحرم عليهم وضع دهن أو دواء على الحروق أو الجروح أو وضع ضمادات بل وانتزاع شعرة أو تقليم أظفار. . وكانوا يمتنعون عن القتال وإبرام عقود الزواج. . . إلخ.

ومع هذا فقد كان أحبار اليهود يجدون طرقاً للتحايل على يوم السبت، ومن ذلك ما رواه القرآن الكريم عن حاضرة البحر (مدينة إيلات) حيث كانت تأتيهم حيتانهم شرعاً يوم يسبتون، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم.. فاحتالوا على ذلك بوضع الشباك يوم الجمعة، واصطيادها يوم السبت.

قال تعالى:

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾[1].

وقد ورد في سفر يشوع أن الشمس توقفت عن المغيب فوق مدينة جبعون يوم الجمعة حتى يكمل يشوع فتحها قبل دخول ليلة السبت: «فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل» (سفر يشوع ١٠: ١٢ ــ ١٤).

وقد ورد في حديث الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن الشمس لم تتوقف لأحد سوى يوشع بن نون[2]. وتحرم لدى اليهود الحرب يوم السبت، ولكن من حق الكاهن الأعلى أن يعلن الحرب على أساس أنها حرب دفاعية، (ولهذا يسمى الجيش الإسرائيلي جيش الدفاع) فتجوز الحرب آنذاك في السبت وغيره من الأعياد.

---

(١) سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ــ ١٦٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة. قال عنه ابن كثير في قصص الأنبياء: انفرد به أحمد على شرط البخاري (ص ٤٤٤). وأخرج مسلم في صحيحه ــ كتاب الجهاد، حديث: «غزا نبي من الأنبياء... فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: أنتِ مأمورة وأنا مأمور. اللهمَّ احبسها عليَّ شيئاً، فحُبست عليه حتى فتح الله عليه». قال الإمام =

= النووي في شرح صحيح مسلم أن هذا النبي هو يوشع بن نون. والحديث قد أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد وكتاب المناقب. وأخرجه أبو داوود في سننه، وأحمد في مسنده: ٢/٢١٨.

وذكر الإمام النووي في شرح صحيح مسلم أن الشمس قد حُبست لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم مرتين: الأولى في حديث الإسراء والمعراج عندما طفق يحدث قريش عن بيت المقدس وعن القافلة القادمة فتأخر مجيء القافلة، فحبست الشمس حتى أتت، والثانية يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت فردّها الله عليه حتى صلى العصر، ذكر ذلك الطحاوي وقال: رواته ثقات.

وذكر الإمام ابن تيمية في كتابه «المعجزة وكرامات الأولياء» أنّ الشمس قد حُبست ورُدَّت للإمام عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ قال: «وردّ الشمس ليوشع بن نون ـ وكذلك ردّها لمّا فاتت عليّاً الصلاة، والنبي ﷺ نائم في حجره، إن صحّ الحديث. فمن الناس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض (وكفى بهما حجة)، ومنهم من جعله موقوفاً كأبي الفرج بن الجوزي».

وذكر الإمام ابن كثير ذلك في كتابه «قصص الأنبياء» (ص ٤٤٤)، وقال: صححه أحمد ابن أبي صالح، ولكنه ليس في شيء من الصحاح والحسان.

وقد ذكر الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، صاحب «سبل السلام في شرح بلوغ المرام»، قصة حبس الشمس على الإمام عليّ بتفصيل في كتابه «الروضة الندية في شرح التحفة العلوية»، قال:

وعليه الشمس رُدَّتْ فغدا أفقها من الظلام مُضيّا

«عن عليّ كرَّم الله وجهه، قال: لمّا كنا بخيبر سمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قتال المشركين، فلما كان من الغد، وكان مع صلاة العصر، جئته ولم أُصلِّ صلاة العصر، فوضع رأسهُ في حجري، فنام، فاستثقل، فلم يستيقظ حتى غربت الشمس، فلما استيقظ مع غروب الشمس قلتُ: يا رسول الله ما صليت صلاة العصر كراهية أن أوقظك من نومك. فرفع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده، وقال: اللهم إنّ عبدك تصدّق بنفسه على نبيك فاردد عليه شروقها فرأيتها على الجبال في وقت العصر بيضاء نقية حتى قمتُ وتوضأتُ وصلّيتُ ثم غابت...

وعن عليّ كرَّم الله وجهه، قال: أنشدكم بالله هل منكم من رُدَّت له الشمس غيري حين نام رسول الله ﷺ وجعل رأسه في حجري حتى غربت الشمس فانتبه فقال: يا عليّ صلّيت العصر؟ فقلت: اللهم لا. فقال: اللهم اردها عليه فإنه كان في طاعتك وطاعة رسولك. وذكرها الحافظ السيوطي في الجامع في مسند أمير المؤمنين رضي الله عنه. وذكر القاضي العلامة المالكي عياض اليحصبي في كتابه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) في قسم المعجزات،

● يوم الغفران (يوم كِبّور):

لقد حددت الشريعة يوماً كل سنة للتكفير عن الخطايا تسميه يوم الكفارة (يوم كيبور)، ويقع في اليوم العاشر من الشهر السابع في السنة العبرية (إيثانيم). وينبغي فيه الامتناع عن العمل والصوم. ويجب فيه الاعتراف بالخطايا وإقامة الطقوس المقررة، فقد جاء في سفر اللاويين (٢٣ : ٢٦ ــ ٣٢): أما اليوم العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة. محفلاً مقدساً يكون لكم، عملاً ما لا تعملون. . إن كل نفس لا تدلّل نفسها هذا اليوم عينهُ، أبيد تلك النفس من شعبها (لاحظ حكم الإعدام القاسي لمن لا ينفذ الأعياد والاحتفال بالسبت. . . إلخ)، عملاً ما لا تعملوا، فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم. إنه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم في تاسع الشهر عند المساء. من المساء إلى المساء تسبتون سبوتكم».

وينبغي فيه الامتناع الكامل عن الطعام والشراب من غروب شمس يوم التاسع إلى غروبها يوم الكفارة (اليوم العاشر).

ولهذا اليوم طقوس غريبة ذكرها سفر اللاويين حيث جاء فيه ما يلي: «قال الرب لموسى كلم هارون أخاك ألا يدخل في كل وقت إلى الأقداس داخل الحجاب أمام الغطاء الذي على التابوت، لئلا يموت. . بهذا يدخل هارون إلى القدس بثورين بقر

ما لفظه: وخرَّج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أنَّ النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه، فلم يصلِّ العصر حتى غابت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: صلّيت يا علي؟ قال: لا . فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصبهاء في خيبر. قال: وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات. وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلُّف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوّة».

وقد ذكر حديث أسماء بنت عميس كتاب «فرائد السمطين» لإبراهيم بن محمد الجويني، بشيء من التفصيل في الجزء الثاني، ص ١٨٣.

لـذبيحة خـطيئة وكبش محـرقة (ثم وصف طـويل للقميص والكتـان والعمامـة). . ومن جماعة بني إسرائيل يـأخذ تيسين من البقـر (تعبيرات خـاطئة فـلا يصـح أن يقال تيسين من البقر) لذبيحة خطيئة وكبشاً واحداً لمحرقـة، ويقرب هـارون ثوراً لخـطيئة الـذي له ويكفّـر عن نفسه وعن بيتـه، ويأخـذ التيسين ويـوقفهمـا أمـام الـرب لـدى بـاب خيمـة الاجتمـاع، ويلقى هارون على التيسين قـرعتين: قـرعـة للرب وقـرعـة لعـزازيـل (أي الشيطان) ويقرب هارون الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمـل ذبيحة خـطيئة. وأمـا التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل (الشيطان) فيـوقف حياً أمـام الرب ليكفـر عنه ليرسله إلى عزازيـل إلى البريـة (نوع من عبـادة الشيطان، وتقـديم القرابين لـه أخذهـا الأحبـار من الأمم الوثنيـة). . ويقدم هـارون ثور الخـطيئة. . ثم يـأخـذ من دم الثـور وينضـح بأصبعه على وجه الغطاء (أي غطاء التابوت الذي فيـه الرب!!) وقـدام الغطاء ينضـح سبـع مرات من الدم بأصبعه. . ثم يذبـح تيس الخطيئة ويدخل بدمه إلى داخل الحجـاب ويفعل بـدمه كمـا فعل بـدم الثـور (يـا لـه من رب دمـوي، يحب الـدمـاء، والمحارق، ومـع هذا يتهمون الإسلام بالدموية!!).

ثم يخرج إلى المذبـح الذي أمام الرب، يكفّر عنـه، يأخـذ من دم الثور ومن دم التيس ويجعـل على قرون المـذبـح مستديـراً، وينضـح عليه من الـدم بـأصبعـه سبـع مرات، ويطهره ويقدسه من نجاسات بني إسرائيـل. . . ويضـع هارون يـديه على رأس التيس الحي (الـذي سيرسـل للشيطان)، ويقـرّ عليـه بكـل ذنـوب بني إسـرائيـل وكـل سيئـاتهم مـع كل خـطاياهم ويجعلهـا على رأس التيس، ويـرسله بيـد من يـلاقيـه إلى البرية، ليحمـل التيس عليه كـل ذنوبهم إلى أرض مقفـرة فيطلق التيس في البـرية. . . وثور الخطيئـة، وتيس الخطيئـة اللذان أتى بدمهمـا للتكفير في القـدس يخرجهمـا إلى خارج المحلة ويحرقون بالنار جلديهما ولحمهما وفروتهما. . .

ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابـع في عاشر الشهر (أي في اليوم العاشر منه) تذللون نفوسكم وكل عمـل لا تعملون. . . لأنه في هـذا اليوم يكفّـر عنكم لتطهيركم من جميـع خطاياكم أمام الرب تطهرون. . ويكفر عن مقدس القـدس، وعن خيمة الاجتماع وعن المذبـح يكفّر، وعن الكهنـة وكل شعب الجمـاعة يكفّـر. وتكون

هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بني إسرائيل من جميع خطاياهم مرة في السنة» (اللاويين ١٦ : ٢ ــ ٣٤).

وواضح جداً دموية هذه الطقوس، وأنها متصلة بطقوس الوثنيين الذين أخذ عنهم بنو إسرائيل هذه الطقوس والتقريب للشيطان.. وفيه من الخرافات والأباطيل ما لا يقبله عقل.. وإذا كان النصارى يضعون خطاياهم على المسيح فيقوم هو بتكفيرها بدمه عندما صلب على الصليب ــ بزعمهم ــ.. فإن هؤلاء اليهود قد اختاروا ثوراً وتيساً ليحملوهما خطايا الشعب بأكمله، فيذبحونهما ويلطخون قدس الأقداس بالدم.. ويجعلون تيساً آخر للشيطان، ويضعون عليه كل خطايا الشعب فيحملها معه إلى عزازيل (وهو اسم الشيطان).

ويقع يوم كيبور في اليوم العاشر من الشهر السابع من السنة العبرية وهو يوافق شهر تشرين الأول (أكتوبر) في السنة الشمسية.. وفيه حدثت حرب (أكتوبر) أو حرب رمضان عام ١٩٧٣. وهي أول حرب يحقق فيها العرب (الجيش المصري) انتصاراً، وإن لم يكن ــ بطبيعة الحال ــ حاسماً، على جيش إسرائيل.

وقد حدث في العاشر من تشرين عام (٥٨٦) قبل الميلاد أن (نبوخذ نصر) هدَّم أورشليم والهيكل وشرَّد بني إسرائيل.. ولذلك، فإن هذا العيد أصبح يحمل ذكرى أليمة.. وقد اضطر في ذلك اليوم عدد كبير من اليهود أن يعلنوا لقادة جيش (نبوخذ نصر) ارتدادهم عن الديانة اليهودية.. ولهذا السبب أعلن فقهاؤهم أن هذا اليوم هو يوم تحلل من جميع الأيمان والعهود والمواثيق.. وشاع بين عوام اليهود أن يوم الغفران هذا يجوز فيه أكل الديون التي على اليهودي وعدم أدائها، كما يجوز فيه الرجوع عن كل وعد أو عهد قطعه على نفسه طوال السنة معتمدين على نص جاء فيه؛ أن كل النذور والتحريمات والأيمان ملغاة[1].. ذلك لأن هذه الذنوب والآثام سيحملها بالنيابة عنهم التيس الذي يرسلونه إلى عزازيل (إبليس اللعين) في مكان قفر، كما أن الثيران والبقر والأغنام التي تقدم للرب محرقة، ويرش الكاهن بدمها على قدس الأقداس، تقوم بتكفير جميع ذنوب الشعب مهما عظمت.. ولهذا يبادرون إلى

(١) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي: ص ١٦٩.

ارتكاب جميع الموبقات، قبل أن يأتي الكاهن ويقدم الذبائح ويصرخ للرب قائلاً: يا رب إن شعبك بني إسرائيل قد فعلوا السوء وأخطأوا أمامك. فأسألك الآن أن تعفو عن الخطايا والآثام والذنوب التي ارتكبها، وأساء بها أمامك الشعب بيت إسرائيل كما هو مكتوب في ناموس عبدك موسى: إنه في ذلك اليوم يقيم لكم كفارة لينقّيكم، ولتطهروا من جميع آثامكم أمام الرب»[1].

وهكذا فهم اليهود بطريقتهم المعكوسة الخبيثة الوالغة في الإثم والفجور والعصيان أن يوم الكفارة يسمح لهم أن يرتكبوا كل الجرائم والموبقات، ثم يذهبوا إلى الكاهن ويقدموا الذبائح والمحارق للرب، فيكفر عنهم سيئاتهم لأنه يحب اللحم المشوي جداً جداً!!

● **عيد المظال «سكوت»:**

وهو عيد زراعي في الأصل (عيد الاحتفال بالعنب)، ويُحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية. وعادة ما يتم في فصل الخريف.. ولهذا كان يسمى أيضاً عيد التخزين «حج ها أسيف».

وسمي بعيد المظال، لأنهم لمدة سبعة أيام يعيشون في مظال خارج بيوتهم، تذكاراً لرحلة التيه التي امتدت «أربعين سنة يتيهون في الأرض».

ويبدأ العيد في يوم (١٥) ايثانيم وينتهي في يوم (٢٢) وهو يوافق شهر أكتوبر (تشرين).

وتكثر الأعياد في هذا الشهر ففي غرة هذا الشهر عيد الأبواق، وهو عيد الانتصار والفرح. وفي العاشر منه عيد الغفران (يوم كيبور)، ثم بعد ذلك عيد المظال «سكوت» (١٥ ـ ٢٢ تشرين).

وكانت الشريعة تقضي بتحريم العمل في اليوم الأول واليوم الأخير من هذا العيد. وكان اليهود أثناء الأيام السبعة يعيشون في مظال يقيمونها من سعف النخيل

---

(١) د. مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم: ص ٤٤.

وأغصان الزيتون والصنوبر والصفصاف والريحان إحياءً لذكرى أجدادهم، الذين أقاموا في مثل هذه المظال في صحراء سيناء أثناء التيه.

ويعتبر عيد المظال أحد الأعياد السنوية الثلاثة الهامة، وهي عيد الحصاد وعيد الفطير وعيد المظال. «أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع (ايثانيم الموافق لشهر تشرين)، ففيه عندما تجمعون غلة الأرض تعيّدون عيداً للرب سبعة أيام. في اليوم الأول عطلة.. وتأخذون لأنفسكم في اليوم الأول أشجار بهجةٍ وسعف النخل وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادي.. وتفرحون أمام الرب إلّهكم سبعة أيام.. في مظال تسكنون سبعة أيام، لكي تعلم أجيالكم أني في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر» (اللاويين ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣).

وكالمعتاد لا يخلو هذا العيد من المحارق، لأن الرب مغرم جداً بالمحارق والذبائح. وإذا كان قد فرض عليهم يومياً ذبيحة ومحرقة، وكل يوم سبت يتضاعف العدد، فلا شك: أن في الأعياد الكبرى تتضاعف المحارق والذبائح لأن الرب ـ حسب زعمهم ـ مغرم جداً بالدم والذبائح والمحارق. وفي سبيلها يقوم بتكفير جميع الآثام.. وتنفيذ جميع عهوده السابقة، التي قطعها من قبل لشعب الرب على يد إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وهارون... إلخ.

«وتقربون محرقة وقود رائحة سرور للرب.. ثلاثة عشر ثوراً أبناء بقر، (وصف بليد وسخيف مثل تيسين من البقر في عيد يوم كيبور). وكبشين وأربعة عشر خروفاً حولياً صحيحة تكون لكم.. وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت ثلاثة أعشار (العشر وحدة وزن) لكل ثور من الثلاثة عشر ثوراً وعشرات لكل كبش من الكبشين وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيئة، فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها. وفي اليوم الثاني أربعة عشر ثوراً أبناء بقر، وكبشين وأربعة عشر خروفاً حولياً صحيحاً، وتقدمتهن وسكائبهن للثيران والكبشين والخراف حسب عددهن كالعادة، فضلاً عن المحرقة الدائمة مع سكائبهن... وفي اليوم الثالث أحد عشر ثوراً وكبشين وأربعة عشر خروفاً... وفي اليوم الرابع عشرة ثيران و... و... وفي اليوم الخامس تسعة ثيران و... وفي اليوم السادس ثمانية ثيران و... و... وفي اليوم السابع

سبعة ثيران. . . وفي اليوم الثامن يكون لكم يوم اعتكاف وعملاً ما من الشغل لا تعملوا وتقربون محرقة وقوداً رائحة سرور للرب ثوراً واحداً وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة وتقدمتهن وسكائبهن. . . وتيساً واحداً ذبيحة خطيئة فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها. . . هذه تقربونها للرب في مواسمكم، فضلاً عن نذوركم ونوافلكم من محرقاتكم وتقدماتكم وسكائبكم وذبائح سلامتكم» (سفر العدد ٢٨ : ١٢ ــ ٣٩).

شيء رهيب!! لا يشبع هؤلاء الكهنة وسدنة المعبد من اللحم والسمن والسكائب ذبائح يومية ثم ذبائح أسبوعية. . وفي الأعياد كمية رهيبة جداً من الذبائح مئات البقر والثيران والكباش والتيوس. . ذبيحة خطيئة ذبيحة سلامة ذبيحة محرقة. . .إلخ، حتى يتنسم الرب نسيم الرضا بعد أن يشم رائحة اللحم المشوي، وبعد أن يلطخ قدس الأقداس بالدم!!

ألا لعنة الله على اليهود وعلى هؤلاء الكهنة الذين يأكلون أموال الناس بالباطل فيفترون على الله الكذب والبهتان. . ويجعلونه في صورة قبيحة منفّرة. . لا همَّ له إلّا المحارق والمشوي. . والغريب، أنه حتى في أيام الأعياد، عندما تقدم عشرات الثيران والكباش والخرفان، لا ينسى المحرقة الدائمة، فيذكرهم بذلك قائلاً: «فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها». . وينبههم في آخر الكلام إلى وجوب الاستمرار في تقديم الذبائح والمحارق والسكائب من السمن والزيت والدقيق، خارج نطاق الأعياد المعهودة وخارج نطاق التقدمة اليومية. فيقول لهم: «هذه تقربونها للرب في مواسمكم، فضلاً عن نذوركم ونوافلكم من محرقاتكم وتقدماتكم وسكائبكم وذبائح سلامتكم». . .إلخ.

وكانوا يقرأون التوراة (سفر التثنية)، كلها في الهيكل في عيد المظال كل سبع سنين ويسمون ذلك ميعاد سنة الأبرار.

وقد أهمل اليهود الاحتفال بهذا العيد، أزماناً طويلة خلال تاريخهم منذ زمن موسى وهارون ويوشع إلى زمن عزرا (أي خلال ألف عام تقريباً)، ما عدا ما قام به

يوشيا من إعادة الشريعة سنة (٦٢٢) قبل الميلاد. وأعاد عزرا بعد العودة من السبي الاحتفال بهذا العيد.

وقد أضافوا لهذا العيد طقوساً أخرى كثيرة.

● **عيد الأبواق وعيد رأس السنة العبرية (السياسية):**

وهو العيد الذي يتم الاحتفال به في غرة شهر ايثانيم (الموافق لشهر أكتوبر، تشرين الأول) وفي هذا الشهر ثلاثة أعياد يهودية هي:

عيد الأبواق في غرة شهر ايثانيم (تشرين).

عيد الغفران (يوم كيبور) في اليوم العاشر منه.

عيد المظال (سكوت) من اليوم الخامس عشر إلى الثاني والعشرين منه.

ويعتبر الحاخامات، عيد الأبواق موعد بذر البذور ويوم ميلاد العالم!! وكانوا يهتفون فيه بالأبواق في كل أنحاء البلاد، إلّا إذا وقع العيد في يوم السبت فحينئذ لا يصح الهتاف بالأبواق، إلّا في داخل الهيكل (أو المعبد).

ويحرم العمل في هذا العيد، ويقدم الشعب مزيداً من الذبائح والمحارق للكهنة باسم الرب، فقد جاء في سفر اللاويين (٢٣: ٢٤، ٢٧): «في الشهر السابع في أول الشهر يكون لكم عطلة تذكار هتاف البوق، محفل مقدس، عملاً ما من الشكل لا تعملوا، لكن تقربون وقوداً (ومحارق) للرب». وجاء في سفر العدد (٢٩: ١ ـ ٥): «في الشهر السابع، في الأول من الشهر يكون لكم محفل مقدس... **وتعملون محرقة لرائحة سرور للرب ثوراً واحداً ابن بقر، وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة، وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت، ثلاثة أعشار للثور وعُشرين للكبش وعشراً واحداً لكل خروف (العشر وحدة وزن) من السبعة الخراف، وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيئة للتكفير عنكم، فضلاً عن محرقة الشهر وتقدمتها، والمحرقة الدائمة وتقدمتها من سكائبهن كعادتهن، رائحة سرور وقوداً للرب».**

وبما أن شهر ايثانيم، يعتبر رأس السنة العبرية السياسية. فهم يحتفلون به أيضاً على هذا الأساس، وفي هذه الحالة يستمر الاحتفال ثلاثة أيام، ويسمى «روش هشانا» ويصومون في اليوم الرابع ويسمونه «صوم جدَليا»، وهو يوم حزن وحداد. ومناسبته ذكرى مقتل «جدليا بن أحيقام» الذي ولاه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها وسبي أعداد غفيرة منهم.. وهناك قصة تزعم أن أعداء اليهود هم الذين دبروا مؤامرة لاغتيال جدليا، وذلك لإبادة البقية الباقية من بني إسرائيل(١).

● **الحانوكة (التدشين) أو عيد التجديد أو عيد الأنوار:**

ويبدأ في الخامس والعشرين من شهر كسلو (ديسمبر أو كانون أول). ويرجع هذا العيد إلى الثورة المكابية التي قام بها متاتيا المكابي على الحاكم السلوقي (خلفاء الإسكندر المقدوني) انطوخيوس. وقد قام متاتيا وابنه يهوذا بهذه الثورة سنة (١٦٥) قبل الميلاد وأخرجوا التماثيل اليونانية من الهيكل وحطموها وبنوا مذبحاً جديداً للرب وفتح الهيكل لتطبيق الشعائر اليهودية. ولهذا يسمى هذا العيد عيد التدشين حيث تم فيه تدشين الهيكل لعبادة الرب، ويسمى كذلك عيد التجديد أي تجديد الهيكل، وذلك يوم ٢٥ كسلو وهو الشهر التاسع في السنة العبرية.

ويتميز هذا العيد بإشعال الشموع الكثيرة المختلقة لمدة أسبوع كامل.. وتنشد أناشيد كثيرة تشيد بالثورة المكابية (المقابية).. وتقرأ الأسفار المقابية (سفرين) في هذه الفترة.. ويستمر العيد لمدة ثمانية أيام وتذبح فيه الذبائح وتحرق المحارق مثل بقية الأعياد اليهودية، ويمتدح اليهود هذا العيد امتداحاً كثيراً، على اعتبار أنه يمجد الثورة المكابية اليهودية ضد السلطة اليونانية، والانتصار عليها. حيث قامت دولة المقابيين والتي قضى عليها الرومان فيما بعد.. وقد أعاد هذا الانتصار (المؤقت) لليهود إحساسهم بالفخر والاعتزاز بعد سلسلة طويلة من الهزائم امتدت عدة قرون، ولهذا السبب كان الاحتفال بهذا العيد كبيراً، ولا يزالون يحتفلون به إلى اليوم.

---

(١) نقلاً عن د. حسن ظاظا الفكر الديني اليهودي: ص ١٦٨.

● **عيد الفوريم أو البوريم أو عيد النصيب أو عيد المساخر :**

يبدأ هذا، من ليلة الثالث عشر من شهر آذار من السنة اليهودية. ويبدأ بصوم يوم الثالث عشر من آذار، اقتداء بالفاتنة (استير) التي نذرت بصوم في ذلك اليوم، قبل أن تدخل إلى الملك أحشويروش الذي ملكت لبّه وعقله بجمالها وذكائها. وقد كان وزير الملك أحشويروش هامان عدواً لليهود لما رآه من جرائمهم، فكان ينكل بهم، ويزمع استصدار أمر من الملك بإعدام عدد كبير منهم، بتهمة التآمر ضد العرش. واستطاعت (استير) بتدبير عمها أن تصل إلى قلب الملك وتتحول من محظية من المحظيات إلى مقام الملكة. .

واستطاعت هذه بذكائها ومكرها، أن تدبر مكيدة تتهم فيها هامان بأنه يتآمر على الملك. . وصدقها الملك في تلك الأكذوبة وأعدم هامان. . وجعل عمها أحد وزرائه وقرب اليهود. . واستصدرت أمراً بإعادة اليهود إلى فلسطين، وجعلهم ذوي مكانة في أرجاء الإمبراطورية الفارسية، عندما تولى ربيبها قورش العرش وحطم الدولة البابلية.

وترجع كلمة فوريم أو بوريم إلى كلمة بور أو فور الفارسية وتعني القرعة. وكان الوزير هامان قد أجرى القرعة لتحديد اليوم الذي سيتم فيه إعدام عدد كبير من اليهود، ورست القرعة على يوم الثالث عشر من آذار. ولكن (استير) وعمها مردخاي كانوا له بالمرصاد واستطاعوا أن يقنعوا الملك أحشويروش بأن هامان يدبر مؤامرة للملك. وبالتالي قاموا بإعدامه وأنصاره في نفس اليوم الذي كان فيه مقرراً إهلاك اليهود.

وقد قام أحبار اليهود بكتابة سفر كامل من أسفار العهد القديم يتعبدون فيه إلى الله، فيه قصة هذه الغانية اللعوب، التي قامت بالوصول إلى قلب الملك رويداً رويداً حتى تحكمت فيه. . وطلبت من الملك بعد أن أسكرته أن يطلب من الوزير هامان حضور الوليمة التي ستقيمها في الغد. . وبدا الأمر سهلاً للملك وللوزير وحضر الوزير وهو لا يعرف أن (استير) يهودية، ولم يكن الملك يعرف ذلك أيضاً. . واستطاعت (استير) أن تلعب بعقل الملك وتسقيه من الخمر حتى سكر وأوهمته أن هامان يدبر مؤامرة للملك فأمر الملك بإعدام هامان. . وكان الملك ثملاً وبسرعة نفذت (استير) الأمر وأنقذت بذلك عمها مردخاي واليهود من القتل والتنكيل الذي كان ينتظرهم على يد هامان.

وقد تكررت قصة (استير) مع الغانية (يهوديت) التي يزعم سفر يهوديت أنها استطاعت أن تلعب بعقل قائد من قواد (نبوخذ نصر) وأن تنام معه لعدة ليال وتسقيه من الخمر، ثم ذبحته ذات ليلة وهو سكران ثمل.

ودور النساء في مؤامرات اليهود، وتنفيذ أغراضهم دور مشهور.. ومنذ زمن (نبوخذ نصر) في القرن السادس قبل الميلاد (زمن يهوديت)، ثم (استير) (القرن الخامس قبل الميلاد). لعبت الفتيات اليهوديات دوراً خطيراً في تنفيذ مخططات اليهود إلى يومنا هذا.

وبمجرد أن سمح الملك الفارسي (أحشويروش) لـ(استير) أن تقضي على هامان استغلت الفرصة وأمرت بقتل هامان وبنيه العشرة وخمسمائة من رجاله.. وفي اليوم التالي علقوا هامان وبنيه على خشبات المدينة.. وقتلوا ثلاثمائة رجل في شوشان من أنصار هامان، وسارع اليهود إلى الانتقام من كل الذين كانوا يعملون مع هامان، فقتلوا من أعدائهم خمسة وسبعين ألفاً في أقاليم المملكة الفارسية الضخمة!!

وجعلوا من اليوم الثالث عشر والرابع عشر من مارس يوم عيد.. وفي هذين اليومين يقومون بلبس الأقنعة والملابس التنكرية على طريقة الكرنفال، ويكثرون في ذلك اليوم من شرب الخمور والفواحش والزنا والفجور على طريقة يهود في شكر النعم التي ينعم الله بها عليهم.

ولهذا اشتهر هذا العيد، وخاصة لدى المؤرخين المسلمين الذين كان اليهود يعيشون بين أظهرهم باسم «عيد المسخرة» أو عيد المساخر.

ويتميز سفر (استير) أن اللّه لم يذكر فيه على الإطلاق.. ويقرأ هذا السفر بطبيعة الحال في عيد الفوريم هذا.

ويعتبر بعض الباحثين الغربيين أن قصة (استير) مثل قصة سابقتها (يهوديت) خيالية ولا أصل لها.. ويقرِّر بعض الباحثين أن هناك مبالغات كثيرة في هذه القصة.

ويقول الآباء اليسوعيون في مقدمة سفر استير (الكتاب المقدس):

«لقد حفظ هذا السفر في التوراة العبرية. وهو يُقرأ كل سنة في عيد الفوريم

الصاحب الذي يُعتبر بمثابة ذكرى لهذه الحوادث. وقد يشرح طابع هذا العيد، هذا الحدث الفريد الذي مفاده أن نص السفر، كما جاء في التوراة العبرية، لا يذكر اسم الله. . .»

«أما تاريخية التفاصيل وجوهر السفر أيضاً، فتعترضهما صعوبات جمَّة على الرغم مما جاء من ملاحظات شديدة عن الأخلاق الفارسية، وطوبوغرافية صحيحة عن مدينة شوشان».

«من الممكن أن يكون اليهود قد تعرَّضوا لتعنيفات من هذا النوع في أثناء الحكم الفارسي. **وقد حاك المؤلف حول ذكرها قصة خيالية**».

«أما تاريخه (أي سفر استير)، وهو حديث دون شك، فقد يرجع إلى الجيل الثاني قبل المسيح».

وهكذا نجد أن أسفار العهد القديم وأعياد اليهود كلها أو أغلبها من نسج خيال مريض، وضعه مجموعة من الأحبار ليُحكموا سيطرتهم على العالم باعتبارهم شعب الله المختار. وباعتبارهم هم صفوة الصفوة من هذا الشعب المختار. ولا عليهم في ذلك من استخدام كافة الأساليب القذرة، وخاصة النساء، والرشوة، والخمور، والمخدرات. . وكلها وسائل ينبغي الإسراع بتنفيذها بذكاء في سبيل الوصول إلى الحكومة العالمية التي يكون مقرها أورشليم، ويحكمها أحبار اليهود والمسيح الدجال.

ويصف زكي شنودة في كتابه «المجتمع اليهودي»، الاحتفال بهذا العيد، فيذكر أنهم يصومون يوم الثالث عشر من آذار كما صامت (استير) وفي مساء ذلك اليوم يقرأون سفر (أستير) في الهيكل أو المعبد، فإذا وصلوا إلى اسم (هامان) صرخوا جميعاً «الهلاك له» ويتلون أسماء أبناء هامان العشرة بسرعة شديدة للدلالة على أنهم صُلبوا في وقت واحد. ثم يقضون يومي العيد غارقين في الشراب والغناء والرقص.

● **عيد الفصح (عيد الفطير) أو عيد العبور :**

وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق. ويحتفلون فيه بإخراجهم من مصر، ونجاتهم من فرعون، ويسمونه «الفصح»، وهي كلمة عبرية تعني (العبور)، أي أنهم عبروا البحر ونجّاهم الله من فرعون.

وسُمي بعيد الفطير لأنهم يأكلون فيه فطيراً قبل أن يختمر، كما فعل آباؤهم عند خروجهم من مصر، حيث أخذوا معهم عجينهم قبل أن يختمر. . .

وتستمر الاحتفالات بهذا العيد سبعة أيام، تبدأ من اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من شهور السنة العبرية، وهو شهر (أبيب) المقابل لشهر نيسان أو أبريل، وينتهي العيد في اليوم الحادي والعشرين منه.

ويأكلون طوال السبعة الأيام فطيراً بدل الخبز المختمر، ويمارسون الطقوس من ليلة الخامس (مساء يوم الرابع عشر). وتذبح كل عائلة ليلة الاستعداد هذه خروفاً، وتلطخ بدمه قائمتي باب البيت وعتبته (سنعرف بعد قليل مغزى هذا العمل الغريب)، وتشويه بأكمله دون أن تكسر عظمة منه. ثم تأكل لحمه داخل البيت مع الفطير، والأعشاب المرَّة. ولا يجوز أكل اللحم نيئاً أو مطبوخاً، بل لا بد أن يُشوى الخروف بأكمله بالنار، ويأكلونه كله، فإذا بقي شيء من اللحم إلى الصباح فإنهم يحرقونه. ولا يؤخذ شيء من اللحم خارج المنزل. . وكان عليهم أن يأكلوه وهم وقوف، لابسين لأحذيتهم، متمنطقين كأنهم مستعدين للخروج. . ولكن مع الزمن تغير ذلك إلى أن يأكلوا الخروف وهم متكئون. . ويوضع لرئيس العائلة مكان معين، ويعتمد على ذراعه الأيسر على بعض الوسائد، ويبدأ رئيس العائلة فيقص قصة خروج بني إسرائيل من مصر، وهروبهم من نير فرعون، ويقرأها بثلاث صيغ. . صيغة للكبار، وصيغة للصغار المدركين، وصيغة مختصرة ومسلية للأطفال الصغار. . وتكثر في هذا العيد الحكايات والقصص المتعلقة بالنبي (إيلياء)، ويضعون كرسياً خالياً انتظاراً لمجيئه، ويضعون أمامه كأساً من الخمر ليشربه عند مجيئه مع قطعة من لحم الخروف المشوي.

ويهتم اليهود اهتماماً كبيراً جداً بعيد الفطير، وهو عيد الفصح، وذلك لأنه

مرتبط بنجاتهم من يد فرعون، حيث جعل الرب لهم ذلك بداية الخروج، وعلامة كسر طوق العبودية والذل.. ولذا فإن ذكر عيد الفطير وتفصيلاته، تُذكر في عدة أسفار من أسفار العهد القديم.. وفي سفر الخروج تخصص الأبواب (الإصحاحات) التالية لذكر تفاصيل عيد الفطير.. وهي الإصحاح الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر.. ويمنع بنو إسرائيل في تلك الفترة من أكل أي شيء مخمر «ومن يأكل مخمراً تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل»، وهو حكم بالغ القسوة إذ يحكم بناء على هذه الآية (إن صحَّ التعبير) بالإعدام لمن يأكل خبزاً مخمراً في أيام عيد الفطير.

«سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم، فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع، تقطع تلك النفس من إسرائيل، ويكون لكم في اليوم الأول محفل مقدس وفي اليوم السابع محفل مقدس. لا يعمل فيهما عمل ما إلَّا ما تأكله كل نفس، فذلك وحده يعمل منكم. وتحفظون الفطير لأني في هذا اليوم عينه أخرجت أجنادكم من أرض مصر. فتحفظون هذا اليوم في أجيالكم فريضة أبدية. في الشهر الأول (من السنة) في اليوم الرابع عشر من الشهر مساءً تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادي والعشرين من الشهر مساءً. سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم. فإن كل من أكل مختمراً، تُقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل. الغريب مع مولود الأرض لا تأكلوا شيئاً مختمراً» (خروج ١٢: ١٥ ــ ٣٠).

وفي نهاية تلك الأيام السبعة أمرهم موسى ــ حسب قول التوراة المحرَّفة ــ أن يذبحوا غنماً للفصح «وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطست. ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست. وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح. فإنَّ الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب. ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب. فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد (خروج ١٢: ٢١ ــ ٢٤).

وخلاصة هذه القصة أن الرب ضرب فرعون وقومه ضربات متتالية، القمل والجراد والضفادع والدم.. والسنين ونقص الثمرات.. والرعود والبرد... إلخ، وفي كل مرة يعد فرعون بإطلاق شعب بني إسرائيل إذا رفع الرجز والعذاب.. وفي كل مرة

يدعو موسى ربه فيزيل الله الرجز ويعود فرعون لتعذيب بني إسرائيل، وعدم السماح لهم بالخروج ليذبحوا للرب. .

وتأتي الضربة الأخيرة: «هكذا يقول الرب. إني نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر فيموت كل بكر في أرض مصر. من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التي خلف الرحا. وكل بكر بهيمة. ويكون صراخ عظيم في كل أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله أيضاً. . ولكن جميع بني إسرائيل لا يسنن كلبٌ لسانه إليهم. . لا إلى الناس ولا إلى البهائم. لكي تعلموا أن الرب يميِّز بين المصريين وإسرائيل» (الخروج ١١ : ٤ ـ ٧).

ووقعت الواقعة المهولة حيث نزل الرب ـ كما تزعم التوراة ـ وتَمشَّى في أرض مصر وقَتَل كل بكر فيها من بكر فرعون إلى بكر الجارية التي خلف الرحا. . إلى بكر كل بهيمة للمصريين. .

لكن الرب الذي يميِّز بين المصريين وإسرائيل، لا يمسّ شعرة من بني إسرائيل!! وحتى لا يقع الرب في الخطأ ويقتل شعبه وابنه البكر إسرائيل، يجعل لهم علامة وهي أن يذبح كل واحد منهم شاة، وأن يغمس عتبة بيته، وقائمة البيت بالدم، بحيث أن الرب يعرف أن هذا بيت إسرائيلي من شعبه. . ابنه البكر!! فلا يمسّه ولا يدع المهلك يقتل ابنه البكر ولا بكر مواشيه. .

أما إذا لم تكن هناك علامة دموية على الباب. فإن الرب سيحتار ويظن أن هذا البيت يسكنه المصريون فيقتل أبناءَهم!!

إنها صورة مشوهة للرب الذي ينزل في الليل ليقتل كل بكر للمصريين، حتى البهائم التي لهم، يقتل كل بكر منها. . وهو رب أيضاً لا يعرف شعبه، وكأنه بشر لا بد له من علامة، حتى يميِّز المصري من الإسرائيلي. . وتكون تلك العلامة هي الدم الذي على الباب وعلى القائمتين. . ومن لم يضع هذه العلامة فليتحمَّل مسؤولية ما يحدث له!.

ونزل الموت على بيوت مصر. . وفُجعت كل أسرة فيها من بيت فرعون إلى بيت

أصغر فلاح في القرية.. ومات كل بكر من البشر والأنعام.. وحدث صراخ عظيم لم يكن مثله ولا يكون مثله أبداً!!

وأصبح فرعون خائفاً مرعوباً، وكذلك كل حاشيته وقومه. وقالوا له: أطلق بني إسرائيل، فأطلقهم ليعبدوا الرب إلّهِهم وليذبحوا له في البرية.. واستعار بنو إسرائيل الحلي من المصريين، لكي يحتفلوا بعيدهم، ووعدوا المصريين بالعودة بعد ثلاثة أيام، هي أيام العيد.. وتزعم التوراة، أن الرب هو الذي أَمَر شعبه باختلاس الحلي من المصريين لأن اليهود كانوا قد قرَّروا الهروب من أرض مصر. وأخذوا الحلي معهم، حسب أمر الرب.

نعم كل الجرائم التي يقترفها يهود، هي حسب أمر الرب.. السرقة.. الاحتيال.. الغش.. الخداع.. الربا.. القتل.. وما أفظع جرائم القتل التي تدَّعي التوراة المحرَّفة أن موسى ويوشع بن نون قاما بها ضد الشعوب القاطنة في الأردن ولبنان وفلسطين.. (انظر فصل يوشع بن نون والمجازر)، حيث يقوم موسى ويوشع ــ حسب زعم التوراة ــ بقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، حتى البهائم يأمر موسى ثم يوشع بن نون بإبادتها إبادة تامة. لأن الرب أمر بتحريم الغنائم، وعليه فلا بد من قتل كل نفس حتى الرضع..

وفعل اليهود، كل ما أمر به الرب.. وأقاموا عيد الفصح، وأكلوا الفطير سبعة أيام، وذبحوا في اليوم السابع، ولطَّخوا أبوابهم بالدماء، حتى لا يخطىء الرب أثناء تجواله الرهيب، فيقوم بقتل أبكارهم.. ولهذا قال الرب: «قدس لي كل بكر. كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم، إنه لي». (الخروج ١٣ : ١).

«ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين (فلسطين)، كما حلف لك ولآبائك وأعطاك إياها، أنك تقدم للرب كل فاتح رحم. وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك. الذكور للرب ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وإن لم تفده فتكسر عنقه. وكل بكر إنسان من أولادك تفديه» (الخروج ١٣ : ١١ ــ ١٣).

ويأخذ الأحبار والكهنة من بيت لاوي هذه الفدية، ويقدِّمونها في محرقات، حيث تحرق في المذبح، فيشم الرب رائحة المشوي الذي أُغرم به جداً ــ في التوراة

المحرَّفة المزيَّفة ـ فيتنسَّم نسيم الرضا على شعبه.. ويأخذ أبناء لاوي اللحم، ويأكلونه.. لأنه قدس الأقداس لهم..

ويحتفل اليهود على مدى الأجيال المتطاولة بعيد الفصح هذا بطريقة مضحكة حقاً، حسب أوامر التوراة المحرَّفة.. فبعد أن يذبحوا الأغنام ويلطِّخوا الأبواب بالدم حتى لا يخطىء الرب فيهلكهم.. (فأرى الدم وأعبر عنكم) ويأمرهم الرب بأن يأكلوا اللحم تلك الليلة مشوياً مع الفطير على أعشاب مرَّة يأكلونه.. لا تأكلوا منه نيئاً أو طبيخاً مطبوخاً بالماء، بل مشوياً بالنار. رأسه مع أكارعه وجوفه. ولا تبقوا منه إلى الصباح. والباقي منه إلى الصباح تحرقونه بالنار. وهكذا تأكلونه أحقاقكم مشدودة، وأحذيتكم في أرجلكم، وعصيكم في أيديكم، وتأكلونه بعَجلة!! هو فصح للرب.. فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيِّدونه للرب عيداً. في أجيالكم تعيِّدونه فريضة أبدية» (الخروج ١٢ : ٨ ـ ١٤). وتبدأ الطقوس ليلة التفتيش عن الخميرة (١٤ نيسان) ويخرجون فيه أي خميرة أو عيش مخمر من البيت. ويأكلون العيش غير المخمَّر ويضعون على المائدة خمسة أقداح من النبيذ، أحدها يترك لأجل النبي إيليا الذي يزعمون أنه سينزل من السماء.. ويقص رئيس العائلة قصة الفصح لأفراد العائلة أو يقرأها لهم.

● تطور عيد الفطير والدم لدى اليهود:

ولم يكتفِ اليهود بهذا العيد على نكارته وبشاعته وسخفه وحقارته، حيث يصورون المولى عز وجل بصورة رجل فظ غبي.. لا يعرف أصحابه ولا شعبه إلَّا بالدم على الأبواب.. ولكنهم زادوا عليه طقوساً دخلت في عصور السحر.. وقد اشتهر اليهود بالسحر..

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ

وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

وارتباط اليهود بالسحر قديم منذ عهد سليمان عليه السلام، الذي اتهمه اليهود بالسحر وبعبادة الأوثان. . . إلخ. وقد حاول اليهود أن يسحروا رسول الله ﷺ فما استطاعوا أن يؤثروا إلاّ على ناحية واحدة فقط من حياته، وهو أنه كان يشعر أنه يأتي النساء وما كان أتى زوجاته. . ثم جاء جبريل عليه السلام وأعلمه بما فعلوه ونجّاه الله من السحر وأنزل الله عليه المعوذتين.

وفي عهود انتشار السحر التي تسمى (الكابالا) بين اليهود، دخلت إلى عيد الفطر طقوس أشد بغضاً ونكارة وحقارة من كل ما سبق. وذلك أنهم يقومون بخطف إنسان ممن يعتقدون أنه عدوّ لليهود ويذبحونه ويأخذون دمه ويضعونه في الفطير. . ويوزَّع هذا الفطير المصنوع بالدم الآدمي على معابدهم وبِيَعهم وكنيسهم. .

وبعد ظهور عيسى عليه السلام، أصبح دم النصراني هو أفضل دم لديهم، ودم الطفل الذكر النصراني هو أفضل الدماء لصنع الفطير المقدس. . وقد حدثت حوادث كثيرة غير موثقة من هذا القبيل في أوروبا.

وبعد ظهور الإسلام ومعاداتهم للمسلمين. . كانوا يقومون من حين إلى آخر بارتكاب هذه الجريمة ضدّ المسلمين. . ولكنهم كانوا دائماً يفضلون دم النصراني إذا وجدوه.

وقد ظهرت في الشام (دمشق) فضيحة قتل البادري توما الكبوجي وخادمه إبراهيم أمارة، حيث اختطفهما اليهود في حارة اليهود، وقاموا بقتلهما في ٢ ذي الحجة ١٢٥٥هـ

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(فبراير ١٨٤٠م). . وذلك للحصول على دم منهما لفطير صهيون الذي يؤكل في عيد الفصح.

واعترف الجناة بجريمتهم، وأنهم قاموا بها تنفيذاً لتعليمات التلمود، بما فيهم الحاخام موسى أبو العافية. . الذي أعلن إسلامه بعد هذه الحادثة. وكتب للوالي شريف باشا الرسالة التالية في يوم الثلاثاء ٧ محرم ١٢٥٦هـ، التي نقتطف منها الفقرات التالية:

«حيث صدر الأمر الكريم، نحرر الذي نعلمه في قضية قتل البادري توما. وبما أني قد صرت من المؤمنين بالله تعالى ورسوله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، يلزمنا أن نقول الحق. إن الحاخام العنتابي «ربّي» (أي كبير الحاخامات) ديانة اليهود في الشام، تكلم معنا قبل الجريمة بعشرة أو خمسة عشر يوماً. . وقال أنه يلزم له دم كما أوصت الديانة اليهودية، وقد اتفق مع داوود هراري (من كبار أثرياء اليهود في الشام آنذاك) وأخوته، على تنفيذ ذلك في منزلهم».

واستطرد الحاخام موسى أبو العافية يذكر التفاصيل وكيف قام داوود هراري بدعوة صديقه الأب (البادري) توما الكبوجي، لكي يعطي أحد الأطفال اليهود طعماً ضد الجدري. . وكيف أحاط رجال داوود هراري بالأب توما وأوثقوه بالحبال وأدخلوه دار داوود، ثم كيف اشترك في ذبحه هراري وأخوته يوسف وإسحاق وهارون والحلّاق اليهودي سليمان الحلّاق. . مع وجود الحاخام (سلانيكي) والحاخام (أبو عافية). ثم قال الحاخام (أبو عافية) في تقريره المرسَل إلى الوالي شريف باشا: «والدم المطلوب عند اليهود لأجل الفطير الذي يصنعونه يوم وقفة عيدهم. . وقد فعل اليهود ذلك أكثر من مرة وقُبض عليهم وسيقوا للحكّام (في بعض الحالات النادرة). . وهذه القضايا مذكورة في كتاب يُتداول بين اليهود، اسمه (سفر دهدوروت) ».

توقيع محمد مسلماني
(الحاخام موسى أبو العافية سابقاً)

وعقـد مجلس كبير حضـره الـوالي (شـريف بـاشـا) وقنـاصـل الـدول الأوروبيـة والمحققـون، وحدثت المـواجهة بين الحـاخام مـوسى أبو العـافية والـربّـي (الحاخـام الأكبر) لليهود بالشام: الحاخام العنتابي المحرِّض الأول على الجريمة.

وقد أحضر الحاخام (أبو العافيـة)، كتباً يهـودية وأسفـاراً وشروحـاً قديمـة، وأخذ يشرح عقائد اليهود في عيد الفطر، واستخدامهم للدم.. واستمرت المناقشة بينـه وبين الـربّـي العنتابي وسُجِّلت كـل وقائـع الجلسـة وما دار فيهـا من منـاقشـات في محضـر الجلسة ووقَّـع عليها الحاخامـان المذكـوران، واعترف العنتـابـي بأن كُتب اليهـود التي تُطبـع في أوروبا تحذف عمداً بعض الكلمات، أو تترك مكـانها غُفـلاً، والمقصود بهـا النصارى.. كما اعترف العنتابي بأن من عقائـد اليهود التي دخلت في عصـر الكابـالا (أنواع من السحر والشعوذة) بعد عهد سليمان عليه السلام، هي التي استخـدمت الدم في الفطير.. والمقصود بالدم ها هنا هو دم إنسان.

وقد بدأ اليهود يستخدمون دم النصارى بعد زعمهم أنهم قتلوا المسيـح عيسى بن مريم، وبدأوا ذلك عندما انهزم النصارى أيام هرقل أمام الفرس، وكان اليهود يشتـرون بعض الأسـارى من النصارى، ويـذبحونهم في عيـد الفطيـر، ويستخـدمـون دمهم في صنـع ذلك الفطير.

وفي أيام السلطان (سليم الثالث)، اختطف اليهود طفلاً يونانياً وذبحـوه لاستنزاف دمه لعيد الفطير. وثبتت التهمـة ضدهم بـاعترافهم، وشنق السلطان منهم ستين يهـودياً اشتركوا في تلك المؤامرة الدنيئة. وعُلِّق كل عشرة في شارع من شوارع المدينة..

وحدث مثل ذلك في انجلترا، وطردهم ملك الإنجليز من بلاده بعد أن قتل منهم المئات. وفي فرنسـا ارتكبوا جـريمة ممـاثلة في عهد الملك فيليب أوغسطوس وأشرف الملك بنفسه على التحقيق. وعندما ثبتت التهمة ضدهم قام الملك بإحراق المتهمين، وطرد جميـع اليهود من فـرنسا. وتكـررت القصة في ألمـانيا.. وفي روسيـا.. وكانت النتيجة عند ثبوت التهمة قتل مئات اليهود وطرد جميـع اليهود من تلك البلاد.

وهم يفعلون ذلـك بالمسلمين أيضـاً إن لم يجـدوا نصـرانيـاً، لأنهم يفضلون دم النصراني على المسلم في هذا العيـد خاصـة.. كما أنهم يفضلون الـذكر على الأنثى

في مسألة الـدم. . ويعتبرون أن أزكى الـدماء لقـربانهم: هي دمـاء الأطفال. . ولكنهم لا يمانعون من أخذ دم رجل أو أنثى إذا لم يجدوا دم الطفل بسهولة. .

وبما أن الأب (توما الكبوجي) كـان يحمل الجنسيـة الفرنسيـة، فقد اهتمّ قنصـل فرنسا لهذه القضية، وكان أول من كتب مذكرة رسمية لوالي دمشق (شريف باشا) واتهم فيها اليهود بقتل (البادري توما) وخادمه (إبراهيم أمارة).

واهتم الوالي (شريف باشا) بالقضية اهتماماً بالغاً، وبـدأت عمليات التحقيق مـع اليهود بناء على شهادة الشهود الذين رأوا خادم الأب توما وهو يدخل حارة اليهـود قائـلاً لهم إن الأب تـوما ذهب إلى حـارة اليهود واختفى. . ثم اختفى الخـادم إبراهيم أمـارة أيضـاً. . واعترف سليمـان الحلّاق اليهـودي بما حـدث وتتـالت الاعتـرافـات بحضـور القناصل وكان مما جاء في اعترافات سليمان الحلّاق ما يلي:

«أرسل داوود هراري خادمه مراد الفتال في طلبـي بعـد الغروب. . عنـدما ذهبت إلى بيته رأيت هارون وإسحـاق ويوسف هـراري ويوسف لينيـادو والحاخـام أبو العـافية والحاخام سلانيكي وصاحب البيت داوود هراري. . كان الأب تـوما مـربوطـاً. . قالـوا لي: قم واذبـح هـذا القسيس على الأرض. . واشتركنـا جميعاً في مسكـه. أنـا الـذي وضعت رقبـة القسيس على طشت كبير. وأمسـك داوود بالسكين وذبحـه. وأكمل معـه أخـوه هـارون. . لم تقـع نقـطة دم واحـدة من دم القسيس خـارج الـطشت. . سكنت حـركـات الضحيـة. . ثم سحبنـاه من حجـرة الـذبـح إلى حجـرة أخـرى فيهـا بعض الأخشاب ثم نزعنا ثياب القتيل وأحرقوها. . عندئذ حضر الخادم مراد الفتال وبأمر منهم قمت أنا والخادم بتقطيع القسيس إرباً إربـاً. . كنا نضـع القـطعة في الكيس ثم نـرميها في المصرف عند أول حارة اليهود بجوار منزل الحاخام مـوسى أبو العـافية. ثم رجعنـا إلى منزل داوود. . وانتهت المأمورية. . وعدوا الخادم بأن يزوجوه من الفتاة التي يحبها بمالهم. . ووعدوني بالدراهم ثم توجّهت إلى منزلي. . وأنا لم أقل ما قلت الآن إلّا بناء على ما يرتضيه ضميري!».

وسأل الباشا سليمان: ماذا فعلتم بعظامه؟

قال سليمان: كسرناها بيد الهاون، ورأسه كسرناها بيد الهاون أيضاً!.

س: وكيف فعلتم بأحشائه؟

ج : قطعناها وأخذناها في الكيس.

س: مَن اشترك في التقطيع؟

ج : كنت أنا والخادم نقطعه. والرجال السبعة كانوا يرشدوننا إلى الطريقة.. كان معنا سكين واحدة أتبادلها أنا والخادم.. وهي تشبه سكاكين الجزارين.

س: على أية بلاطة كسرتم العظام بعد تقطيع الأب توما؟

ج : على بلاطة موجودة بين المربعين.

س: لما كسرتم رأس توما، بالطبع كان المخ يخرج منه، فماذا فعلتم به يا سليمان؟

ج : نقلنا المخ مع العظام.

س: متى تمّت الجريمة؟

ج : وقت العشاء.

س: كم استغرق تصفية الدم؟

ج : حوالي ثلث ساعة، وهي المدة التي بقي فيها القس موضوعاً على الطشت.

س: ألم يحدث شيء يا سليمان؟

ج : كان الرجال السبعة يضحكون ويمرحون ويغنون.. بعضهم كان يرقص طرباً. هذه الطقوس ضرورية كما في الديانة. وكانوا يفعلون أشياء كثيرة قبل موت البادري ليزيدوا من ألمه.. وقالوا له: كن متألِّماً كما كان الناصري (أي عيسى بن مريم) معلقاً على الصليب.. وليكن العذاب لجميع أعدائنا.

وتوجَّه قنصل فرنسا بسؤال إلى الحاخام داوود هراري وهو مراد الفتال:

س: ما منفعة الدم عند اليهود؟

ج : يستعملونه في الفطير.

س: كيف علمت ذلك؟

ج : سمعتهم يقولون ذلك.

وقال الأميرالاي حسن بك، المشرف على التحقيق:

«حيث أن اعتراف المتهمين لا يوجد فيه اختلاف، فلنذهب مع الخواجة (بودين) «مترجم قنصلية فرنسا» والدكتور مساري لمعاينة المحل الذي حصل فيه تكسير العظام ثم نعاين المربع الذي حصل فيه تقطيع القسيس.. والمصرف الذي أُلقيت فيه الجثة، ولنأخذ معنا المتهمين ليدلّونا على هذه الأماكن، كلاً منهم على حدة».. ووافق الجميع.

وقام سليمان الحلّاق ومراد الفتّال بتوضيح مسرح الجريمة، والمكان الذي قطع فيه اللحم إرباً إرباً ، والبلاطة التي كانت العظام تُدقُّ عليها بيد الهاون.. واستطاع المحققون أن يستخرجوا بعض العظام واللحم من المصرف، وكذلك قطعة من طربوش الأب توما. وأرسلت العينات إلى الباشا والي دمشق الذي سلّمها بدوره إلى قنصل فرنسا. وعرضت بقايا الجثة والعظام على لجنتين من الأطباء ــ إحداهما من الأطباء الأوروبيين، والأخرى من الأطباء العرب المسلمين والمسيحيين.. وكانت التقارير كلها متفقة في أن بقايا الجثة والعظام والطربوش كلها تشير إلى مواصفات الأب توما.

كما اعترف الحاخام (أبو العافية) بأن الزجاجة التي جمعوا فيها دم الذبيح، قد سلمت يداً بيد إلى حاخام اليهود الأكبر في الشام، وهو (يعقوب العنتابي) الذي سرَّ بالزجاجة وقال للحاخام أبي العافية: سوف نصنع الفطير المقدس، وسنرسل جزءاً منه إلى إخواننا يهود العراق الذين طلبوا منّا ذلك.

وتفاعلت القضية بشكل مثير جداً.. وتحركت المنظمات اليهودية في أوروبا

لكي تُسدل الستار بسرعة على هذه الجريمة الشنعاء. وكان أول طلب لهم هو التوقف عن البحث في ديانة اليهود ومعتقداتهم، وحذف كل ما ذكره الحاخام موسى أبو العافية سابقاً وحواره مع كبير حاخامات الشام (يعقول العنتابي) من محاضر الجلسات.

ومات (يوسف هراري) في السجن نتيجة مرضه. وكذلك مات يوسف لينيادو في السجن من شدة المرض. . وبدأت تحركات عنيفة ضد اليهود في دمشق، بل في سوريا والعراق والأردن، وحاول اليهود أن يضغطوا على قنصل فرنسا بالذات لكي يسمح بتناسي القضية.

وقد كتب القنصل في ٢٢ نيسان (أبريل) ١٨٤٠م (٤ صفر ١٢٥٦هـ) خطاباً إلى الوالي شريف باشا، يوضح له فيه محاولات اليهود في تمييع القضية ورشوة أحد المحققين. وهذا نص خطابه:

«أخبرت دولتكم بإفادتي (أي بجوابي) رقم ٢٢ بأنه جاري دسائس خفية بخصوص اليهود المحبوسين، وقد علمت أن اثنين من اليهود، وهما: (إلياهوا نحماد) من حلب، والآخر (بتشوتو) الذي ورد اسمه في التحقيقات من قبل، وعدا أحد الرجال المشتركين في التحقيق بأن يعطياه مبلغاً كبيراً من المال لكي يقول أقوالاً مخالفة لما جاء في أقوال المتهمين حتى الآن. وقد وعدوه ببعض آلاف الريالات وحماية قنصلية. واقتضى تحريره».

توقيع الكونت دي راتي مانتون
(قنصل دولة فرنسا بالشام)

ثم كتب القنصل خطاباً آخر إلى الباشا يخبره فيه بأن أحد اليهود اتصل بشبلي أفندي، الموظف في القنصلية الفرنسية بالشام، وطلب أن يجتمع به، ووافق القنصل على هذا الاجتماع ليعرف ماذا يريد اليهود، فكانت طلباتهم كالتالي:

أوّلاً: التوقف عن ترجمة الكتب العبرية، لأن ذلك مخلّ بحقوق الأمة اليهودية.

ثانياً: ألّا يصير وضع هذه الترجمة أو أي شيء آخر يختص باليهود في (دوسييه) القضية، بل يلزم إعدام أو إتلاف كل ما ترجمه موسى أبو العافية.

ثالثاً: أن يتم التوسط لإطلاق سراح المعلم (روفائيل فارحي) المتهم في قضية مقتل الخادم (إبراهيم أمارة).

رابعاً: التوسط لتخفيف حكم الإعدام الذي صدر ضد المدانين بأي عقوبة أخرى.

وقد عرض دفع خمسمائة ألف قرش (خمسة آلاف دينار عثماني ذهباً) منها مائة وخمسون ألف وقت التصريح بالرضا، والباقي عند نهاية القضية.

ويقول الكونت (دي راتي مانتون)، قنصل فرنسا، في نهاية خطابه: «ولديَّ كيس به بضعة آلاف من القروش أحضره أحد اليهود. وقد حفظته بصفة أمانة لحين إجراء التحقيق».

ونجحت وساطة اليهود وضغوطهم الشديدة على قنصل فرنسا لكي يوقف حكم الإعدام الذي أصدره الباشا (شريف)، والي دمشق، وذلك بحجّة عرضه على إبراهيم باشا بن محمد علي (ذلك أن إبراهيم باشا هو الذي استولى على الشام لأبيه محمد علي باشا، وبالتالي فإن السلطة العليا للوالي على دمشق هي لإبراهيم باشا أو والده محمد علي باشا).

وواجه محمد علي باشا ضغوطاً رهيبة من دول أوروبا، وإغراءات مالية ضخمة، ووعد بالمساعدة في وجه الدولة العثمانية التي كان في حروب شديدة معها، إذا تم إسقاط هذه القضية.

«قام محمد علي باشا، لقاء الإغراءات الضخمة وتجنُّباً لمعاداة دول أوروبا مجتمعة التي كان اليهود يحرِّكونها ضده، قام محمد علي بإصدار أمر بإخلاء سبيل المحبوسين وإرجاع ذوي الجنسيات الأخرى إلى أوطانهم».

وسلَّم محمد علي باشا فرمان العفو ليد موسى مونتيفيوري وكراميو، اللّذين قدما إلى مصر من أوروبا باعتبارهما ممثلين لجمعية الاتحاد الإسرائيلي في أوروبا. وهما من الشخصيات البارزة في فرنسا وأوروبا.

وكان جواب محمد علي باشا كما يلي:

«إلى شريف باشا، والينا في دمشق. . .

«إنه من التقرير المرفوع إلينا من الخواجات (مونتيفيوري) و(كراميو)، اللّذين أتيا لطرفنا مرسلين من قبل عموم الأوروبيين التابعين لشريعة موسى، اتضح لنا أنهم يرغبون في الحرية والأمان للذين صار سجنهم من اليهود. . وللذين ولّوا الأدبار هرباً من تهمة حادثة الأب توما، الراهب الذي اختفى في دمشق في شهر ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ مع خادمه إبراهيم. .

«وبما أنه بالنظر لعدد هذا الشعب الوفير، لا يوافق رفض طلبهما، فنحن نأمر بالإفراج عن المسجونين وبالأمان للهاربين من القصاص عند رجوعهم. ويترك أصحاب الصنائع في أشغالهم والتجّار في تجارتهم، بحيث أن كل إنسان يشتغل في حرفته الاعتيادية، وعليكم أن تتخذوا كل الطرق المؤدية لعدم تعدي أحد عليهم أينما كانوا، وليُترَكوا وشأنهم من كل الوجوه. هذه إرادتنا».

ختم محمد علي باشا

وحمل (كراميو) و(مونتيفيوري) أمر محمد علي باشا إلى الوالي شريف بدمشق، الذي صعق من هول المفاجأة. . ولكن امتثل لأمر محمد علي باشا، وتم الإفراج عن جميع السجناء في ٥ سبتمبر ١٨٤٠م.

وبذلك أُسدل الستار على أغرب قصّة عُرفت في العصر الحديث. . حيث استطاعت الضغوط اليهودية والإغراءات المالية أن تلوي عنق العدالة وأن تسمح للمجرمين القَتَلة بعد إدانتهم، بأن ينطلقوا في المجتمع ليعيثوا فيه فساداً.

ولم يكتفِ فرمان محمد علي بذلك، بل سمح للهاربين من العدالة بالعودة وممارسة نشاطهم الإجرامي.

ولم يكفه ذلك كله، بل هدَّد وتوعَّد كل من يمسّ الأمن ويزعج اليهود. .

وليس موقف محمد علي باشا من اليهود هو الموقف الوحيد الممالىء لليهود رغم جرائمهم. فإن قائمة الحكّام التي تمالىء اليهود سراً وعلناً تزداد كل يوم مع زيادة

النفوذ الذي يتمتع به اليهود في أرجاء المعمورة، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وموقف محمد علي باشا يتناقض تماماً مع موقف السلطان عبد الحميد الذي رفض بكل إباء وشمم أن يسمح لليهود بإقامة مستعمراتهم في فلسطين.. ودفع الثمن غالياً.. دفعه حين اضطر أن يتنازل عن الخلافة لجمعية الاتحاد والترقي التي كان كثير من أعضائها من يهود الدومنة.. وعلى رأسهم اليهودي الأكبر المناور المخادع كمال أتاتورك.

حوادث غامضة من اختطاف الأطفال في المحفل الماسوني في عدن:

وفي عهد الاستعمار البريطاني في عدن (اليمن الديمقراطية) كان للماسونية مبنى ضخم يعرفه العامة باسم بنجلة الشيطان (أي مبنى الشيطان)، وعلى واجهته نجمة داوود.. وفي شهر صفر من كل عام يحدث أن يخطف طفل أو أكثر من هذه المدينة وخاصة بعد الغروب.. وكان الاتهام يوجَّه إلى طائفة تسمى (الجبرت)، وهم من بقايا نسل الأحباش ويعملون في نقل المزابل والدمن، وقد عرفت أكثر من حادثة تبين فيها أن هؤلاء، أو بعضاً منهم، كان يستأجره اليهود لاختطاف طفل أو طفلين والذهاب بهما إلى بنجلة الشيطان، حيث يُذبح ويؤخذ دمه لفطير صهيون.

ولكن للأسف لم تثبت أي من هذه الحوادث أمام القضاء، مثلما حدث في قضية الأب توما التي اعترف فيها الجناة بجريمتهم وصدر الحكم ضدهم بالإعدام ولكن مكايد يهود ونفوذهم السياسي والمالي استطاعوا إنقاذ هؤلاء المجرمين من يد العدالة.. ليس ذلك فحسب بل استطاعوا أن يسدلوا ستار التعتيم على هذه الجريمة البشعة.

ويذكر الشيخ مصطفى الزرقا في مقدمته لكتاب الكنز المرصود: أنهم كانوا يسمعون حوادث كثيرة تحدث في أيامهم في دمشق وغيرها من المدن السورية. ولكنه كان يظن أن ذلك من الغلو ضد اليهود وأن لا حقيقة لهذا الأمر، فلمّا قرأ تفاصيل جرائمهم في الكنز المرصود وقصة البادري توما، عرف أن لهذه القصص التي كان يسمعها في طفولته أصل.

وقد ذكر الدكتور حسن ظاظا في كتابه «الفكر الديني اليهودي»(١) حوادث كثيرة مشابهة لقصة البادري توما وإن كانت لم تثبت ثبوتها الجلي الواضح، ومنها قصة قتل اليهود للطفل الإنجليزي المسيحي «هيوج» من مدينة لنكولن بإنچلترا عام ١٢٥٥م في موسم عيد الفصح.. وقتل طفل آخر في لندن سنة ١٢٥٧م، وفي بنورتسهايم بألمانيا سنة ١٢٦١م، وفي فورثامبتون سنة ١٢٧٩، وفي ميونيخ بألمانيا سنة ١٢٨٧م، وفي برن بسويسرا سنة ١٢٨٧م، وفي كولمار سنة ١٢٩٢م، وفي كريس سنة ١٢٩٣م.. وآخر هذه الحوادث اختفاء الطفلة «ميا» في فالرياس في منطقة (فوكلوز) في جنوب فرنسا في ٢٦ مارس سنة ١٩٤٧م، وقد عُثر على الطفلة في اليوم التالي مقتولة ومسحوباً دمها من جروح عملت في الجبهة واليدين والرجلين.. وكانت التهمة منصبّة على اليهود ولكن الأدلّة كانت غير كافية.



---

(١) ص ١٨٥ وما بعدها. (انظر قائمة المراجع).

نماذج من تعاليم التوراة



إقامة المذابح

إن سياسة إسرائيل منذ التخطيط لقيامها في مؤتمر بال (١٨٩٨م) إلى إعلان قيامها عام (١٩٤٨م)، وما صاحبها من مذابح مروعة مثل دير ياسين وقبية، ثم ما تلاها من مذابح ومجازر حتى مذابح صبرا وشاتيلا، تعتمد اعتماداً كاملاً على نصوص التوراة المحرفة، وبالأخص على سفر يشوع (سفر المجازر).

ولقد قرر (بن جوريون) تدريس النصوص التوراتية التي تؤكد حق إسرائيل في أرض فلسطين والأردن ولبنان وأجزاء من سوريا حتى حماة.. وعلى تلك النصوص التي تطلب من إسرائيل طرد جميع سكان الأرض التي تدوسها أقدام إسرائيل.. والأمر الرباني المزعوم بعدم السماح لأي فرد من سكان تلك الأرض بالبقاء فيها والأمر بإقامة المذابح لتلك الشعوب، وإبادتها إبادة كاملة عن بكرة أبيها ومن ذلك ما جاء في سفر العدد (الإصحاح ٣١: ٧ ــ ١٩) من التوراة المحرفة، في قتال مدين (مديان) «فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم.. وأحرقوا مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة والنهب من السلب والبهائم وأتوا إلى موسى.. فخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات، وقال لهم موسى: هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة».

وفي سفر يشوع الإصحاح السادس عندما فتح أريحا «وحرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف». (يشوع ٦: ٢١).

ويزعمون أن الرب قال لهم: «ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار» والمقصود بالمدينة (عاي) ويصف الإصحاح الثامن من سفر يشوع بالتفصيل مذبحة عاي، وكيف قتل يشوع وبنو إسرائيل جميع سكان (عاي) وجميع من شرد منها وجميع النساء والأطفال والأغنام والأبقار.

ثم تتكرر نفس المذبحة الرهيبة بالنسبة لأورشليم، وحبرون ولخيش وعجلون ومقيدة كلها ضربها بحد السيف وحرَّم كل نفس حية فيها، فقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة.. وهكذا فعل بلبنة وجازر ودبير وحرمون... إلخ.

ويعتقد كثير من الباحثين، أن معظم تلك المجازر أسطورية، ويمثلون لذلك باحتلال أريحا، فهذا الاستيلاء مختلق من أساسه لأن علم الآثار كما يقول الأب ديفو[1] أثبت أن أريحا دمِّرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ولم يكن لها أي وجود في عهد يشوع.

وكما يقول جارودي[2]:

«ومع هذا فتستخدم هذه التلفيقات التاريخية في المدارس الإسرائيلية لتنمية التعصب بين الشباب. ولقد قام العالم السيكولجي (ج تاماران) الأستاذ بجامعة تل أبيب بالتجربة التالية: وزع الأستاذ على أكثر من ألف تلميذ، ابتداءً من الصف الرابع إلى الثامن (المرحلة الأولية في الدراسة) حيث تدخل دراسة سفر يشوع في المنهج، رواية مذبحة أريحا التي قام بها يشوع، ثم سأل التلاميذ السؤال التالي: لنفترض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية في الحرب، فهل يفعل مع أهلها ما فعله يشوع مع أهل أريحا؟ وتراوحت الإجابات بنعم بين ٦٦ بالمئة و ٩٥ بالمئة!! حسب المدرسة والمستعمرة (كيبوتز) والمدينة. ولما كشف هذا الاستطلاع الوجه الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي قامت الجامعة بفصل الأستاذ (تاماران) من قائمة أساتذتها».

وقد صرَّح أحد الحاخامات في جيش إسرائيل أثناء غزو لبنان (صحيفة هاآرتس:

(١) كما ينقله عنه روجيه جارودي: إسلائيل الصهيونية السياسية، دار الشروق: ص ٩٠.

(٢) المصدر السابق. ص ٩٠.

١٩٨٢/٧/٥) بما يلي: «علينا ألَّا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب، فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا (في أرض لبنان). فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً، هو أن نغزو أرض العدو».

ويقول روجيه جارودي[1] معلّقاً على نصوص التوراة المحرَّفة، التي تطالب بتوسيع أراضي إسرائيل، وطرد جميع سكانها الأصليين، وإبادة كل من يقاوم، بناء على العهود والمواثيق التي قطعها الرب مع إبراهيم، ثم إسحاق، ثم إسرائيل (يعقوب)، ثم موسى ويوشع.. إلخ، يقول جارودي:

«لهذا يُظهر الحاخامات في إسرائيل حماساً جنونياً لتوسيع حدود إسرائيل باستمرار، ويبررون كل المغامرات العسكرية الدموية ومجازر صبرا وشاتيلا».

ولم يقتصر الحاخامات أثناء غزو لبنان على تشجيع الغزو ومباركته، والسير في داخل الدبابات، وهم يتلون التوراة المحرَّفة بل قالوا: بأن لبنان هي أرض عاشو (اسم قبيلة) التي أعطاها الرب لإسرائيل. واعتبروا أن تدمير مدينتي صور وصيدا ودك بيروت بالقنابل ومجازر صبرا وشاتيلا، هي عمل ديني يباركه الرب، إلّه إسرائيل، حيث أمر الرب يشوع بن نون بإبادة جميع الكنعانيين والشعوب الأخرى القاطنة في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان.. وأمره الرب بأن لا يترك طفلاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأة وأن يبيد الكل بما في ذلك البهائم. «اقتل أبيمالك.. اقتل الكل، الرجال والنساء والأطفال والرضَّع والأبقار والخراف والجِمال والحمير» وأبو مالك (أبيمالك) هو ملك الفلسطينيين آنذاك وقال له: حرِّم (أي أقتل) كل الحيثيين والعموريين والفرزيين كما أمرك الرب».

ويقول روجيه جارودي في كتابه «إسرائيل الصهيونية السياسية»:

«هذا التبرير التوراتي للقتل والإبادة. وهذا الإضفاء للشرعية على العدوانات المتتالية وضمُّ أرض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية التي يقدمونها على أنها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية، يجعل اليهود يرضون ويقبلون

---

(١) المصدر السابق.

مـا لا يمكن قبولـه عقلاً. ويجعـل كثيراً من المسيحيين يعتقـدون بصحة بعض الأقـوال الكاثوليكية وبصحة أقـوال مدارس «الأحـد» البروتستـانتية، وهم يسيـرون من غير وعي منهم على سنن الأسـطورة الصهيونيـة (الموجـودة في التوراة المحـرّفة) التي أثبت علم التفسير (والآثار المتعلقة بالمنطقة) منذ قرن وبخـاصة في السنين الأخيـرة عدم صحتهـا وفنّدها تفنيداً».

«ودلّت الأسـطورة (التوراتيـة) هنا على قـوّتها في تعبئة الصهيونيين (أي اليهـود) فنـرى الحاخـام «العازار والـدمان» يكتب في جـريدة (نكـودة) في مقـال عنـوانـه «قـوة الإنجاز» فيأتي بالسند الديني لسياسة (شارون وبيچن) مبدياً ما يؤيد أشـد المشروعـات الإمبريالية جنوناً ومفسراً ذلك باستشهادات من التوراة. وموضحاً أن إسـرائيل قـد أثبتت باحتلالها لبنان أنها قادرة على إحلال عهد جديد في الشـرق الأوسط، بل تجـاوز ذلك إلى القـول: بأن هـذا بدء خـلاص العالم (مشيـراً إلى قرب نـزول المسيـح الدجـال، وهو المسيـح المنتظر في العقائد اليهودية لأنهم يعتقدون أن عيسى بن مريم أفّاق كذاب أشـر وابن زنا، وأنـه ليس المسيـح، والمسيـح يـأتي مـن نسـل داوود ويحكم العـالم بأكمله وتستبعد له كل شعوب الأرض).

ويعتمـد قـادة إســرائيـل على مــا ورد في التـوراة المحــرفـة من أوامــر الـرب إلّـه إسرائيل، بإقامة المذابـح المروعة لجميـع السـاكنين في أرض كنعان ومـا حولهـا، التي وعدها الرب لإبراهيم ونسله من بعده إلى أبد الآبدين.

وتقول التوراة المحرفة سفر التثنية الإصحاح ٢٠:

«وأمـا مدن هؤلاء الشعـوب التي يعطيـك الرب إلّهـك نصيباً فلا تستبقِ منها نسمـة بـل تحرّمها تحريماً (أي تقتل كل نفس فيها بما في ذلك الأطفال والشيوخ والنساء والبهائم) الحيثيين والآمـوريين والكنعانيين والفـرزيين والحـويين واليبـوسيين، كمـا أمـرك الـرب إلّهك».

نعم هكذا.. حرب إبادة كاملة (جينوسايد) ومحارق (هولوكوست) تتصاغر أمامها ما يقال أن هتلر فعله باليهود..

فمذابـح لبنان (كما يقول روجيـه جارودي) وغيـرها من المـذابـح التي تقوم بهـا أو ستقوم بها إسرائيل هي نتيجة طبيعية ومنطقية وحتميـة لإيديـولجيتهم وللأسـاطير التي

يؤمنون بها والموجودة فيما يسمى العهد القديم.

ولقد دعا بيجن وأنصاره إلى الحرب المقدسة بتأييد الحاخامات المتعصبين.. واستشهدوا بالنصوص المتكررة في التوراة المحرَّفة عن شعب الله المختار: و«إسرائيل الابن البكر للرب» تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. كما استشهدوا بالمجازر التي ادَّعوا ـ كذباً وبهتاناً ـ أن موسى عليه السلام ويوشع وشاول وداوود قاموا بها ضد الشعوب الساكنة في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا..

وجاء في سفر صموئيل (الإصحاح الأول: ١٥) ما يلي: «وقال صموئيل (النبي) لشاول (وهو طالوت الذي جاء ذكره في القرآن): إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل (يدعى الممسوح بالزيت مسيحاً) والآن فاسمع صوت كلام الرب: هكذا يقول رب الجنود. إني افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرِّموا (أي اقتل كل نفس)، كل ما لَهُ ولا تعفُ عنهم. بل اقتل رجلاً وامرأةً، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، حملاً وحماراً».

وتتكرر قصة المذابح في التوراة حيث تزعم هذه التوراة المحرفة: أن موسى قد قام بالمجازر أولاً ثم تبعه بعد ذلك يشوع بن نون ثم تبعهما شاول (طالوت)، ثم جاء داوود وأقام المحارق كما يزعمون، وأوقد الأتون، ورمى فيها جميع خصومه من نساء وأطفال وشيوخ ورضع وبهائم..

فإذا كان الأنبياء بهذه الوحشية عندهم، فإن ما يفعله (بيجن أو شارون) أو غيرهما من المجرمين يعتبر شيئاً تافهاً بالنسبة لتلك الجرائم السابقة.. وهم يعلنون صباح مساء أنهم يتقربون إلى الرب إلَه إسرائيل بدماء هذه الشعوب.. فهل يرجى سلام مع إسرائيل؟؟

هل يرجى سلام مع إسرائيل ونصوص التوراة المحرفة تحذر شعب إسرائيل من إجراء أي معاهدة سلام مع سكان أرض فلسطين وما حولها.

قال الرب: احفظ ما أنا موصيك اليوم، ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحيثيِّين والفرزيين والحويِّين واليبوسيين. **احترز من أن تقطع عهداً مع**

سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها لئلا يصيروا فخّاً في وسطك. . . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض». (سفر التكوين الإصحاح ٣٤: ١١ ــ ١٣).

وفي سفر العدد (الإصحاح ٣٣: ٥٠ ــ ٥٥) من التوراة المحرَّفة جاء ما يلي:

«وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: كلِّم بني إسرائيل، وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان. فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. . . تملكون الأرض وتسكنون فيها. قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم. . . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها».

وتحدد التوراة المحرفة حدود إسرائيل بصور مختلفة، فتارة تتسع، وتارة تضيق نسبياً، وأحياناً تكون الحدود مطاطة حسب قدرة جيش إسرائيل. . فقد جاء في سفر التثنية (الإصحاح ١١: ٢٣ ــ ٢٦) ما يلي:

«يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر منكم وأعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان. . من النهر، نهر الفرات إلى البحر الغربي (هل هو نهر النيل كما ورد في مواضع أخرى أم البحر الأبيض المتوسط كما دلَّت عليه عبارات أخرى من التوراة؟) يكون تخومكم. لا يقف إنسان في وجهكم. الرب إلـهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم».

جاء في سفر التثنية أيضاً (الإصحاح ٢٠: ١٦ ــ ١٨):

«وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلـهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة. بل تحرِّمها تحريماً (أي تبيد كل من فيها من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني) الحيثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيّين كما أمرك إلـهك».

ويوضح لهم الرب ــ حسب زعمهم ــ الفرائض التي ينبغي أن يعملونها. وأهمها جميعاً «تخربون جميع الأماكن» سفر التثنية (الإصحاح ١٢: ١ ــ ٢): قال الرب:

هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعلموها في الأرض التي أعطاك الرب إلّـه آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض. تخربون جميع الأماكن».

وجاء في سفر التثنية الإصحاح ٧ (من أوله لآخره).

«متى أتى الرب إلّـهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحيثيّن والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. سبع شعوب أكثر وأعظم منك. ودفعهم الرب أمامك وضربتهم فإنك **تحرِّمهم (أي تبيد كل نفس فيها من الرضيع إلى الشيخ ومن الرجل إلى المرأة وجميع البهائم). لا تقطع معهم عهداً ولا تشفق عليهم.. لأنك أنت شعب مقدس للرب إلّـهك. إياك قد اختار الرب لتكون له شعباً.. أخص من جميع الشعوب من الذين على وجه الأرض.. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب.. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلّـهك يدفع إليك، لا تشفق عيناك عليهم، ولكن الرب إلّـهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً (هذه هي سياسة إسرائيل منذ أن قامت) لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا يكثر عليك وحوش البرية. ويدفعهم الرب إلّـهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا. ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحوا اسمهم من تحت السماء، لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم».**

وهكذا تتضح معالم سياسة إسرائيل القتل والسفك والذبح لكل سكان فلسطين وما حولها.. دون وجود حدود دائمة.. **حيثما وطئت أقدامك يا إسرائيل فهي أرضك..** وبما أنك لا تستطيع أن تبيد جميع الشعوب دفعة واحدة فإن الرب إلّهك.. إلّـه إسرائيل سيدفعهم ليدك ويطردهم من أمامك قليلاً قليلاً.. لكن الحذر أن تشفق على أحد منهم.. الحذر الحذر أن توقع معهم عهداً.. لاسلام.. لاسلام ولا عهد مع هذه الشعوب حتى تبيدها جميعاً.. ولا يبقى في أرضك منهم إنسان واحد..

فهل يطمع العرب بعد هذه التعليمات التوراتية الواضحة بسلام مع إسرائيل؟!

سفر يشوع (سفر المجازر) وسياسة إسرائيل:

سفر يشوع سفر المجازر. ويشوع هو (يوشع بن نون) فتى موسى وأحد أنبياء بني إسرائيل، ولكن التوراة المحرَّفة تفتري عليه الكذب كما افترت من قبل على إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وهارون.

ويبتدىء سفر يشوع من الإصحاح الأول بوعد من الرب، بإعطائهم أرض الشعوب القاطنة في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا.. ثم أوامر من الرب بإقامة المذابح المتتالية..

ففي الإصحاح الأول (١ ـ ٧)، جاء ما يلي:

«كلَّم الرب يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات. قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم. كل موضع تدوسه أقدامكم لكم أعطيته (هكذا دون تحديد أي حدود لدولة إسرائيل) من البرية ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات.. جميع أراضي الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم لا يقف إنسان في وجهك».

وفي الإصحاح السادس من سفر يشوع يسقط سور أريحا بمجرد هتاف إسرائيل ونفخ البوق وتبدأ المجزرة قال الرب ـ حسب زعمهم ـ فتكون المدينة وكل ما فيها محرَّماً للرب (أي إبادة يباد) راحاب الزانية فقط تحيا وكل من معها في البيت لأنها قد خبَّأت الجاسوسين.. «وحرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدِّ السيف. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها... وحلف يشوع في ذلك الوقت ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة».

وفي الإصحاح الثامن، سفر يشوع **«قال الرب ليشوع: قم واصعد إلى عاي. انظر قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه. وتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم..**

«وكان لمّا انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدّ السيف حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي

وضربوها بحد السيف. فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً، جميع أهل عاي. ويشوع لم يرد يدَّ التي مدَّها بالمزارق حتى حرَّم جميع سكان عاي (أي قتل جميع السكان بما في ذلك النساء والأطفال). لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع. وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم».

وتتوالى المجازر في أورشليم ولخيش وعجلون وحبرون ويروث.. وجاء سكان جعبون وسلَّموا أنفسهم لإسرائيل **«ورضوا بأن يكونوا لهم عبيداً أبد الدهر»** كما تقول التوراة المحرَّفة ومع هذا رفض (يوشع بن نون) هذا العرض لولا أن سكان جعبون ادعوا أنهم من أماكن بعيدة ولبسوا ثياباً رثّة، وجعلوا على أنفسهم آثار السفر البعيد.. وقد علَّل يوشع ذلك الرفض بأن الرب أمره وأمر إسرائيل بعدم الصلح مع سكان أرض فلسطين وما حولها.

ثم قام يشوع وأخذ مدينة مقيدة في ذلك اليوم، وضربها بحدّ السيف، وحرَّم ملكها وكل نفس بها، لم يبقَ شارداً، كما تقول التوراة (سفر يشوع)، ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنة. فدفعها الربّ ليد ابنه البكر إسرائيل (لعنة الله على اليهود) فضربها يشوع بحد السيف وكل نفس بها. لم يبق بها شارداً ولا طفلاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأة. حسب أوامر الربّ، فعل يشوع.. هكذا تقول التوراة المحرَّفة.

ثم اجتاز يشوع، وكل إسرائيل معه، من لبنة إلى لخيش، فدفع الرب إله إسرائيل لخيش بيد إسرائيل فضربها بحد السيف، وكل نفس بها، حسب ما فعل بكل المدن السابقة. حينئذ صعد هورام ملك جازر لإنقاذ لخيش.. وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شارداً.

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون فضربوها بحد السيف. وحرّم كل نفس بها، حسب كل ما فعل بلخيش ولبنة وأريحا..

ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها.. من الطفل الرضيع إلى الشيخ

الفاني.. لم يبق شارداً.. حرَّمها يشوع حسب أوامر الرب إلّـه إسرائيل!!

ثم رجع يشوع إلى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها، وكل مدنها، وضربها بحد السيف، وحرّم كل نفس بها لم يبق شارداً..

«فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها.. لم يبق شارداً بل حرَّم كل نسمة كما أمر الربّ إلّـه إسرائيل.. فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة وجميع أرض جوشن إلى جبعون. وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة لأن الرب إلّـه إسرائيل حارب عن إسرائيل.. ثم رجع يشوع وجميع إسرائيل معه إلى المحلة إلى الجلجال»..

واستمرَّ يشوع في إقامة المجازر ـ كما تزعم التوراة ـ طوال حياته.. فما كاد ينتهي من هذه المناطق التي ذكرتها التوراة المحرَّفة حتى انطلق إلى حاصور التي ضربها بحد السيف وحرَّمها، بحيث لم تبق بها نسمة.. وأحرق يشوع حاصور بالنار كما فعل بالمدن السابقة، أريحا وعاي... إلخ، ولكن يشوع لم يحرق المدن القريبة من حاصور والواقعة على التلال، بل اكتفى بقتل كل نفس فيها.. النساء مع الرجال والأطفال مع الشيوخ!! (يا لها من رحمة!!).

فأخذ يشوع ـ حسب قول التوراة المحرَّفة ـ كل تلك الأرض: الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله من الجبل الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون. وأخذ جميع ملوكها وضربهم بحدّ السيف لم يبق بها شارداً.. ولا أبقى على نفسٍ بها.

«وجاء يشوع وقرضَ (أي أباد) العناقيين من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل. حرَّمهم يشوع مع مدنهم فلم يتبقَّ عناقيون في أرض إسرائيل لكن بقوا في غزة وأشدود. فأخذ يشوع كل الأرض حسب ما كلَّم به الربُّ موسى وأعطاها يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم. واستراحت الأرض من الخراب». (سفر يشوع: الإصحاح ١١).

وشاخ يشوع ورغم الحروب الكثيرة التي قام بها، إلَّا أنه لم يمتلك كل أرض

فلسطين ولبنان والأردن وسوريا. وقال له الرب: «قد بقيت أرض كثيرة للامتلاك. هذه هي الأرض الباقية. كل دائرة الفلسطينيين. وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً. . من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق تخم الأموريين. وأرض الجبليين **وكل لبنان في شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة. جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم. جميع الصيدونيين. أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل. إنما أقسِّمُها بالقرعة لإسرائيل ملكاً كما أمرتك»**. (سفر يشوع: الإصحاح ١٣: ٦).

وفي الإصحاح ٢٣ من سفر يشوع قام يشوع سلفاً بتقسيم الأراضي التي لم يحتلها بعد على أسباط بني إسرائيل **«انظروا قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً لكم حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس. والرب إلٰهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلَّمكم الرب إلٰهكم»**.

وقد تعمَّق لدى اليهود، وخاصة في العصور الحديثة، أحقيتهم في استلاب أرض الغير، وإبادتهم دون رحمة أو شفقة، لأن تلك هي تعاليم الرب إلٰه إسرائيل. فقد صرَّحت (چولدا مايير) في ١٥ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧١م لصحيفة «لوموند» الفرنسية: «وجد هذا البلد (أي إسرائيل) تنفيذاً لوعد الرب ذاته. ولهذا لا يصحّ أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود».

ويقول (موشي دايان) في «الجيروزالم بوست»، عدد ١٠ أغسطس (آب) ١٩٦٧م:

«ذا كنا نملك الكتاب المقدس، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة. فينبغي أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة (وهي الأسفار الخمسة من العهد القديم) بلاد القضاة (وهو أحد أسفار العهد القديم). أرض أورشليم وحبرون وأريحا وأماكن أخرى كثيرة».

ويقول (مناحيم بيچن) لصحيفة «داڤار»، في ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٨م:

«لقد وعدنا الله هذه الأرض ولنا كل الحق فيها». .

وتصرِّح (چولـدا مايـر) لـ «الصنداي تـايمز» اللنـدنية، في ١٥ يـونية (حـزيران) ١٩٦٩م، بالآتي:

«لا وجود للفلسطينيين. . ليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم، لا. إنهم لم يوجدوا أصلاً. . والتوراة شـاهد على ذلك، فالوعد بهذه الأرض من الرب لنـا منذ عهد إبراهيم».

ويبدو تأثير التعاليم التوراتية المحرَّفة واضحاً أشدّ الوضوح في تصريحات زعمـاء إسرائيل منذ تكوينها وهي سياسة دولة إسرائيل منذ قيامها. .

وعنـدما وجَّـه اينشتاين (وهـو يهودي) إلى وايـزمان (أحـد كبـار قـادة الصهيـونيـة العـالمية) قـائلاً لـه: وما هـو مصير العـرب إذا ما أعـطيت فلسطين لليهـود؟ فـردَّ عليه وايزمان: «من هم أولئك العرب. إنهم لا شيء»(١).

وكتب أول وزيـر للتعليم في إسرائيـل، بيرسـون دينور: «ليس في بـلادنا مكـان إلاّ لليهـود. وسنقول للعـرب ارحلوا. فـإن لم يـرضـوا بـذلـك وعمـدوا إلى المقـاومـة فسنرحِّلهم بالقوة»(٢).

وكتب جـوزيف فايتـز، مديـر إدارة الاستيطان، غـداة حرب يـونية (حـزيـران) ١٩٦٧م:

«من الواضـح أنه لا مكان في هذه البلاد لشعبين. والحل الـوحيد هـو إسرائيـل اليهودية التي تضم على الأقل إسرائيل الغربية (الضفة الغربية لنهر الأردن) بلا عـرب. ولا مخرج إلاّ بنقل العرب إلى مكان آخر في البلدان المجاورة».

وقد صرَّح (بيچن، وشـارون، وبيريـز) مراراً وتكـراراً: إن الضفة الغـربية هي يهودا والسامرة، ولا يمكن مطلقاً التنازل عن أرض هي يهودية بمقتضى أوامر الرب. .

---

(١) نقلاً عن كتاب روجيـه جارودي: إسـرائيل الصهيـونية السيـاسية، وقـد نقل هـو ذلك عن كتـاب مستقبل الشرق الأوسط: Middle East Perspective ص ٣٤١.

(٢) تاريخ الهاجاناه نشر المنظمة الصهيونية العالمية. . نقلاً عن رجاء جارودي «إسرائيل الصهيـونية السياسيـة».

والرب قد أمر مراراً وتكراراً (في التوراة المحرَّفة) بطرد جميع سكان هذه الأرض من وجه إسرائيل وإلَّا وجب قتل كل نفس فيها من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني.

وقد قام الكاتب الأمريكي الساخر المشهور «مارك توين» (وهو يهودي) بترويج فكرة (شعب بلا أرض وأرض بلا شعب)، أي أن الشعب اليهودي الموجود في الشتات (دياسبورا) ينبغي أن يسكن أرض فلسطين التي لا يوجد فيها أي شعب..

وهو كذب مفضوح، إذ إن الشعب العربي في فلسطين كان يشكِّل أكثر من ٨٠ بالمئة من سكان فلسطين حتى لحظة إعلان دولة إسرائيل وقرار التقسيم.

ولكن هذه الأكاذيب تنطلي على الغربيين.. ويستخدم اليهود بذكاء أساطير العهد القديم (التوراة المحرَّفة) التي يؤمن بها النصارى. حتى أن كثيراً من النصارى يؤيدون إسرائيل بسبب ما يتلى عليهم من أسفار العهد القديم.

ولهذا نجد بعض كبار رجال الدين المسيحي، مثل الكاتب الكاثوليكي (جاك ماريتان)، يقولون: «فلسطين هي الأرض الوحيدة التي ثبت ثبوتاً مطلقاً وثبوتاً إلَهياً أنها لشعب معيَّن (هم اليهود) حق لا ينازع فيها»[1].

وتقول رسالة اللجنة الأسقفية الفرنسية في ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٧٥م تحت عنوان (إرشاد يتعلَّق بموقف المسيحيين من اليهودية): النقطة الخامسة: «لا يمكننا أن ننسى بصفتنا مسيحيين أن الرب قد وهب في الماضي شعب إسرائيل أرضاً ليتلاقى عليها»[2].

وتقوم في الولايات المتحدة حملات منظَّمة في الكنائس لدعم مواقف إسرائيل وتبرير ذلك بما جاء في العهد القديم.

وقد بلغ الأمر أن تكونت لجان من بعض رجال الدِّين والأثرياء المتديِّنين في

---

(١) روجيه جارودي إسرائيل الصهيونية السياسية: ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق.

الولايات المتحدة، تجمع التبرعات الضخمة لهدم المسجد الأقصى.. وليبنى على أنقاضه هيكل سليمان.. لأن المسيح لا يظهر إلاَّ عند قيام الهيكل!!

إن سياسة إسرائيل تقوم على نصوص توراتية تدعو إلى طرد جميع سكان الأرض التي تطؤها أقدام إسرائيل وتحرّم تحريماً تاماً توقيع أي معاهدة سلام مع سكان تلك الأرض. وتدعو بإلحاح إلى إقامة المذابح والمجازر لهذه الشعوب وإبادتها إبادة كاملة بما في ذلك النساء والشيوخ والأطفال بل وحتى البهائم من الأبقار والأغنام والحمير تجب إبادتها وقتلها إذا ما دفعها الرب إلّه إسرائيل ليد ابنه البكر (إسرائيل).. فهل يُرجى سلام مع إسرائيل؟؟

* * *

الزنا والفواحش
في التوراة والعهد القديم

تزخر التوراة (أسفار الشريعة الخمسة، الأسفار المنسوبة لموسى عليه السلام) والعهد القديم (أسفار التاريخ والأنبياء والكتابات بما فيها الأسفار وأسفار الحكمة) بصور متناقضة، فمن جهة تحرم الزنا والفواحش، وتضع عليها عقوبات صارمة (القتل والرجم) ومن جهة أخرى تصف الأنبياء الكرام ـ كذباً وبهتاناً ـ بأنهم زناة، بل ويمارسون الزنا مع بناتهم وأخواتهم وقريباتهم...

ولاشك أن الأمر الأول، وهو تحريم الزنا والفواحش هو من أوامر التوراة الحقة، التي جاء بها موسى عليه السلام... وأن الأمر الثاني، وهو اتهام الأنبياء بالزنا وارتكاب الموبقات وكافة الجرائم والفواحش هو من أكاذيب الأحبار الذين كتبوا هذه الأسفار، وأضافوا إليها ما ليس منها.

ونحن نبرّىء الأنبياء عليهم السلام جميعاً من هذه التهم الحقيرة.. ونعتقد اعتقاداً جازماً لا تردد فيه أن الأنبياء هم صفوة البشر وأنهم لم يبلغوا هذه المكانة عبثاً، فهم على أعلى درجة من الخلق والانضباط. ولا تجوز أن تحدث منهم الصغائر فضلاً عن الكبائر والكفر والعياذ بالله كما تنسبه لهم التوراة.. ونرى أن الأنبياء معصومون عن ارتكاب المعاصي.

وإننا نرفض رفضاً باتاً ما يقوم به بعض الكتاب العرب (مسلمين وغير مسلمين) من اتخاذ ما ورد في التوراة والعهد القديم، حجة لاتهام الأنبياء عليهم السلام بهذه الجرائم الأخلاقية الكبرى.

ونـرى أن من اتّهم الأنبياء بهذه الجرائم فقد كفر، والعياذ بالله، بدين الإسلام.. وللأسف الشديد نرى بعض الكتاب المسلمين، يتهم داوود عليه السلام بالـزنا، ويتهم سليمان بأنه عبد الأوثان، ويتهمـه بالـظلم والاستبداد، معتمـداً في ذلك على نصـوص التوراة والعهد القديم.. ونحن نرفض ذلك كله ونراه كفراً بواحاً.

عقوبات الزنا والفواحش في التوراة:

جاءت العقوبات في التوراة مشددة على الزنا ونكاح المحارم واللواط ومضاجعـة الحيـوانـات. وذلـك لمنـع انتشـارهـا في بني إسـرائيـل.. ومـع ذلـك انتشـرت هـذه الفواحش ولم يكن هناك من ينفذ أحكام الشريعة. بـل وصل الأمـر بالأحبـار أن اتهموا الأنبياء بارتكاب الفواحش حتى يسهل لهم ارتكابها.

المـحـرمـات:

«عورة أبيك وعـورة أمك لا تكشف. عـورة امرأة أبيـك لا تكشف. عورة أختـك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عـورتها. عـورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها. عورة أخت أبيك لا تكشف. عورة أخت أمك لا تكشف. عـورة أخي أبيـك لا تكشف، إلى امـرأتـه لا تقتـرب. عـورة امـرأة أخيـك لا تكشف.. ولا تجعل مـع امرأة صـاحبك مضجعـك.. ولا تضاجـع ذكـراً مضاجعـة امرأة. ولا تجعل مـع بهيمة مضجعك. ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها، إنه فـاحشة. كل من عمل شيئاً من هذه الرجاسات تقطـع الأنفس التي تعملها من شعبها» أي تعـدم وتقتل»(اللاويين ١٨: ٧ ــ ٢٩).

سفر اللاويين (٢٠: ١٠ ــ ٢١):

«إذا زنى رجل مـع امرأة، فإذا زنى مـع امرأة قريبه، فإنه يقتـل الزاني والـزانية.. وإذا اضطجـع رجل مـع امرأة أبيه فقد كشـف عورة أبيه. إنهما يقتـلان كلاهمـا، دمهما عليهما. وإذا اضطجـع رجل مـع كنته (زوجـة ابنه) فـإنهما يقتـلان كلاهمـا. قد فعـلا فاحشة، دمهما عليهما. وإذا اضطجـع رجل مـع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كـلاهما رجساً. إنهما يقتلان دمهما عليهما. وإذا اتخذ رجـل امرأة وأمهـا فذلـك رذيلة. بالنـار

يحرقون وإياهما. وإذا جعل رجل مضجعه مـع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة يميتـونها. وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها، تميت المرأة والبهيمة. إنهما يقتـلان، دمهما عليهمـا. وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتهما، ورأت هي عورته فذلك عار. يقـطعان أمـام أعين بني شعبهما قـد كشف عورة أختـه. . قد عـرى قـريبتـه، يحـملان ذنبهمـا، يموتـان. . . إذا اضـطجـع رجـل مـع امـرأة طـامث وكشف عـورتهـا، عـرى ينبـوعها، وكشفت هي ينبـوع دمها يقـطعان كـلاهما من شعبهمـا. . عـورة أخت أمـك أو أخت أبيـك لا تكشف. . إنه قـد عرى قـريبته. . يحمـلان ذنبهمـا. وإذا اضـطجـع رجل مـع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه يحمـلان ذنبهما يمـوتان عقيمين. وإذا أخـذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة قد كشف عورة أخيه يكونان عقيمين».

سفر اللاويين (٢١ : ٩):

«إذا تدنست ابنة الكاهن بالزنا فقد دنست أباها، بالنار تحرق».

سفر التثنية (٢٢ : ٢٢):

«إذا وجد رجل مضطجعاً مـع امرأة، زوجة بعل، يقتل الاثنـان الرجـل المضطجع مـع المرأة».

سفر التثنية (٢٢ : ٢٣ ـــ ٢٧):

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجـل في المدينـة واضطجـع معهـا فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يمـوتا، الفتـاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه. لكنْ إن وجـد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها الرجل واضطجـع معها يموت الرجل الذي اضطجـع معها وحده، وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً ليس على الفتاة خطيئة للموت، بل كمـا يقوم رجـل على صاحبـه ويقتله قتلاً، هكـذا هذا الأمـر، إنه في الحقـل وجدهـا فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها».

سفر التثنية (٢٢ : ٢٨ و ٢٩):

إذا وجد رجل فتـاة عذراء غيـر مخطوبـة، فأمسكهـا واضطجـع معهـا، فوجـدا، يعطي الرجل الذي اضـطجـع معها لأبـي الفتـاة خمسين من الفضة وتكـون هي زوجته من أجل أنه أذلها. لا يقدر أن يطلقها كل أيامه».

جاء في الوصايا العشر: «لا تزن. . لا تشته امرأة قريبك» (الخروج ٢٠، ١٤، ١٧).

سفر التثنية (٢٢: ١٣ ـ ٢١):

«إذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها، وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة. يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة. . فيأخذ شيوخ المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمائة من الفضة ويعطونها لأبي الفتاة لأنه أشاع اسماً رديئاً عن عذراء. فتكون له زوجة، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه. ولكن إن كان هذا الأمر صحيحاً لم توجد عذرة للفتاة يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها **ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت، لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أباها. . .».**

وقد ألغى أحبار يهود هذه الأحكام منذ فترة مبكرة جداً. لأن أحكام التوراة ـ حسب زعمهم ـ قاسية. . ولأن الزنا منتشر بصورة رهيبة. حتى أن المسيح عليه السلام تحداهم أن يرجموا زانية، قائلاً لهم: «من كان منكم طاهراً فليرمها بحجر»، فنكصوا عن ذلك لعلمهم بزناهم وبأن عقوبة ستقع عليهم لكذبهم ونفاقهم. وقد تابت هذه المرأة توبة نصوحاً.

وفي المدينة زنى يهودي بيهودية، فجاؤا إلى النبي ﷺ وقالوا في أنفسهم إن حكم لكم بالرجم فلا تقبلوا منه، وإن حكم بغير ذلك كان ذلك لكم حجة عند ربكم. فلما حضروا قال لهم النبي: ما هو حكم التوراة، فقالوا: التأديب والضرب وكان عبد الله بن سلام موجوداً فكذّبهم وفتحوا التوراة وقال للرجل اليهودي اقرأ فوضع يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ارفع يدك فإذا تحتها آية الرجم فأخذا ورجما.

عقوبة الرجم بالحجارة حتى الموت لعدد كبير من الجرائم:

التجديف على الله (اللاويين ٢٤: ١٦) وعبادة الأصنام (التثنية ١٣: ١٠) والقيام بأي عمل يوم السبت (العدد ١٥: ٣٥) والتمرد على الأبوين (التثنية ٢١: ٢١) وزنا العذراء المخطوبة (التثنية ٤٢: ٢) وزنا المتزوجة إذا ثبت أنها عند الزواج لم تكن

عـذراء (التثنية ٢٢ : ٢٠) ومصـاحبة الجـان والتوابـع (الـلاويين ٢٠ : ٢٧) . . والغلول (يشـوع ٧ : ٢٥) . . وكانت عقـوبة الـرجم أيضاً تنفـذ على الحيوانـات. ويبـدأ الـذين شهدوا بالرجم ثم الآخرون.

الأحبار يغيِّرون الأحكام:

نعلم ممـا سبق أن اليهود لم يلتـزموا أصـلاً بعبادة الله بـل عبدوا الأوثـان وارتدوا عشـرات بل مئـات المرات. . وبـطبيعة الحـال مارسـوا الزنـا واللواط علناً في المعـابد والهياكل ذاتها. . وقدسوا بصورة خاصة ما قامت به الزانية (راحاب) والزانية (يهـوديت) وجعلوا لهـا سفراً خـاصاً يمجـد زناهـا والزانيـة (استير) وجعلوا لهـا سفراً وعيداً كبيـراً لذكراها هو (عيد الفوريم) أو (عيد المساخر).

وأما التلمود الذي كتبه الأحبار الفريسيون ففيه ما يلي:

«اليهـودي لا يخطىء إذا اعتـدى على عرض الأجنبيـة لأن كل عقـد نكـاح عنـد الأجانب فاسد والمرأة اليهودية مثل البهيمة والعقد لا يوجد بين البهائم».

«لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات».

«لليهودي أن يسلـم نفسه للشهوات إذا لـم يمكنه مقاومتها».

«إن الـزنى بغير اليهـوديات واللواط بغيـر اليهود لا عقـاب عليه لأن الأجـانب من نسل الحيوانات».

«ليس للمـرأة اليهوديـة أن تبدي أي شكـوى إذا زنا زوجهـا بأجنبيـة في المسكن المقيم فيه مـع زوجته لأنه لم يزن إلاّ بحيوان لا كرامة له».

«اللواط بالزوجة جائـز لأن الزوجـة مثل قـطعة لحم اشتـراها من الجـزار ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية حسب رغبته».

التوراة والعهد القديم المحرفان يتهمان الأنبياء عليهم السلام بالزنا والاعتداء على المحرمات :

سنورد ها هنا أمثلة مما ورد في التوراة والعهد القديم وشيئاً يسيراً من تعاليم التلمود التي تتهم الأنبياء عليهم السلام بارتكاب جريمة الزنا.

● **آدم وحواء :**

يزعم التلمود أن آدم كانت له عشيقة من الجن اسمها «ليليت» كان يأتيها لمدة (١٣٠) سنة، وأنجب منها أولاداً كثيرين. كما يزعم التلمود أن حواء كان لها أيضاً عشاقاً من الجن يأتونها وولدت منهم أولاداً كثيرين. وتسمي التوراة (سفر التكوين) أبناء آدم وحواء من زواجهما أبناء الله لأن الله خلق آدم على صورته (أي صورة الله ــ حسب زعمهم ــ) وأن روح آدم جزء من روح الله فلهذا فهو ابنه على الحقيقة لا على المجاز فقط. . «قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» سفر التكوين الإصحاح الأول. «وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا» التكوين ٣ : ٢٣.

ولما كثر أبناء آدم الذين تسميهم التوراة (أبناء الله) رأوا أن بنات الناس حسنات فاتخذوا منهنّ زوجات. والمقصود ببنات الناس. . بنات حواء من زناها مع الشياطين، وبنات آدم من زناه بعشيقته (ليليت).

وإليك نص ما جاء في سفر التكوين (٦ : ١ ــ ٤):

«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. . وبعد ذلك إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم».

ويزعم اليهود أنهم تسلسلوا من نسل شيث بن آدم (وهو نبي أيضاً) وشيث عندهم من أبناء آدم وحواء من زواج صحيح. أما بقية البشر فهم من نتاج الاتصال ببنات الناس!! والمقصود بذلك بنات الزنا.

● **نوح عليه السلام يشرب الخمر ويلعن كنعان ويجعل بركته لسام (جد اليهود):**

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٩: ٢٤ ـ ٢٧):

أن نوحاً عليه السلام، شرب الخمر، ففقد وعيه، وانكشفت سوأته فرآه ابنه حام على هذه الصورة فأخبر أخويه سام ويافث اللذين قاما بكل أدب وأخذا رداء وسترا أبيهما. فلما أفاق نوح من سكرته قال: «ملعون كنعان (وهو ابن حام وليس له ذنب إلاَّ أن الكنعانيين هم سكان فلسطين) عبد العبيد يكون لأخوته. مبارك الرب إلـه سام (جد اليهود) وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم».

لهذا ينظر اليهود الساميون أن الكنعانيين سكان فلسطين عبيد لهم.. وهذا عندهم دين لا يقبل المناقشة.

● **إبراهيم عليه السلام تصوره التوراة بأنه ديوث وناكح أخته:**

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ١٢: ١٠ ـ ١٥):

«وحدث جوع في الأرض فانحدر إبرام (إبراهيم) إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً وحدث لما قرب أن يدخل مصر، أنه قال لساراي (سارة) امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذ رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك.. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال».

وتتكرر نفس القصة مع أبيمالك ملك فلسطين حيث قام إبراهيم بتقديم زوجته سارة إلى الملك كي يستلم منه هدايا وعبيداً وأموالاً. وعندما علم أبيمالك أن سارة هي زوجة إبراهيم عاتب إبراهيم لقوله ذاك فقال إبراهيم: «**وبالحقيقة هي أيضاً أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي. فصارت لي زوجة.** وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إليَّ. في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي».

سفر التكوين (الإصحاح ٢٠ : ١٢ ــ ١٣):

ولا تجد في التوراة المحرَّفة أن الأنبياء يدعون أحداً إلى عبادة الله الواحد الأحد بل تجدهم يمكرون ويخدعون ويسرقون ويكذبون ويزنون ويشربون الخمر، وتحمل نساؤهم معهم الأوثان فيعبدونها، ويتحدثون عن سليمان عليه السلام بأنه عبد الأوثان مع زوجاته الألف وأن هارون هو الذي صنع لبني إسرائيل العجل الذهبي ليعبدوه وأنه عبده معهم. . . إلخ.

● إسحاق أيضاً يقول عن زوجته: إنها أخته:

سفر التكوين (الإصحاح ٢٦ : ١ ــ ٧):

«وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم. فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين. . وسأله أهل المكان عن امرأته، فقال: هي أختي لأنه خاف أن يقول امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقه (زوجته) لأنها كانت حسنة المنظر».

● لوط عليه السلام يفعل الفاحشة بابنتيه كما تزعم التوراة المحرَّفة:

بعد أن أهلك الله قوم لوط في سدوم وعامورة، خرج لوط إلى البرية ولم يكن معه غير ابنتيه وسكن الجبل معهما. فضاقت الفتاتان بحياة الوحدة والعزوبة فسقتا أباهما خمراً ثم نامت معه الكبرى، وفي الليلة التالية نامت الصغرى، فأنجبتا من أبيهما نسلاً، وإليك نص ما ذكرته التوراة المحرفة سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر: ٣٠ ــ ٣٨.

«وصعد لوط من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسق أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي

فاضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغرى واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عميّ وهو أبو العمونين إلى اليوم، ونتيجة لهذه الأكاذيب التي وضعها أحبار اليهود عليهم لعنات الله في التوراة والتلمود فإنه يحق لليهود أن يفعلوا جميع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن ينشروا الزنا واللواط ومقارفة الفاحشة مع الأطفال والأخوات والأمهات.. ولا يخشوا شيئاً فهم أبناء الله وأحباؤه، وشعبه المختار من دون العالمين.

● نصوص التوراة المحرَّفة تقول أن راؤبين الابن البكر ليعقوب يزني بزوجة أبيه:

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٣٥: ٢٢):

أن راؤبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وأم أخوته. وسمع يعقوب (إسرائيل بذلك) ولم ينزعج بل بارك راؤبين.

● يهوذا أسد إسرائيل وأحد الأسباط يزني بزوجة ابنه: وينجب منها فارص وزارح.. وتحدر داوود من فارص:

يهوذا هو أحد الأسباط وأشجع أبناء يعقوب. والأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام (ويعقوب يدعى أيضاً إسرائيل)..

وقد جاء في سفر التكوين من التوراة المحرَّفة (الإصحاح ٣٨: ١ ـ ٢٦) **قصة زنا يهوذا بزوجة ابنه كما يلي:**

«وأخذ يهوذا زوجة لعير (ابنه الأكبر) اسمها ثامار. وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب، فقال يهوذا (لابنه الثاني) أونان: أدخل على امرأة أخيك وتزوج، وأقم نسلاً لأخيك (أي أن النسل سيدعى لعير فغضب أونان وسفح ماءه على الأرض فكان بذلك أول من مارس العزل) فعلم أونان أن النسل لا يكون له فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه. فقُبِحَ في

عيني الرب ما فعله (غريب أمر هذا الرب الذي يغضب من الحق والخير) فأماته أيضاً فقال يهوذا لثامار كنته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني».

وهكذا قعدت ثامار تنتظر شيلة إذ لم يكن للمرأة من حق في نفسها بل يرثها إخوته واحداً بعد الآخر، وتحبس على الصغير حتى يكبر، فيتزوجها إن شاء أو تفتدي نفسها منه، فلما كبر شيلة لم يزوجها إياه يهوذا.

«وخلعت (ثامار) عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع، وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنه، لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة، فنظرها يهوذا، وحسبها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال: هاتي أدخل عليك، لأنه لم يعلم أنها كنّته. فقالت: وماذا تعطيني لكي تدخل عليّ. فقال: إني أرسل جدي معزى من الغنم. فقالت: هل تعطيني رهناً حتى ترسله. فقال (يهوذا): ما الرهن الذي أعطيك؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها».

«ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت (ثامار) وها هي حبلى أيضاً من الزنا، فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق. أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميّهاقائلة: من الرجل الذي هذه له أنا حبلى؟ وقالت: حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه. فتحققها يهوذا، وقال: هي أبرُّ منى، لأني لم أعطها لشيلة ابني».

نعم لم يخجل يهوذا من فعلته، بل بارك (ثامار) وأنجبت ثامار توأمان هما: فارص وزارح. ومن نسل فارص ظهر داوود. ومن نسل داوود ظهر عيسى بن مريم ــ حسب زعمهم ــ من يوسف النجار.

الأمر فظيع فظيع.. ولم تعد أعصابنا تحتمل مواصلة قراءة هذه التوراة المحرَّفة، والتي كانت هدى ونوراً عندما أنزلها الله تعالى، فأصبحت رجساً وظلمات بعضها فوق بعض، بسبب تحريف يهود، وأكاذيب يهود، وتزوير يهود.

● **داوود يتزوج امرأة متزوجة ويأخذها قسراً من زوجها، حسب زعمهم:**

وجاء في **سفر صموئيل الثاني الإصحاح الثالث** أن الصراع قام بين داوود وشاول من أجل الحصول على الملك. وكان داوود قد خطب ابنة شاول فلما قام الصراع بينهما زوجها شاول إلى فلطيئيل بن لايش.

واستطاع داوود أن يغري كبير قواد شاول بالانضمام إليه وهو أبنير. فلما رأى شاول ذلك علم أنه لا طاقة له بداوود، فأرسل يصالحه. فأجاب داوود بأنه لكي يقبل الصلح على شاول أن يرسل ابنته ميكال التي كان قد خطبها من قبل بمائة غلفة من الفلسطينيين[1] والتي أصبحت متزوجة من فلطيئيل وهكذا أخذت ميكال قسراً من زوجها فلطيئيل، وهو يمشي خلفها يبكي لكي تعطى لداوود. (صموئيل الثاني ٣: ١٢ ــ ١٦).

● **التوراة المحرَّفة تتهم داوود بالغش والكذب والزنا:**

لقد جاء في **سفر صموئيل الثاني من التوراة المحرَّفة**: أن داوود عليه السلام كان يمشي ذات مساء على سطح قصره، فوقع بصره على المنزل المجاور، فإذا امرأة جاره وقائد جنده تستحم عارية. فشغف بها حباً، فبعث داوود في طلبها وزنى بها. وإليك النص الخبيث:

«وكان في وقت المساء، أن داوود قام وتمشى على سطح بيت الملك. فرأى من على السطح إمرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داوود رسلاً، وأخذها فدخلت إليه، واضطجع معها، وهي مطهرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داوود أنها حبلى». **سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١: ٢ ــ ٥**).

ولما كانت هذه المرأة زوجة أحد قواده ويدعى أوريا الحثي أرسل داوود خطاباً مقفلاً مع أوريا نفسه إلى قائد الجيش يوآب، وكتب في المكتوب: «اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت» (**سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١: ٦ ــ ١٥**).

---

(١) هذا أغرب مهر في التاريخ حيث تعطى فتاة مائة عضو تناسلي (مذاكير) جبّها داوود حسب زعمهم من الفلسطينيين بعد أن قتلهم وقدمها مهراً لميكال ابنة شاول. فماذا تفعل ميكال بكل هذه الأعضاء التناسلية؟؟

وهكذا زنى داوود بالمرأة ثم حاول أن يخدع رجلها، وطلب منه أن يذهب إلى زوجته حتى لا يبدو أنها حملت سفاحاً، فأبى الرجل أن يذهب إلى زوجته لأنه مشغول بالجهاد في سبيل الله. فما كان من داوود إلاَّ أن أرسل لقائد الجيش مع أوريا نفسه خطاباً يحتال فيه على قتله حتى يأخذ امرأته.

«فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داوود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً» هو سليمان عليه السلام.

● افتراء اليهود على سليمان واتهامه بعبادة الأوثان وأن له ألفاً من النساء:

جاء في سفر الملوك الأول من التوراة المحرَّفة الإصحاح ١١: ١ ــ ٩:

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرات مع (بنت فرعون). موآبيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه. **وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داوود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت (وهي فينوس أو نجمة الصباح والمساء التي صنع لها البابليون تماثيل وعبدوها) إلـهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداوود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعه (معبداً) لكموش (إلـه) رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك (إلـه) رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إلـه إسرائيل».**

وهكذا جعل اليهود ــ عليهم لعائن الله أبد الآبدين ــ سليمان عليه السلام عابد للأوثان معظماً لها مقيماً لها المعابد.

● الاعتداء على المحرمات ونكاحهنَّ في أسفار التوراة والعهد القديم :

تـدَّعي التوراة وأسفار العهد القـديم ظلماً وعـدواناً وبهتـانـاً أن الأنبيـاء وبنيهم مارسوا نكاح المحرمـات. وقد ورد في التلمـود: «من رأى أنه يجـامـع والدتـه فسيؤتى الحكمة، ومن رأى أنه يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل».

وقد جاء في التوراة وأسفار العهد القديم ما يلي:

١ ــ إن إبراهيم عليه السلام قد تزوَّج أخته من أبيه «سارة»، وقـد تقدَّم تفصيـل ذلك.

٢ ــ إن راوبين بن يعقوب زنى بزوجة أبيه بلهة، وقد تقدَّم ذكره.

٣ ــ إن يهوذا بن يعقوب زنى بزوجة ابنه (ثامار) وأنجب منها فارص وزارح.

٤ ــ إن أمنون بن داوود زنى بأخته (ثامار) حسب نصيحة الحكيم يوناداب.

جاء في سفر صموئيل الثاني (١٣: ١ ــ ١٦):

«وجرى بعد ذلك، أنه كان لأبشالوم بن داوود أخت جميلة اسمها (ثامار)، فأحبها أمنون بن داوود، وأحضر أمنون للسقم من أجل (ثامار) أخته، لأنها كـانت عذراء، وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئاً، (ولـو كانت متـزوِّجة لهـان عليه الأمـر). وكـان لأمنـون صـاحب اسمـه يـونـاداب بن شمعي أخي داوود. وكـان يوناداب رجلاً حكيماً جـداً. فقال لـه: لماذ يـا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح؟ فقال له أمنـون: إني أحب (ثامـار) أخت أبشالـوم أخي. فقال يوناداب: اضطجـع على سريرك وتمارض.. وإذا جـاء أبوك ليـراك فقل لـه: دع (ثامار) أختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمـامي الطعـام لأرى فآكـل من يدهـا. فاضطجـع أمنـون وتمارض وجـاء الملك ليراه، فقـال أمنون للملك: دع (ثـامار) أختي فتـأتي وتصنـع أمامي كعكتين فآكل من يدهـا.. فذهبت (ثـامار) إلى بيت أخيها (أمنون) وهو مضطجـع.. وعملت كعكاً أمامه.. وقال أمنون: أخرجوا كل إنسان عني، فخرج كل إنسان عنـه. ثم قال أمنـون: إيتي بالـطعام إلى المخـدع فآكل من يدك. فأخذت (ثامار) الكعك.. وقدَّمته له ليأكل، فأمسكها، وقال لها:

تعالي اضطجعي معي يا أختي. فقالت له: لا يا أخي لا تذلّني لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل.. لا تعمل هذه القباحة. أما أنا فأين أذهب بعاري، وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل. والآن كلّم الملك (داوود أباك) لأنه لا يمنعني منك!! فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكّن منها وقهرها واضطجع معها. ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جداً حتى أن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها. وقال لها أمنون: قومي انطلقي. فقالت له: لا سبب هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي فلم يشأ أن يسمع لها، بل دعا غلامه وقال: اطرد هذه عني خارجاً وأقفل الباب وراءها».

٥ ـ ضاجع ابشالوم بن داوود عشراً من نساء أبيه على السطح: فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل (صموئيل الثاني ١٦: ٢٢).

٦ ـ قام أدونيا بن داوود بمضاجعة زوجة أبيه الفتاة الصغيرة الجميلة أبيشح الشونمية، ثم طلب من سليمان أن يزوجه إياها بعد وفاة أبيه، وقد توسطت في ذلك أم سليمان وهي بتشبع الزانية التي خانت زوجها أوريا الحثي ـ حسب زعمهم ـ وزنت مع داوود ثم أنجبت سليمان (الملوك الأول ٢: ١٣ ـ ٢٢).

● زواج الأنبياء ـ حسب زعمهم ـ من الزانيات والعاهرات:

١ ـ تزوج يوشع بن نون (يشوع) من (راحاب) الزانية التي خبّأت الجاسوسين الإسرائيليين مكافأة لها على خيانتها وطنها وبني قومها. وقد وُلِدَ لراحاب الزانية بنات كنَّ جدّات لثمانية من أنبياء بني إسرائيل، حسب زعمهم.

٢ ـ تزوج النبي (عاموس) من عاهرة معبد وثني ـ حسب زعمهم ـ ومارس معها الطقوس الوثنية أيضاً.

٣ ـ تزوج النبي (هوشع) من عاهرة حسب أمر الرب، كما يزعمون، لأن إسرائيل زنت وخانت الرب مع البعل فغضب الرب، حسب زعمهم، وأمر نبيه (هوشع) بأن يتخذ عاهرة زوجة له.. وأن يجعل من أبناء الزنا أولاداً له، لأن الرب قد

اتخذ عاهرة، هي إسرائيل، زوجة له. . واتخذ بنيها أولاد الزنا أولاداً له (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً). . وقد جاء في سفر (هوشع ١ : ٢ ــ ٥)، ما يلي :

«أول ما كلّم الرب (هوشع) قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنا، لأن الأرض قد زنت تاركة الرب. فذهب وأخذ (جومر بنت دبلايم)، فحبلت وولدت له ابناً، فقال له الرب: ادع اسمه (يزرعيل) لأنني بعد قليل أعاقب (بيت ياهو) على دم (يزرعيل) وأبيد مملكة إسرائيل».

ثم يقول في نفس السفر: «قولوا لإخوتكم عمّي ولأخواتكم رحامه: حاكموا أمكم لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجُلها، لكي تعزل زناها عن وجهها، وفسقها من بين ثدييها. لئلا أجردها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها، وأجعلها كقفر، وأصيرها كأرض يابسة وأميتها بالعطش، ولا أرحم أولادها، لأنهم أولاد زنى. . لأن أمهم قد زنت. التي حبلت بهم صنعت خزياً». (هوشع ٢ : ١ ــ ٥).

● شمسون يزني ويرتكب الموبقات وجرائم القتل وإهلاك الحرث والنسل

يُعتبر شمسون بن منوح من كبار قضاة وقادة اليهود. وقد ورد في سفر القضاة: أن ملاك الرب تراءى لمنوح وزوجته، وأن الرب قد أخذ منهما تقدمتهما وقربانهما، «وقال منوح لامرأته: نموت موتاً لأننا قد رأينا الله!! فقالت امرأته: لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة». (سفر القضاة ١٣ : ٢٢ ــ ٢٣).

وقد ولد شمسون للمرأة العاقر، ونشأ ــ حسب زعمهم ــ مباركاً ومنذوراً خالصاً للرب. وأقام شمسون وليمة للشباب الفلسطيني وأخبرهم بأُحجية فلم يعرفوها، ولكنه تزوج بفتاة فلسطينية، فاستطاعت أن تعرف منه سر الأحجية (اللغز) وأخبرت الفتيان فأخبروا شمسون وخسر الرهان «فغضب شمسون وحلَّ عليه روح الحروب، فنزل إلى شقلون وقتل منهم ثلاثين رجلاً وأخذ سلبهم وأعطى الحلل لمظهري الأُحجية. . .». (سفر القضاة ١٤ : ١٠ ــ ٢٠).

ثم لم يكتفِ شمسون بذلك بل أمسك بثلاثمائة ابن آوى، وأخذ مشاعل وجعل

ذنباً إلى ذنب، ثم أضرم المشاعل ناراً، وأطلقها بين زروع الفلسطينيين، فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون. . . إلخ. (سفر القضاة ١٥ : ١ ــ ٧).

«ثم ذهب شمسون إلى غزة ورأى **هناك امرأة زانية فدخل إليها**». (سفر القضاة ١٦ : ١).

«وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورت اسمها (دليلة)... ونام معها (بالزنا) واستطاعت أن تعرف سر قوَّته الجبارة وأن ذلك كامن في شَعره.. إلى آخر الخرافة»[1]. (سفر القضاة ١٦ : ٤ ــ ٢٣).

● انتشار الزنا في بني إسرائيل:

ذكر النبي ﷺ أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.. وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، فالتوراة (أسفار الشريعة، أسفار موسى الخمسة، أسفار الناموس) والعهد القديم، مليئة بمئات القصص التي تتحدَّث صراحة عن انتشار الزنا وعبادة الأوثان في بني إسرائيل.

● الزنا في عهد موسى عليه السلام:

وقد جاء في سفر العدد (٢٢) أنَّ بني إسرائيل ارتحلوا في عهد موسى ونزلوا في عربات موآب، وخاف ملك موآب (بالاق بن صفور) من أن ينهزم أمامهم فطلب من بلعام بن باعور. وكان رجلاً مجاب الدعوة أن يدعو على بني إسرائيل. فرفض بلعام أول الأمر، ولكن الملك أجزل له العطية، فلما دعا على بني إسرائيل إذ هو يدعو لهم دون إرادته. فانهزم جيش الملك انهزاماً يسيراً.. ولمّا كلَّم بلعام أخبره بأن مع بني إسرائيل موسى نبيّ الله وهو لا يستطيع أن يدعو على بني إسرائيل ولكن أرسل إليهم النساء في زينتهنَّ فيزنون فيعاقبهم الله على ذلك.

وفعلاً أرسل الملك النساء إلى بني إسرائيل فانتشر الزنا انتشاراً ذريعاً فعاقبهم الله بظهور الوباء الذي قضى على ٢٤ ألفاً من بني إسرائيل.

جاء في سفر العدد (٢٥ : ١ ــ ٩):

---

(١) قامت هوليود بوضع قصة شمسون ودليلة في فيلم صورت فيه شمسون بكل صفات النبل والبطولة والقوة وامتدحت اليهود مدحاً كثيراً وقد أنجبت هوليود عشرات الأفلام التي تشيد باليهود.

«وأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. فدعون الشعب إلى ذبائح إلّهتهنّ فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهنّ. وتعلّق إسرائيل ببعل فغور (وثن) فحمى غضب الرب على إسرائيل. فقال الرب لموسى: خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل. فقال موسى لقضاة إسرائيل: اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور.

«وإذا رجل من بني إسرائيل جاء وقدَّم إلى إخوته المديانية أمام عيني موسى وأمام كل جماعة بني إسرائيل، وهم باكون لدى خيمة الاجتماع. فلما رأى ذلك فينحاس بن العازار بن هارون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده، ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القبة، وطعن كليهما الرجل الإسرائيلي والمرأة في بطنها. فامتنع الوباء عن بني إسرائيل. وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً».

وهكذا بلغت بهم الوقاحة، أن يأتي (زمري بن سالو) رئيس سبط شمعون، ليزني بالمديانية، أمام موسى وأمام الجماعة.. في خيمة الاجتماع.. وهي الخيمة التي يزعمون أن الرب ينزل فيها ليكلِّم موسى وشيوخ بني إسرائيل.. وهي تعتبر قدس الأقداس لديهم.

● الزنا في عصر القضاة:

وانتشر الزنا وعبادة الأوثان بشكل مريع في عهد القضاة (أي بعد وفاة يشوع، تلميذ موسى عليه السلام).. وعبد بنو إسرائيل الأوثان وارتدوا ردّة كاملة سبع مرات، وذلك خلال فترة حكم القضاة، وهي فترة قصيرة تتراوح ما بين (١٤٠) و(١٨٠) عاماً.

وانتشرت مع عبادة الآلهة الغريبة تقديم أبنائهم وبناتهم قرابين لهذا الآلهة.. كما كانت هناك فتيات زانيات تابعات للمعابد.. وكان هناك مأبونون تابعون أيضاً لهذه المعابد.. وإذا كان القضاة والذين يختارهم الرب مثل شمسون يزنون، فما بالك بالشعب؟

ويروي سفر القضاة قصة توضح مدى الخسّة والحقارة والدناءة والفجور التي انتشرت في بني إسرائيل وخاصة في سبط بنيامين.

وتبدأ القصة هكذا: «وفي تلك الأيام. . كان رجل لاوي متغرباً في جبل أفرايم، **فاتخذ له امرأة من بيت لحم (يهوذا) فزنت عليه، وذهبت من عنده إلى بيت أبيها في بيت لحم (يهوذا)، وكانت هناك أياماً، أربعة أشهر. فقام رجلها وسار وراءها ليطيِّب قلبها ويردّها**».

أول الغيث قطرة، كما يقولون. . الزوجة من سبط (يهوذا) تزني ثم تغضب عندما يكلّمها زوجها لتتوقّف عن هذا الزنا، وتذهب إلى بيت أبيها. وبعد أربعة أشهر يذهب الرجل اللاوي (سبط الكهنة والأحبار) ليرد امرأته، ويطيِّب قلبها!!

وذهب وطيَّب قلب زوجته، وفرح به حموه أبو الفتاة، ومكثوا هناك خمسة أيام ثم خرجوا ليعودوا إلى أورشليم.

وغربت الشمس وهم في الطريق، فقالوا: لا نبيت عند اليبوسيين، بل نميل إلى قرية جبعة التي لسبط بنيامين. فدخلوا القرية ولم يستضفهم أحد، ثم مرَّ شيخ أصله من أفرايم، وهو مقيم في جبعة، فطلب من الرجل وزوجته أن يبقوا عنده.

وإذا برجال بنيامين، يحيطون بالبيت ويطلبون من الشيخ أن يخرج الرجل الضيف فيفعلون به الفاحشة، فترجّاهم الشيخ أن يتركوا ضيفه، فرفضوا. . وقال لهم: «لا يا إخوتي لا تفعلوا شراً. بعدما دخل هذا الرجل بيتي، لا تفعلوا هذه القباحة هوذا ابنتي العذراء وسريته (أي زوجته)، دعوني أخرجهما فأذلّوهما وافعلوا بهما ما يحسن في أعينكم، وأما هذا الرجل فلا تعملوا به هذا القبيح. فلم يرد الرجال أن يسمعوا له، فأمسك الرجل سريته وأخرجها إليهم خارجاً فعرفوها (أي زنوا بها) وتعلّلوا بها الليل كله إلى الصباح، وعند طلوع الفجر أطلقوها وسقطت عند باب بيت الرجل (ميتة). فقام زوجها وقطع زوجته إلى اثنتي عشرة قطعة وأرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل. (القضاة ١٩ : ١ ــ ٢٩).

ولكن بقية الأسباط كانت لديهم بقية من إحساس فثاروا وقاتلوا بنيامين حتى كادوا يفنوهم.

● **انتشار الزنا بعد وفاة سليمان عليه السلام وانقسام المملكة :**

بعـد أن مـات سليمـان عليـه السـلام، انقسمت مملكـة داوود إلى مملكتين: إحـداهما في الشمـال وتدعى إسـرائيـل وعـاصمتهـا السـامـرة (شكيم)، والأخـرى في الجنوب وتدعى يهوذا وعاصمتها أورشليم . .

وكان أول ملك على مملكة إسرائيل هو يربعام بن نابـاط من سبط أفرايم. وكـان أول عمل صنعه هـو إقامـة معبد في إسـرائيل بـدلاً من هيكل سليمـان في أورشليم . . ونتيجـة معرفتـه لقومـه، وضـع عجلين من الذهب ليعبـدوهمـا . . حتى لا يـذهبـوا إلى هيكل أورشليم فيتفرق عنـه أسباط إسـرائيل وتعـود بقية اسبـاط تحت حكم رحبعام بن سليمان الذي حكم منطقة أورشليم وما حولها فقط بسبب تمرد يربعام . .

وعمـل يربعـام أعياداً جـديدة وقـدم الذبـائـح للعجول الـذهب التي وضعهـا في المعابد وسرعان ما انتشرت عبادة العجول الذهبية، وانتشـر معها الـزنا. واستمـرت مدة حكمـه (٢٢) سنـة. « وأمـا رحبعـام بن سليمـان فملك في يهـوذا. . .» وعمـل يهـوذا الشر في عيني الـرب وأغاروه أكثـر من جميـع ما عمـل آباؤهم بخـطايـاهم التي أخطأوا بها. وبنوا هم أيضاً لأنفسهم مرتفعات (معابد وثنية) وأنصاباً وسواري على كـل تل مرتفـع وتحت كل شجرة خضـراء. **وكان أيضـاً مأبـونون في الأرض. فعلوا حسب كـل أرجاس الأمم الـذين طردهم الـرب من أمام بني إسـرائيـل»**. (الملوك الأول ١٤ : ٢١ ـ ٢٤).

وهكذا انتشرت عبادة الأوثان والزنا واللواط، بل وصل الأمر إلى أن المعابـد كان لها عدد خاص من العاهـرات المتبرعـات بالـزنا من أجـل المعبد والكهنـة والشعب. . وكـان أيضاً ملحق بـالمعابـد بيوتـاً للمأبـونبن (المصابين بـالشذوذ الجنسي من الـرجال المخنثين)، وكانوا أيضاً يقدمون خدماتهم لكهنة المعبد وزوار المعبد والمصلين!!

ثم ملك أبيـام بن رحبعام على يهـوذا «وسار في جميـع خـطايا أبيـه التي عملهـا قبله». (الملوك الأول ١٥ : ٢).

ثم ملك آسـا بن ابيام على مملكـة يهـوذا «وعمـل آسا مـا هـو مستقيم في عيني

الرب كداوود أبيه (جده الأعلى) وأزال المأبونين من الأرض ونـزع جميـع الأصنام التي عملها آباؤه حتى أن معكـه أمه خلعهـا لأنها عملت تمثـالاً لساريـة وقطـع آسـا تمثالهـا وأحرقه في وادي قدرون. وأما المرتفعات (المعابد الوثنية) فلم تنـزع، إلّا أن قلب آسا كان كاملاً مـع الرب كل أيامه». (الملوك الأول ١٥ : ٩ ــ ١٤).

وفي الوقت الذي كان فيه الملك آسـا بن يبام، يـطهِّر مملكـة يهوذا من أرجـاس الأوثان والزنا واللواط، كان ملك مملكة إسرائيـل ناداب بن يـربعام ينشـر عبادة الأوثـان كـأبيه، وينشـر الزنـا واللواط في أركان دويلتـه «وعمل الشـر في عيني الرب وسـار في طـريق أبيـه وفي خـطيئتـه التي جعـل بهـا إسـرائيـل يخـطىء». (الملوك الأول ١٥ : ٢٥، ٢٦).

وثار (بعشا) على (ناداب بن يربعام) وقتله وقتل كـل بيت يربعـام، ولم يبق منهم نسمة ولا بائل لحائط، حسب تعبير العهد القديم. ولكن (بعشا) نفسه استمر في عبـادة الأوثان والزنـا واللواط والفجور. وتـولى بعد (بعشـا) ابنه (إيلة). ولكن (زمـري) قائـد جيشه ثار عليه وقتله وجميـع أفراد أسرته، ولـم يبق بائلاً لحائط!! (يا له من تعبير). وثار (عمري) على (زمري) وقتَلَه. و«عمـل (عمري) الشـر في عيني الرب وأسـاء أكثر من جميع الذين قبله. وسار في جميع طريق يربعام بن نباط وفي خطيئته التي جعل بها إسرائيل يخطىء لإغاظة الرب بأباطيلهم». (الملوك الأول ١٦ : ٢٦).

ولمّا مات (عمري) تولّى الملك بعده آخاب. «وعمل آخاب بن عمري الشر في عيني الـرب أكثر من جميـع الـذين قبله. وكأنـه كان أمـراً زهيـداً، سلوكـه في خـطايـا يربعام بن نباط حتى اتخذ إيزابل ابنـة أثبعل ملك الصيـدونيين امرأة (لـه). وسار وعبَـد البعل وسجَد له وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السـامرة. وعمـل آخاب سواري وزاد آخاب في العمل لإغاظة الرب إلّـه إسرائيل أكثر من جميـع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله». (الملوك الأول ١٦ : ٢٩ ــ ٣٣).

وغضب الـرب للفساد الـذي نشره آخـاب في دويلة إسرائيـل (مملكـة الشمـال) وأرسل النبـي إيليا، لينذره ويخبره بأن السماء لن تمطر، بسبب الأرجاس التي فعلها.. ثم هرب إيليا من وجه آخاب..

وتوجّه آخاب إلى الأنبياء الكَذَبة وهم يُعـدُّون بالمئـات، بل ذكَـر السفر في مـرة واحدة (٨٥٠) نبياً من أنبيـاء البعل والسـواري الذين تحـدّاهم إيليا (إليـاس). . وطلب آخاب من هؤلاء الأنبياء أن يدعوا آلهتهم لإنزال المطر فلم ينزل المطر. . وظهر القحط والمجاعة. . ورغم ذلك فقد قتلت (إيزابل) زوجة (آخاب) مئات من أنبياء بني إسرائيل واستطاع عوبديا (خـادم آخاب) أن ينقـذ مائـة نبـي فخبَّأهم في مغـارة من وجه إيـزابل وجنودها. .

ثم تحدّى إيليا آخاب والأنبياء الكذبة، وأظهـر إيليا كـذبهم فقتلهم الشعب ونزل المـطر. . ثم انتقم الله من آخـاب بـواسـطة ملك آشـور بن هـدد، ومـات آخـاب في المعركة. ومـع هذا استمرت عبـادة الأوثان في مملكـة الشمال إسـرائيل، وفي مملكـة الجنوب يهوذا. وانتشر معها بطبيعة الحال الزنـا واللواط وشرب الخمـور. . وكان لكـل معبد عاهراته اللائي يقدِّمن خدماتهنَّ للكهنة وللعباد!! وكانت بيوت المأبونين مـلاصقة للهيكل ذاته. . ويقدمون خدماتهم أيضاً للكهنة والعباد!.

وتـولى يهورام بن آخاب الملك بعد أبيـه، ولكنه لم يغيِّـر من سيئـات أبيـه شيئـاً و«عمـل الشر في عيني الـرب» ولكنه أزال البعـل واستمـر في عبـادة الأوثـان الأخـرى والزنا.

ثم تولى أخزيا الملك و«عمل الشر في عيني الرب» أيضاً. . ثم قُتِلَ وتـولَّت أمه (عثليا) فنشرَتْ عبادة الأوثان بأكثر مما كان. . ونشـرَتْ أماكن العهـر في كل زاويـة من زوايا إسرائيل، وأباحت الزنا رسمياً. . وحين حكمت أورشليم سبـع سنين هدم بنـوها الهيكل وصيَّروا كل أقداس الرب للبعليم.

«وكـان أن بني إسـرائيـل أخـطأوا إلى الـرب إلَههم الـذي أصعــدهم من أرض مصـر. . وسلكوا حسب فـرائض الأمم الذين طـردهم الرب من أمـام بني إسـرائيـل. . وعمل بنو إسرائيل سـراً ضد الـرب أموراً ليست بمستقيمـة وبنوا لأنفسهم مـرتفعات في جميـع مـدنهم. . وأقامـوا لأنفسهم أنصابـاً وسواري على كـل تـلٍّ عـالٍ وكـل شجـرة خضراء. . وعَبَدوا الأصنام التي قال الرب لهم لا تعملوا هذا الأمـر. وأشهد الرب على إسرائيل (مملكة الشمال) وعلى يهـوذا (مملكة الجنـوب) عن يد جميـع الأنبياء قـائلاً:

ارجعوا عن طرقكم الرديَّة واحفظوا وصاياي. فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلَهِهم. ورفضوا فرائضه... وعبدوا العجول الذهبية والبعل وجميع جند السماء.. إلخ». (الملوك الثاني ١٧ : ٧ ــ ١٨).

● الزنا في عهد الملكية المتأخر:

وفي عهد الملكية المتأخر، انتشر الزنا انتشاراً مرعباً. وإذا كانت أسفار العهد القديم (صموئيل الثاني والملوك الأول) قد زعمت كذباً وافتراءً أنَّ داوود عليه السلام قد زنا بحليلة جاره، ثم أقدم على اغتيال ذلك الجار، والقائد الشهم أوريا الحثي، (وهو فلسطيني وليس إسرائيلياً) بحيلة قذرة، وزعمت أن سليمان عَبَدَ الأوثان الكثيرة وأنه تزوَّج وتسرَّى بألف امرأة، فإن عهد الملكية شهد ردة بني إسرائيل وخاصة بعد وفاة سليمان، وانقسام المملكة إلى مملكتين صغيرتين متحاربتين (إحداهما في الشمال وتسمى إسرائيل، والأخرى في الجنوب وتسمى يهوذا).

● الزنا في مملكة الشمال «إسرائيل»:

وقد انتشر الزنا في مملكة إسرائيل بعد أن انتشرت عبادة الأوثان، وكم حاول الأنبياء أن يثنوهم ويرجعوهم إلى عبادة الله، ولكنهم أبوا ذلك فسلط الله عليهم الآشوريين فأبادوهم وشرَّدوهم، ولم يبقَ أي أثر لمملكة إسرائيل منذ أن دمرها (تجلت فلاسر) الآشوري سنة ٧٢٢ قبل الميلاد. وقد ظهر النبيّان (عاموس) و (هوشع) في القرن الثامن قبل الميلاد في مملكة الشمال، وأنذروا قومهم بأن مصيرهم الدمار إذا لم يتوبوا عن عبادة الأوثان والزنا. فلم يسمعوا لهم، فحلَّ عليهم غضب الله. وظهر النبيّان (أشعيا) و (ميخا) في نفس الفترة تقريباً في مملكة الجنوب يهوذا. وقاما بنفس مهمة عاموس وهوشع.

● في سفر هوشع أن الرب أمره بالزواج من زانية

ويبدأ سفر هوشه بداية غريبة جداً، حيث زعموا أن الرب غضب من عبادة إسرائيل لغيره فكلَّم النبي (هوشع) وأمَره أن يتزوَّج زانية، لأن إسرائيل زنت. وأمَرَه أن يتخذ أولاد زنا لأن بني إسرائيل أصبحوا أولاد زنا.

«أول ما كلَّم الرب (هوشع) قال الرب لهوشع: إذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنا، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب. فذهب (هوشع) وأخذ جومر بنت دبلايم، فحبلت وولدت له ابناً». (هوشع ١: ٢ ــ ٣).

وجاء فيه: «حاكموا أمكم لأنها ليست امرأتي وأنا لست بعلها لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لئلاّ أجرِّدها عريانة... لأن أمهم قد زنت والتي حبلت بهم صنعت خزياً، لأنها قالت أذهب وراء محبـي». (هوشع ٢: ١ ــ ٥).

وجاء فيه: «وقال الرب لي: اذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبّة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى... فاشتريتها لنفسي بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير، وقلت لها: تقعدين أياماً كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل وأنا كذلك لك». (هوشع ٣: ١ ــ ٣)

وجاء فيه: «الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب. شعبي يسأل خشبة وعصاه تخبره لأن روح الزنى قد أضلَّهم فزنوا من تحت إلههم، يذبحون على رؤوس الجبال ويبخرون للتلال (حيث الأوثان). لذلك تزني بناتكم وتفسق كناتكم. لا أعاقب بناتكم لأنهنَّ يزنين ولا كناتكم لأنهنَّ يفسقن لأنهم يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنى (نذر الزنى للمعابد كان شائعاً جداً في الأمم السابقة وفي بني إسرائيل).. إن كنت أنت زانياً يا إسرائيل فلا يأثم يهوذا.. أفرايم (سبط من أسباط إسرائيل) موثق بالأصنام. اتركوه. متى انتهت منادمتهم زنوا زناً». (هوشع ٤: ١١ ــ ١٨).

«إنك الآن زنيت يا أفرايم. قد تنجس إسرائيل. أفعالهم لا تدعهم يرجعون إليَّ لأن روح الزنى في باطنهم وهم لا يعرفون الرب». (هوشع ٥: ٤).

ويستمر سفر هوشع على هذا المنوال وهو يقرعهم ثم يخبرهم بأن الرب سينتقم منهم.

ويأتي سفر عاموس فإذا هو نسخة مشابهة لهوشع. توبيخ على الزنا وعبادة الأوثان في مملكة الشمال (إسرائيل) مع إدانة للمظالم الاجتماعية المنتشرة. وقد أدَّى

ذلك إلى أن قام الكهنة باتهام عاموس بأنه تزوَّج عاهرة معبد وثني وأنه اشترك معها في طقوس عبادتها الوثنية.

● الزنا في مملكة الجنوب (يهوذا)

وفي مملكة الجنوب (يهوذا)، انتشرت عبادة الأوثان والزنا بصورة مماثلة وربما أشدّ مما حدث في مملكة الشمال (إسرائيل). وفي القرن الثامن قبل الميلاد ظهر في مملكة الجنوب النبيّان أشعيا وميخا.. وقد وضع كل واحد منهما سفراً وكل سفر مليء بالتنبؤ بهلاك مملكة يهوذا بسبب كفرها وفسقها وزناها وعبادتها الأوثان.

ويبدأ سفر ميخا هكذا:

«اسمعوا أيها الشعوب جميعكم، أصغي أيتها الأرض وملؤها وليكن السيد الرب شاهداً عليكم من هيكل قدسه فإنه هوذا الرب يخرج من مكانه وينزل ويمشي على شوامخ الأرض فتذوب الجبال تحته، وتنشقُّ الوديان كالشمع... كل هذا من أجل إثم يعقوب ومن أجل خطيئة بيت إسرائيل. ما هو ذنب يعقوب (يقصد أبناء يعقوب وأحفاده بني إسرائيل)؟ أليس هو السامرة (عاصمة مملكة الشمال إسرائيل). وما هي مرتفعات يهوذا (مملكة الجنوب)؟ أليست هي أورشليم. فاجعل السامرة خربة في البرية مغارس للكروم. وجميع تماثيلها المنحوتة تحطم وكل أعقارها تُحرق بالنار.. **لأنه من عقر الزانية جمعتها وإلى عقر الزانية تعود**»..

ويستمر ميخا يوبِّخ بني إسرائيل على فجورهم وزناهم وعبادتهم الأوثان واعتدائهم على المسكين والفقير.. الذين يبنون صهيون بالدمار وأورشليم بالظلم (ما أشبه الليلة بالبارحة).. ويتنبَّأ لهم بأن أورشليم ستخرب خراباً بسبب هذا الفجور والزنا والظلم وانتشار الرشاوى وعبادة الأوثان.

وقد تضمَّن سفر أشعيا أيضاً توبيخاً شديد القسوة لليهود الظَلَمة الفَجَرة الزناة عُبّاد الأوثان.

ويبدأ سفر أشعيا ببداية مماثلة لسفر ميخا قائلاً: «اسمعي أيتها السمٰوات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلَّم.. ويل للأمة الخاطئة (إسرائيل)، الشعب الثقيل

الإثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين. تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدُّوا إلى وراء. . تزدادون زيغاناً. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم. من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب. بلادكم خربة، مدنكم محرقة بالنار. أرضكم تأكلها غرباء. .

«اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم (إشارة إلى قرى سدوم وعامورة التي انتشر فيها اللواط. . وهو هنا يصرخ في بني إسرائيل الذين انتشر فيهم اللواط والزنا وعبادة الأوثان). أصغوا إلى إلّهنا يا شعب عمورة. لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات،وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسَرّ (أي لا يسرني. وهذه أول دعوة تظهر ضد المحارق والذبائح على عكس أسفار التوراة ومعظم أسفار العهد القديم التي تؤكد على أهمية المحارق والذبائح والقرابين التي يحبها الرب ــ حسب زعمهم ــ جداً جداً). لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. . . وأعيادكم (فيها ذبائح مضاعفة ومحارق بلا عدد) بغضتها نفسي، صارت عليَّ ثقلاً. . . كيف صارت القرية الأمينة (أورشليم) زانية. . كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم». (أشعيا ١ : ٢ ــ ٢٣).

ويستمر أشعياء في توبيخ بني إسرائيل على ظلمهم وفجورهم وأكلهم مال الأرملة واليتيم والمسكين. . ثم يتحدث عن بنات صهيون، فيقول: «وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهنَّ وخاطرات في مشيهنَّ ويخشخشن بأرجلهنَّ يصلع السيد الرب هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهنَّ. . . إلخ». (أشعيا ٣: ١٦ ــ ١٨).

وينذرهم بالويل والثبور لأن الرب سيغسل قذر بنات صهيون وسينقي دم أورشليم بالإحراق والتعذيب والابتلاء بالأعداء. . ثم ينذر شاربي الخمر قائلاً: «ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر. وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم، وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون. . . لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فاها بلا حد». (أشعيا : ١١ ــ ١٤).

ويتحدث سفر أشعيا ــ الإصحاح الثامن، أن الرب أمر أشعيا بأن يقترب إلى النبية (والنبيات في بني إسرائيل كُثُر) فحبلت وولدت: «وقال لي الرب خذ لنفسك لوحاً كبيراً واكتب عليه بقلم إنسان لمهير شلال حاش بز (كلام عبري غير مترجم).. فاقتربت إلى النبية فحبلت وولدت ابناً فقال لي الرب ادع اسمه (مهير شلال بز) لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تُحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك آشور».. أي يتنبَّأ بسقوط مملكة إسرائيل التي عاصمتها السامرة بين الآشوريين.

ولكن الغريب حقاً هو أن يأمر الرب أشعيا بأن يأخذ امرأة دون زواج وهذه المرأة أيضاً نبيّة فتحمل وتلد له ابناً.

وانتشرت عبادة الأوثان والزنا واللواط بشكل مثير ومقزِّز. «ورذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلَّهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه».

ويتحدث أرميا (٥: ٧ ــ ٩) عن انتشار الزنا وعبادة الأوثان فيقول على لسان الرب: **«بنوك (يا أورشليم) تركوني.. ولما أشبعتهم زنوا، وفي بيت زانية تزاحموا. صاروا حُصناً معلوفة سائبة، صهلوا كل واحد على امرأة صاحبة. أما أعاقب على هذا؟ يقول الرب: أوما تنتقم نفسي من أمة كهذه؟»**

وانتشر الزنا واللواط لدرجة أنهم كانوا يمارسون ذلك في الهيكل نفسه. وكانت بيوت المأبونين داخل الهيكل ذاته. وانتشرت الطقوس الوثنية المختلفة وعبادة الأوثان. وكانت النساء ينذرن أنفسهن للزنا، والرجال لفعل الفاحشة بهم. وقد ورد ذلك في سفر هوشع: «لأن روح الزنا قد أضلَّهم فزنوا من تحت إلههم.. لذلك تزنى بناتكم.. يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنا. متى انتهت منادمتهم زنوا زناً» (هوشع ٤: ١٢ ــ ١٨) وجاء في سفر الملوك الثاني (٢٢: ٣ و٢٣: ٧) إن الملك يوشيا ملك يهوذا بعد توبته هدم بيوت المأبونين التي كانت عند بيت الرب (هيكل أورشليم)، حيث كانت النساء الزانيات ينسجن بيوتاً للسارية (المعبد الوثني).

وفيما يلي توضيح لدور اليهود في نشر الزنا واللواط وما يعقبانه من نشر للأمراض الجنسية التي أوضحنا أسبابها وأعراضها في كتابنا «الأمراض الجنسية» وكتابنا «الإيدز وباء العصر»، وعنهما ننقل بعض ما يدبره يهود من نشر للفساد في الأرض.

● دور اليهود في العصور الحديثة في نشر الزنا واللواط:

لقد قام اليهود بتنفيذ تعليمات التوراة المحرَّفة والتلمود لإفساد العالم بكافة الطرق واستخدموا في ذلك كل وسيلة يمكن أن تخطر بالبال. وحاربوا الأديان ونشروا الإلحاد.. وتحدثوا عن ثورة الجنس والحرية الجنسية.. وتمكنوا من استلام وسائل الإعلام بأيديهم فأشاعوا الفاحشة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وارتبطت الجرائم بعضها بعنق بعض.. وكلها تقرّب اليهود من الوصول إلى أهدافهم التي ذكرت في التوراة المحرَّفة والتلمود، اللذان ينصَّان على أن العالم كله لم يخلق إلاَّ لليهود، وأنَّ البشر جميعاً لا يصلحون سوى أن يكونوا عبيداً لليهود.

وسيطر اليهود سيطرة تامة على الفكر الإنساني في العصور الحديثة.. فالفكر الماركسي نتاجهم.. والفكر الرأسمالي الربوي من صنع أيديهم.. وتجارة البغاء والجنس تدرُّ لهم ملايين الملايين.. وكذلك يسيطرون على تجارة الخمور والمخدرات.

ويلخص كل ذلك بروتوكولات حكماء صهيون التي نشرت في بداية القرن العشرين والتي حاربها اليهود وأحرقوا جميع نسخها مراراً. وقد اعترف بعض اليهود ومنهم (هنري كلين) في جريدته «صوت المرأة» في شيكاغو عام ١٩٤٥م بحقيقة هذه البروتوكولات قائلاً: «إنَّ البروتوكولات، وهي الخطة التي وضعت للسيطرة على العالم، أمر حقيقي وإنَّ زعماء الصهيونية يكونون مجلس سانهدرين الأعلى الذي يرمي إلى السيطرة على حكومات العالم. وقد طردني اليهود من صفوفهم لأني أنكرت عليهم خططهم الشريرة»[1].

وقد ترجمت البروتوكولات إلى عدة لغات ومنها اللغة العربية إلاَّ أن هذه النسخ سرعان ما تختفي بطريقة مريبة.

وجاء في هذه البروتوكولات فضائح كثيرة نذكر منها بعض الأمثلة:

---

(١) الحكومة السرية في بريطانيا لجورج سكوت، ترجمة دار الكتاب العربي ١٩٥٧م.

١ ـ إنَّ جواز المرور لدينا هو القوة والكذب والادعاء. إنَّ حقنا في قوتنا.. ولا عيب ولا عار في أن تكون جاسوساً أو دساساً بل هذه فضيلة.

٢ ـ الحرية لدينا هي حق الإقدام على ما تسمح به القوانين.. وسنسيطر على جميع الحريات ونقيم القوانين حسب هوانا ومشيئتنا.

٣ ـ نحن نحكم الطوائف والشعوب باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤجِّجها الضيق والفقر وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها الأمم.

٤ ـ إننا نملك في أيدينا أعظم قوة في هذا العصر وهي الذهب.

٥ ـ إنَّ دولاب الأعمال المختلفة في كافة الحكومات يسير بقوة الآلة التي نديرها بأنفسنا وهذه الآلة هي الذهب.

٦ ـ يجب أن تكون الصحافة تافهة كاذبة بعيدة عن الحق. إنها تعمل لتحريض وإثارة المشاعر التي نحن في حاجة إليها من أجل أهدافنا.

٧ ـ لقد ذكر الأنبياء، أنَّ الله اختارنا بنفسه لنحكم العالم كله، ولهذا أمدنا بنوع من النبوغ يتفق مع مهمتنا هذه وينسجم معها.

٨ ـ أمامنا الآن بضع سنوات قليلة لتحل اللحظة التي يتم فيها تحطيم الديانة المسيحية تحطيماً كاملاً وعلينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين.

٩ ـ يجب أن لا نتردد لحظة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدم أغراضنا.

١٠ ـ إنَّ الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألَّا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد لأهدافنا وغاياتنا.

١١ ـ عندما نصل إلى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا وجود عقيدة غير عقيدتنا. وعلى ذلك يتعيَّن علينا أن نكتسح جميع العقائد والأديان الأخرى. وإذا كان هذا يؤدي إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الله، فإن هذا لا يتعارض مع وجهة نظرنا، ويعتبر في ذاته مرحلة تطور وانتقال.

١٢ ـ لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين (الجنتايلز Gentiles) وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام.

١٣ ـ لقد عبثت أيدينا في التشريعات وفي سَنّ القوانين وفي الصحافة ووسائل الإعلام وفي توجيهها والسيطرة عليها.

وتمكّن اليهود بالفعل من السيطرة على أجهزة الإعلام وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا وأقام (مردوخ) اليهودي الاسترالي امبراطورية صحفية حيث اشترى معظم الصحف المشهورة في بريطانيا وأستراليا وأوروبا.

وقد نشرت الصن (Sun) اللندنية رسوماً ساخرة تجعل العرب كالخنازير فلما احتجّ أحد البريطانيين على هذا الأسلوب البذيء صدَّرت صفحتها الأولى برسم ساخر تحتج فيه الخنازير وتثور لأنهم شبهوها بالعرب.

والرئيس الحالي لهيئة الإذاعة البريطانية يهودي.. وكل أجهزة الإعلام الحساسة في معظم دول العالم إما بيد اليهود مباشرة أو بطريقة ملتوية.

كما سيطر اليهود على الفكر الإنساني في العصر الحديث:

فرويد في علم النفس..

ماركس في الاقتصاد والسياية..

دوركايم في الاجتماع..

..وغيرهم كثير.

وعمل اليهود على نشر الفاحشة والسيطرة عليها والاستفادة منها.. وبواسطة النساء والذهب والخمر تمكنوا من السيطرة على معظم ساسة العالم، وتهديدهم إن هم حاولوا الخروج عن مخططاتهم وسيطرتهم..

وبلغ من وقاحة اليهود وسخريتهم بالمسيحيين أن تظاهر بعضهم بالدخول في المسيحية وبلغ مرتبة رئيس القساوسة فمثلاً أسقف باريس هو يهودي.

ولم يكتفوا بذلك، بل ألّف قسيس من الولايات المتحدة أصله يهودي كتاباً سماه «المسيح شاذ جنسي» افترى فيه الملعون على المسيح عليه السلام البهتان واتهمه

بالشذوذ الجنسي . . وألّف قسيس آخر أيضاً سنة ١٩٧٠م من الولايات المتحدة كتاباً ادعى فيه أن المسيح خرافة وأنه لم يوجد أصلاً . . ثم قامت هوليود بإخراج فيلم في منتهى الوقاحة وأسمته «غراميات المسيح» ولم يحتج إلاّ القليل من النصارى الأفراد على إهانة المسيح . . وجاءت الاحتجاجات من بعض البلاد الإسلامية .

وظهر كتاب أيضاً بعنوان «التجربة الأخيرة للمسيح» ونشرته دار سيمون وشوستر[١] جاء فيه اتهام المسيح عليه السلام بأنه زنا بمريم المجدلية «ص ٤٥٠» «أمسك بها (أي مريم المجدلية) يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة وامتقع لونها واصطكت ركبهما فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة وبدآ يتدحرجان على الأرض . طلعت الشمس ووقفت فوقهما . وهبَّ نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين . وضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسده بجسدها الملتهب» . . وقد تحوّل هذا الكتاب أيضاً إلى فيلم وعرض في الولايات المتحدة وغيرها دون أن يحدث رد فعل . ولكنه أحدث رد فعل في فرنسا حيث غضب بعض الأفراد من هذا الفيلم وحاولوا إحراق دار العرض .

وتنص تعاليم الماسونية اليهودية السرية على تقديس الجنس والإباحية الجنسية ونشرها بين الأمم كما نص على ذلك كتاب الماسونية لأرنولد ليز[٢] . ونشرت مجلة (Le Symbolisme) اليهودية عدد يوليه ١٩٢٨م : «إن أعظم واجب للماسوني هو تمجيد الجنس»[٣] .

وقد عمل اليهود على انتشار الزنا في العالم بصورة رهيبة[٤] بحيث أن الزنا أصبح هو الشيء الطبيعي ، وأن العفة هو الأمر المستنكر . حتى أن مجلس الكنائس البريطاني أصدر تقريراً جاء فيه : **«إن مجلس الكنائس البريطاني ضد الاستغلال**

---

(١) نقلاً عن كتاب إسرائيل والتلمود لإبراهيم خليل أحمد صفحة ١٣٩ ــ ١٤٠ .
(٢) نقلاً عن المصدر السابق . ص ١٤٥ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابنا الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها فصل مدى انتشار الزنا .

الجنسي ويبارك الصلة الجنسية في الزواج. ولكنه يرفض رأي الإنجيل الداعي إلى العفة قبل الزواج أو الالتزام به بعده» نشرت ذلك مجلة التايم الأمريكية في عددها الصادر ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦م (ص ٣٨) ويدعو ذلك التقرير إلى التراخي في إجراءات الإجهاض وإلى استخدام وسائل منع الحمل للفتيات الصغيرات.

وأصبحت وسائل منع الحمل تدرّس في الجامعات، فوجدوا أن طلبة الثانوية هم الذين يقعون في المشاكل فنزلوا بتدريس الجنس ووسائل منع الحمل إلى الثانوية ثم إلى الابتدائية. وقد صدرت دراسات متعددة عن مدى انتشار الزنا في العالم بصورة عامة وفي الولايات المتحدة وأوروبا بصورة خاصة.. واتضح من تلك الدراسات أن المشكلة واسعة النطاق بشكل لا يتصور، وتتمثل المشاكل الناتجة عنها فيما يلي: في أوروبا والولايات المتحدة والعالم.

١ ــ ٧٥ بالمئة من الأزواج يخونون زوجاتهم ونسبة أقل قليلاً من الزوجات يخنّ أزواجهن (الشرق الأوسط ١٩٨٠/٥/٢٩) في أوروبا والولايات المتحدة.

٢ ــ ٩٠ بالمئة من غير المتزوجات يمارسن الزنا إما بطلاقة أو من حين لآخر (في أوروبا والولايات المتحدة).

٣ ــ عدد حالات الإجهاض الجنائي غير الطبي وصل عام ١٩٨٣م إلى ٥٠ مليون طفل في العالم (التايم الأمريكية ٦ أغسطس ١٩٨٤م) منهم ٢٥ مليون طفل فيما يسمى العالم الثالث و ٢٥ مليون طفل في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وأوروبا.. وفي الولايات المتحدة أكثر من مليون ونصف مليون حالة إجهاض سنوياً رغم انتشار استخدام وسائل منع الحمل.

٤ ــ الحمل لدى المراهقات أصبح مشكلة كبيرة في الولايات المتحدة وأوروبا، ففي الولايات المتحدة أكثر من مليون فتاة صغيرة تحمل سنوياً.

٥ ــ الأطفال بدون آباء (أي نتيجة الزنا أو الطلاق) يبلغون ١٢,٥ مليون طفل في الولايات المتحدة (تقرير لجنة الكونجرس برياسة السناتور جورج ميلر ونشرته ملخصاً له الشرق الأوسط في ١٩٨٣/٩/١٣).

٦ ـ انتشار الأمراض الجنسية في العالم. يقول مرجع مرك الطبي الطبعة الثالثة عشر ١٩٧٧م. (وقد ارتفع العدد الآن): إن الأمراض الناتجة عن الجنس هي أكثر الأمراض المعدية انتشاراً في العالم اليوم ويزداد كل عام عدد المصابين بهذه الأمراض وذلك منذ عقدين من الزمن. وتقدر هيئة الصحة العالمية عدد الذين يصابون بالسيلان بأكثر من (٢٥٠) مليون شخص سنوياً. وعدد الذين يصابون بالزهري (السيفليس) يفوقون (٥٠) مليون شخص سنوياً، وتقول المصادر الأخرى أن هناك أكثر من (٣٠٠) مليون من التهاب مجرى البول من غير السيلان (الكلاميديا وغيرها) سنوياً في العالم.

وفي الولايات المتحدة فإن عدد المصابين بالكلاميديا يبلغون (ستة ملايين) حالة سنوياً والمصابين بالسيلان ثلاثة ملايين. وفي عام ١٩٨٢ كان عدد المصابين بالهربس التناسلي قد بلغ عشرين مليوناً مع وجود نصف مليون حالة جديدة من الهربس كل عام ونصف مليون حالة جديدة من الزهري سنوياً..

وقد بلغ عدد المصابين بمرض الإيدز حتى نهاية عام ١٩٨٥ أكثر من (٢٠) ألفاً حظيت الولايات المتحدة بأكثر من سبعة عشر ألف حالة. وبحلول عام ١٩٨٩ كان الرقم قد جاوز مائة ألف حالة.

● انتشار الشذوذ الجنسي[١]:

لم يكتف اليهود بنشر الزنا على نطاق واسع في العالم أجمع، بل قاموا أيضاً بنشر الشذوذ الجنسي على نطاق واسع والدفاع عنه.

وقد قننت الدول الغربية تحت تأثير اليهود، قوانين تبيح الشذوذ الجنسي طالما كان دون إكراه.. وتكونت آلاف الجمعيات والنوادي التي ترعى شؤون الشاذين جنسياً. وكما تقول دائرة المعارف البريطانية (طبعة ٨٢ المجلد ١٦/٦٠٤)، فإن الشاذين جنسياً خرجوا من دائرة السرية إلى الدائرة العلنية وأصبح لهم نوادٍ، وبارات، وحدائق، وسواحل، ومسابح خاصة، حيث يلتقي الشاذ جنسياً بأمثاله من الشاذين.

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في فصل العلاقات الجنسية الشاذة من كتابنا الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها.

وتعرف دوائر الشرطة هذه الأماكن، ولكنها مأمورة بعدم الإزعاج طالما أنهم لم يسببوا أي فوضى أو اضطراب في المجتمع.

وتقول الإحصائيات الحديثة إن عدد الشاذين في الولايات المتحدة يتراوحون ما بين ١٨ و ٢٠ مليوناً. وهناك معابد وكنائس خاصة في الولايات المتحدة، تقوم بتزويج الرجال على الرجال والنساء بالنساء في حفلات خاصة.. وقد نشرت الصحافة (الشرق الأوسط ٢٧/٥/١٩٨٠) أن السناتور كيندي اجتمع بممثلي الشاذين جنسياً وتعهد لهم بأنه سيدافع عن حقوقهم وسينفذ تعهداته إذا ما انتخب رئيساً للجمهورية.

وقد خصصت بعض الجامعات في الولايات المتحدة منحاً دراسية خاصة للشاذين جنسياً ومنها جامعة سير جورج وليامز.

ويتجمع الشاذون جنسياً في المدن الكبيرة مثل نيويورك ولوس أنجلوس وسان فرانسيسكو وهي بؤر مرض الإيدز الأساسية في العالم.

وتعترف بعض الكنائس بالشذوذ الجنسي، وقد ذكرت الـ «ديلي ميل» والـ «ديلي ميرور» عام ١٩٧٠ أن ٤٠ بالمئة من الرهبان يمارسون الشذوذ الجنسي وأن ٨٠ بالمئة منهم زناة أيضاً.

ونشرت مجلة «التايم» الأمريكية قصة ضابط صف يهودي، علق لوحة ضخمة خلف مكتبه وكتب فيها: أنا شاذ جنسي، فما كان من إدارة الجيش الأمريكي إلاَّ أن طردته. وآنذاك قامت قيامة أجهزة الإعلام ضد الجيش المتعصب الرجعي.. واضطر الجيش لإعادة هذا الشاذ اليهودي. كما دعي هذا اليهودي لإلقاء محاضرات عن الشذوذ في أكبر الجامعات الأمريكية.

ونتيجة انتشار الشذوذ الجنسي انتشرت أمراض جنسية أشد خطورة مما يصيب الزناة، فبالإضافة إلى الأمراض الجنسية العديدة التي تصيب الزناة هناك مجموعة من الأمراض الجنسية التي تكاد تقتصر على الشاذين جنسياً نذكر منها:

١ ــ مرض الإيدز.

٢ ــ ورم كابوسي ساركوما من غير الإيدز.

٣ ـ التهاب الكبد الفيروسي من نوع (B) وعلاقته بسرطان الكبد.

٤ ـ سرطان الفم واللسان.

٥ ـ زيادة في سرطان الشرج والمستقيم..

٦ ـ تنتشر الأمراض الجنسية الأخرى بحوالي عشرين ضعفاً مما هي عليه عند الزناة، ومثالها الزهري، والسيلان والكلاميديا والورم البلغمي الحبيبي الزهري (Lymphogranuloma Venerium)، والورم الحبيبي المغبني (Granuloma Inguinale)، والقرحة الرخوة (Chancroid)، والثآليل التناسلية والمليساء المعدية. وفطريات، وطفيليات الجهاز التناسلي والهضمي مثل الجيارديا والأميبا والكانديدا، وقمل العانة والجرب التناسلي.

● وطء المحارم والأطفال:

ولم يكتف اليهود بنشر الزنا واللواط والخمور والمخدرات، ولكنهم قاموا أيضاً بنشر نكاح المحارم.

وأول من حاول نشر نكاح المحارم في العصر الحديث هو (فرويد) اليهودي، حيث جاء بنظريات غلفها بالأساطير اليونانية، وخلاصتها أن حب الطفل لأمه ليس إلَّا حباً جنسياً محضاً، وأن عملية الرضاعة ليست إلَّا عملية جنسية لأن الغريزة الجنسية تتركز في الطفولة في الشفتين ثم تنزل بعد ذلك إلى الأعضاء التناسلية.

ولهذا يكره الابن أباه وسمى ذلك الكره (عقدة أوديب) لأنه ليس من اللائق أن يظهر كرهه لأبيه، وحبه الجنسي لأمه. واستخدم (فرويد) أسطورة يونانية تقول: إن ملكاً في اليونان جاءه الكاهن فأخبره أن زوجته ستلد ذكراً سيقوم بقتله ونكاح أمه فلما ولد الطفل أمر بقتله.. ولكن الشخص الذي أوكل إليه قتل الطفل رق له وتركه في الغابة، وكبر الولد وصار شجاعاً وكوَّن جيشاً، وهجم على مملكة أبيه دون أن يدري، فقتل أباه وتزوج أمه وصدقت بذلك نبوءة الكاهن والعراف.. والأمر كله خرافة أوردها الأديب اليوناني (سوفوكليس).

واستخدم (فرويد) أسطورة أخرى هي أن البنت تحب أباها جنسياً وتكره أمها وسمى ذلك (عقدة أليكترا).

وعندما يكبر الطفل يحب نفسه جنسياً وسمى ذلك النرجسية نسبة إلى أسطورة يونانية تزعم أن نارسيس الذي كان آية في الجمال عشق نفسه عندما رأى وجهه في الماء.

وكل هذا الهراء والغثاء يدرس في الجامعات ومن بينها الجامعات في العالم الإسلامي عرباً وعجماً على أنه علم نفس.

ثم تطورت المسألة أكثر وقامت هوليود بإخراج عشرات الأفلام التي تنادي بنكاح الأمهات والأخوات.

ونشرت «التايم» الأمريكية تحقيقاً واسعاً عن نكاح المحارم (عدد إبريل ١٤، ١٩٨٠) واستضافت فيه مجموعة من علماء الجنس والأنثروبولجي وأغلبهم يهود.

وقد جاء في ذلك التحقيق تصريحات الأنثروبولجي يهودي كوهين (نعم هذا هو اسمه) ما يلي:

«إن منع نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات بل والأبناء، ليس إلَّا من مخلفات الإنسان البدائي الذي احتاج لإجراء معاهدات واتفاقات تجارية خارج نطاق الأسرة، فقام عند ذاك بمنع نكاح المحارم. وبما أن ذلك لم يعد له أي أهمية فإن هذا المنع يصبح أمراً قد عفى عليه الزمن».

ويقول الباحث جون موني من جامعة هوبكنز وأحد أشهر الباحثين في الجنس في الأمة الأمريكية وهو يهودي أيضاً:

«إن تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه الكبار أو غيرهم لا يشكل بالضرورة ضرراً على حياة الطفل».

ويشكو هذا الباحث وعشيقته جيرترود وليامز في كتابهما «الأفعال الجنسية الضارة وإهمال الأطفال» من أن الجمهور الأمريكي في غالبيته لا يزال يعتبر أي اتصال جنسي بالطفل وكأنه اتصال ضار ومحطم للطفل. . .

«وبما أن المجتمع الأمريكي قد استطاع التغلب على مشكلة الدين بحيث لا ينظر إلى الإنسان بازدراء إذا مرق من دينه، فإن على المجتمع الأمريكي أن يتسامح أيضاً في موضوع نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات».

ويقول الباحث الجنسي دادل بومري كما تنقله عنه التايم: «لقد آن الأوان لكي نعترف بأن نكاح المحرمات ليس شذوذاً ولا دليلاً على الاضطراب العقلي. نعم قد يكون نكاح المحرمات وخاصة بين الأطفال وذويهم أمراً مفيداً لكليهما».

ويقول الأنثروبولجي سيمور باركر من جامعة يوتاه: «إنه من المشكوك فيه أن يكون الثمن الذي يدفعه من يقوم بنكاح المحرمات من الشعور بالذنب والجفوة بين أفراد الأسرة الواحدة أمراً ضرورياً، أو حتى مرغوباً فيه. وعليه فينبغي إزاحة هذا الشعور بالذنب عندما يقوم شخص ما بنكاح أمه أو ابنته أو أخته.. وما هي الجدوى التي ستعود من ربط نكاح المحرمات بهذا الشعور من عدم الارتياح بدلاً من المحبة والدفء الذي يشعه نكاح المحرمات».

وطالبت لجنة سيسكي بأن يُباح نكاح المحرمات وأن يُزاح هذا التابو (المحرم المقدس) المقيت!!.

ويقول المؤلف والباحث الجنسي جيمس رامزي: (إنّنا نقف اليوم من نكاح المحرمات نفس الموقف المتأخر الذي كنا نقفه منذ مائة عام من العادة السرية، إنّنا قد اكتشفنا أنَّ العادة السرية غير ضارة ولا تؤثر على الصحة، فإنَّ علينا أن نمارس المزيد من الاتصال الجسدي والجنسي بين أفراد الأسرة، لأن ذلك سيحقق الدفء وسيخفف من هذا السعار الجنسي المحموم في سن المراهقة!!).

وتقول «التايم» في بحثها الجامع عن نكاح المحرمات في الولايات المتحدة: (إنَّ الباحثة جوان نيلسون قد أنشأت ـ بالاتفاق مع السلطات ـ معهداً لدراسة السلوك الجنسي، وقد قام معهدها بإجراء بحث ميداني للتفريق بين نكاح المحرمات المفيد.. ونكاح المحرمات الضار.

وانتهت بأنَّ الضرر الحقيقي هو في الشعور بالذنب وتحطّم الأسرة. أمَّا إذا أُزيح هذا الشعور بالذنب فإنَّ نكاح المحرمات يصبح مفيداً!!).

وتقول «التايم»: (إنَّ الجمهور بدأ يتقبل فكرة نكاح المحرمات وتدلل على ذلك بزيادة الإقبال على الأفلام التي تعرض نكاح المحرمات وتمجده، ففي عام ١٩٧٩ أنتجت هوليود ستين فيلماً يشيد بنكاح المحرمات ويعرضه عرضاً صريحاً، بينما لم تنتج هوليود إلَّا ستة أفلام عام ١٩٢٠).

ويقول الباحثون الجنسيون في أمريكا كما تنقله عنهم «التايم»: (إنَّ جميع الاتصالات الجنسية مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته أو ابنه، وبين الأم وابنها، وبين الأخ وأخته، نعم كلها مفيدة ولكن الضار فقط هو الشعور بالذنب والإحساس بالخوف، وأخطر شيء هو الكبت!! نعم هو الكبت الجنسي!!).

وتقول «التايم» معلِّقة على ذلك: (إنَّ مثل هذا الاتجاه سيقود حتماً إلى إقامة حملات صليبية ضد جميع أنواع المنع الجنسي شاملاً بذلك نكاح المحرمات).

وقد افتتحت «التايم» تحقيقها البارع بقولها: (يحبُّ علماء الجنس أن يصدموا الجمهور من حين لآخر، ولكن يبدو أنَّه أصبح من العسير عليهم أن يفعلوا ذلك؛ فقد تعودت الجماهير في الغرب أن تنظر إلى العلاقات الجنسية حتى الشاذة منها نظرة باردة. ولكن الباحثين يعملون الآن بجد تساندهم في ذلك بعض الأكاديميات لإزاحة آخر صنم في المجال الجنسي وهو نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات).

وقد نشرت صحيفة «الهيراليد ــ تربيون» في عددها الصادر ١٩٧٩/٦/٢٩، ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء وعلماء النفس في الولايات المتحدة حول ظاهرة نكاح المحرمات في الولايات المتحدة خاصة والمجتمعات الغربية عامة.

ويقول الباحثون إنَّ نكاح المحرمات لم يعد نادر الحدوث، وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها، فهناك عائلة من كل عشر عائلات أمريكية يمارس فيها هذا الشذوذ. والغريب حقاً أن الغالبية العظمى (٨٥ بالمئة) من الذين يمارسون هذه العلاقات الشاذة مع بناتهم وأولادهم أو بين الأخ وأخته أو بين الأم وابنها هم من العائلات المحترمة في المجتمع والناجحة في أعمالها.، والتي لا تعاني من أيّ مرض نفسي، وليسوا من المجرمين ولا من العتاه ولا من السيكوبات، وإنَّما هم في الغالب من رجال الأعمال أو الفنيين الناجحين في أعمالهم وحياتهم.

ويـذكر التقـرير أن حـالة واحـدة من بين كل عشـرين حالـة هي التي تصـل إلى القضـاء أو إلى الدوائـر الصحية، ومعـظم هذه الحـالات هي حالات اعتـداء من الأب على ابنته. ولا يقتصر الاعتداء على البنت البالغة وإنّما يمتـد ليشمل الصغيـرات. وقد سجلت حالات من اعتداء الأب على ابنته ابتداء من سن ثلاثة أشهـر إلى سن البلوغ!!.

وينتـج عن ذلك الاعتداء أمراض تناسليـة وتهتكات في الجهـاز التناسلي للطفلة بالإضافة إلى الإصابات النفسية البالغة للطفلة.

كما أنَّ هناك عدة حالات حمل قد سجلت نتيجـة اعتداء الأب على ابنتـه، وفي كثير من هذه الحالات، كانت العلاقة بين الأب وابنته تمتد إلى سنوات عديدة.

ويعتبر التقرير أشد أنواع هذه الاعتداءات خطورة هـو اتصال الأم بـابنها جنسيـاً؛ ويعتبر ذلك محطماً للأسرة ومهدِّماً للبنيان النفسي للابن والأم على السواء.

أمـا الاتصال الجنسي بين الأخ وأختـه فيعتبره التقـرير شيئـاً يسيـراً، وربمـا كـان حميداً!!. وينبغي على الآباء والأمهـات أن لا يهتمـوا بهـذه العـلاقـة إذا لاحـظوهـا بـل يتركونها للزمن فهو كفيل بعلاجها. أمَّا دائـرة المعارف البـريطانيـة (طبعة ٨٢ مجلد ١٦ صفحة ٦٠٧) فتعتبر نكاح الابن لأمه هـو أشدهـا خطراً وأكثـرها نـدرة، وأن الحالات المسجلة هي في الغـالب لأمهات مـريضـات نفسيـاً، وأنَّ بعضهن سـايكـوبـاث، وفي الغالب يكون الابن مراهقاً وأحياناً دون البلوغ.

أما نكاح الأب لابنته فتقول دائرة المعارف البريطانية: «إنه أكثـر شيوعـاً وإنَّ هناك عـدداً لا يحصى من الحـالات تسجَّـل كـل عــام. وفي الغـالب يكـون الأب سكيـراً أو مضـطربـاً نفسيـاً، ولا يقوم الأب بـالاعتداء على ابنتـه البـالغـة فقط، وإنَّمـا يحصـل الاعتـداء على طفلته الصغيـرة. وقد سجلت كثيـر من حـالات الاعتـداء على الأطفـال الرضَّـع من آبائهن».

«وفي كثيـر من الحـالات تمتـد العـلاقـة بين الأب وابنتـه إلى عــدة سنـوات، ولا تقتصر العلاقة على ابنة واحدة وإنما تشمل بناتـه كلهنَّ، وإن كان الأب في الغـالب يفضل واحدة منهن». وتقول دائرة المعارف: «إن هذه العـلاقات غـالباً مـا تتوقف عنـدما تكبر البنت وتغادر المنزل؛ وذلك عنـد بلوغها ثمـانية عشـرة سنة أو قبـل ذلك. ونـادراً ما تستمر العلاقة بعد وصول البنت إلى العشرينات». وتقول دائرة المعـارف البريـطانية:

«إنَّ هذه العلاقة الشاذة لا تسبب الشعور بالإثم لدى الأب أو البنت إلاَّ عندما تعلم الأم بتلك العلاقة وتثور. . وعندئذٍ تبدأ المتاعب».

أمَّا العلاقة بين الأخ وأخته، فلا ترى دائرة المعارف البريطانية فيها ضرراً كبيراً، وتعتبرها مرحلة غير دائمة ولا ضرر يخشى منها في الغالب.

وإذا علمنا أنَّ (لورد بيرون) الشاعر الإنجليزي المشهور كان يخالل أخته ويتغزل فيها ويعيش معها عيشة العشاق ويفخر بذلك، والمجتمع الإنجليزي يرى ذلك ويسكت عنه، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلاديين (ولد بيرون عام ١٧٨٨ وتوفي عام ١٨٢٤)، فإننا لا نستغرب أن يسكت المجتمع الغربي عن نكاح الأخ لأخته، وأنْ لا يرى في ذلك غضاضة في القرن العشرين بعد أن أُصيب الغرب بلوثة الثورة الجنسية، ولوثة الولوغ في الزنا واللّواط ونكاح الأطفال وأخيراً المحرمات.

ولم تكتف الدول الغربية بإباحة الزنا في قوانينها بل أباحت اللواط أيضاً، وها هي السويد الآن تدرس إصدار قانون يبيح رسمياً أن ينكح الفتى أخته، وعما قريب سيمتد ذلك إلى بقية الدول الغربية.

وها هي صيحات اليهود وكتاباتهم كما نقلناه عن «اليهرالد تربيون» و«التايم» ودائرة المعارف البريطانية (طبعة ٨٢). وهي تتحدث عن نكاح الأخ لأخته باعتباره شيئاً غير ضار.

بل لقد بلغت بهؤلاء اليهود الوقاحة أن يقولوا: إنَّ كل الاتصالات الجنسية بين المحارم مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته والأم وابنها، وإنَّ الضارَّ فقط هو الكبت وعقدة الشعور بالذنب!!.

ونشرت صحيفة «الاتحاد الأسبوعي» في ١٢ يناير ١٩٨٤ الخبر التالي نقلاً عن وكالة الأنباء الفرنسية:

«تابع الأمريكيون بشغف على شاشات التليفزيون في الأسبوع الماضي (أي بداية يناير ١٩٨٤) فيلماً يصور علاقة محرَّمة بين أب وابنته».

وطوال فترة عرض الفيلم ومحطة A.B.C. تتلقى مكالمات تليفونية من فتيات كنَّ ضحايا لنزوات آبائهن.

ويقدَّر عدد الفتيات اللاتي كانت لهن علاقة جنسية بآبائهن بـ ١٢ إلى ١٥ مليون فتاة. . وأن نسبة الفتيات المراهقات اللاتي لهن اتصالات جنسية مع آبائهن تتراوح ما بين ١٥ و ٣٤ بالمئة. .

وتزخر المحاكم الأمريكية بقضايا ضد آباء اعتدوا على أطفالهم من سن الثانية حتى المراهقة.

وقد تبيَّن أن الرجال الذين يقومون بهذه العلاقة الشاذة المحرَّمة هم من الناس العاديين وأحياناً من الناجحين المرموقين في المجتمع. . وليسوا من مدمني الخمر ولا المخدرات ولا المجرمين. والغريب حقاً أن يكون بين هؤلاء الطبيب والمهندس ورجل البوليس!!

وهكذا استطاع اليهود أن ينشروا الفواحش من الزنا واللواط والسحاق ونكاح الأطفال ونكاح المحارم. . وتجارة الخمور والمخدرات وبثوا شباكهم الماكرة المخادعة، وسيطروا على أجهزة الإعلام بأكملها، كما سيطروا على البنوك والاقتصاد. وأصبح رجال السياسة لعبة بأيديهم يحركونهم كيف يشاؤون. . وهم متَّجهون خطوة خطوة نحو تنفيذ حلمهم القديم بإقامة حكومة عالمية تحت سيطرة اليهود ولن يتم لهم ذلك كما صرح التلمود إلَّا بإقامة حرب عالمية يهلك فيها ثلثي سكان العالم. وبعدها يظهر المسيح (الدجال) ملك يهود ويحكمون به العالم.

● مليون حالة من الاعتداء على الأطفال سنوياً في الولايات المتحدة:

إنَّ الشيء المرعب حقاً هو أنَّ الغرب لم يكتفِ بالفوضى الجنسية العارمة التي تجتاح مجتمعاته، ولم يكتف بانتشار الزنا بصورة لم يسبق لها مثيل، وتعدي الزنا إلى الشذوذ الجنسي بحيث بلغ عدد الشاذين جنسياً أكثر من ١٧ مليون شخص في الولايات المتحدة الأمريكية فقط.

ولم يكتف بكل ذلك، بل تعداه إلى الهجوم على الأطفال الأبرياء. تقول مجلة الـ «ريدرز دايجست» في عددها الصادر أغسطس ١٩٨٣ تحت عنوان (أطفال للبيع. . العالم المظلم الجديد لفن الدعارة): (إنَّ استخدام الأطفال جنسياً لم يعد أمراً شاذاً ولا أمراً شخصياً، وإنما أصبح تجارة منظمة يبلغ دخلها ما بين خمسمائة إلى ألف مليون دولار، ويعمل فيها آلاف المصورين والكتّاب بل والأطباء وعلماء النفس. !!).

وقـد أصبـح لدى هؤلاء الـذين يتاجـرون بدعـارة الأطفـال وصـورهم العـاريـة، والرجال يفعلون بهم الفـاحشة الجرأة لتكوين جمعيات علانية في الولايـات المتحدة. ففي لوس أنجلوس كما تقول الـ «ريدرز دايجست» تقوم جمعية رين جيون التي يدعمها خمسـة آلاف عضو بمـافيهم بعض الأطبـاء وعلمـاء النفس، بـل وبعض الآبـاء الـذين يعتقـدون أن الجنس نافـع لأطفـالهم، !! وترفـع هـذه الجمعية شعـارها في كـل مكان (الجنس في الثامنة قبل فوات الأوان) Sex by eight or it's too late.

وأمـا (جمعيـة مخـالـطة الـرجـال للصبيـان في أمـريكـا الشمـالـيـة) : (The North Americn Man/Boy Love Association).

فتقـول الـ «ريـدرز دايجست»: (إنَّ لهـا فـروعـاً في جميـع أنحـاء الـولايـات المتحدة، كما أن لها مجموعـة من المحامين للدفـاع عن أعضائهـا عندمـا يقفون أمـام القضاء بتهمة الاعتداء على الأطفال. كمـا أنَّ لها صنـدوقاً مـالياً لإعـانة من يسجن من أعضائها. وتقول الـ «ريدرز دايجست»: إنَّ البوليس قد هاجم أحد مراكز هذه الجمعية في ماساتشوسيتس في ديسمبر ١٩٨٢، فوجد مئـات الصور لـرجال هـذه الجمعية وهم ينكحون الأطفال).

ورغم أن القانون لا يزال يمنـع تجارة الدعارة بـالأطفال في الـولايات المتحـدة، إلَّا أنه من النادر أن يقـع هؤلاء تحت قبضـة القانـون. وإذا وقعوا فـإن جمعياتهم كفيلة بتـوكيـل أحسن المحـامين لإخـراجهم من المـأزق، وإذا فـرض وحكم على أحـدهم بالسجن بضعة أشهر أو بضـع سنين، فإنَّ أموال الجمعية الوفيرة تقوم بإعالته.

وتشتكي المجلة المـذكورة من الإجـراءات الفيدراليـة القضائيـة المـوزعـة بين الحكومات المدنية والقوانين الفيدرالية والجهات العـديدة المسؤوليـة، بحيث لا يمكن وصـول هذه الحـالات إلى القضاء إلَّا فيمـا نـدر. وإذا رفـع الأمـر إلى القضـاء كـانت العقوبة تافهة، وتذكر مثالاً على ذلك قضية القسيس (دونالد جليسر) الذي اعتدى على الطفل (جوني آثوود)؛ فقد طلب القسيس منه أن يساعده في تـنظيف منزلـه لقاء أجـر، ففـرحت الأم بذلـك، وسرعـان ما اكتشف الأبـوان أنَّ القسيس المحترم، لم يكن فقط يستخدم ابنهما جنسياً، بل كان يصورهُ في أوضاع شائنة، ويبيـع تلك الصور للمجلات الجنسية الداعرة، وعندما هجم البوليس على منزل القسيس، وجد ألبوماً حـافلاً بصـور

القسيس وهو يضاجع الطفل في أوضاع شائنة، ولما رفعت الدعوى إلى القضاء حكم القاضي بأن يقوم القسيس بخدمة المجتمع لمدة مائتي ساعة، وعندئذٍ صرخت الأم لقد قمت بفضح ابني على الملأ ليحكم على القسيس المحترم بمائتي ساعة عمل لخدمة المجتمع!!.

ولسنا ندري؛ أن نوع من الخدمات سيقدمها القسيس!! وتقول الـ «ريدرز دايجست»: «إنَّ سين بروكشار كان في فترة المراقبة (وهذا هو الحكم الذي صدر ضده عندما اعتدى على طفلة جنسياً!!) عندما قام مرة أخرى بالاعتداء على الأختين الصغيرتين من عائلة كراندون. وعندما ألقي القبض عليه اعترف ولكن البوليس أطلق سراحه!!».

وللمرة الثالثة قام بالاعتداء على طفلين آخرين، وعندما رفع الأمر للقضاء كانت العقوبة أربع سنوات ونصف سجن.

وذكرت المجلة عشرات من قصص الاعتداءات على الأطفال، وعن استخدامهم استخداماً جنسياً، ليس فقط من قبل المعتدين، بل إنَّ الأمر اتسع وأصبح تجارة واسعة باسم الفن الإباحي (بورنوجرافي) بحيث إنَّ هؤلاء الأطفال يُصوَّرون في هذه الأوضاع الشاذة، ويقوم هؤلاء التجار بتوزيع هذه المجلات وبيعها، حيث يبلغ ثمن العدد الواحد من هذه المجلات اثني عشر دولاراً ونصف.

وتقول المجلة: «إنَّ الأمر لم يعد محدوداً ولا ضيق الانتشار، وإنما أصبح يهدد كل بيت وكل طفل. إنَّك تجدهم في المدرسة، وفي الجمعيات الخيرية، وبين القسس، وفي الجمعيات الرياضية، وفي الكشّافة، وفي الرحلات التي تنظم للأطفال». وتذكر المجلة قصة مدير روضة الأطفال الذي اعتدى على الطفلة (جوبي رميش) البالغة من العمر ثلاثة سنوات، ولم يكتف بذلك بل أخذ لها صوراً أثناء فعله الفاحشة بها. واستطاع البوليس أن يجد إحدى عشر قضية ضد (ميشام) هذا بصورها وأبطالها. ولذا فقد حكمت عليه المحكمة أقسى حكم في الولايات المتحدة صدر في قضية متعلقة بالاعتداء الجنسي على الأطفال، فقد حكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة ٢٦ عاماً.

وتقول الـ «ريدرز دايجست»: «إنَّ هناك مليون حالة من الاعتداء ـ على الأطفال جنسياً في كل عام في الولايات المتحدة الأمريكية» ولا يكتفي المجرمون في هذه الحالات بالاعتداء الجنسي على هؤلاء الأطفال، بل يقومون بتصويرهم في أوضاع شائنة، وسرعان ما يتحول الأطفال إلى بغايا في عالم البغاء الواسع.

ولم تعد تجارة البغاء مقتصرة على البالغات، بل اتسعت لتشمل الأطفال.

وذكرت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة «أنَّ خمسمائة طفل يباعون في كل أسبوع إلى محلات الدعارة في تايلند، وأنَّ ثمن الطفل يتراوح ما بين سبعة إلى خمسين دولاراً اعتماداً على جاذبية الطفل وجماله». (نشرت ذلك صحيفة «الأخبار» القاهرية في ١٩/٨/١٩٨٠).

وذكر التقرير لهذه اللجنة التابعة للأمم المتحدة أنَّ هناك عصابات متخصصة في اختطاف الأطفال وخاصة من الأرياف في (تايلند) ، وأنَّهم يقومون بالاعتداء على هؤلاء الأطفال جنسياً، ثم يقومون ببيعهم إلى أماكن الدعارة، كما يصورونهم في أوضاع شائنة، وتستخدم هذه الصور في تجارة (البورنو) أي (الفن الإباحي أو فن الدعارة). وعندما كنت في نيويورك في ديسمبر ١٩٨٢ جاء في نشرة الأخبار في التليفزيون ست حالات اعتداء على الأطفال الصغار جنسياً في ليلة واحدة، وفي نيويورك فقط!!.

لقد ارتعبت عندما رأيت الأطفال الصغار يصرخون مضرَّجين بدمائهم والتليفزيون يعرضهم ويعرض الأمهات وهنَّ يصرخن: (إلى أين نذهب إلى أين نفر؟ هل يمكن العيش في مثل هذه الأوضاع؟. يذهب الطفل إلى الروضة.. فلا يعود!! وإذا وجده البوليس حياً يجده مضرَّجاً بدمائه؟!!).

وما هو أخبث هو أن يقوم المدرِّس في الروضة بالاعتداء على الطفل أو الطفلة، ثم يصورها في أوضاع شائنة، وما هو أفظع وأفحش أن يقوم القسيس الذي يدعو الناس إلى الرب، فيخدع هؤلاء الأطفال الأبرياء ثم يعتدي عليهم، ثم يصورهم ويشترك في تجارة (البورنو) ويوزع صورهم على المجلات الداعرة!!.

وما هو أفظع من كل ذلك أن يقوم شخص يسمى باحثاً وعالماً وأستاذاً في جامعة، ويقول في أوسع المجلات انتشاراً (التايم الأمريكية ١٤/٤/١٩٨٠): (إنَّ تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه الكبار أو غيرهم من البالغين لا يشكل بالضرورة ضرراً على الطفل!!).

ويقول (جيمس رامزي): «إنَّ مزيداً من الاتصال الجنسي بين أفراد الأسرة سيحقق الدفء، وسيخفف من هذا السعار الجنسي المحموم في سن المراهقة!!».

ويقول (لاري قسطنطين) الأستاذ المساعد في قسم الأمراض النفسية في جامعة تفتس بالولايات المتحدة: «إنَّ للأطفال الحق في أن يعبِّروا عن أنفسهم جنسياً مع أي فرد حتى ولو كان أحد أفراد عائلته». ويعاني الأطفال في المجتمعات الغربية من الاعتداءات المتكررة عليهم، سواء كانت تلك الاعتداءات بدنية أو جنسية. (The Abused child vol 29, NO. 5,1977).

ويقول كتاب (الطفل المعتدى عليه) إصدار شركة سيبا مجلد ٢٩ العدد الخامس، سنة ١٩٧٧: «يقدر عدد الأطفال الذين يواجهون اعتداءات بدنية وجنسية في الولايات المتحدة بـ ١,٦٠٠,٠٠٠ طفل سنوياً. وترفع بعض الدوائر هذا التقدير إلى أربعة أو خمسة ملايين طفل!! ونرى أنَّ الرقم الأقرب إلى الواقع هو ما ذكرناه أي ١,٦٠٠,٠٠٠».

والواقع أنَّ انتشار الاعتداء على الأطفال من آبائهم وذويهم أمر واسع الانتشار في الغرب،فمن كل عشرة أطفال يدخلون المستشفيات هناك واحد دخلها بسبب اعتداء ذويه عليه، ويأتي الاعتداء على الأطفال كثاني سبب لوفيات الأطفال ما بين ستة أشهر وعام. وما بين سنة وخمس سنوات فإنَّ وفيات الأطفال الناتجة عن الاعتداء هي السبب الثاني للوفيات، ويأتي مباشرة بعد الحوادث التي تعتبر قضاءً وقدراً، والغريب أنَّ ثلثي حالات الاعتداء على الأطفال دون الثالثة، بينما غالبية ضحايا الاعتداء الجنسي يكونون قد جاوزوا السابعة. وإن كانت هناك حالات اعتداء على الأطفال الرُضَّع!!.

وتقول مجلة هيكساجون الطبية Aexagon Vol 6, No. 5, 1978[5] : «إنَّه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في أوروبا وأمريكا إلاَّ وبه عدة حالات من هؤلاء الأطفال المضروبين ضرباً مبرحاً من آبائهم وأمهاتهم».

وفي عام ١٩٦٧ دخل إلى المستشفيات البريطانية أكثر من ٦٥٠٠ طفل مضروب ضرباً مبرحاً أدَّى إلى وفاة ما يقرب من ٢٠ ٪ منهم، وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة. وقد أصيب المئات منهم بالعمى، كما أصيب مئات آخرون بالصمم. وفي كل عام يصاب المئات من هؤلاء الأطفال بالعته والتخلف العقلي الشديد والشلل نتيجة هذا الاعتداء.

وتقول مجلة «هيكساجون»: «إنَّ الاعتداءات الجنسية على الأطفال من آبائهم هي أكثر بكثير مما هو معروف ومدوَّن، كما أن كثيراً من الآباء والأمهات يقومون بتسميم أطفالهم بإعطائهم السموم والعقاقير الخطيرة».

ويقول كتاب الطفل المعتدى عليه: (The Abused child): «إنَّ الاعتداء الجنسي على الأطفال من آبائهم، هو أكثر بكثير مما هو مسجل في الدوائر الطبية ولدى المحاكم؛ وذلك لأن هذه الحالات لا تصل إلى الدوائر الطبية أو إلى البوليس إلَّا نادراً». ويقسم الكتاب المذكور الاعتداءات الجنسية إلى نوعين وهي الاعتداءات الجنسية المصحوبة بالعنف، والاعتداءات غير المصحوبة بالعنف. وبعض الحالات من الفئة الأولى هي التي تصل إلى الأطباء، أمَّا الفئة الثانية فنادراً جداً وصولها إلى الأطباء.

ويقرر الكتاب أنَّ الاعتداءات الجنسية هي في الغالب من الأب، أمَّا الاعتداءات البدنية الأخرى فأغلبها من الأم؛ وذلك نتيجة للتوتر النفسي والقلق الذي تعيشه المرأة العاملة في الغرب. وفي بعض الحالات يكون الاعتداء على الطفل من المشرفين على تربيته، أو من الحاضنة، وأحياناً من المدرِّس في الروضة أو في المدرسة.

ويوضح الكتاب أنواع الاعتداءات الجنسية التي ينبغي على الطبيب أن يبحث عنها، وهي في الغالب على شكل تهتكات بالشرج أو الفرج، وفي بعض الأحيان يجد الطبيب شيئاً من مني المعتدي وهو الأب في غالب الحالات.

وكثيراً ما يصاب الطفل ذكراً كان أو أنثى بالأمراض التناسلية، ويُعتبر ذلك دليلاً قاطعاً على الاعتداء الجنسي.

ويوضح الكتاب أنواع الاعتداءات البدنية، وكسور العظام، وارتجاج المخ الناتج عن الضرب، أو رمي الطفل إلى الأرض، وأنواع الشلل التي يصاب بها الطفل، وإصابات العين، والصدر وكسور الأضلاع وما يصحبها أحياناً من دخول الهواء إلى البلورا مما يسبب انكماش الرئة في الجهة المصابة، وأنواع النزف الخطير الذي قد يصحبها.

• • •

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●



تطلب جميع كتبنا من :

دار القلم : دمشق : ص ب : ٤٥٢٣ ت : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية : بيروت : ص ب : ١١٣ / ٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير

جدة : ٢١٤٦١ ص ب : ٢٨٩٥

